شرح ديوان الحماسة

وديوان الحماسة مجموعٌ من الشعر الرّائع اختاره شاعر العربية وحكيمها
أبو تمام حبيب بن أوس الطائى المتوفى فى عام ٢٣١ من الهجرة

تأليف

أبى زكريّا يحيى بن على الخطيب التّبريزىّ
المتوفَّى فى عام ٥٠٢ من الهجرة

حققه، وضبط غريبه، وعلق حواشيه، ووضع فهارسه

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس فى قسم التخصص بكلية اللغة العربية
بالجامع الأزهر

الجزء الأول

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة حجازى بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الجلال والحمدُ من جليل نعمائه ، والشكر له تمامُ كلمته وشكرُه من وافر آلائه ، وصلاته وسلامه وتحياته المباركة على خاتم أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه وأوليائه

اللهم إنى أحمدك أحبَّ الحمد إليك ، وأطيب الحمد عندك ، وأشكرك على ما أوليت أفضل الشكر وأقربه إلى مرضاتك ، وأستتم بحمدك نعمتك علىّ . وأستعصم بشكرك من جَحْد آلائك ؛

اللهم إنى أستعينك اسْتِشْعَاراً بالحاجة إلى كفايتك ، واستدْرَارا لوابل فضلك ، وأسألك استمناحاً لمزيد من نعمتك ، وأستهديك ثقة بجودك وعلماً بأنه لايفتقر من كفيته ولا يَئِلُ من عادبته ولايضلّ من هديته

وأسألك اللهم أن توالى صلواتك وتسليماتك ، وترادف تحياتك ورحماتك : على إمام الهدى ، ومَبْعث النور ، ومَنَار الحق ، وعَلَم اليقين : سيدنا محمد بن عبد الله النبى الأمى الذى أرسلته إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وهاديا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، الذى سطع فى العالمين نوره ، وبَرَق فى الخافقين ضياؤه ؛ والذى أعليت كلمته ، ووثَّقْت حجته ، وجَعَلْتَه شاهد عَدْلٍ على أمته ، وعلى آله الذين شددت بهم عَضُدَه ، وقويت بهم أَزْرَهُ ، وعلى من أقام عمود الدين من أمته إلى يوم الدين

وأما بعد ؛ فان « من أحبَّ الله تعالى أحَبَّ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحبَّ النبى العربى أحبَّ العرب ، ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية التى بها نزل أفضل الكتب ، على أفضل العجم والعرب ، ومن

أحبَّ العربية عنِي بها ، وثابر عليها ، وصَرَف همته إليها »[١]

و إني منذ عقَلت شديدُ الشغفِ بالعربية ، كثيرُ العناية بها ، منْصرفُ الهمة إلى استخراج كنوزها ؛ منقطعٌ إلى استنباط أسرارها ، لا أَفْتر عن ذلك و إن لقيت فيه الجهدَ ، ثقةً مني بأنَّ من خطب الحسناء لم يُغْلِهَا مهر ، ومن دونِ حلاوةِ الضَّرَب إبَرُ النحل ، والله سبحانه المستعانُ على سلوك هذا الطريق ، وهو وحده المسئول أن يَهَبَنا الصبر على مانحن بصدده من الانقطاع إلى الدراسة والمثابرة على الاستزادة ، إنه سبحانه الهادى إلى سبيل الرشاد

وهذا كتاب « ديوان الحماسة » الذى اختاره من أشعار العرب شاعرُ العربية وحكيمها أبو تمام حبيب بن أوس الطائى المتوفى فى عام ٢٣١ من الهجرة[٢] وشرحه الذى صنفه شيخ اللغويين والنحاة أبو زكريا يحيى بن علىٍ الخطيبِ التبريزى المتوفى فى عام ٥٠٢ من الهجرة ، أُقَدِّمهما لقراء العربية بعد أن أجهدت فيهما النفس ، وسَهَّدْت من أجلهما الجفنَ ، و بعد أن بَذَلْتُ فى تحقيقهما ومراجعتهما غاية الْوُسْع ، وأنا أسأل الذى بيده ملكوت كل شىء أن يجعل ذلك كله مقصودا به وجهه ، وأن يجعل أجره مُدَّخرا عنده ، إنه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ديوان الحماسة ومنزلته عند العلماء :

وديوانُ الحماسة أنْبَهُ ذكرا ، وأبعد أثرا ، وأجَلُّ خطَرا ؛ من أن يُدَلَّ عليه ، أو يُشار إليه ، وليس بين قراء العربية الذين شَدَوْا شيئا من الأدب مَنْ لم يعرفه فهو فى حاجة إلى التنويه به أو بيان منزلته ، و إن يكن بأحد هؤلاء حاجة إلى شىء من شئون هذا الكتاب فذلك أن يعلموا أنه منذ ظهر للناس — بعد احتجابه فى خزائن آل سلمة وضَنِّهم على الناس به — وهم عاكفون عليه ، راضون

(١) من كلمة لأبى منصور الثعالبى فى مفتتح كتابه « فقه اللغة وسر العربية »
(٢) ويقال توفى فى عام ٢٢٨ من الهجرة

عنه ، راغبون فيه ، وله عند العلماء كافةً المنزلةُ التى لا تُدَانيها منزلة ، وليس من بينهم مَنْ لم يتأدب به ولم يشتغل بتحصيله وروايته ، وآية ذلك عندنا ثلاثة أمور : أولها أنه كان يكفى أحدهم أن يقول « قال الحماسيُّ » ليدل على أن هذا الشعر مما رواه أبو تمام فى حماسته ، وليقنع السامع بأن هذا الشعر مرضى مقبول سائغ فى الاحتجاج به على اللغة والأدب ؛ وثانيها : كثرة الذين تصدَّوا لشرحه وبيان غريبه وشرح أخباره من فحول العلماء ؛ على ماسنبينه لك قريبا إن شاء الله ، وثالثها : كثرة الذين عارضوه فصنعوا صنيع أبى تمام فى اختيار مجموعة من أشعار العرب وتسميتها باسم « الحماسة » مع بقاء مختار أبى تمام فى الصف الأول منذ أكثر من أحد عشر قرنا إلى اليوم ، حتى قالوا : « وبقى كتاب الحماسة فى خزائن آل سَلَمة يضنون به حتى تغيرت أحوالهم وورد أبو العواذل همذان من دينور فظفر به وحمله إلى أصبهان فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ماعداه من الكتب فى معناه ، ثم شاع واشتهر » فالكتاب الذى يُضَنّ به على الناس منذ تصنيفه ، ولا يخرج إلى الأدباء إلا بعد أن تتغير أحوال الذين صُنِّف لهم إذ تخرجه الحاجة مع مايُضَنُّ به من الذخائر والأعلاق ، والذى لا يظهر للناس حتى يقبلوا عليه ويتركوا ماعداه ؛ كتابٌ له قيمته ومنزلته ، وهذا الكتاب هو « ديوان الحماسة » الذى نضعه بين يديك اليوم .

سبب تأليفه :

حَدَّثوا أن أبا تمام قصد عبد الله بن طاهر ، وعبدُ الله يومئذ بخُرَاسَانَ ، فمدحه ، فأجازه ، وعاد من عنده يريد العراقَ ، فلما بلغ همذان علم به أبو الوفاء بن سلمة فأنزله عنده وأكرمه ، وأصبح ذاتَ يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ؛ فاغتم لذلك أبو تمام ، وسُرَّ به أبو الوفاء ، ثم أحضره أبو الوفاء خزانة كتبه ؛ فمازال يطالع ويشتغل بالتصنيف حتى جمع من ذلك خمسة كتب

منها فى الشعر كتاب « الحماسة » هذا ، وكتاب « الوحشيّات »

وقد رتب أبو تمام كتاب الحماسة على عشرة أبواب : الحماسة ، والمراثى ، والأدب ، والتشبيب ، والهجاء ، والأضياف ، والصفات ، والسير ، والملح ، ومذمة النساء .(١)

وقد اشتهر الكتاب بالباب الأول منه ، وهو باب الحماسة ؛

ثناء العلماء عليه :

لاشك أن الاختيار ضربٌ من التأليف ، وليس كل أحد يجيد الاختيار ، ولذلك يقول الشاعر :

قد عرفناك باختيارك إذ كا　　نَ دليلاً على اللبيب اختيارُهْ

وأبو تمام فى اختياره كان لبيبا حاذقاً ، ومَنْ مثل أبى تمام علماً بسرّ العربية ، ومعرفة بأُمّاتها ، وخِبْرَةً بالجيد الصالح من شعرها ، وهو شاعر العربية الفحل وفيلسوفها الغوّاصُ على أبكارها ، ولهذا كله لم يكن عجيبا أن يقول الناسُ عنه : « إن أبا تمام فى اختياره أشعر منه فى شعره » ولقد كان اختيار أبى تمام لأشعار الحماسة سبباً عند كثير من علماء العربية فى الإقدام على الاحتجاج بشعره على قواعد النحو والتصريف كلها ، وهذا جارُ الله الزمخشرى يقول فى شأن أبى تمام بعد أن استشهد فى التفسير ببيت من شعره : « وهو وإن كان مُحْدَثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل على هذا بيت الحماسة ؛ فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » اه

وقال البغدادى فى شرح شواهد شروح الشافية : « وقد وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق فى اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام فى كتاب الحماسة » اه .

(١) بدار الكتب المصرية عدة نسخ خطية من ديوان الحماسة (أنظر فهرس الدار)

عصبية أبى تمام :

وقبل أن ننتهى من القول على مختار أبى تمام نريد أن نسجل هنا ملاحظةً عَنَّتْ لنا أثناء قراءتنا الكتاب ، وهذه أنه أكثر من الاختيار للشعراء الطائيين ، وكأنه أبى فى اختيــاره إلا أن يفخر بقومه فيكثر من الرواية لطيء وبطونهـا وأفخاذها وعشائرها . ولقد هممنا أن نحصى عَدَدَ القطع التى اختارها لهم لنعقد لك نسبة بين ما خصهم به وما أودعه كتابه ، ولكنا رأينا أن ذلك سيدعم هـذه الملاحظة ويَشدُّ من أزرها ، فتركنا هذه لنغفر له هذه العصبية ونعفو له عنها ، عالمين بأن كل فتاة بأبيها مُعْجَبَةٌ

شروح الكتاب

قال أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى فى مفتتح شرحه : « وقد فسره جماعة ، فمنهم من قَصَّرَ فيه ، ومنهم من عُنى بذكر إعراب مواضع منه دون إيراد المعانى ، ومنهم من أورد الأخبار التى تتعلق به وأعرض عن ذكر المعانى ، ومنهم من ذكرالمعانى دون الإعراب والأخبار » اهـ

ونحنُ نذكر لك ما بلغنا خبره من شروح هذا الكتاب ، فنقول :

(١) ممن شرحه أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكرى المتوفى فى عام ٣٩٥ من الهجرة

(٢) وأبو المظفر محمد بن آدم الْهَرَوِيُّ المتوفى فى عام ٤١٤ من الهجرة

(٣) وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى فى عام ٣٩٢ من الهجرة ، وسماه التنبيه[1] ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية

(١) ولأبى الفتح ابن جنى كتاب آخر سماه « المبهج » ذكر فيه اشتقاق أسماء الحماسة ، سواء فى ذلك الشعراء وغيرهم ، ومنه نسخة خطية بدار الكتب ، وقد قام بطبعه صاحب مكتبة القدسى بمصر

(٤) وأبو القاسم زيد بن على الفَسَوِىّ المتوفى فى عام ٤٢٧ من الهجرة

(٥) وأبو عبد الله الخطيب الإسكافى المتوفى فى عام ٤٢١ من الهجرة

(٦) وأبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده اللغوى المتوفى فى عام ٤٥٨ من الهجرة

(٧) وحسن بن بشر الآمدى المتوفى فى عام ٣٣٥ من الهجرة

(٨) وأبو بكر محمد بن يحيى الصُّولِىّ المتوفى فى عام ٤٧٦ من الهجرة

(٩) وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى المتوفى فى عام ٤٧٥ من الهجرة

(١٠) وعبد الله بن إبراهيم المتوفى فى عام ٥٨٤ من الهجرة

(١١) وعبد الله بن أحمد السامانى المتوفى فى عام ٤٧٥ من الهجرة

(١٢) وإبراهيم بن محمد بن ملكون الإشبيلى المتوفى فى عام ٥٨٤ من الهجرة

(١٣) وأبو على حسن بن على الأستراباذى النحوى

(١٤) وأبو نصر قاسم بن محمد النحوى المتوفى بمصر

(١٥) وأبو المحاسن مسعود بن على البيهقى المتوفى فى عام ٥٤٤

(١٦) والأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى المتوفى فى عام ٤٧٦ من الهجرة

(١٧) وأبو البقاء عبد الله بن حسين العكبرى المتوفى فى عام ٦١٦ من الهجرة

(١٨) وأبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى المتوفى فى عام ٥٠٢ من الهجرة ، وهو صاحب هذا الشرح الذى نضعه بين يديك اليوم

(١٩) وأبو على أحمد بن محمد المرزوقى المتوفى فى عام ٤٢١ من الهجرة ومنه نسخة بدار الكتب المصرية

(٢٠) وأبو نصر منصور بن مسلم الحلبى المعروف بابن أبى الدميك

فهذه عشرون شرحا ذكرها صاحب كشف الظنون(١) ، وتجد فى شرح التبريزى نقولا كثيرة عن كثير من هذه الشروح ، كما تجد فيه نقولاً عن شروح أخرى لم يذكرها حاجى خليفة ، ونذكر لك منها على سبيل المثال شرح أبى الندى ، وشرح أبى محمد الأعرابى(٢) الذى يتعقب أباالندى ويكثر من الرد عليه ؛ وقد أكثر التبريزى من النقل عن هذين الشرحين ، حتى إنه يندر أن تقلب عدة أوراق من غير أن تجد فيها نقلا عنهما أو عن أحدهما ، وكما أكثر من النقل عن هذين الشرحين قد أكثر من النقل عن أستاذه شيخ المعرة أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرى ، وهو ينقل ذلك عن شرح أبى العلاء المعرى على ديوان الحماسة ؛ ويوجد من هذا الشرح نسخة خطية بدار الكتب المصرية

ولم يقف حد العناية بالكتاب عند شرحه وبيان أسراره والإفاضة فى ذكر أخبار ماروى فيه من الشعر ، بل تجاوز ذلك إلى أن تعرضوا لنثر أبياته وتصويرها فى القالب الذى يقابل الشعر من الكلام ، وإذا كان الناسُ ينظمون المنثور من الحكم والآراء فلماذا لا ينثر بعضهم المنظوم من الشعر ؟

وممن نثره أبو سعيد على بن محمد الكاتب المتوفى فى عام ٤١٤ من الهجرة وقد قدم نثره هذا إلى بهاء الدولة بن بُوَيه ، وسماه « البهائى » نسبة إليه

مصنفو الحماسة غير أبى تمام :

ولا شك أن ذيوع حماسة أبى تمام وإقبال الناس على روايتها والتأدب بها ثم على شرحها والتنويه بشأنها ؛ كل أولئك قد دعا كثيراً من الأدباء إلى التأسى بأبى تمام وترسُّم خطاه ، ولهذا عرفت المكتبة العربية كثيرا من الكتب بهذا

---

(١) وقد شرحه من المتأخرين شيخنا وأستاذنا المرحوم الشيخ سيد بن على المرصفى ، وطبع من شرحه هذا الجزء الأول فى حياته

(٢) توجد نسخة بدار الكتب المصرية من شرح أبى محمد المعرف بالأعرابى الأسود تحت اسم إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن على النمرى البصرى

الاسم . ونحن نذكر لك من ذلك أهم ما بلغنا أمره

(١) فأبو عُبادة الوليد بن عبد الله البحترى الشاعر المتوفى فى عام ٢٨٤ قد صنف كصنوه وصديقه أبى تمام كتاب « الحماسة » وهو كتاب معروف قد طبع فى بيروت ثم طبع بمصر

(٢) وأبو السعادات هبة الله بن على الشجرى العلوى اللغوى المتوفى فى عام ٤٥٢ من الهجرة قد صنف أيضا كتاب « الحماسة » وهو كتاب معروف قد طبع بحيدر أباد ، وقد مدحه ابن خلكان

(٣) ولأبى الحسن صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى كتاب أسماه « الحماسة البصرية » وقد صنفه فى عام ٦٤٧ من الهجرة ، وهذا الكتاب من مراجع صاحب « خزانة الأدب » ، ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية.

(٤) وللعسكرى كتاب الحماسة ، ويعرف بـ « الحماسة العسكرية »

(٥) ولأبى الحسن على بن الحسن المعروف بشميم الأندلسى المتوفى فى عام ٦٥٣ من الهجرة كتاب « الحماسة » أيضا

شرح التبريزى :

وشرح أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى أشهر هذه الشروح اليوم ، لأنه طبع وتداوله الناس فوجدوا فيه غَنَاء ، وشرحه المعروف للناس هو الذى نقدمه لقراء العربية اليوم ، وهو الشرح الثانى له على هذا الكتاب ، ونحن نتركه يحدثك عن صنيعه الذى سلكه فى شرحه هذا وفى شرحه الذى سبقه ، قال : « وأنا كنت قد شرحته شرحاً مستوفى ، غير أنى كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعها ثم شرحتها مجملا ، ولم أفصل بين أبياتها بالتفاسير ، فرأيت أكثر من يقرأ علىّ هذا الكتاب يرغب فى شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك ؛ ليسهل عليه معرفة مايشكل فى كل بيت منه ؛ ويبين له غرض الشاعر بالكشف عنه فاستعنت بالله تعالى وعزمت على شرحه من أوله إلى آخره

شرحاً شافيا ، بيتاً بيتاً على الولاء ، وتبيين اشتقاق أسامى شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجرى ذكره فى الكتاب ، وتفسير مافى كل بيت من الغريب والإعراب والمعنى : وذكر مااختلف فيه العلماء فى المواضع التى اختلفوا فيها . و إيراد الأخبار فى أماكنها ، إن شاء الله »

وفى دار الكتب المصرية نسخة خطية من شرحه الثانى ، وفيها قطعة من شرحه الأول تشتمل على شرح باب الحماسة من الكتاب

طبعات هذا الكتاب :

طبع شرح التبريزى مرتين : المرة الأولى فى مدينة « بنْ » عام ١٨٢٨ من الميلاد بتحقيق « المسيو غيورغ ولهلم فريتغ : المعلم فى المدرسة الكلية الفريدرِ خوَلْهَلْمِيَّه » والمرة الثانية فى القاهرة بمطبعة بولاق عام ١٢٩٦ من الهجرة بتصحيح الشيخ محمد قاسم

وطبع ديوان الحماسة مراراً بمصر و بالهند و بالشام ، مجرداً أحياناً ومع بعض تفسيرات فى أسفل الصحائف أو بين سطور الكتاب أحياناً أخرى ، و بدار الكتب المصرية عدة نسخ طبعت فى مصر بمطبعة التوفيق عام ١٣٢٢ وعام ١٣٣١ من الهجرة جعل فيها ديوان الحماسة بأعلى الصفحات وجعلت التعليقات بأسفلها كما أن بالدار نسخة طبعت بكلكتة من أعمال الهند عام ١٨٥٦ من الميلاد وفيها نسخة أخرى طبعت بالمطبعة القاسمية الديو بندية فى الهند سنة ١٣٣٤ و بهامشها و بين سطورها حواشٍ وتعليقات كثيرة فأما النسخة المطبوعة فى الشام فهى عبارة عن أبيات الحماسة فى مجلد صغير وليس عليها شروح ولا تعليقات

عملنا فى هذا الكتاب :

كان لا بد لنا من مراجعة هذه النسخ التى حدثناك عنها و بيان مواضع الاختلاف بينها ، وقد فعلنا ذلك ولله الحمد ، وأهم معارضة عنينا بها المعارضة بين نسختى شرح التبريزى المطبوعتين فى مدينة « بُنْ » ومدينة القاهرة فقد قمنا

بمعارضة ذينك معارضة كاملة ، ثم ضبطنا غريب الشرح والأعلام التى وردت فيه ، كما ضبطنا ما جاء فيه من الشعر ضبطاً كاملا ، وأكملنا ما تيسر لنا إكماله من أنصاف الأبيات التى يرويها للاستشهاد بها ، ودَلَلْنَا فى كثير من المواطن على مواضع الشواهد من كتب اللغة والأدب والقواعد العربية . وأهم شىء نذكره فى بيان عملنا أننا جعلنا ديوان الحماسة فى أعلى صفحات الكتاب يتلو بعضه بعضاً وضبطناه بالشكل الكامل بعد التحرى وإعمال النظر والروية . وأننا صنعنا للكتاب عدة أنواع من الفهارس الهجائية على نسق وترتيب أفضل كثيراً من الفهارس التى صنعها « المسيو غيورغ وِلهلم فريتغ » وستجد فى هذه الفهارس غناء عظيماً ومرشداً نافعاً يهديك إلى ما تريده من الكتاب

وإنى أحمد الله تعالى إذ وفقنى إلى حب العربية والشغف بها والحدب عليها والاستهانة بالوقت والمال والراحة فى سبيل تحصيلها وإذاعة النافع من مصادرها التى هى ثمرة مجهودات أسلافنا رضى الله عنهم ، والتى هى عصارة أذهانهم . ولست أريد بذلك جزاء فانى أدخر ثواب ما أنفقه فى هذا السبيل من الجهد والوقت والمال عند من لا تضيع عنده الحسنات . ولكنى أحب أن لا يجحد قراء العربية صنيعى إليهم ولا ينكروا يدى عندهم فأنشد

إذا محاسنى اللائى أدل بها عدت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر

ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء . . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين

كتبه المعتز بالله تعالى : أبو رجاء

محمد محيي الدين بن عبد الحميد

عن الحلمية الجديدة بالقاهرة

فى رمضان المعظم عام ١٣٥٧

الموافق نوفمبر عام ١٩٣٨

ترجمة أبى تمام

نسبه :

هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان الطائى الحورانى

وهو أحد الشعراء الثلاثة الذين سارت الركبان بذكرهم ، وخلّد على الزمان شعرهم ، وبقيت على تطاول الحقب آثارهم ، وثانيهم أبو عبادة الوليد البحترى ، وثالثهم أبو الطيب أحمد المتنبى

نشأته :

ولد أبو تمام بقرية جاسم وهى على ثمانية فراسخ من دمشق عام ١٩٠ من الهجرة ، من أبوين فقيرين ، ونقل صغيرا إلى مصر فنشأ بها فقيرا ، وكان يسقى الماء بالجرة بجامع عمرو . ولعل طول مقامه بالمسجد والمسجدُ يومئذ عُشُّ العلماء ومباءتهم ومحل اجتماعهم ودراستهم قد حبب إليه العلم ورغبه فيه ووجه نفسه إليه فعكف على العربية يدرسها ويرويها ، حتى حفظ مالايحصى من شعر العرب ونبغ فى قَرْضِه ، فلما رأى من نفسه القدرة على الشعر والبراعة فى التصرف فيه خرج إلى بغداد مقر الخلافة فمدح المعتصم وحظى عنده ومدح وزيره محمد بن الزيات وصاحب ديوان رسائله الحسن بن وهب ، ثم ولاه الحسن بن وهب بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات .

وصفه :

كان أبو تمام أسمر طويلا فصيحا حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة وكان فَطِناً ذكيا محبا للشعراء تواقا إلى مصاحبة أهل الفضل ، وكان مع ذلك حاضر الذهن جيد البديهة سريع الجواب ، وقلما عرف فى أهل زمانه من يدانيه فى حدة الخاطر ولطافة الحس

منزلته :

انتهت إلى أبى تمام زعامة الشعر فى عصره ، وألقى الشعراء إليه زمامهم ، فلم يكن أحد يستطيع أن يقف معه فى صف أو يجرى معه فى ميدان ؛ ذلك بأنه قد امتلك أزمّة المعانى ، وعرف جميع ماجادت به قرائح المتقدمين ، وأنه نبه فى عصر نقلت فيه علوم اليونان والفرس وحكمتهم ، مع ماوهبه الله من حصافة ، ولطف خيال ، فكان له من ذلك كله مزاج طبع به شعره طابعا خاصا ، ومن هنا تعلم السر فى أن أبا تمام أول من استكثر من الحكم والأمثال فى القصائد ، وأنه أول من استدل على الأمور بالأدلة العقلية ، غير مبال بما يفرغ فيه معناه من الألفاظ والعبارات حتى كثر التعقيد فى كلامه

ولم يرزق أحد من السعادة فى شعره مثل مارزقه أبو تمام ورفيقاه ، فقد كثر تناول الناس لشعرهم بالنقد والشرح وعُنوا به عناية تفوق كل عناية

وفاته :

وتوفى أبو تمام في قول أكثر العلماء عام ٢٣١ من الهجرة

ترجمة أبى زكريا الخطيب التبريزى

نسبه :

هو أبو زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى الخطيب التبريزى.

نشأته وأساتذته وتلاميذه :

قرأ أبو زكريا على فيلسوف المعرة وشاعرها أبى العلاء المعرى ، وعلى أبى القاسم عبد الله بن على الرّقى ، وأبى محمد الدَّهَّانى اللغوى وغيرهم من أهل الأدب .

وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبى الفتح سليم بن أيوب الرازى ، ومن أبى قاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوى البغدادى ، ومن أبى القاسم عبد الله بن على ، وغيرهم

درس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد ، ودخل مصر فى عنفوان شبابه ثم عاد إلى بغداد فاستوطنها إلى أن مات

وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر ، وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأندلسى ، وقرأ عليه فى مصر الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى شيئا من اللغة

مصنفاته :

لأبى زكريا التبريزى كثير من المصنفات ونحن نذكر لك أهم ما بلغنا خبره :

(١) شرح ديوان المتنبى . ذكره ابن خلكان

(٢) شرح ديوان أبى العلاء المعرى المعروف بسقط الزند ، طبع بمصر مرارا

(٣) شرح القصائد العشر ، طبع فى أوربا ثم طبع فى مصر مرتين

(٤) شرح المفضليات ، ذكره ابن خلكان

(٥) تهذيب غريب الحديث ، ذكره ابن خلكان

(٦) تهذيب إصلاح المنطق الذى أمله ابن السكيت ، طبع أكثره فى مصر

(٧) تهذيب الألفاظ الذى صنفه ابن السكيت أيضاً ، طبع فى بيروت

(٨) كتاب الكافى فى علم العروض والقوافى ، ذكره ابن خلكان

(٩) كتاب إعراب القرآن فى أربع مجلدات سماه «الملخص» ، ذكره ابن خلكان

وفاته :

وتوفى أبو زكريا فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ٥٠٢ من الهجرة ، ببغداد ، ودفن بها . رحمه الله رحمة واسعة وأثابه أفضل ماأثاب به المخلصين ! !

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى رحمه الله :

أما بعدَ حمدِ الله الذى لا يبلغ صفاته الواصفون . ولا يدرك يقينه العارفون ، كشف بنوره الدُّجَى ، وأسعف الراجى بما رَجَا ، هَدَانا لطاعته وذكره ، ووفّقنا لما يزْلِفُ من عَفْوِه وَغُفْرِهِ : والصلاةِ على نبيه محمد الداعى إلى الكلمة الصادقة ، الصادع بالدلائل الناطقة ، وعلى آله الطيبين ، وعترته المنتجَبِينَ : فإن أهل الأدب إنما يتباينون به فى درجاتهم ، ويتفاخرون به فى طبقاتهم : لأن أشرف العلوم كلِّهَا علمُ الكتاب والسنة ، وهما قُطْبَا كل علم ، وأصْلاَ كلِّ فهم : إذ كانا طريقاً إلى معرفة الخالق تعالى وشكر نعمته ، وسبيلاً إلى إدراك السعادة والفوز بجنته ، ولا يصح حقيقة معرفتهما إلا بعلم الإعراب ، الدال على الخطأ من الصواب ، وعلمِ اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات ، المفصحة عن المجاز والاستعارات ، وعلمِ الأشعار : إذ كان يُسْتَشْهَدُ بها فى كتاب الله عز وجل وفى غريب أخبار رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رحمة الله عليهم فى فضل الشعر ما يُرَغِّبُ فى روايته ، ويَحُضّ على معرفته : من ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس أنه قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فتكلم بكلام بَيِّن ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنَّ من البيان لَسِحْرًا ، وإن من الشعر لَحُكْمًا[1] » ، وفى رواية أخرى « لحكمة »

---

(١) قاله النبى صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ، وكان الذى تكلم منهم عمرو بن الأهتم ، ومعنى السحر إظهار الباطل فى صورة الحق ، والبيان : اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن ، وتشبيهه

وعن عبد الله بن زهير ، عن أبيه ، قال : وفد الْعَلاَءُ بن [1] الْحَضْرَمِىُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « أتقرأ من القرآن شيئا » ؟ قال : نعم ، فقرأ (عبس وتولى) وزاد فيها من عنده « وهو الذى أخرج من الْحُبْلَى ، نَسَمَةً تَسْعَى ، بين شَرَاسِيفَ وَحَشَا [2] » فصاح به النبى صلى الله عليه وسلم « كُفَّ فان السورَة كافية » ثم قال : « هل تقول من الشعر شيئا » ؟ قال : نعم ، قال : « أنشدنى » فأنشده شعراً :

حَيِّ ذوى الأضغان تَسْبِ قُلُوبَهُمْ   تَحِيَّةَ ذِى الْحُسْنَى فقد يُرْقَعُ النَّعُلْ [3]

بالسحر لأنه يعمل فى سامعه ويسرع إلى قلبه ، وهذا كلام يضرب فى استحسان المنطق عند إيراد الحجة البالغة ، ثم انظر (مجمع الأمثال للميدانى : ١ - ٦) وانظر أيضا (العمدة لابن رشيق : ١ — ٤)

(١) العلاء بن الحضرمى ، اسم أبيه عبد الله بن عماد ، كان أحد عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثه إلى البحرين ، وتوفى سنة إحدى وعشرين وهو على البحرين

(٢) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو بزنة عصفور غضروف معلق بكل ضلع ، وهو أيضا طرف الضلع المشرف على البطن

(٣) النعل : أصله بفتح النون وسكون العين ، واللام مرفوعة لأن الكلمة نائب فاعل ليرقع ، ولكن الأبيات من الطويل الثانى ، فاللام ساكنة ألبته ، وحينئذ يتعين تحريك العين ، فيجوز تحريكها بالضم الذى هو حركة اللام التى يقتضيها العامل ، ومن سنن العرب فى الوقف أن يقفوا بسكون الحرف الأخير بعد نقل حركته إلى ماقبله ، بشرط أن يكون ماقبل الآخر ساكنا لايتعذر تحريكه ولا يثقل ، ومن ذلك قراءة بعضهم (وتواصوا بالصبر) بسكون الراء وكسر الباء ، ومنه قول بعض السعديين وهو من شواهد سيبويه (ج ٢ ص ٢٨٤) :

أَنَا ابنُ مَاوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ   وَجَاءَتِ الْخَيْلُ أَثَافِىَّ زُمَرْ

أصله « إذ جد النقر » بسكون القاف والراء مرفوعة فألقى حركة الراء على القاف ، ويجوز فى عين « النعل » الفتح بناء على أن كل اسم على زنة فعل (بفتح الفاء

وَإنْ دَحَسُوا بِالْكُرْهِ فَاعْفُ كَرِيهَةً   وإنْ خَنَسُوا عَنْكَ الحديثَ فلا تَسَلْ[١]
فان الذى يؤذيك منه سَماعُهُ   وإن الذى قالوا وراءك لم يُقَلْ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنَّ من الشعر لَحُكْماً ، وإن من البيان لسحراً » .

قوله « وإن دَحَسُوا » الدحس : طلب الشيء على كره ، وأصله أن يُدْخل الرجل يده بين جلد الشاة وصِفَاقِها يَسلخها ، وهو الإفساد أيضاً ، ومعنى البيت أنهم إذا داخلوك فى حديثك فاصفح عنهم ولا تضجر . وإن قطعوا عنك الحديث فلا تسألهم عن سبب قطعه .

وعن سعيد بن جُبَيْر قال : سمعنا عبد الله بن عباس يُسْأَل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا . أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا .

وعن عكرمة قال : ما سمعت ابن عباس فَسَّرَ آيةً من كتاب الله عز وجل إلا نَزَعَ فيها بيتا من الشعر ، وكان يقول : إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه فى الشعر فانه ديوان العرب . والأخبار فى هذا المعنى كثيرة .

وأفضل الأمم من كان به أمهر ، وحظه منه أوفر ، وهم العرب الذين جملوه

وسكون العين) يجوز فيه عند علماء الكوفة فتح عينه إذا كانت حرفا من حروف الحلق مثل بحر وشعر . وقد ضبطت هذه الكلمة فى نسخة « بن » بكسر العين ، ولا يبين لى فيه وجه

(١) هكذا روى البيت فى نسخة «ب» وفى نسخة «بن» وقد رواه ابن منظور (د ح س) وابن الأثير فى النهاية ، على غير هذا الوجه ، بل روياه هكذا :

وَإنْ دَحَسُوا بِالشَّرِّ فاعْفُ تَكَرُّماً   وَإنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلا تَسَلْ

وخنسوا عنك الحديث : أخفوه ، يريد إن أخفوا عنك أمورهم وفعلوا الشر من حيث لا تعلمه

ديوانهم الذى يحفظون به المكارم والمناسب ، وَيتَقيّدون به الأيام والمناقب ، ويخلدون به معالم الثناء ، وَيبثّون به مواسم الهجاء ، ويضمنونه ذكر وقائعهم فى أعدائهم ، ويستودعونه حفظ صنائعهم إلى أوليائهم ، وإلى هذا المعنى أشار حَبيبُ ابن أوس بقوله (١) :

إن القَوَافِىَ وَالمسَاعِىَ لم تزل ... مِثْلَ النظام إذا أصاب فريدا
هى جَوهرٌ نَثرٌ فإن أَلّفتَهُ ... بالشعر صار قلائداً وعقودا
فى كل مُعْتَرَك وكل مُقَامَةٍ ... يأخذن منه ذِمّةً وعهودا
فإذا القصائدُ لم تكن خُفَراءهَا ... لم ترض منها مشهداً مشهوداً
من أجل هذا كانت العرب الألى ... يدعون هذا سؤددا مجدودا
وتندّ بينهم العلا إلا عُلاً ... جعلت لها مِرَرُ القريض قُيُودَا

وأشعارهم كثيرة ، والمختار منها ما اختاره أمراء الكلام ، وعلماء النظام ، ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ، ومن المقطعات الحماسة ، وقالوا : إن أباتمام فى اختياره الحماسة أشعر منه فى شعره .

وكان سبب جمع أبى تمام الحماسة أنه قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فمدحه ، وكان عبد الله لايجيز شاعرا إلا إذا رضيه أبو العَمَيْثَلِ وأبو سعيد الضرير ، فقصدهما أبو تمام وأنشدهما القصيدة التى أولها (٢) :

هُنّ عوادى يوسف وصَوَاحِبُهْ ... فَعَزْمًا ؛ فقِدْماً أدرك السولَ طَالِبُهْ

(١) أنظر الديوان (ص ٩٠) وفيه فى البيت الأول « مثل الجمان » وفيه فى الخامس « من أجل ذلك » و « سؤددا محدودا » بالمهملة ، وفيه فى السادس « وتند عندهم » و « مرر القصيد » والأبيات آخر قصيدة فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى

(٢) انظر الديوان (ص ٤٣) وفيه « أهن عوادى » بزيادة همزة الاستفهام ، وانظر البيتين بعده فى أخبار أبى تمام (ص ٥٢)

فلما سمعا هذا الابتداء أسقطاها . فسألهما استتمام النظر فيها ، فقرّآ بقوله :

وركبٍ كأطراف الأسنة عرَّسُوا   عَلَى مثلها والليل تَسطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن تَتِمَّ صدُورُهُ   وليس عليهم أن تتمّ عواقبُهْ

فاستحسنا هذين البيتين وأبياتا أخر منها ، وهى :

وَقَلْقَلَ نأىٌ من خراسانَ جاشَها   فقلت : اطمئنى : أنْضَرُ الرَّوْضِ عَزِبُهْ (١)
إلى سالب الْجَبّار بَيْضَةَ ملكه   وآمِلُه غادٍ عليه فسالِبُهْ

فعرضا القصيدة على عبد الله وأخذا له ألف دينار ، وعاد من خراسان يريد العراق ، فلما دخل همذان اغتنمه أبو الوفاء بن سَلَمَةَ فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق وَمَنَعَ السَّابلةَ . فغمّ أبا تمام ذلك ، وَسرَّ أبا الوفاء ، فقال له : وَطِّنْ نفسك على المقام ، فان هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان ، وأحضره خزانةَ كتبه ، فطالعها واشتغل بها ، وصنف خمسة كتب فى الشعر : منها كتاب الحماسة ، والْوَحْشيَّات ، وهى قصائد طوال ، فبقى كتاب الحماسة فى خزائن آل سَلَمَةَ يضِنُّون به ولا يكادون يُبْرِزونه لأحد حتى تغيرت أحوالهم ، وورد همذانَ رجلٌ من أهل دِينَوَرَ يعرف بأبى العواذل ، فظَفِر به وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه ، ورفضوا ماعداه من الكتب المصنفة فى معناه فشهر فيهم ، ثم فيمن يليهم

وقد فسره جماعة : فمنهم من قَصَّرَ فيه ، ومنهم من عُنى بذكر إعراب مواضع

---

(١) فى الديوان :

وَقَلْقَلَ نابى من خراسان جاشُها   فقلت : اطمئنى أنضر الروض عازبه

وهو تحريف ، وانظر القصة فى أخبار أبى تمام مع الأبيات الأربعة الأول ص ١١٥ — ١١٧ وزيادة بيتين (١)

منه دون إيراد المعانى ، ومنهم من أورد الأخبار التى تتعلق به وأعرض عن ذكر المعانى ؛ ومنهم من ذكر المعانى دون الإعراب والأخبار

وأنا كنت [١] قد شرحته شرحا مُسْتَوْفى، غير أنى كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعها ثم شرحتها مجملا ، ولم أفصل بين أبياتها بالتفاسير ، فرأيت أكثر من يقرأ علىَّ هذا الكتابَ يرغب فى شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك ؛ ليسهل عليه معرفة ما يشكل فى كل بيت منه ، ويبين له غرض الشاعر بالكشف عنه ، فاستعنت بالله تعالى ، وعزمت على شرحه من أوّله إلى آخره شرحا شافيا بيتا بيتا على الْوِلاَء وتبيين اشتقاق أسامى شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجرى ذكره فى الكتاب ، وتفسير ما فى كل بيت من الغريب والإعراب والمعنى ، وذكر مااختلف فيه العلماء فى المواضع التى اختلفوا فيها ، وإيراد الأخبار فى أماكنها إن شاء الله ، وبالله فى مُفْتَتَحِ الأمر وخاتمته الْمُسْتَعَانُ ، وعليه التكلان

---

(١) يوجد الجزء الأول ويشمل شرح باب الحماسة من هذا الشرح نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية وهى محفوظة تحت رقم ١١٩٥ أدب وبهامشها تقييدات

باب الحماسة (١)

(١) الْحَمَاسَةَ : الشدة فى الأمر ، يقال : حَمِسَ الرجل فى الأمر يَحْمَسُ حَمَسًا وحماسة ، إذا اشتد فيه ، وهو أحْمَسُ وحَمِيس ، وكانت قريش وكِنَانة وخُزاعة وجماعة من بنى عامر بن صَعْصَعَة يُسَمَّوْن حُمْسًا لتشددهم فى أحوالهم ديناً ودنيا ، وكانوا إذا أحرموا لا يأقطون الأقط ، ولا يَسْلَؤُن السمن : أى لايُصفُّونه من الزبد ، ولا ينتفون الشعر ولا الوبر ، وكان أهل الجاهلية يحرمون أشياء ، ولايأتون البيوت من أبوابها ولكن من أدبارها أو ظهورها ، وكان الرجل إذا أحرم قبل الحج : فان كان من أهل المدَرِ اتخذ نَقْبًا فى ظهر بيته فمنه يدخل ويخرج ، ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ، ويتخذ سلما يصعد فيه وينحدر : وإن كان من أهل الوَبَرِ دخل من خلف البيت ، إلا أن يكون من الْحُمْسِ ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم من باب بنى بنيانا ، واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قُطْبَة بن عامر أحد بنى سَلِمَةَ ، ولم يكن من الْحُمْس ، فدخل معه ، فأنكر ذلك عليه ، وقال : « اجتنبنى فانك مُحْرِمٌ وقد دخلت من الباب » فقال : يا رسول الله وأنت محرم ، فقال له : « إنى أَحْمَسِيٌّ » فقال له الرجل : إن كنت أحمسياً فاني أحمسى ، رضيت بهَدْيك وسنتك ودينك . فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها — الآية) ، والنسب إلى الْحُمْسِ أَحْمَسِيٌّ ، كما أن النسب إلى الفرائض فَرَضِيٌّ ، ويقال : قد حَمِسَ الشر ، وَحَمِسَ الوغى ، إذا اشتد ، قال الشاعر (١) :

وَفَرَّ أبو الصهباء إذ حَمِسَ الوغى ... وألقى بأبدان السلاح وَسَلَّمَا
فلو أنها عُصْفُورة لحسبتها ... مُسَوَّمة تدعو عُبَيْدًا وَأَزْنَمَا

وكثر ذلك حتى سميت الشجاعة حَمَاسة ، لأن الشجاع يشتد على قِرْنه عند

---

(١) هو العوام بن شوذب الشيبانى (اللسان : ز ن م)

١ — قال بعض شعراء بَلْعَنْبَر ، واسمه قُرَيْط بن أُنَيْف (١)

المِرَاس . وبنو حماس وبنو حميس : قبيلتان من العرب ، وبنوعامر تسمى الأحامس ، وكأنهم ذهبوا في واحد أحمس إلى أنه صفة فجمعوه جمع الصفات ، كما يقال أحمر وحُمْر وأصفر وصُفْر ، وذهبوا في واحد الأحامس إلى أنه اسم فجمعوه جمع الأسماء ، كما يقال أحمد وأحامد ، وهم يخرجون الأسماء إلى باب الصفات كثيراً كقولهم : بنو فلان الذوائب لا الذنائب ، أي الأعالي لا الأسافل ، كما يخرجون الصفات إلى باب الأسماء . كالأسود للحية ، والأدهم للقيد ، والأبطح للرمل المنبطح على وجه الأرض ، وهذه صفات في الأصل أخرجت إلى باب الأسماء فاعرفه

(١) قريط : تصغير قُرْط ، وأُنيف : تصغير أَنْف ، وأنف كل شيء مُقَدَّمُه . العرب تقول : بَلْعَنبر وبَنُو العنبر ، وكذلك يفعلون فيما فيه ألف ولام إذا لم يكن ثَمَّ إدغام ، فيقولون بَلْعَجْلان وبَلْحرث بن كعب ، فإن كانت لام التعريف مُدْغمة مثل النَّمِر ونحوه لم يحذفوا النون من «بنى» ، وبيان ذلك أنهم يريدون « بنى العنبر » فيحذفون الياء لسكونها وسكون اللام ، ثم من بعدها يحذفون النون لأمرين : أحدهما كثرة الاستعمال ، والآخر مشابهة النون اللام ، فتحذف كما يحذف أحد المثلين في نحو أَحَسْتُ وَظَلْتُ ، والدليل على أن المراد في قولهم « بَلْعَنْبر » ماذكرناه أن التنوين لا يصحب كسرة الراء في بلعنبر ، وإنما حذفت النون من « بنى » لاجتماعه مع اللام من العنبر لتقاربهما في المخرج ، وذلك لأنه لما تعذر الإدغام فيه حصل الحذف بدلا من الادغام ؛ وإنما تعذر الإدغام لأن الأوّل متحرك والثانى ساكن سكونا لازما ، ومن شرط المدغم تحريك الثانى إذا أدغم الأول فيه ، والثانى ههنا حرف التعريف ، وسكونه لازم ، فجعل الحذف بدلا من الإدغام لما تعذر لكونه مؤديا إلى التخفيف المطلوب ، ولا يلزم على هذا أن تحذف النون من « بنى النجار » لأن اللام قد أدغم في النون التى بعده فلا يمكن تقدير إدغام النون التى قبله فيه حتى إذا تعذر جُعِل الحذف

١- لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي
بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا[١]

بدلا من الإدغام ، بدلالة أن ثلاثة أشياء لا يصح إدغام بعضها فى بعض ، ومما يشبه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين واستعمل الحذف فى أحدهما بدلا من الإدغام قول القطرى بن الفجاءة[١] :—

غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ

ونظيره وإن كان التقاؤهما فى كلمة واحدة قولهم ظَلْتُ ومَسْتُ يقال فيهما : ظَلْتُ وَمَسْتُ ، وإن شئت قلت : ظِلْتُ وَمِسْتُ ، تلقى حركة المحذوف على فاء الفعل ، والعنبر فى اللغة : الترس والطيب ، وعنبرة الشتاء : شدته ، ويقال : إن بنى العنبر يضرب بهم المثل فى الهداية : فيمكن على هذا أن تكون النون فى عنبر زائدة ، ويكون مثاله من الفعل فنعلا من «عَبَرْتُ» كأنه بحسن تأتيه للاهتداء يَعْبُر الطرق ، ومنه قيل للبعير : هو عُبْرُ أسفارٍ

(١) من الضرب الثانى من البسيط . والقافية متواتر .

المازن فى اللغة : بيض النمل ، وقد يكون الذاهب فى الأرض من غير أن يعرف له أثر ، ومَزَنَ الرجلُ مُزُونًا : إذا ضاء وجهه ، ومَزَّنتُ فلانا : فضلته ، وفلان يَتَمَزَّنُ على أصحابه : أى يتفضل عليهم . وَالْمَوَازِن فى العرب أربعة : مازن قيس ، ومازن اليمن ، ومازن ربيعة ، ومازن تميم ، والمراد فى البيت مازن تميم ، وَاللَّقِيطة : فعيلة بمعنى مفعولة ، ودخلت الهاء فيها لأنه أرادبها الاسم ، فاذا أردت الصفة كانت بغير هاء ، كقولك : جارية لقيطٌ ، وأصله من التقطت الشىء إذا وجدته مطروحا فأخذته ، ولا يسمى لقيطا حتى تأخذه ، وهو مادام على الأرض

(١) زاد فى اسمه الألف واللام ، والمعروف قطرى بن الفجاءة ، والبيت من شواهد النحاة

مَنْبُوذ ، كأنه يعيرهم أن أمهم بنت أمةٍ الْتُقِطَت فربيت كما يفعل بالولد إذا كان لغير رِشْدَة ، وقيل : اللقيطة ههنا نسب وليس بشتم ، وزعم أبو محمد الأعرابى أن الرواية :

لم تستبح إبلى * بنو الشقيقة من ذهل بن شيبانا

قال : الشقيقة هى بنت عبـاد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان ، وهى أم سيار وَسُمَيْر وعبدالله وعمرو بنى أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وهم سَيَّارة مَرَدَة ليس يأتون على شىء إلا أفسدوه : قال : وأما اللقيطة — وليس هذا موضعها — فهى أم حصن بن حذيفة وإخوته ، وهم[1] خمسة ؛ واسمهـا نُضَيْرة بنت عُصيْم بن مَرْوَان بن وَهْب بن بَغِيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فَزارة ، وإنما أُلْحِقَ بها هذا الاسمَ أن أباها لم يكن له ولد غيرها ، والعرب ذلك الدَّهْر كانت تَئِدُ الجوارى فلما رآها انتشرت نفسه عليها وَرَقَّ لها وقال لأمها : استرضعيها وأخفيها من الناس ، فـكان أوَّلَ من ندسَ أمرها وفَطِنَ لها حَمَلُ بن بدر ، فقال لأخيه من أبيه حذيفة وتحته العُذْرِيَّة ليس له ولد إلا منها وهو مُسْهِر ، وبه كان يكتنى : مَالَكَ لاتتزوج وتجمع النساء تُرْزَق منك عضدا ، قال : ومن لى بالنساء التى تلائمنى وتشبهنى ؟ قد علمت ما لقيت فى العذرية وطلبها . قال : قد التقطت لك امرأة ترضاها وتشبهك ، قال : مَنْ هى ؟ قال : بنتُ لعُصَيم بن مروان بن وهب ، قال : و إن له لبنتاً ؟ قال : نعم ، قال : فمالى لم أسمع بها ؟ قال : كانت مُخْفَاةً وقد خُبِّرت خبرها ، قال : فأنت رسولى إلى عُصَيم فيها ، قال : فأتاه فزوَّجه إياها وبهذا سميت اللقيطة ، وهى أم حِصْن ومالك ومعاوية وورد وشريك بنى حذيفة ، و إياهم عنى زَبَّان بن سيار بقوله :

أَعْدَدْتُهَا لبنى اللَّقيطة فوقَهَا رُمْحٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ وَسَلِيلُ

والذُّهْلُ فى اللغة : قطعة من الليل ، و إنما سمى به لأن النوم يُذْهِل الناس فيه ،

---

(١) فى بن « وهى خمسة »

وكذلك دَهْل — بالدال وفتحها ـ قال الشاعر يصف ناقة [١] : —

مَضى مِنَ اللَّيلِ دَهْلٌ وَهْي وَاحِدَةٌ   كَأَنَّهَا طَائِرٌ بالدَّوِّ مَذْعُورُ [٢]

وَشَيْبَان : فَعْلاَن من شاب يشيب ، وقد أجاز قوم أن يكون من شاب يَشُوب فبنى على شَيَّبَان بالتشديد ، كما قالوا : رجل هَيَّبَان : أى جبان ، ثم خففت الياءُ كما قالوا رَيْحَان ، وهو من الرَّوْح ، وريح رَيْدَانة من راد يَرُود ، وَالعَيْدَان من النخل الطوال يجب أن يكون اشتقاقه من العود ، فكان أصله عَيَّدَان ثم خفف ، فان قيل : لو كان شيبان من شاب يشوب إذا خلط لكان شوبان كَخَوْذَان وَخَوْلان ، فالجواب أنه يمكن أن يكون فَيْعَلاَن كهيَّبَان وَتيَّحَان وكان أصله شَيْوَبان فلما اجتمعت الواو والياء فى كلمة واحدة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء فصار شَيَّبَان . ثم إن العين حذفت تخفيفا ، كحذفهم إياها من هَيِّن ومَيِّتٍ فبقيت شَيْبَان ، والاستباحه قيل : هى فى معنى الاباحة ، وقيل : الاستباحة أخذ الشىء مباحا ، والاباحة التخلية بينه و بين من يريده ، يقال : أبحته لك فاستبحته ، ومثله أَنَخْتُ البعير فاستنتاخَ ، وَأَمْرَرْت الشىء فاستمر ، وكان الأصل فى الإباحة إظهار الشىء المناظر ليتناوله من شاء ، ومنه باح بسره بَوْحًا وبُوُوحًا

وقوله « لو كنت من مازن » لو حرف يدل على امتناع الشىء لامتناع غيره ، فان قيل : فما الذى امتنع فى قوله :

---

(١) البيت فى اللسان (د ه ل) غير منسوب ، وهو فى كتاب تهذيب الألفاظ لمؤلف هذا الكتاب (ص ٤١٣) ونسبه إلى أبى جهيمة الذهلى . وحكى فى الدهل فتح الدال وكسرها .

(٢) الدو : الصحراء الواسعة . يصف راحلته وجودة سيرها . يقول : هى بعد مضى قطعة من الليل تمر فى سيرها كطيران طائر مذعور ، ومعنى قوله « وهى واحدة » أنها ثابتة على سير واحد لايتغير .

إِذاً لَقَامَ بِنَصْرِى مَعْشَرٌ خُشُنٌ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا (١)

* لو كنت من مازن لم تستبح إبلى *

والاستباحة واقعة . قيل له : إن قوله « لم تستبح » نفى الاستباحة ، وإذا امتنع هذا النفى وقعت الاستباحة . فكأنه إنما امتنع ترك الاستباحة لامتناع كونه من مازن

(١) إذاً : من الحروف اللازمة للفعل العاملة فيه النصب ، ويقع على الفعل المستقبل وما كان فى معنى المستقبل . نحو « إذاً لقام » ونحو قول النابغة :

* إِذاً فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِى إِلَىَّ يَدِى *

ويقع فى أول الكلام ، ووسطه ، وآخره : فاذا ابتدىء به لزمه العمل (١) ، ويكتب بالألف والنون . قال الفراء : إذا أعملتها كتبتها بالألف ، لأن باعمالها لا تلتبس باذا الزمانية ، وإذا ألغيتها كتبتها بالنون لئلا تلتبس باذا الزمانية . وَالْحَفِيظَة والحِفْظَة : الغضب فى الشىء الذى يجب أن يحفظ ، و « إذا لقام بنصرى » جوابُ محذوف ، واللام فى « لقام » جواب يمين مضمرة ، والتقدير إذا والله لقام ، فان قيل : فأين جواب « لو كنت » ؟ قلت : هو « لم تستبح » وفائدة إذن هو أنه أخرج البيت الثانى مُخْرج جواب قائل قال له : ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن ؟ فقال : إذا لقام بنصرى معشر خشن ، قال سيبويه : إذا جواب وجزاء ، وإذا كان كذلك فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاء على فعل المستبيح ، ويجوز أن يكون « إذا لقام » جواب لو ، كأنه أجيب بجوابين ، وهذا كما تقول : لو كنت حرا لاستقبحت ما تفعله العبيد إذاً لاستحسنت ماتفعله الأحرار .

(١) بشرط أن يكون متصلا بالفعل ، هذا بعد أن يكون جوابا ، وبعد أن يكون الفعل مستقبلا ، وأجاز قوم الفصل بالقسم أو النداء

وابن جنى يجعل إذا بدلا من لم تستبح فى البيت الذى قبله . واللوثة : الضعف . وقيل : اللين والاسترخاء ، ومنه يقال : هو مُلْتَاث . ورجل أَلْوَث : مسترخ ، وامرأة لَوْثاء ، فأما اللَّوْث فالقوة والغلظ . يقال : ناقة ذات لوث ، قال الأعشى :

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إذَا عَثَرَتْ   فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا

عفرناة : شديدة ، ومن ثم سمى الأسد ليثا لقوته وغلظه ، وأصله لَيّث فخفف ، كما يقال طَيْف الخيال وأصله طَيِّف ، وهو من الواو طاف يطوف . وأصل اللوث من تركب الشيء بعضه على بعض ، ومنه لوث العمامة ، و « ذو لوثة » يرتفع ذو عند حذّاق النحويين بفعل مضمر الفعلُ الذى بعده تفسيره . وهو لانَ . وتقديره إن لان ذو لوثة لان . وإنما قالوا هذا لأن « إنْ » لما كان شرطا كان بالفعل أولى ، وعمله الجزم ؛ فيجب أن لا يفارق معموله فى التقدير واللفظ ، وقوله « لقام بنصرى » يقال : قام بالأمر ، إذا تكفل به ، وهو القائم والقَيِّم ، وقام عليه : إذا ساسه ووليه ، ومنه القَيّوم والقَيِّم فى صفات الله عز وجل ، و « القوم » قيل : هم الرجال دون النساء ، كأنه فى الأصل جمع قائم ؛ لأن الرجال هم الذين يقومون بالأمر ، وقد فرق زهير بين النساء والقوم بقوله (١) :

وما أدرى وسوف إخال أدرى * أَقَوْمٌ آل حصن أم نساء

فان تكن النساء مُخَبَّآتٍ * فحق لكل مُحْصَنة هِداء

والمعشر : اسم الجماعة لا واحد له من لفظه ، وَالخُشُن : جمع أخشن ، وهو فى صفات الرجال مثل يراد به إباء الضيم وامتناع الجانب ، يقول : لو لم أكن من بنى العنبر وكنت من بنى مازن ثم نالنى من بنى اللقيطة ما نالنى من استباحتهم إبلى لكان فيهم من ينصرنى عليهم ، ويأخذ بحقى منهم ، ويدافع عنى بقوة ، إذا لان

(١) انظر الديوان (ص ٧٢) بشرح الأعلم الشنتمرى ، وفيه فى الثانى « فان قالوا النساء مخبآت » والهداء : زفاف العروس إلى زوجها .

ذو الضعف والوَهن فلم يدفع ضيما ولم يَحْمِ حَقيقة ، ومن روى اللَّوْثة بالفتح قال : إذا لان ذو القوة ، وكان أبلغ فى المعنى ، إلا أن الرواية الضم ، وقد طابق الخشونة باللين ، كأنه قال : معشر خَشِنون عند الحفيظة إن كان ذوو اللوثة لينين عندها ، وصف بنى مازن بالشجاعة ووصف قومه بالْخَشْيَة والإحجام ، فدل اختلاف الصفتين على أن أحد الموصوفين غير الآخر ، وذكر بعضهم أن هذا القائل كان من مازن إلا أنه يعاتب قومه لأنهم تركوا معاونته حتى انتهبت إبله ؛ فيقول: لو كنت منهم لعاونونى ، وهذا كما يقول الرجل لولده : لو كنت أباك لأطعتنى ، أى لست تُنْزِلنى منزلة الآباء ، والوجه الأول هو الصحيح ، ومن قال بالوجه الثانى قال : إن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بنو أخى العنبر بن عمرو بن تميم ، وإذا كان كذلك فمدح هذا الشاعر لهم يجرى مجرى الافتخار بهم ، وفى بنى مازن عصبية شديدة قد عرفوا بها وحُمِدوا من أجلها ، ولذلك قال بعض الشعراء [(١)] موبخا لغيرهم :

فَهَلاَّ سعيتم سَعْىَ عُصْبة مازن * وَهَلْ كُفَلاَئِى فى الوفاء سَوَاءُ

كأن دنانيرا على قَسِمَاتِهم * وإن كان قد شَفَّ الوجوه لِقَاءُ

وقصد الشاعر فى هذه الأبيات إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ، لا إلى ذمهم ، وقد سلك طريقة كَبْشَةَ أخت عمرو بن معديكرب فى قولها :

أرسل عبد الله إذ حان يومه * إلى قَوْمِهِ لاتعقلوا لَهُمُ دَمِى

ومرادها تهييجه على طلب ثأر أخيه ، لا ذمه ، وجواب « إن ذو لوثة لانا » محذوف ، دل عليه قوله « خشن » أى : إن لان ذو لوثة خشنوا هم ، ودل المفرد الذى هو خُشُنٌ على الجملة التى هى خشنوا ويخشنون لمشابهة اسم الفاعل وما يجرى

---

(١) البيتان فى اللسان (ق س م) مع بيتين ؛ ونسبها لمحرز بن مكعبر الضبى ، ووقع محرفا فى اللسان * وما لعلائى فى الخطوب سواء *

٢ قَوْمٌ إذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ   طَارُوا إلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا(١)

مجراه الجملة بما فيه من الضمير نحو مررت برجل مُحْسِنٍ إذا سئل : أى إذا سئل أحسن .

(١) الناجذ : ضرس الحلم ، وهو أقصى الأضراس ، وهى أربعة : من كل جانب واحد من فوق ، وواحد من أسفل ، تنبت بعد أن يشب الغلام ، وتسمى أضراس العقل ، ومن ثم قيل «رجل مُنَجَّذ» إذا أحكمته التجارب ، قال سُحَيْم :

وَمَاذَا يَدَّرِى الشعراء منى * وَقَدْ جاوزت حد الأربعين
أخو خَمْسِينَ مجتمع أَشُدِّى * وَنَجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشئون

وقال بعضهم : النواجذ الضَّواحك ، واحتج بحديث النبى صلى الله عليه وسلم « ضحك حتى بدت نواجذه » قال : وأقاصى الأسنان لا يُبْدِيها الضحك ، مع أنه روى أن ضحكه صلى الله عليه وسلم كان تبسما ، والصحيح الأوّل ؛ لأن الخبر محمول على المبالغة وإن لم تبد النواجذ ، وإبداء الشر نواجذه مَثَلٌ لشدته وصولته ، وذلك أن السَّبُع إذا صال أو شَدَّ كشر عن أنيابه ؛ فشبه الشرَّ به فى حال شدته ، والإنسان أيضا إذا حمل على عدوّه ربما كشر فتبدو ضواحكه ، فجعل ذلك مثلا للشر إذا اشتد وغلظ ، ويقال : عَضَّ على ناجذيه ، إذا صبر على الأمر ، ويقول الرجل لصاحبه : لَأُرِيَنَّكَ ناجذى ، إذا أراد أن يَتَشَدَّد عليه ، كأنه يكشر له ويكلح فى وجهه ، وجواب «إذا» قوله «طاروا» يقال: طرتُ إلى كذا: أى أسرعت إليه ، وطرت بكذا : أى سبقت به ، ووُحْدَانا : جمع واحد ، وواحد صفة ، كصاحب وصُحْبان وراكب ورُكبان ، وذلك إذا جعلته بمعنى الفرد ، فتغير حكمه وتنقله عن أصله ، وقد جاء عن العرب واحد بمعنى فرد ، وهو قول النابغة :

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ   فِى النَّائِبَاتِ عَلَى مَاقَالَ بُرْهَانَا(١)

لك الخير إن وَارَت بك الأرض واحداً   وأصبح جد النـاس يَظْلَعُ عاثرا

وكان من طَلَاق الجاهلية «أنتِ واحدة» : أى منفردة لا زوج لك ، ويجوز أن يقال : أُحْدَان جمع رجل وَحَد ، وهو المنفرد ، قال ابن دريد : رجل وحد أى منفرد ، والجمع أُحْدان ، وقد روى فى البيت «أحدان» وأصله وُحْدَان ، قلبت واوه همزة لضمتها مثل أُجْوه وأُقِّتَتْ ، والزرافات: الجماعات ، واحدتها زَرَافَة بفتح الزاى ، وقد حكى فى الزرافة تشديد الفاء ، يقال : جاء القوم بزرافتهم : أى جماعتهم ، واشتقاقه من الزرف وهو الجمع والزيادة على الشىء ، ومنه زَرَّف فلان فى حديثه ، إذا كذب ؛ لأنه زاد فيه وجمع إليه ما ليس منه ، ويقال : زرفت القوم قدامى : أى فرقتهم فرقا ، ومعنى البيت أنهم لحرصهم على القتال لا ينتظر بعضهم بعضا لأن كلاً منهم يعتقد أن الإجابة تعينت عليه ، فإذا سمعوا بذكر الحرب أسرعوا إليها مجتمعين ومتفرقين ؛ ومثله :

قوم إذا هتف الصريخ رأيتهم   مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ (١)

سافع : آخذ بناصية فرسه ، من قوله تعالى (لَنَسْفَعًا بالناصية)

(١) قوله « يندبهم » : أى يدعوهم ، وأصل النُّدْبة الدعاء ، وإن اشتهرت ببكاء الأموات وقولهم عند البكاء وافلاناه ، وتوسعوا فيه فقالوا : نُدِبَ فلان لكذا : أى نصب ورشح للقيام به ، وندبته للأمر فانتدب له ، ورجل نَدْبٌ : يَنْتَدِبُ للأمور إذا نُدِب إليها ، ويقولون : تكلم فلان وانتدب له فلان ، إذا عارضه ، والبرهان : البينة . قال بعضهم: برهان فعلان من البَرْهِ : وهو القطع ، وقال أبو الفتح:

---

(١) البيت فى اللسان (س ف ع) غير منسوب ، وهو من شواهد الكشاف وورد فيه « نقع الصريخ » أى ارتفع

ـ لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ   لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا[١]

برهان عندنا فُعْلَال كقُرطاس وقُرْنَاس ، وليست نونه زائدة ، يدل على ذلك قولك : بَرْهَنْت له على كذا : أى أقمت الدليل عليه ، ونظيره دِهْقَان ، هو فِعْلَال ، بدليل قولهم: تدهقنت ، وليس فى الـكلام تفعلن ، وقد كان القياس فى نون بُرْهَان وَدِهْقَان أن تـكونا زائدتين حملاً على الأكثر ، ولـكن ورد السماع بما أرغب عن القياس : فترك لذلك

ومعنى البيت أنهم إذا دعوا إلى الحرب أسرعوا إليها غير سائلين مَنْ دعاهم لها ، ولا باحثين عن سببها ؛ لأن الجبان ربما تعالل بذلك فتبـاطأ عن الحرب ، ونحوه قول سلامة بن جَنْدَل : ـ

إنا إذا ما أتانا صارخ فَزِعٌ   كَانَ الصُّرَاخَ له قَرْعُ الظَّنَابِيبِ[١]

يقول : إذا دعانا إلى إعانته أجبناه إليها مُجِدِّين ، والظُّنْبُوب : عظم الساق ، يقال : قرع لهذا الأمر ظنبوبه ؛ إذا جَدَّ فيه

(١) عـدَدٌ فَعَلٌ بمعنى معدود ، كَقَبَض بمعنى مَقْبوض ، وحَسَب بمعنى محسوب ، وصفهم بأنهم يؤثرون السلامة والعفو عن الْجُنَاة ما أمكن ، ولو أرادوا الانتقام لقدروا بعَدَدهم وَعُدَدهم ، هذا إذا كان المراد به المعنى الثانى فى أنه لا يهجو قومه ، وإذا كان المراد به المعنى الأول فانه يهجوهم ويعيرهم بالجبن فى هذا البيت ، وقد قابل الشرط بالشرط فى الصدر والعجز وطابق العدد والـكثرة بالهون والخفة

(١) أنظر البيت فى الـكامل للمبرد (١ - ٣) وفى شرحه لأستاذنا المرصفى (١ - ٩) وهو من قصيدة رواها المفضل الضبى (أنظر المفضليات : ٤٦) وانظر ديوان سلامة (ص ١١) وورد البيت فى جميع هذه المراجع * كنا إذا ما أتانا الخ * (حما : ٢ - ١)

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ۝ وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا(١)
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ ۝ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا(٢)
فَلَيْتَ لِى بِهِمُ قَوْماً إِذَا رَكِبُوا ۝ شَدُّوا الإِغَارَةَ فُرْسَاناً وَرُكْبَانَا(٣)

(١) قوله « من ظلم » يروى بفتح الظاء وضمها ؛ والفتح أحسن لأن الظلم بالفتح المصدر ، والظلم بالضم الاسم ، والظلم : انتقاص الحظ والنصيب ، وقيل : هو وضع الشيء فى غير موضعه ، وينتصب « إحسانا » بيجزون مضمراً ، كأنه قال : ويجزون من الإساءة إحسانا ، وجاز حذفه لأن الفعل قبله دل عليه .

(٢) الْخَشْيَةُ وَالْخَشْيُ والْمَخْشَاة : مصدر خَشِيَ ، ويقولون : هذا المكان أخشى من هذا ، وهو نادر ، لأن المكان يُخْشَى فهو مفعول ، ورجل خشيان وامرأة خشيانة ، وقوله « سواهم من جميع الناس » استثناء مقدم ، ولو وقع موقعه لكان الكلام لم يخلق لخشيته إنسانا سواهم ، فكان يجوز فى « سواهم » البدل والاستثناء والصفة ، فلما قدم بطل أن يكون بدلا أو صفة لأنهما لا يتقدمان على الموصوف والمبدل منه ، فبقى أن يكون استثناء ، ووصفه لقومه بخشية الله تهكم واستهزاء .

(٣) ويروى «شنوا الاغارة» أى فرقوها، يقال: شَنَّ عليهم الغارة بالشين معجمة ، وسَنَّ عليه درعه بالسين ، إذا صبها عليه ، وكذلك سَنَّ الماء على وجهه ، إذا صبه عليه ، ومن روى « شدوا الاغارة » فليست الاغارة هنا مفعولا به ولا انتصابها على ذلك ، لكن انتصابها انتصاب المفعول له . أى شدوا للاغارة ، كقولك : حملوا للاغارة فرسانا وركبانا ، أى فى هذه الحالة ، وهو كقول الآخر :

* شَدَدْنَا شَدَّةً فقتلت منهم *

أى حملنا حملة

وشددت هذه غير متعدية ، وإذا أريد تعديتها وصلت بعلى ، قال :

أَشُدُّ على الكتيبة لاَ أُبَالِى ۝ أَحَتْفِى كَانَ فيها أم سِوَاهَا

٢ — وقال الفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ في حرب البسوس (١)

يقول : قومى و إن كان عددهم كثيرا لا يختارون الإضرار بالأعداء فليت الله بَدَّلني بهم قوما لهم نَجْدَةٌ و بأس يركبون فيغيرون ، ومعنى قوله «فرسانا وركبانا» يعنى أنهم كانوا يقاتلون على الخيل والابل ، ومنه حديث يروى فى يوم القادسية معناه أن عمر سأل سعد بن أبى وقاص فقال : أخبرنى أى فارس كان أشجع ؟ وأى راكب كان أشد غناء ؟ وأى راجل كان أصبر ؟ فذكرهم له وميزهم .

خبر هـذه الأبيات : قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بن الْمُثَنَّى التيمى من تَيْم قريش مَوْلًى لهم : أغار ناس من بنى شيبان على رجل من بلعنبر يقال له قُرَيْط بن أنيف فأخذوا له ثلاثين بعيرا ، فاستنجد أصحابه فلم ينجدوه ، فأتى بنى مازن فركب معه نفر فاطردوا لبنى شيبان مائة بعير ، ودفعوها إلى قريط وخرجوا معه حتى صار إلى قومه ، فقال قريط هذه الأبيات ، والخبر يدل على أنه يمدح بنى مازن ويهجو قومه ، كما تقدم

(١) وهو شَهْل بن شَيْبَان بن ربيعة بن زِمَّان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل (١) ، وليس فى العرب شهل بالشين معجمة غيره على ماذكروه . وقال أبو محمد الأعرابى : فى بجيلة أيضا شهل ، قرأت على أبى الندى فى جمهرة النسب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال : فى بجيلة شهل بن أنمار بن إراش بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأخوه أشهل ابن أنمار ، قال : و إنما ذكرت ذلك لئلا تغتر بقولهم « ليس فى العرب شهل بالشين منقوطة غيره » فاذا مر بك هذا الاسم فى نسب بجيلة صَحَّفْتَ فقلت سهل بن أنمار ،

---

(١) وتمام نسبه ـ على ما فى شرح القاموس (ز م ن) — « بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » .

بالسين غير المعجمة ، فاعرفه . وفى التابعين أبو شهلة ، وفى الأنصار عبد الأشهل ، والأشهل صنم ، والفند فى اللغة : القطعة العظيمة من الجبل ، وجمعه أفناد ، قيل : لقب به لعظم شخصه ، وقيل : لقب به لأنه قال لأصحابه فى يوم حرب : اسْتَنِدُوا إلى فانى لكم فند ، وقيل : لقب الفند لأن بكر بن وائل بعثوا إلى بنى حنيفة فى حرب البسوس يستنصرونهم فأَمَدُّوهم به ، وعداد بنى زِمَّان فى بنى حنيفة ، فلما أتى بكرا — وهو مسن يكثر فى سنه جدا حتى يقال إنه جاوز الثلثمائة يومئذ — قالوا : وما يغنى هذا الْعَشَبَةَ عنا ؟ قال : أوما ترضون أن أكون لكم فِنْدًا تَأْوُون إليه ، وَالْعَشَبَةُ وَالْعَشَمَةُ جميعا الشيخ الكبير (١) وأما شهل فانهم يقولون : امرأة شَهْلة كهلة ، ولا يكادون يفرقون بينهما ، وقد قال :

بَاتَتْ تنَزِّى دَلْوَهَا تَنزِيًّا   كَمَا تُنَزِّى شَهْلَةٌ صَبِيًّا

ولا يقولون للرجل شَهْل ، فقد يجوز أن يكون الاسم قد سمع فى بعض الأحوال جاريا على المذكر فنقل فسمى [به] على تلك اللغة ، أو تكون الهاء حذفت منه لتغيير العلمية ، وإذا كانوا قد قالوا فى النكرة

* أَبْلِــغ النُّعْمَانَ عَنِّى مَأْلُكاً * (٢)

فحذفوا الهاء من مَأْلُكة فحذفها فى العلم من شَهْلة أجود ، قال أبو الفتح : ولا أقول إن شَهْلاً من الأعلام المرتجلة لأنهم قالوا : شَهْلة ، وشهل هو شهلة ليس بينهما إلا الهاء ، وفيها من الاحتمال ما تقدم ذكره ، قال : وأما شَيْبَان فمرتجل علما ، ولا أعرفه جنسا ، وهو فَعْلَان من شاب يَشِيب ، أو فَيْعَلَان من شاب يشوب ،

---

(١) فى القاموس (ع ش ب) « والعشبة محركة الناب الكبيرة والرجل القصير كالعشيب والمرأة القصيرة فى دمامة والشيخ المنحنى كبرا » اه ، وفيه أيضا (ع ش م) « والعشمة محركة : اليابس هزالا ، والشيخ الفانى ، للذكر والأنثى ، وهو المتقارب الخطو المنحنى الظهر » اه (٢) تمامه * أنه قد طال حبسى وانتظار *

١ـ صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ   وَقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانُ (١)

٢ـ عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعْـ   ـنَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا (٢)

وقد تقدم ذكره ، ولا يجوز أن يكون فَيْعَالاً من لفظ شبانة ؛ لأنه لو كان كذلك لكان مصروفا ، وأما زِمّان فيحتمل أن يكون فِعْلَان (١) من باب زممت الناقة ، أو يكون فِعَّالاً من الزمن ، أو فِعْمَالاً على قول الأصمعي في الهِرْماس إنه من الهرس وهو الدق ، والأول أعلى ، وهو قياس مذهب سيبويه فيما فيه حرفان بينهما ضعف و بعدهما الألف والنون ، فقياسه أن تكون الألف والنون زائدتين كزِمّان وَحِمان ، إذا جهلت اشتقاقه ، فان عرفته قطعت باليقين في بابه ، وزِمّان مما ارتجل للتعريف نحو حَمْدَان وَعِمْرَان ، قال أبو الفتح : ولا أعرف زِمّان في الأجناس

(١) من الهزج الأول ، والقافية متواتر

ويروى * صَفَحْنَا عن بنى هند * وهى هند بنت مُرّ بن أدّ أخت تميم ، وهى أم بكر وتغلب ابنى وائل ، فيقول : صفحنا عن بنى تغلب لأنهم إخوتنا عَطَفَتْنَا عليهم الرَّحِم ، والصفح : العفو ، ويقال : أعرضت عن هذا الأمر صَفْحًا ، إذا تركته ، ويقال : أصفحت عنه ، كما يقال : أضربت عنه ، ويقال : أبْدَى لى صَفْحَتَه ، إذا أمكنك من نفسه ، يقول : أعرضنا عنهم وولّيناهم صَفْحَة أعناقنا وجوهنا ، وهى جوانبها ، فلم نؤاخذهم بما كان منهم

(٢) إنما نكر «قَوْمًا» لأن فائدته مثل فائدة المعارف ، ألا ترى أنه لا فصل بين أن تقول : عَفَوْتُ عن زيد فلعل الأيام ترد رَجُلاً مثل الذى كان ، وبين أن تقول :

---

(١) استصوب ابن برى أن يكون على زنة فعلان ، مثل عمران ، وجعل الألف والنون زائدتين ، قال : ويدلك على ذلك امتناع صرفه فى قولهم هو من بنى زمان اه وهذا الذى رجحه هو مذهب سيبويه على ما ستعرف فى كلام المؤلف عن أبى الفتح

فلعل الأيام ترد الرجل كالذى كان ، لأنك تريد فى الموضعين بقولك ترد «الرجل» أو «رجلا» شيئا واحدا ، والمعنى فعلنا ذلك رجاء أن تردهم الأيام إلى ما كانوا عليه من قبل ، وعسى : من أفعال المقاربة ، وأن يرجعن : فى موضع خبر عسى ، ولو قال عسى أن تَرْجع الأيامُ قوماً لكان أن ترجع فى موضع فاعل عسى ، وكان يكتفى به ، وذلك أن عسى لمقاربة الفعل ، والفعل لابد له من الفاعل ، فاذا تقدم الفعل مع أن وتبعه الفاعل فقد حصل ما يطلبه ، وإذا وليه الاسم بقي ينتظر الفعل ، وإن ارتفع ذلك الاسم به . فيجرى الفعل مع أن بعده مجرى خبر كان بعد اسم كان ، وقوله يرجعن أى يَرْدُدْن ، ورجع من باب فعل وَفَعَلْتُه ، يقال : رجع فلان رُجُوعاً وَمَرْجِعاً ورُجْعَى ورجعانا ، وَرَجَعْتُه رَجْعاً ، وخبر كان محذوف ، كأنه قال : كالذى كانوه أى كما كانوا عليه قبلُ من الائتلاف والاتفاق ، والضمير الذى أظهرناه فى كانوه ، هو الذى تصح الصلة به ؛ لأن الموصول لابد أن يكون فى صلته ضمير يعود إليه إذا كان اسما ، والذى ليس يرجع إليه من كانوا شيء إلا ما أبرزناه من الضمير ، ومن جوّز حذف الجار والمجرور من الصفة فى نحو قوله عز وجل (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) لا يسوغ له أن يقدر فى الصلة أيضاً كذلك ،(١) وإذا كان الأمر على هذا فلا يجوز أن يكون التقدير يرجعن قوماً كالذى كانوا عليه ، لأن مثل «عليه» لا يجوز حذفه من الصلة ، لا تقول : الذى دخلت جالس ، وأنت تريد الذى دخلت عليه ، وبمثل هذا توَصَّلَ من زعم فى الآية أن التقدير واتقوا يوما لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً لأنه قال : الصفة كالصلة ، فكما لا يجوز

---

(١) خلاصة هذا البحث أن العلماء رجحوا فى الضمير الذى يعود من صلة الموصول على الموصول ، ويسمى العائد ، إذا كان فى محل نصب ، جواز حذفه ، كما تقول : حضر الذى أحب ، أى الذى أحبه ، فان كان فى محل جر لم يجز حذفه إلا إن كان الموصول نفسه مجرورا بمثل ذلك الذى جرّ العائد ، نحو قولك سأمر بالذى مررت تريد بالذى مررت به ،

٣ــ فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ [١]
٤ــ وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا [٢]

حذف فيه وأشباهه من الصلة كذلك لا يجوز حذفها من الصفة، فاعلمه، ويجوز أن يكون المراد به كالذين كانوا وحذف النون تخفيفا، والمعنى يرجعن قوما كالذين كانوا هم من قبل. وفي هذا الوجه يجوز أن يجعل الذي للجنس، كما قال الله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به) ثم قال: (أولئك) والفصل بين هذا الوجه والوجه الأول أنه أمل في الوجه الأول أنهم إذا عفوا عنهم أدبتهم الأيام وردت أحوالهم في التوادّ كأحوالهم فيما مضى. وفي الوجه الثاني أن ترجع الأيام أنفسهم إذا صفحوا عنهم كما عهدت سلامةَ صدور وكَرَمَ عهود

(١) «لما» علم للظرف، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره. ولهذا لابد له من جواب، ويروى * فأضحى وهو عريان * وفائدة أصبح وأمسى وظلّ في هذا المكان على حد الفائدة في صار لوقوعها موقعها، ألا ترى قوله تعالى: (وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظَلَّ وجهه مُسْوَدًّا) والبشارة بالأنثى تقع ليلا ونهارا، وكذلك يقول «أصبحوا خاسرين» و «أمسوا نادمين» وإن كانوا في كل أوقاتهم على ذلك، ويقال: صَرَّح الشيء، إذا كشفه، وصرح هو، كقولك بَيَّنَ الشيءَ وبين هو: أي تبين، وَفَعَّلَ بمعنى تَفَعَّل واسع، يقال: وَجَّه بمعنى توجه، وَقَدَّم بمعنى تقدم، وَنَبَّه بمعنى تنبه، وَنَكَّبَ بمعنى تنكب، وقيل: صَرَّح خاص، شبهه باللبن الصريح وهو الذي قد ذهبت رَغْوَته، وإذا ذهبت الرُّغوة فاللبن عُرْيانُ، وقوله «فأمسى وهو عريان» أي منكشف لا ستْرَ دونه

(٢) الْعُدْوَان: الظلم، عدا يعدو، واعتدى يعتدى، إذا جار وظلم، وأصله من مجاوزة الحد، عدا الشيء يعدوه، إذا تجاوزه، وجواب «لما صَرَّح»

٥ — مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ   غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ (١)

٦ — بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِينٌ   وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانُ (٢)

فى البيت الذى قبله « دِنَّاهم » فى هذا البيت ، ومعنى دناهم فعلنا بهم مثل فعلهم بنا ، والدين : لفظة مشتركة فى عدة معان : الجزاء ، والطاعة ، والحساب ؛ وهو ههنا الجزاء ، وفى المثل « كما تدين تدان » فالأول ليس بجزاء ولكنه سمى جزاء لمجاورته لفظ الجزاء ، والناس يقولون : الجزاء بالجزاء والبادى أظلم ، والدين أيضا : الملة والعادة ، وقيل : مَنْ دَانَ نفسه ربح : أى من حاسب نفسه ، وقيل : يوم الدين يوم الحساب ، ومعناه أنه يقول : صفحنا عنهم ، وقعدنا عن حربهم ، وذكرنا القرابة بينهم ، وظننا أن حالهم ترجع إلى الحسنى ، فلما أبوا إلا الشَّرَّ ركبناه فيهم

(١) ويروى * شَدَدْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ * وكرر الليث فى البيت(١) ولم يأت بضميره تفخيما وتهويلا ، وهم يفعلون ذلك فى أسماء الأجناس والأعلام ، قال عدى ابن زيد :

لاَ أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ   نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

ومعناه مشينا إليهم مِشْيَةَ الأسد ابتكر وهو جائع ، وكنى عن الجوع بالغضب لأنه يصحبه ، ومن روى « عدا » بالعين غير معجمة على أن يكون من الْعُدْوَان فليست روايته بحسنة ، لأن الليث عادته العدوان ، والليث من أسماء الأسد ، ويقال : اسْتَلْيَثَ الرجلُ ، إذا اشتد وقوى

(٢) توهين : تفعيل من الْوَهْن ، وهو الضعف . وتخضيع : [تفعيل] من الْخُضُوع ،

---

(١) يريد وضع الظاهر فى موضع المضمر : لأن حق ظاهر الكلام أن يقول * غدا وهو غضبان * وإنما دعاه إلى ذلك قصده إلى إدخال الروع فى نفس السامع وتربية المهابة منهم عنده . وبيت عدى من شواهد النحاة لما ذكر لأجله ههنا ، وانظره فى كتاب سيبويه (١ : ٣٠)

وهو الذل ، وأصله التطامن ، ظَلِيمٌ[1] أَخْضَعُ ، ونعامة خَضْعَاء ، فى عنقها تطامن ، ويقال : خَضَعَ الرجلُ وأخضع ، إذا أَلَيَنَ كلامه للنساء ، وفى الحديث نَهَى أن يَخْضَعَ الرجلُ لغير امرأته : أى يلين ، والإقران : اللين والاسترخاء ، يقال : أقرن الْحِبْنُ[2] وَاسْتَقْرَن ، إذا نضج ، والباء فى قوله « بضرب » تتعلق بمشينا ، أى : مشينا بضرب فى ذلك الضرب تضعيفٌ للمضروب وتذليل ، قيل : وليس هذا الوصف بالجيد ، والجيد أن يقول : بضرب يَفْلق الهام[3] وَيُتِرُّ الْعَظْمَ ، كما قال الآخر :

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ ... وَيَنقَعُ مِنْ هَامِ الرِّجَالِ بِمَشْرَبِ

فأما أن يقول ضرب يوهى ويرخى فان أدنى الضرب يوجب هذا ، ويجوز أن يكون المعنى فيه توهين وصوت فى القطع وكسر العظام وإقران : أى إطاقة ، ويكون حينئذ تخضيع من الخضعة وَالْخَيْضَعَة ، وهو اختلاط الصوت فى الحرب ، ومنه قوله :

* الضَّارِبينَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَهْ *

قال الأصمعى : ويقال للسياط خضعة ، ولا أدرى أمن الصوت هو أم من القطع ، وقيل : إقران غلبة ، وقيل : مواصلة لا فتور فيها ، ومنه «أَقْرَنَتِ الشاةُ» إذا رمت ببعرها يتصل بعضه ببعض ، ويروى تخذيع ، وهو القطع ، ويروى :

بِضَرْبٍ فيه تَفْجِيعٌ ... وَتَأْيِيمٌ وَإِرْنَانُ

---

(١) الظليم - بفتح الظاء - الذكر من النعام ، وجمعه ظلمان : بكسر الظاء أو ضمها وسكون اللام

(٢) الحبن - بكسر الحاء وسكون الباء - خراج كالدمل ، ويقال : أقرن واستقرن ، إذا جاء الوقت الذى يتفقأ فيه .

(٣) تقول : تر العظم يتر ، مثل خف يخف ومثل شد يشد ، إذا بان وانفصل عن موضعه ، وتقول : أتررته ، إذا أبنته وفصلته .

وَطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ ... غَذَا وَالزِّقُّ مَلْآنُ (١)
وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْـ ... ـلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ (٢)
وَفِى الشَّرِّ نَجَاةٌ حِيـ ... ـنَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ (٣)

أى يفجع الأخ بالأخ والولد بالوالد ، والتأييم : قتل الأزواج ، أَيَّمْتُ المرأةَ إذا قتلت زوجها فصارت أيِّما ، والإرنان : من الرنين ، وهو رفع الصوت بالبكاء ، يقال : أَرَنَّ ، وَرَنَّ لغة

(١) غذا بالذال معجمة : سال ، والغَذَوَان : السَّيَلَان «وغذا» . فى موضع النصب على الحال ، والأجود أن تجعل قدمه مضمرة ، وصف الطعن بالسعة ، وذكر أن الدم يسيل من موضع الطعنة كما يسيل الماء من فم القربة ، كما قال الشاعر :

إِذَا نَفَذَتْهُمْ كَرَّتْ عَلَيْهِمْ ... بِطَعْنٍ مِثْلِ أَفْوَاهِ الْخُبُورِ

جمع خبر ، وهى المزادة

(٢) يقال : أذعن لكذا ، إذا انقاد له ، وأذعن بكذا ، أقرَّ به ، قيل : وصف هذا البيت ردىء ، ومعناه إذا حلمت عن الجاهل ركبك فلحقتك مذلة ، والجيد فى هذا المعنى قول الآخر :

* إِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَنْفَعْكَ فَالْجَهْلُ أَحْزَمُ *

وقول الآخر :

تَرَفَّعْتُ عَنْ شَتْمِ الْعَشِيرَةِ ؛ إِنَّنِى ... رَأَيْتُ أَبِى قَدْ كَفَّ عَنْ شَتْمِهِمْ قَبْلِى
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ كَانَ جَلَالَةً ... وَأَجْهَلُ أَحْيَانًا إِذَا الْتَمَسُوا جَهْلِى

(٣) أراد فى دفع الشر ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، ويجوز أن يريد فى عمل الشر نجاة ، كأنه يريد وفى الاساءة مَخْلَصٌ إذا لم يخلصك الاحسان ، وهذا التقدير يرد قول من قال فى هذا البيت إنه كان يجوز أن يقول وفى الشر نجاة

٣ — وقال أبو الغول الطُّهَوِىُّ (١)

حين لا ينجيك الخير ، أو فى الاساءة نجاة حين لا ينجيك الإحسان ، لأن قول الشاعر إلى هذا المعنى يؤول

وخبر هذه الأبيات مع غيرها يجىء فيما بعد إن شاء الله .

(١) وهو شاعر إسلامى ، والغول فى كلامهم : كل ما غال أى أهلك ، وقالوا فى المثل : الْغَضبُ غُولُ الحلمِ ، وقال أُحَيْحَةُ الْجلَاحِ (١) :

صَحَوْتُ عَنِ الصِّبَا وَاللَّهْوُ غُولُ ... وَنَفْسُ الْمَرْءِ آوِنَةً مَكُولُ

من قولهم « بئر مَكُول » أى قليلة الماء : (٢) أى نفس المرء أحياناً قليلةُ الخير وسَمَّوا الحية غولاً لأن سمها يَغُول : أى يهلك ، والغول التى تذكرها العرب وتزعم أنها من الحيوان قد اختلف فيها ، فقيل : إنها من مَرَدَة الجن ، وقالوا فى قول امرىء القيس

* وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنْيَابِ أغْوَالِ (٣) *

أراد جمع غول وهى الساحرة من الجن ، وعاب بعضهم هذا القول ؛ لأن الغول شىء لم تثبت له حقيقة ، وقال قوم : إنما أراد جمع غول وهى دابة تظهر فى بلاد العرب ويكون لها كُلَّ زمَانٍ من أزمنة السنة لَوْنٌ ، مخالف للونها الأول ، وذلك أراد كعب بن زهير بقوله :

---

(١) أحيحة : بضم الهمزة وفتح الحاء المهملة بعدها ياء مثناة فحاء مهملة ، والجلاح : بزنة غراب .

(١) قال المجد : « ومكول كصبور : البئر يقل ماؤها فيستجم حتى يجتمع الماء فى أسفلها » اهـ

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره :

* أيَقْتُلُنى وَالْمَشْرَفِىُّ مُضَاجِعِى *

فَمَا تَدُومُ عَلَى وَصْلٍ تَــكُونُ بِهِ كَمَا تَلَوَّنُ فِى أَثْوابِهَا الْغُولُ

والذى صح من مذهب العرب فى الغول أنهم يعتقدون أنها مخلوقة خلق المرأة ، وادعى بعضهم أنه تزوجها ؛ ولهم فى هذا المعنى وفى غيره فى الغول أشعار كثيرة ليس هذا موضع إيرادها ، ودخول اللام فى الغول هنا كدخولها فى أبى العباس وأبى القاسم ؛ وهذه اللام فى الأعلام إنما بابها الصفات ، والغول فى الحقيقة ليست صفة ، لكنها لما كانت إلى النُّكْر والدَّعارة [١] دخلت طريق الوصف من هذا الوجه ، كما ألحق من منع من العرب أفعى الصرفَ بالوصف من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، ألا ترى أن معنى الغول عندهم الخبث والنكارة ، فجرى مجري الخبيث والمنكر كما أن الفِنْــدَ دخلته اللام لما فيه من معنى الصفة : ألا تراه مشبها بالفند من الجبل فكأنه الضخم أو العظيم ، وأما الطُّهَوِىّ فمنسوب إلى طُهَيَّة وهى أم قبيلة من العرب ، والنسب [٢] إليها طُهَوِىٌّ وطُهْوِى ، وطَهْوِى ؛ فأما الطُّهَوِىّ فعلى القياس ، وطُهْوِى شاذ ، وكذلك طَهْوِىٌّ ، وَطُهَيَّة تصغير طاهية ، والطاهى : الطباخ ، يقال : طَهَوْتُ اللحم طَهْوًا ، وقيل لأبى هريرة : أأنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : فما كان طَهْوِى ، أى بأى شىء كان شغلى ، وما كان عملى ، وقياس تحقير طاهية طويهية ، غير أنه حُقِّرَ تحقير الترخيم ، كقول الأعشى :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائرًا عَنْ جنابة فَــكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِىَ جَامِدَا

يريد تحقير حارث ، وقال أبو العلاء : طهية هي بنت عبد شمس بن سعد بن

---

(١) الدعارة بفتح الدال المهملة أو كسرها — الخبث ، وكذلك الدعر — بفتحتين — ووقع فى «المبهج» لأبى الفتح بن جنى «الذعارة» بالذال المعجمة والذى أثبتناه هو الصحيح وهو الموجود فى «ب» وفى «بن»

(٢) فى القاموس أنه ينسب إليها بضم فسكون ، أو بضم ففتح ، أو بفتح فسكون ، أو بفتح الطاء والهاء جميعا ، فزاد رابعة .

١ فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي (١)

زيد مناة ، ولدت ثلاثة أحياء وهم عوف وأبو سُود وَجُشَيْش بن مالك بن حنظلة فنسبوا إلى أمهم ، واشتقاق طهية من قولهم «طهوت اللحم» إذا طبخته ، أو من قولك « طَهَتِ الإبلُ » إذا ذهبت على وجوهها فى الأرض ، أو من الطهاء وهو الغيم الرقيق .

(١) من الوافر الأول والقافية متواتر

قوله « فدت نفسى » لفظه لفظ الخبر ، والمعنى معنى الدعاء ، ويروى «صَدَّقوا فيهم ظنونى » فيكون «صدقوا» صفة لفوارس ، و «ظنونى» مفعول بها ، ويروى « صُدِّقَتْ فيهم ظنونى» ويكون «ظنونى» فى موضع رفع بصُدِّقت ، و«صَدَّقَتْ فيهم ظنونى» بفتح الصاد يدل على تكثير الفعل ، و«ظنونى» يرتفع بالفعل ، وقوله « صُدِّقَتْ فيهم ظنونى » صناعة الشعر فى نحو هذا توجب « صَدَّقوا » وذلك أنه قد عاد عليهم الضمير مجموعا مذكراً وهو «هم» من « فيهم » ولو اتبع صدقت لكان فيها(١) وتخصيص اليمين فى قوله «وما ملكت يمينى» لفضلها وقوة التصرف بها ، وهم يقيمون البعض مقام الجملة فينسبون إليه الأحداث والأخبار كثيرا ، على ذلك قوله تعالى (فَظَلَّتْ أعناقهم لها خاضعين) وقولهم «عُذْتُ بحَقْوِ(٢) فلان»

(١) لا يظهر لنا وجه كلامه هذا ، لأن «صدقت» سواء أكان بضم الصاد مبنيا للمفعول أم كان بفتح الصاد مبنيا للمعلوم ليس فيه ضمير مستتر ، بل مرفوعه هو قوله «ظنونى» على أنه نائب فاعل على الأول وفاعل على الثانى ، و«فيهم» يجب على الحالين أن يكون كما هو ليكون الضمير الذى هو «هم» رابطا للجملة الواقعة نعتا بالمنعوت ، هذا ما ظهر لنا ، والذى فى الأصل وقع كذلك فى جميع النسخ التى بأيدينا

(٢) الحقو — بفتح الحاء وكسرها ، والقاف ساكنة ـ الكشح ، وقيل : هو معقد

فَوَارِسَ لَا يَمَلُّونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَا الْحَرْبِ الزَّبُونِ (١)

« هو عَبْدُ الْمَقَذ(١) » و « حُرُّ الْوَجْهِ » وفَوَارس: شاذ فى الجموع عندسيبويه ، لأن فَوَاعل إنما يكون جمع فاعلة فى صفة مايعقل دون فاعل ، واستدرك هالك فى الهوالك ، وقول الفرزدق :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

وبيت عُتَيْبَةَ

* وَمِثْلِى فِى غَوَائِبِكُم قليلُ *

وخارج وخوارج ، وقال المبرد : هو الأصل فى جمعه ، ويجوز فى الشعر ، ومعناه أنهم حَقَّقُوا ماظننته فيهم من الْبَسَالَة ومنع الْحَرِيم فجعلوه يقينا

(١) يقال : مَلِلْتُ الشىء أَمَلُّه مَلاَلاً ومَلاَلَةً ومَلاًّ ، بمعنى سئمته ، ويجوز الرفع فى «فوارس» على أن يكون خبر ابتداء مضمر ، كأنه قال هم فوارس ، ويجوز

الازار . والعرب تقول : عذت بحقو فلان ، وهم يريدون عذت به ليمنعنى ، وقال الشاعر :

سَمَاعُ اللهِ وَالعلماء أنى أَعُوذُ بِحَقْوِ خَالِكَ يَابْنَ عَمْرِو

وقال الآخر : —

وَعُذْتُمْ بأَحْقَاءِ الزَّنَادِقِ بَعْدَمَا عَرَكْتُكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا

ويقال : الحقو الازار ، قال الأزهرى : كأنه سمى بما يلاث عليه .

(١) المقذ بفتح الميم والقاف وتشديد الذال المعجمة — مابين الأذنين من خلف ، والمقذ أيضا : منتهى منبت الشعر من مؤخر الرأس ، والعرب تقول : فلان لئيم المقذين ، تريد أنه هجين ، وهم يقولونه بالتثنية وإن لم يكن للانسان إلا مقذ واحد كذا فى اللسان (قذذ) وانظر هذا مع مافى الأصل

٣ - وَلاَ يَجْزُونَ مِنْ حَسَنٍ بِسَيْءٍ وَلاَ يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِينِ (١)
٤ - وَلاَ تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُوا بِالْحَرْبِ حِيناً بَعْدَ حِينِ (٢)

النصب فيه على أن يكون بدلا من فوارس الأول، و«لا يملون» فى موضع الصفة للفوارس، والزَّبُون: الدَّفوع، وَالزَّبْنُ: الدفع، ومنه اشتقاق الزبانية. وإنما شبهت الحرب بالناقة الزَّبُون فوصفت بصفتها، وهى التى تزبن حالبها وتدفعه برجلها، ويقال: ثبت فى مَرْحَى الحرب: أى حيث دارت رحاها، ورحا الحرب: مُسْتَدَارُهَا. شبه بمستدار الرحا، والمعنى الجامع بينهما أن الحرب تحطم وتكسر، وكذلك الرحا، وأن الرجال يدورون فى الحرب كما تدور الرحا

(١) قوله «بِسَيْء» أراد بَسَىِّء فخفف كما يخفف هَيِّن وَلَيِّن، ويروى «من حُسْن بسُوء» ويروى «من حسن بسَوْأَى» على فَعْلَى، والرواية الأولى أحسن وأدخل فى مختار الطباق، لأن وجه الكلام أن يقال: حسن وسيء، ولا يحسن أن يقال حسن وسوأى، وإنما يحسن السوأى مع الحسنى، والمعنى أنهم يجزون كلا بفعله إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا، وهو خلاف قول العنبرى:

* يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً * البيت

(٢) يقال: بلى الثوب يَبْلَى بَلاَءً وبِلًى، إذا فتحت الباء مددت، وإذا كسرت قصرت، وَالْبَسَالَة: الشجاعة، رجل باسل وبَسُول، وَالْبَسْلُ: الحرام والحلال جميعا، وأصل البسالة من الْبَسْل الحرام، وذلك أن الباسل ممتنع من قرنه كأنه مُحَرَّم عليه أن يناله بمكروه، و«أبسل الرجل القوم» إذا أسلمهم وعرضهم للهلكة، ويجوز أن يكون اشتقاق الباسل من هذا لأنه يُسْلِم نفسه المهالك، والبسالة يوصف بها الرجال والأسود، أسد باسل وبَسُول، وقوله «صَلُوا بالحرب» أى باشروها وقاسوها، والصِّلاَء — بالكسر ممدود وبالفتح مقصور — النار، وَصَلِيَ النار

هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى بِضَرْبٍ يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ (١)

وصلى بها صلى : فالصلى بالقصر اسم ومصدر ، وفى القرآن (سَيَصْلَى نارا ذات لهب) وَالمَصْلِيُّ وَالصَّلِيُّ : الْمَشْوِيّ ، والعرب تشبه الحرب بالنار وصاحب الحرب بموقد النار، فيقال: فلان مِحَشُّ (١) حَرْبٍ ، إذا كان يقوم بأمرها ، وأصل الْحَشّ الإيقاد ؛ ومعنى قوله «ولا تبلى بسالتهم» أى لا يضعفون عن الحرب وإن تكررت عليهم زمانا بعد زمان ، وذلك أن الأمور الشداد إذا تكررت على الرَّجُل هدته وأضعفته، ومن رواه «تُبْلَى» جعله من الاختبار ، من قولهم «بَلَوْتُ الشىء» إذا اختبرته ، وتكون البسالة على هذه الرواية الكراهة ، كأنه قال : لا يعرف لهم فيها كراهة ، وتبلى : تعرف ؛ قال الراجز :

قَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ تَزْدَرِينِي فَالْيَوْمَ أَبْلُوكَ وَتَبْتَلِينِي

أى : أعرفك وتعرفنى ؛ ومن جعل البسالة العبوس يقول : لا يعرف لهم عبوس فى الحرب لإلفهم لها واستهانتهم بها ، فان قيل : أين جواب الشرط فى قوله « وإن هم صلوا بالحرب » ؟ قيل : هو متقدم ، والتقدير : إنْ مُنُوا بالحرب لم تخلق شجاعتهم ، وفصل بين الفعل و بين إنْ بهُمْ لأنه ماض لم يظهر فيه أثر إنْ بالجزم ، ولو كان الفعل مستقبلا لظهر الجزم فيه ، ولما حسن الفصل بينه و بين إنْ بالاسم ؛ يقبح أن يقال : إن زيدٌ يأتنى أكرمه ، وتقول : إنِ اللهُ أقدرنى على زيد فعلت به كذا ، وهذا شىء يجوز فى إنْ دون سائر حروف الجزاء لأنه الأصل فى الجزاء ، والحرف الذى لا يزول عنه

(١) الحمى : المكان الممنوع ، وهو موضع الماء والكلأ ، يقال : أحميت الموضع ، إذا جعلته حِمى وَحَمَيْتُه ، إذا حفظته، وَالْوَقَبَى (٢) : موضع ، وهو مأخوذ من الوقب ،

(١) فى القاموس « فلان محش حرب - بالكسر - موقد لها طبن بها » اه

(٢) ضبط فى نسخة ب وفى نسخة بن جميعا الوقبى بسكون القاف وضبطه ياقوت بفتحات

فَنَكَّبَ عَنْهُمُ دَرْءَ الْأَعادِي وَدَاوَوْا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ(١)

وهو مثل النقرة في الصخرة ، يقال: وَقَبَ الشيء ، إذا دخل ، ومنه قوله تعالى: (ومن شر غاسق إذا وقب) قيل : أراد الليل إذا دخل . وقيل : أراد القمر إذا خسف ، وقيل : أراد الحية إذا لدغت ، وكأن الغاسق نابُها لأن السم يغسق منه : أى يسيل ، وَوَقَبَ نابُها إذا دخل فى اللديغ ، ويقال للصوت الذى يسمع فى بطن الفرس إذا مشى أوعدا : الوقيب ، وقيل : إنه صوت تقلقل جُرْذانِه فى قُنْبِهِ ، وخبر الوقبى نذكره بعد الفراغ من شرح هذه الأبيات إن شاء الله ، والأشتات : جمع شت ، وهو المتفرق ، وقد شَتّ وَأَشْتَتُّه أنا ، وقوله « بضرب يؤلف » قد وقع المنع والضرب جميعا حكاية حال ، ولولا ذلك لقال بضرب ألَّفَ ، ويؤلف من صفة الضرب، وفى معناه ذكروا وجوها : قالوا : أراد أن هذا الضرب يجمع بين منايا قوم متفرقى الأمكنة او أتتهم مناياهم فى أمكنتهم لأنتهم متفرقة فاجتمعوا فى موضع واحد فأتتهم المنايا مجتمعة ، وقالوا : يجوز أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة ، وهذا الضرب جمع بين الأسباب كلها ، ويجوز أن يكون المراد ضرب لا ينفس المضروب ولا يمهله ، لأنه جمع فِرَقَ الموت

(١) نَكَّبَ : قد جاء متعديا إلى مفعولين ، قال أوس بن حَجَر :

نَكَّبْتُهَا مَاءَهُمْ لما رأيتهم صهب السبال بأيديهم بيازر

عنى بصهب السبال الأعداء ، والبيازر : العصىّ العظام الواحدة بيزارة ، والأكثر نَكَّبْتُهُ عن كذا ، وأصل النكب الميل ، ومنه نكبت الإناء ، والنكباء منه أيضاً ، معناه أن الضرب حرّف عن هؤلاء القوم اعوجاج الأعداء وخلافهم ، والدرء : أصله الدفع ، ثم استعمل فى الخلاف ؛ لأن المختلفين يتدافعان ، « وداووا بالجنون من الجنون » أى: داووا الشر بالشر ، كما قالوا : الحديد بالحديد

وَلاَ يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنَى ... إِذَا حَلُّوا وَلاَ أَرْضَ الْهُدُونِ(١)

يلجّ، والجنون ههنا مثل، ومعناه اللجاج فى الشر وركوب الرأس فيه .

(١) ويروى « روض الهدون » الهُوَينى : تصغير الْهُونَى ، والْهونى : تأنيث الأهون ؛ ويجوز أن يكون الهونى فُعْلَى اسما مبنيًّا من الهينة ، وهى السكون ، ولا تجعله تأنيث الأهون . والهدون : السكون والصلح ، ومنه الحديث «هدنة على دَخَنٍ» أى : صلح على فساد دخيلة ، وقالوا فى معناه : إنهم من عِزِّهم وجرأتهم لا يرعون النواحى التى أباحتها المسالمة ووَطّأتها المهادنة ، ولكن النواحى المتحاماة ، كما قال أبو النجم :

تَبَقَّلَتْ من أوّل التَّبَقُّلِ ... بَيْنَ رِمَاحَىْ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

والأكناف على هذا التأويل حقيقة ، ويجوز أن يقال : إن المحاربة أحب إليهم من المسالمة ، وإن الهوينى ليست من شأنهم ، فتكون الأكناف مستعارة ، يصفهم بالميل إلى الشر والحرص على القتال

خبر الْوَقَبَى : كان من حديث الوقبى أن عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف كان عاملا لعثمان بن عفان على البصرة وأعمالها ، فاستعمل بشر بن حزن بن كهف المازنى على الأحماء التى منها الْوَقَبى فخرج يوما هو وأخوه خفاف بن حزن إلى الْوَقَبَى ، فحفرا بها رَكِيَّتَيْن : ذات التصر ، والجوفاء ، وهما قائمتان إلى اليوم ، فلما أَنْبَطَاهُمَا إذا ماؤهما ماء الغادية عذوبة وطيبا ، وتخوَّفَا أن يغلبهما عبد الله بن عامر على الركيتين ، فدفناهما ، فرقى أمرهما إلى عبد الله بن عامر ، فطلب منهما الركيتين ، فأبيا أن يدفعاهما إليه ، فأخرجهما منهما . وقال : بإذن من حفرتما هاتين الركيتين ، فخرجا من عنده هاربين ، وَعَدَوَا على إبل لعبد الله بن عامر فعقراها ؛ وكان عبدالله استعمل خاله مَسْعَدَةَ السلمى على حفر أبى موسى ، وهو الحفر الذى يعرف اليوم ببنى العنبر ، ثم إن ناسا من أفناء بكر بن

وائل من بني شيبان بن ثعلبة وقيس بن ثعلبة وتَيْم اللّات بن ثعلبة وعجل بن لُجَيْم خرجوا وعليهم رجل من بني تيم اللات بن ثعلبة يقال له شيبان بن خصفة ورجل من بني قيس بن ثعلبة يقال له قَبيصة ، فأتوا ماء لبني نهشل بن دارم بأَصَاف ، فقاتلوا بني نهشل على مائهم ، فظفروا بهم ، وقتلوا منهم أناساً ، وأقاموا به أياما ثم قالوا : ماهـذا لنا بمنزل ، إنا في وسط بلاد بني تميم ، فاحتملوا راجعين ، ونزلوا الحفر ، فوجدوا الحياض مَلأى ، فأوردوا الإبل وسقوها ، وأرادوا أن يستقوا ليملؤا الحياض كما كانت ، فجاء مسعدة عامل الماء فأغلظ لهم ، فقام إليه شيبان بن خصفة فضربه بالسيف على وجهه فصرعه ، ونقل إلى منزله ، وأقام البكريون بالماء أياما ، ثم قالوا : ننزل الوقبي فإنها أقرب إلى بلاد بكر بن وائل فأتوها ونزلوا بها ، فأرسل بشر بن حزن إلى شيبان وقبيصة البكريين : إن كنتما تريدان الثبات فَيْظَكُمَا هذا ومن معكما من قومكما فأقيما . وإن كنتما تريدان غير ذلك فأعلماني فانها أرضي ومائي ، فأرسلا إليه يواعدانه ويقولان : إن رأيناك بالوقبى لنفعلنَّ بك ولنصنعن ، فخرج بشر وأخوه خفاف وحريث بن سلمة بن مرارة بن مُحَفِّض الشاعر ، وتفرقوا ، فخرج منهم واحد إلى بني العنبر ، وواحد إلى بني يربوع بن حنظلة ، والثالث إلى بني مازن بن مالك ، فأجاب مستصرخَ بني العنبر سبعةُ نفر : منهم الأعور بن بشامة ، وانطلق بعضهم يستصرخ بني نهشل لما كان من البكريين إليهم في إخراجهم إياهم من أَصَافٍ وقتلهم من قتلوه قبل ورودهم الوقبي ، فقالت بنو نهشل : والله مالكم عندنا نُصْرَة ، وانطلق مستصرخ بني يربوع حتى أتى بني رِيَاح . فقـالت بنو رياح : إخْوَتُنا بنو ثعلبة قُدَّامَنَا ، ولسنا نقطع أمراً دونهم . فعليكم بهم فنحن لهم تَبَع . فانطلقت بنو مازن حتى وردوا أَعْشاشاً على بني ثعلبة ، وذلك بعـد أن اجتمعت من بني مازن جماعة كبيرة إليهم ، فلما وردوا الماء عليهم شهرهم أهل الماء ولقوا أبا مُلَيْـل

عبدَ الله بن مالك الذى يعرف بالمحلَّف، وهو من بنى عاصم بن عبيد بن ثعلبة، فأخبروه خبرهم. فقال: انزلوا أيها القوم، وعمد إلى بَكْر فعقره فقَرَاهم إياه، حتى إذا كان من العشىّ و بَرَز أهل الماء لبس بُرْدَيْن وتخلَّق (١) وكذلك كانوا يفعلون إذا حَزَبهم أمر (٢). وأخذ قَنَاتَه وراح إلى وسط الماء، ثم نادى بأرفع صوته: يالَيرْبُوع، ياثعلبة، ياعاصم: نخصّ وَعَمّ، فثار الناس إليه، فقال: هؤلاء بنو أمكم، و بنو عمكم. ويدكم على العرب، و إنما قال: « بنو أمكم » لأن أم يربوع ومازن بن مالك بن عمرو جَنْدَلَةُ بنت فهر بن مالك القرشيــة، ولا قرار لكم مع بكر بن وائل إن أخذت دار بنى مازن. فركبوا معه على كل صَعْب وذَلُول، حتى أشرفوا بهم على بنى رِيَاح. فلما رأتهم بنو رياح ركبوا معهم، فانطلق القوم حتى أتوا جَوًّا من الْوَقَبى على ليلة يقال له جوُّ حَبْنَاء، فقالت بنو يربوع: يابنى مازن، دعونا فلننظر لكم ونستبرىء القوم، فقالت بنو مازن: لقد رَشُدْتم، فانطلق منهم سبعة نفر فيهم سُحَيم بن وَثيل والأحوص بن عبد الله الشاعران، وَقَعْنَب بن عَتَّاب الرِّيَاحيُّون، وأبو مُلَيْل المحلَّف، تمام سبعة نفر، حتى وردوا الماء على بكر ابن وائل، فلما وردوا الماء عليهم أخبروهم أنهم يبغون عبيداً لهم أُبَّاقاً فلتوا منهم، فقَرَوْهم حتى إذا أخذوا يروحون ارتابوا بهم فوثبوا عليهم فلم يتروا فى لحاهم شعرة إلا نتفوها. فقال لهم اليربوعيون: إنا تحرَّمْنَا بطعامكم يا بكر بن وائل، وهذا قِرَاكم فى بطوننا وحقائبنا، فاسْتَذَمُّوا بهم فأرسلوهم، فانطلق القوم نحو الكوفة يُرُونَهم أنهم فى أثر عبيدهم، حتى إذا أمسوا رجعوا فأتوا أصحابهم وقالوا: يابنى

---

(١) تخلق: تطيب بالخلوق وهو بفتح الخاء كصبور، ويقال فيه أيضا خلاق، بزنه كتاب، وهو ضرب من الطيب

(٢) حزب فلانا الأمر: نابه واشتد عليه، ويقال: ضغطه، والحزابة ـ بضم الحاء ـ الاسم من ذلك

مازن ، لم نجد والله لنا ولا لكم بهم يدين ، القوم كثير ؛ فتكركر القوم : أى تَرَادُّوا ، والكركرة : الارتداد عن الشىء ، فقال مَنْ ثَمَّ مِنْ بنى يربوع وبنى العنبر : أغيروا على نَعَمِهم ؛ فلنأخذه ، فنكون قد أخذنا عوضا مما صنع بنا ، فوثب بشر بن حَزْن فقال : يا لمازن ، قوموا إلى ولا يقومنّ أحدٌ من غيركم ؛ فقاموا إليه فبرزهم ، فقال : يا بنى مازن ، أذكركم الله أترضَوْنَ أن تغير يربوع والعنبر فيأخذوا النعم ويكون ذهاب دركم ، فقالوا : فما ترى؟ قال : أرى أن تجعلوا الثأى[1] بالأنفس فتُقَاتلوا القوم : فان ظفرتم فالله أظفركم . وإن تكن الأخرى كنتم قد أبليتم عذرا فى داركم ، فتابعوه على رأيه ، وقاموا إلى منْ ثَمَّ من بنى يربوع والعنبر ، فقالوا : جزاكم الله خيرا من إخوة ، فإنكم لو كنتم دعوتمونا أطعناكم ، ولكنا نحن دعوناكم ، فازْمُوا بنا فى نحور القوم ، وكونوا من ورائنا فاكْثُرُونا : فان نحن هُزِمْنَا كنتم على حاميتكم وانصرفتم ، وإن نحن ظفرنا فهى التى تريدون ، وكانوا قد شارطوهم ثلث الماء : فقالوا : قد فعلنا . فانطلقت بنو مازن وبنو يربوع وأصبحوا على العلياء على مكان مرتفع يُشْرِف بهم على الْوقَبَى ، وكانت بنو يربوع على الشفير ، فقالت بكر : هذه عيرٌ قد أشرفت عليكم . فقالت بُرَيْقَة بنت شيبان التيمى : أحلف بالله إنى أرى البيض تبرق ، وإنى لأرى الأسنة تلمع ، فبرز أبوها وهو يقول ومعه اللواء : يوم كيوم عصبة بنى نهشل ، ثم جعل يرتجز ويقول :

نَحْنُ حَفَرْنَا وبَدَأْنَا أوَّلا ... وَلَنْ نَكُونَ الحاضرَ الْمُحَوَّلا[2]

---

(١) الثأى ـ بوزان الثرى ـ أصله آثار الجروح . وخزم مواضع الغرز وفساده . والمراد من هذه العبارة : اجعلوا صلاح أموركم بتقديم أنفسكم للموت فاما أن تعيشوا كراما وإما أن تموتوا كراما : وتقول : رأب فلان الثأى ، إذا أصلح الفساد ؛ وفى كلام عائشة رضى الله عنها عن أبيها « ورأب الثأى » وفى الحديث أيضا « رأب الله الثأى »

(٢) الحاضر : هم القوم النازلون على الماء ، والمحول ـ على زنة اسم المفعول ـ يريد المغلوبين المطرودين عنه .

وضرب رجل من بني مازن يقال له العَجْلان بن خُنَيْص فرسا تحته ثم حماها عليهم وقال : قبح الله خيلا تجرى مع الأباعر . واتبعه عُصَيْمة بن عاصم بن جُوَيْرِية الأجذم على جمل له . وهو محتجز بملاءةٍ له بيضاء على الدرع وفى يده اللواء ، وأراد أن يقدع المازنيين حتى يجتمعوا ، فأبوا ، فالتقى القوم وهم متفاوتون ، فالتقى شيبانَ أبا بريقة فطعن كل واحد منهما صاحبه ، فانحدرت مُلاءة عُصَيْمة من فخذيه ، فنادى عُصَيْمة رجلا من بني مازن يقال له : خُنَيْس ، فقال : يا خُنَيْس ، أطلق الملاءة من فخذى ، فذهب خنيس ليطلق الملاءة من فخذيه ، فضربه رجل من بني شيبان فقتله ، وجاء شيبان أبو بريقة فضرب عُصَيْمة بن عاصم على يده اليسرى فقطع ثلاث أصابع ، وضرب عصيمة على رأسه فقتله ، وجعل أربد بن شيبان يرتجز يقول :

هَا إنَّ ذا اليوم لشر مجموع   الأنكدان مَازِنٌ وَيَرْبُوعْ

وكر على عصيمة فقطع يده اليمنى ، ونادت بكر : يا بني مازن ، البقيةَ البقية ، وتهيؤا للصلح ، ولم يعلم بنو مازن بقتل صاحبهم خُنَيْس ، ولا ما لقيت يد عُصَيْمَة ؛ فلما رأى عصيمة ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قميصه ، حتى إذا امتلأ القميص دمًا نضح به وجوه بني مازن . ثم قال : أبقية بعد هذا أو صلح ، فأراهم يده وأعلمهم بقتل خُنَيْس ، فاقتتلوا عند ذلك قتالا شديدا ، وشد خُفَاف بن حَزْن على شيبان ابن خَصَفَة فقتله ، وشد حُرَيْث بن سَلَمَة على قبيصة القيسيّ فقطع رجله ، وهزمت بكر بن وائل الهزيمة الجلية ، فأخذ رجل من بني يربوع بيدى بريقة بنت شيبان ليسبيها ، فقال عصيمة : لا سِبَاء فى الإسلام ، أنا جَارٌ لجميع نسائهم من السِّباء ، فأمر النساء فتحمَّلن وانطلقن معهن بشيبان أبي بريقة فدفَنَّه بالمكان الذى يقال له : قَارَة شيبان ، وكَسَرْنَ على قبره قِدْرَه وجَفْنته ؛ فلما أحرزوا الماء قالت لهم بنو يربوع : إن لنا فى الماء شريطة النصف ، فقالت بنو مازن : إنما جعلنا لكم الثلث على أن تقاتلوا فلم تَأْتُوا شيئاً من القتال ، وما كان أصل الماء إلا لنا ، ولَتَكُفُّنَّ

عنا أو لنَرُدَّنَّ أرماحنا فى صدوركم . وأما بنو ثعلبة فقالوا : والله ما بيننا وبين بنى مازن شريطة توجب لنا عليهم فى هذا الماء حقًّا ، فتركوهم ، وأما بنو رياح فأبَوا : ونذر قَعْنَب والأحوص الرياحيان يومئذ أن لا يَرِدا الوَقَبى إلا ملجمين للقتال . فغبروا زمانا ؛ ثم إنهم اغْتَزَوا بنى مازن ، فأتوا رَكِيَّة من ركايا الْوَقَبى فعقروا السّوانى وألقوا جيفَهَا فى الركية (١) فجعل فُصَيِّل من فُصْلان تلك السوانى يَحِنُّ ، فقال الأحوص بن عبد الله (٢) الرياحى :

يا أيُّهَا الفُصَيِّلُ الْمُعَنِّى ... إنَّكَ رَيَّانُ فَصَمِّتْ عَنِّى
يَكْفِى الفَصِيلَ أَكْلُهُ مِنْ ثِنِّ ... وَلاَ تَكُنْ آثَرَ عِنْدِى مِنِّى (٣)

---

(١) الركية ـ بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد الياء ـ البئر ، والركايا جمعه ، مثل قضية وقضايا ، والسوانى : جمع السانية ، وهى هاهنا الناقة التى يستقى عليها ، وتطلق السانية على الدلو العظيمة التى يستقى بها ، والجيف جمع جيفة ـ بكسر الجيم ـ والمراد بها هاهنا الجثث . والفصيل ـ بضم الفاء وفتح الصاد وتشديد الياء مكسورة ـ لكى يطابق مافى الرجز الذى بعده ، وهو تصغير فصيل ـ بفتح الفاء وكسر الصاد ـ وهو الصغير من ولد الابل

(٢) ذكر فى طبقات الشعراء لابن قتيبة (ص ٣٢٩ ليدن) الأحوص بن محمد ابن عبدالله بن عاصم ، وكذلك فى الأغانى (٤ ـ ٤٠ بولاق) وهو غير الأحوص الذى يجرى ذكره فى هذا الخبر ، لأن هذا يربوعى رياحى ، والمذكور فى الطبقات والأغانى هو الأحوص الأنصارى ، فاقتضى التنبيه

(٣) الأبيات فى اللسان (ث ن ن) غير منسوبة ، ورواها هكذا :

يا أيُّهَا الْفَصِيلُ ذَا الْمُعَنِّى ... إنَّكَ دَرْمَانُ فَصَمِّتْ عَنِّى
تَكْفِى اللَّقُوحَ أَكْلَهُ مِنْ ثِنِّ ... وَلَمْ تَكُنْ آثَرَ عِنْدِى مِنِّى
وَلَمْ تَقُمْ فِى الْمَأْتَمِ الْمُرِنِّ

وقال : الثن ـ بالكسر ـ يبيس الحلى والبهمى والحمض إذا كسر وركب بعضه بعضا ، وقيل : هو ما اسود من جميع العيدان ولا يكون من بقل ولا عشب ، وقال ابن دريد : الثن حطام اليبيس ، وأنشد :

فلمّا نذرت بهم بنو مازن هربوا ، وانطلق أناس من بنى أُثاثة بن مازن فى أثرهم حتى أتوا ماءً لبنى رياح يقال له طَلَحٌ فعَوَّرُوه وألقوا فيه السَّوانى والحُمُرَ كما فعلوه بمائهم ، فهدأت البلدة بين بنى مازن وبنى يربوع ، واصطلح الناس ، وخلصت الوَقَبَى لبنى مازن ، وكان مما قيل من الشعر فى الوقبى قوله : « فدت نفسى وما ملكت يمينى » الأبيات المقدَّم ذكرها

اشتقاق الأسماء المشكلة التى ذكرت فى خبر الوقبى :

فى نسب عبد الله بن عامر بن كريز « كُرَيْز » : تصغير كرز ، وهو الجوالق الصغير ، أو الخرج ، وبه سمى الرجل كُرْزاً ، ومنه قولهم فى المثل « ياربَّ شَدٍّ فى الْكُرْزِ » وأصل ذلك أن مُهْراً انتج ، فحمله صاحبه فى كرز ، فقال قائل : يارب شد فى الكرز ، أى هذا المهر إذا كبر عدَا عَدْواً شديداً ، والشَّدُّ : الْعَدْوُ ، فضرب ذلك مثلا لكل أمر يؤمَّل أن يكون ، وقد يمكن أن يكون كريز تصغير ترخيم ويكون مأخوذا من قولهم كارز أى متقبض مجتمع ، قال الشماخ :

فَلَمَّا رَأَيْنَ الْوِرْدَ قَدْ حَالَ دُونَهُ ذُعَافٌ إِلَى جَنْبِ الشَّرِيعَةِ كَارِزُ (١)

أو يكون تصغير ترخيم للكريز وهو الأقط الذى لم يستحكم يبْسُه ، وقيل :

فَظَلْنَ يَخْبِطْنَ هَشِيمِ الثِّنِّ بَعْدَ عَمِيمِ الرَّوْضَةِ الْمُغِنِّ

وقال أبو الجراح العقيلى : أدرمت الابل للاجذاع ، إذا ذهبت رواضعها وطلع غيرها ، ويقال : قد درم ـ بزنة فرح ـ وهو دارم . ولم أجد من نص على أنه يقال درمان كما ورد فى هذا الرجز

(١) البيت من قصيدة طويلة فى الديوان (ص ٤٣ ـ ٥٣) وأولها :

عَفَا بَطْنُ قَوٍّ مِنْ سُلَيْمَى فَعَالِزُ فَذَاتُ الصَّفَا فَالْمُشْرِفَاتُ النَّوَاشِزُ

وورد البيت الذى فى الأصل هناك « فلما رأين الماء .... ذعاف لدى ... » وورد فى اللسان أيضا (ك رز) وهو هناك « فلما رأين المال ... »

هو ضرب منه يجعل فيه النبت الذى يقال له : الْحَمَصِيص ، ولا يمتنع أن يكون كُرَيْز تصغير ترخيم من قولهم « كَبْشٌ كَرَّاز[١] » وهو الذى يحمل عليه الراعى كُرْزَه وأداته ؛ قال الراجز :

ياليت أنّى وَسُبَيْعاً فى غَنَمْ   وَالْخُرْجُ مِنْهافَوْقَ كَرَّاز أَجَمْ[٢]

وقول العامة لهذا الإناء كُرَّاز[٣] زعم بعض العلماء أنه ليس من كلام العرب ، وأن الكُرَّاز على مثال الفُعَّال هو القارورة ، وأصله أعجمى ، وإذا استعملت الأسماء الأعجمية بالألف واللام فقد صار حكمها حكم العربى ، فيحتمل أن يكون كُرَيْز تصغير ترخيم من كُرَّاز ، وإن صح أن الكريز من قولهم « كرزت الشىء » إذا اختزنته جاز أن يكون الكُرَّاز من الفَخَّار مأخوذا من ذلك ؛ لأنه كالذى يختزن الماء ، وقول العرب فى التسمية « عبدشمس » قيل : إنهم أرادوا هذه الشمس الطالعة ، وقيل : بل شمس صنم . والأول أحسن التأويلين . وزعم النسابون أن أوّل من سمى بعبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقولهم فى اسم الرجل « خُفَاف » هو فى معنى خَفيف ، يقال : خفيف وخُفَاف ، كما يقال : طويل وطُوَال وكَبير وكُبَار ، وقولهم : فى التسمية « نَهْشَل » ، قيل : إنه من أسماء الذئب ، ولَصَافِ : موضع فيه ماء ، فمنهم من يقول : هذه لصافُ ، ورأيت لصافَ ، ومررت بلصافَ ؛ فيجريه مجرى مالا ينصرف ، ومنهم من يبنيه على الكسر فى الوجوه الثلاثة ، وإنما أخذت من لصف الشىء إذا برق ، وقولهم فى تسمية

---

(١) هو بزنة حماد بفتح أوله وتشديد ثانيه

(٢) ورد البيت فى اللسان (ك رز) وهو هناك « ... فى الغنم » قال : والكراز : الكبش الذى يضع عليه الراعى كرزه فيحمله . ولا يكون إلا أجم ، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح

(٣) هو بضم الكاف والراء إما مخففة فيكون بزنة غراب وإما مشددة بزنة رمان ، وهما لغتان فيه

الرجل «حَزْن» هو من حزن الأرض ضد السَّهل ؛ و«ثعلبة» مأخوذ من أنثى الثعالب، و«ربيعة» زعم قوم أن بَيْضَة الحديد يقال لها : ربيعة ، ولا يمتنع أن يكون اشتقاق ربيعة من قولهم : رَبَعْتُ القومَ ، إذا كنت لهم رابعا ، أو أخذت ربع أموالهم ، أو من ربعت الحجر والحمل إذا رفعته ، و«مَسْعَدة» الغالب أن يكون أخذ من السعادة ، ولا يمتنع أن يكون من السَّعْدان الذى هو ضرب من النبت ؛ لأن الألف والنون فيه زائدتان ، فكأنّ مَسْعَدة مَفْعلة من ذلك ، و «عُصَيْمَة » يجوز أن يكون تصغير عصْمَة من قولهم : فلان عصْمَتى أى الذى أعتصم به ، أو يكون تصغير عُصْمة من قولهم : فرس أعصم إذا كان فى وظيفى يديه بياض ، والوُعول كلها عُصْم ، و « أبو مليل » يجوز أن يكون مليل من المَلَل ؛ ومن مُلال[1] الحمى ، وهو تكسُّرُها وحرارتها ، وهو يرجع إلى مَلَلتُ القرصَ فى النار ، والمَلَّة : الرماد الحار ، ويجوز أن يكون مليل من مَلَلت الثوب إذا خِطْته خياطة غير محكمة وهو مثل الشَّلّ ؛ و« بُرَيْقَة » يجوز أن يكون تصغير بَرْقة من البَرْق ، أو من قولك : برق طعامه ، إذا جعل عليه زيتا قليلا أو دهنا قليلا ، أو يكون تصغير بُرْقة من الأرض ، وهى أرض فيها حجارة وطين ، و« قَعْنَب »زعم قوم : أنه الشديد الصلب ، و«الأحوص» إذا روى بالحاء فهو من الحَوَص ، وهو ضيق مؤخر العين ، وكان بعض أهل العلم يقول : الأحوص الأنصارى بحاء غير معجمة ، والأخوص اليربوعى بخاء معجمة ، يعنى هذا الأخوص المذكور فى حديث الوَقْبى ؛ فأما الأحوص من بنى كلاب فبالحاء لا غير ، وإذا قيل أخوص فى صفة الرجل فانما يراد به غُؤور العين ، وكذلك بئر خَوْصاء ، و «جو حَبْناء» اسم موضع ، والجو :

---

(١) فى القاموس : الملال - بالضم - عرق الحمى ، ومثله الملة أيضا بفتح الميم وتشديد اللام

٤ ــ وقال جَعْفَر بن عُلْبَة الحارثى (١)

بطن الوادى ، وحَبْناء من قولهم : امرأة حبناء ، وهى التى أصابها الْحَبن ، وهو سقى البطن ، قال الراجز :

وَأُمُّكُمْ وَرْهَاءُ جاءَتْ بِالْغَبَنْ ... أَصَابَهَا مِنْ كَثْرَةِ الشُّرْبِ الْحَبَنْ (١)

و « سحيم » تصغير أسْحَم على الترخيم ، والأسحم : الأسود ، و « وثيل » من قولهم لليف الوثيل ، وقيل : الوثيل حبل الليف ، ومُرارة واحدة المُرار وهو نبت ، قال حُمَيد بن ثَوْر :

رَعَيْنَ الْمُرَارَ الْجَوْنَ مِنْ بَطْنِ تَوْضِحٍ ... شُهُورَ جُمَادَى كُلَّهَا وَالْمُحَرَّمَا

و « عَتَّاب » يجوز أن يكون فعّالا من العَتْب ، أو فعّالا من عَتَبَ البعير إذا مشى على ثلاث قوائم ، قال الشاعر :

إِذَا مَا تَرَاخَى الْحَيُّ عَنْ كُلِّ طَارِقٍ ... نَهَضْتُ إِلَيْهَا بِالْحُسَامِ لِتَعْتِبَا

أى : تُضْرَب إحدى قوائمها بالسيف فتعتب ، ويجوز أن يكون من قولهم : عَتَبَ القوم فى السير ، إذا انعطفوا فيه ونزلوا فى موضع ليس على القَصْد ، وقيل : إن العَتَبة مُنْعَطَف الوادى ، و « قَبيصة » فعيلة من قَبَصْت الشىء إذا أخذته بأطراف أصابعك .

(١) الجعفر : النهر الكثير الماء ، وبه سمى الرجل ، قال الشاعر :

---

(١) تقول : قد وره ورها ـ بزنة فرح فرحا ـ والوره : الحمق والخرق فى كل عمل ، ورجل أوره ، وامرأة ورهاء ، ويقال : امرأة ورهاء اليدين ، وقال الشاعر :

تَرَنَّمُ وَرْهَاءَ الْيَدَيْنِ تَحَامَلَتْ ... عَلَى الْبَعْلِ يَوْمًا وَهْىَ مَقَّاءُ نَاشِزُ

والحبن : داء يأخذ فى البطن فيعظم منه ويرم ، وتقول : قد حبن يحبن حبنا ـ مثل فرح يفرح فرحا ـ وتقول أيضا : قد حبن ـ بالبناء للمجهول ـ وهو أحبن وامرأة حبناء

أَلَهْفَا بِقُرَّى سَحْبَلٍ حِينَ أَحْلَبَتْ عَلَيْنَا الوَلَايَا وَالْعَدُوُّ المُبَاسِلُ (١)

* وَلَا نبطيَّات يُفَجِّرْنَ جَعْفرا (١) *

وعُلْبة مسمى بالعلبة التى يحتلب فيها ، وهو إناء من جلود يرطر حولها قضيب : أى يعطف ، قال الشاعر :

لَمْ تَتَلَفَّعْ بِفَضلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بِالْعُلَبِ (٢)

وبايع رجل من العرب أن يشرب عُلْبة من لبن حليب ولا يتنحنح ، فشرب بعضها ، فلما جَهَدَه الأمر قال : كبش أملح ، فقيل له : ما هذا ؟ تنحنحت ، فقال : من تنحنح فلا أفلح .

(١) الثانى من الطويل، والقافية متدارك

التَّلَهُّف : التوجع على الفائت بعد الإشراف عليه ،و «ألهفا» يجوز أن يكون منادى مفردا ، ويجوز أن يكون منادى مضافا ، فاذا جعله مضافا فان أصله أَلَهْفى أو أَلَهْفِ ، فاذا قال أَلَهْفَا فكأنه فر من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفا ، وكذلك يا غلامَا أَقْبِلْ . وقوله : —

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره :

* إلَى بَلَدٍ لَا بَقَّ فِيهِ وَلَا أَذًى *

ورواه فى اللسان (ج ع ف ر) عن ابن جنى من غير أن ينسبه

(٢) البيت ثالث ثلاثة أبيات رواها فى اللسان (د ع د) ونسبها لجرير بن عطية ، وقبله :

يَا دَارُ أَقْوَتْ بِجَانِبِ اللَّبَبِ بَيْنَ تِلَاعِ الْعَقِيقِ فَالْكُثُبِ

حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَاهُمُ فَسُقُوا صَوْبَ غَمَامٍ مُجَلْجِلٍ لَجِبِ

والبيت الذى أنشده المؤلف من شواهد النحاة على أن الاسم المؤنث بغير تاء إذا كان على ثلاثة أحرف وأوسطه ساكن يجوز صرفه ومنعه ، وقد وردت اللغتان فى هذا البيت

* وَهَل جَزَعٌ إنْ قُلْتُ وَابأباهُمَا *

وإنما المعنى بأبى هما ، وعلى ذلك قولهم فى عـذارٍ : عَذَارى ، وفى صحارٍ : صَحَارَى ، وفى بَقِىَ بَقَى ، وفى رَضِىَ : رَضَى ، وإذا كان أَلِفُهَا مفردا تـكون الألف قد زيدت لامتداد الصوت به ، ليكون أدلَّ على التحسر ، وقُرَّى : اسم موضع إن أخذ من قرّ يقرّ وبابه فوزنه فُعْلَى ، وإن أخذ من قَرَيْتُ الضيف أو قَرَيْتُ الماءَ في الحوض إذا جمعته أو قَرَوْت الشيء إذا تتبعته فوزنه فُعَل ، وسَحْبَل : اسم واد ، ويقال لـكل ماعظم واتسع : سَحْبَل ، كالجراب والْوَطْب ، قال الراجز :

أرسلت فيها قطما لم ينـكل يخرج من رأس له كالمرجل

* شِقْشِقَةً مِثْل الجِرَابِ السَّحْبَل * (١)

ويقال : ضَبٌّ سحبـل : أى ضخم طويل ، ومعنى « أحابت » أعانت ، وأصله الإعانة فى الْحَلْب خاصـة ، ثم استمرت فى الإعانات كلهـــــا ، والولايا : جمع وَلِيَّة ، وهى البرذعة ، وهى تكون كناية عن النســاء إن شئت ، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت ؛ وَشَبَّهُوا الرجل الرِّخْو الخُوَّار بالولية لأنها رخوة منتفجة ، وقيل : الولايا العشائر والقبائل ، وكأنّ وليـة تأنيث وَلىّ ، وهو القريب ، ويروى «أجلبت» وأصل الْجَلَبة رفـع الأصوات ، والبـاء تتعلق بنفس لهفا ، وكذلك حين ، فلا يكون حينئذ في واحد منهما ضمير لتعلقهما بنفس الظاهر ، حتى كأنه قال : أتلهَّفُ فى هذا الموضع فى هذا الوقت ، ويجوز فيه وجوه

---

(١) القطم ـ بفتح فكسر بزنة الفرح ـ الشهوان إلى اللحم ، وإلى النكاح ، وفعله مثل فرح ، ولم ينكل : لم يحجم ولم يتأخر ، والشقشقة : أصلها الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل من جوفه ينفخ فيها فتظهر من شدقه ولا تكون إلا للجمل العربى ؛ وتقول : شقشق الفحل شقشقة ، إذا هدر ، ويشبه الفصيح من الرجال بالهادر من الجمال ، ولسان الرجل بشقشقة الجمل ؛ وتقول : هذا وعاء سحبل ، وهذا جراب سحبل ؛ وهذه علبة سحبلة ، إذا كانت جوفاء واسعة . والوادى السحبل : الواسع ، والسحبلة أيضا : الضخمة من الدلاء .

فَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا ٭ صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلَاسِلُ(١)

أخر ليس هذا موضعها ، ومعنى البيت أنه يتلهف على ما نزل بهم حين أعان الأعداء عليهم كونُ الحرم معهم أو من يجرى مجرى الحرم من الضعفاء الذين لا دفاع بهم لما وجب عليهم من الذبّ عنهم . ومن روى الْمَوَالى فهم أبناء العم ، وإنما خصهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشد تأثيرا فى النفس ، والعدوّ إشارة إلى الجنس ، والْمُبَاسل من البسالة وأجراه على لفظ العدوّ لا معناه ، وفى القرآن (فإنهم عدو لى) وَالْمَوْلَى على وجوه : هو العبد ، والسيد ، وابن العم ، والصهر ، والجار ، والحليف ، والولى . والأولى بالشىء .

(١) التاء فى «ثنتان» كالتاء فى بنتان ، إلا أنه لم يستعمل واحده كما استعمل بنت ، وكذلك التاء فى اثنتان كالتاء فى ابنتان ، إلا أنهم لم يقولوا اثنةٌ كما قالوا ابنة ، ومجىء الهمزة فى أوله أحسن لأن اللغة العالية على ذلك . قال عنترة :

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً ٭ سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الأَسْحَمِ

واللغة الأخرى جيدة ، قال الشاعر :

لَقِيتُ ابْنَةَ الضَّمْرِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرٍ ٭ وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسْىَ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ (١)

فَقَبَّلْتُهَا ثِنْتَيْنِ كَالثَّلْجِ مِنْهُمَا ٭ وأُخْرَى عَلَى لَوْحٍ أحرَّ مِنَ الْجَمْرِ (٢)

وأراد بالثنتين خصلتين ، ثم فسرهما صدور رماح ، وخص الصدور لأن المقاتلة بها تقع ، ويجوز أن يكون ذكر الصدور وإن كان المراد الكل ، كما قال :

٭ الواطئين على صدور نعالهم ٭

---

(١) العفر - بضم فسكون وبضمتين - قلة الزيارة وهو البعد أيضا ، وتقول : ما تأتينا إلا عن عفر ، أى بعد طول العهد وقلة زيارة منك .

(٢) اللوح - بفتح فسكون - شدة العطش والسقام ونحو ذلك .

فَقُلْنَا لَهُمْ تِلْكُمْ إِذًا بَعْدَ كَرَّةٍ تُغَادِرُ صَرْعَى نَوْؤُهَا مُتَخَاذِلُ (١)

وإن كان الوطء للصدور والأعجاز . وكنى عن الأسر بالسلاسل . والمراد بقوله «لابد منهما» على سبيل التعاقب . لا على سبيل الجمع بينهما . وإلا سقط التخيير الذى أفاده «أو» من قوله «أوسلاسل» ألا ترى أنه إذا قال : خذ الدينار أو الدرهم ، فليس فيه الجمع بينهما . وإذا كان الأمر على هذا فمعناه لابد من أحدهما ، والعرب تذكر الشيئين وتريد أحدهما . وعلى هذا فسر قوله تعالى : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) يعنى الماء العذب والملح ، واللؤلؤ لا يكون إلا فى الماء الملح دون العذب ، والرجل يقول : سلبت الرجلين ثوبا وأخذت منهما سيفا . يريد من أحدهما ، وقوله «أشرعت» أى : صوبت للطعن ، يقول : إما أن تصبروا على القتال فنلقاكم بالرماح ، وإما أن تستأسروا فنأخذكم فى السلاسل ، وقال أبو الفتح : لك فى «منهما» وجهان : إن شئت كان على حذف المضاف : أى لا بد من إحداهما ، ألا تراه قال أوسلاسل ، وأو إنما توجب أحد الشيئين ، وإن شئت كان على ظاهره لابد منهما جميعا ، فصدور الرماح لمن يُقتَل ، والسلاسل لمن يؤسر : أى يكون بعضنا كذا ، وبعضنا كذا ، فان قيل : فهذا يوجب صدور رماح وسلاسل ، قيل : لما جعلهم صنفين مقتولا ومأسورا كان لكل واحد منهما هذا أو هذا ، فمن هنا دخله معنى أو ، فهو إذا كلام محمول على معناه

(١) يقول : أجبناهم وقلنا تلكم أى تلكم التخييرة ، ولا يجوز أن تكون الاشارة بتلكم إلى واحدة من هاتين الخصلتين ، لأنه لا اختيار فيهما المختار حكمه حكم هؤلاء ، إلا أن يكون الكلام على طريق التهكم والسخرية ، وإنما المعنى يكون ذلك بعد عطفة تترك بيننا قوما مصرعين يخذلهم النهوض ولا يطيقون الحراك ، و « إذا » هو جواب وجزاء ، وهوهنا محذوف ، وكم من «تلكم» لمجرد الخطاب فلا موضع

وَلَمْ نَدْرِ إِنْ جِضْنَا مِنَ الموْتِ جَيْضَةً كَمِ العُمْرُ بَاقٍ وَالْمَدَى مُتَطَاوِلُ (١)

إِذَا ما ابْتَدَرْنَا مَأْزِقًا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَتْهَا الصَّيَاقِلُ (٢)

له من الإعراب ، واختار أن يقول متخاذل لأن هذا البناء يختص بما يحدث شيئاً بعد شيء ، وعلى ذلك قولهم « تَدَاعى البناء » كأنَّ أجزاء النهوض يخذل بعضها بعضا ، والنَّوْءُ : قد يكون السقوط أيضاً ، وقوله « تغادر » صفة للكرة

(١) يقال : جاض وحاض ، إذا عدل وانحرف ، وقوله « كم العمر باق » كم فى موضع الظرف ، والمعنى كم يوما أووقتا العمر باق ، وارتفع العمر بالابتداء ، والواو فى قوله « والمدى متطاول » واو الحال : أي كم العمر باق ومداه متطاول ، فلم يأت بالضمير لأن الواو أغنى عنه ، ويجوز أن تتعلق الحال التي دل عليها « والمدى متطاول » بإن جضنا ، والتقدير لم ندر إن جضنا ومدانا متطاول كم العمر باق : أى مدى رجائنا ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، كأنه قال : لم نعلم كم العمر باق وكم المدى متطاول إن جضنا . وفسر بعضهم العمر بالحين ، قال : ومنه قوله عز وجل (فقد لبثت فيكم عمرا) وهذا إذا حقق راجع إلى الأول ، وكلهم روى هذا البيت « إنْ جِضْنَا من الموت جَيْضَة » بكسر الهمزة على ما مر تفسيره ، غير أبي العلاء المعرى فإنه أخذ على « أن جضنا » بفتح الهمزة ، وكأنه ذهب فى هذا إلى أن « إن » بكسر الهمزة لما يستقبل ، و « أن » بفتح الهمزة لما مضى ؛ والشاعر فى ذكر قصة قد مضت فيحمل قوله « أن جضنا » بفتح الهمزة على تقدير لما جضنا ، ومعناه يقول : لم ندر إن حِدْنَا عن القتال الذى فيه الموت كم يكون بقاؤنا فَلِمَ نحيدُ فنحتقب العار ؟ ولعلنا إن حدنا لم نعش إلا قليلا

(٢) المأزِق : مضيق الحرب ، وهو مَفْعِل من الأزق ، وهو الضيق ، يقول : إذا استبقنا إلى مضيق فى الحرب وَسَّعَته لنا سيوف مصقولة بأيماننا ، وجعل الفعل

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ وَلِي مِنْهُ مَاضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ (١)

للسيوف على المجاز والسعة . وقوله « جلتها الصياقل » ضرورة ؛ لأن السيوف لاتجلوها إلا الصياقل، ولوكان يجلوها غيرهم وكان لجلائهم إياها فضل على جلاء غيرهم لكان لذكرهم ههنا معنى . و إلا فلامعنى له إلا إقامة الروى فقط ، كقول الآخر :

وَسَابِغَةِ الْأَذْيَالِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ تَكَنَّفَهَا مِنِّي نِجَادٌ مُخَطَّطُ (١)

وليس لتخطيط النجاد معنى يرجع إلى الدرع ، ولا إلى السيف ، ولو قال اجتهد فى صقلها الصياقل وما أشبهه كان حسنا

(١) ويروى «ماضَمَّتْ عليه الأنامل» بفتح الضاد أيضا ؛ فإذا رويت ضمت فالمعنى قبضته الأنامل ، و إذاقلت ضمت فالمعنى قبضت عليه الأنامل ، والبطحاء : تأنيث الأبطح وهو مَسِيلٌ فيه دقاق الحصى واسع ، وهما صفتان أخرجتا إلى باب الأسماء ، والتأنيث والتذكير فيهما يحملان على البلدة والبقعة والبلد والمكان ، إلا أنه لايقال : مكان أبطح ، ولا بقعة بطحاء ، ويقال: تبطح السيل . إذا سال عريضا ، وسَحْبل : اسم موضع أضيف البطحاء إليه ، كما يقال: صحراء سحبل ، ويقال: ضبٌ سحبل ، إذا كان عريض البطن ، ولا يمتنع أن يكون المكان سمى به لا تساعه ، وهذا البيت مثل قوله فى صفة السيوف أيضا :

مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الْأَكُفِّ وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤُسُ الْمُلُوكِ

وإن كان فى هذا تقسيم خلامنه المشبه به ، ومعناه إنى أعمل صدر السيف

---

(١) الزغف ـ بفتح الزاى وسكون الغين المعجمة ، وربما حركت ـ الدرع المحكمة ، وقيل : الواسعة الطويلة ، وقيل : الدرع اللينة ، ويقال للجمع زغف على لفظ المفرد ، وقال الربيع بن أبى الحقيق فحرك الغين المعجمة :

رُبَّ عَمٍّ لِيَ لَوْ أَبْصَرْته حَسَنِ الْمِشْيَةِ فِى الدِّرْعِ الزَّغَفْ

(حما: ٤ — ١)

٥ — وقال أيضاً :

لاَ يَكْشِفُ الْغَمَّاءَ إلاَّ ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا(١)

نُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا(٢)

فيهم لا أزيله عنهم ، فكأنما هو لهم وليس لى منه إلا مقبضه

(١) من الضرب الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

الغَمَّاء — بفتح الغين والمد ، والغُمَّى بالضم والقصر ، مثل العَلْياء والعُلْيا : الأمْرُ الشديد الذى لا يدرى من أين يؤتى ، وأصله من قولهم : غَمَمْتُ الشىء ، إذا سترته ، ومنه الغَمَمُ الشعر الذى يستر الجبين من قدام والقفا من خلف . ومنه سمى الغم فى القلب ؛ لأنه يحجب السرور عنه ، والغمام لأنه يستر السماء ، ومنه الحديث « فان غُمَّ عليكم فأكملوا العِدَّة » وقوله « إلا ابن حرة » يعنى أن أبناء الحرائر هم الصابرون على المكاره فى ابتناء المجد واكتساب الشرف ؛ وقوله « يرى غمرات الموت » يقول : يتحققها بالمُمَارسة حتى يصير كأنه أدركها بحاسة العين وشاهدها ، فان قيل : لم عطف الزيارة على رؤية الغمرات بحرف المهلة ؟ وهلا جعلها عقيب الرؤية ؟ قلت : إن ثُمَّ وإن كان فى عطفه المفرد على المفرد يدل على التراخى فإنه فى عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك ، ألا ترى قوله عز وجل : (وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا) ولا يجوز تراخى الإيمان عن شىء مما عدده وذكره . وأصل الزيارة المَيْل ، وهو من الزَّوْرِ وهو الميل فى أحد الشقين ؛ فقوله « يزورها » أى يميل إليها فيأتيها

(٢) وضع « قِسْمَة » موضع مقاسمة . وغاشية السيف : أولها مما يليك ، وصدره : الذى يضرب به . وقد تكون غاشيته غمده أيضا . وانتصاب « شَرَّ » على المصدر . ومعناه قاسمناهم سيوفنا ففينا مقابضها وفيهم مضاربها . وهو كقوله :

٦ — وقال أيضا :

هَوَاىَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجُثْمَانِى بِمَكَّةَ مُوثَقُ (١)

---

* هُم صدر سيفى يوم بطحاء سَحْبَلِ * البيت

وقوله « شر قسمة » أى شر قسمة لهم وخيرها لنا

(١) من الضرب الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله « هواى » فتحت ياء الإضافة على الأصل . وذلك أن هذه الياء لما كان ضمير اسم على حرف واحد متطرف كرهوا أن يسكن فيختل ، فجعلوا من أصله التحريك . فإذا كان ما قبله متحركا كغلامى ودارى كان لك فيه وجوه : تحريك الياء وهو الأصل ، وتسكينه تخفيفا ، وحذفه فى النداء إذا قلت «ياغُلَامِ» وإبدال الألف منها مع انفتاح ما قبلها ، كقولك «وا أباها» و «يا غلاما» وإذا سكن ما قبله فمتى كان واوا أو ياء أدغم فيه ، ولم يكن بد من تحريكه : لئلا يلتقى ساكنان ، تقول : مُسْلِمِىَّ فى الجمع ، و مُسْلِمَىَّ فى التثنية . وإذا كان ما قبله ألفا كَعَصَاىَ وهَوَاىَ لم يكن بدٌّ من الإتيان به على الأصل وهو تحريكه ، لئلا يلتقى ساكنان ، ولا يجوز الادغام هنا كما جاز مع الواو والياء ، لأن الألف لاتدغم فى شىء ولا يدغم فيها غيرها لكونها هوائية لا معتمد لها فى المخرج . إلا فى لغة هذيل فانهم يبدلون من الألف الياء ويدغمون ، وعلى هذا قول أبى ذُؤَيْب فى قصيدة رثى بها بنيه :

سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

وراكب وركب مثل تاجر وتجر وصاحب وصحب ، والركب : ركبان الإبل خاصة، واليمانون : جمع يمان ، خففت ياء النسب فى يمنىّ فحذف إحدى الياءين وعوّض منها ألف ، فقيل يَمَانٍ ، وكذلك فعل فى شآم ، و« مُصْعِد » مبعد ، والإصعاد :

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ إِلَىَّ وَبَابُ السِّجْنِ دُونِى مُغْلَقُ(١)

الإبعاد، والصّعود: الارتفاع فى الدرجة والجبل ، وفى القرآن (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد) قيل : معناه تبعدون ، وقيل : الصعود فى الدرجة والجبل ، والإصعاد فى السير، وحكى أن صَعْدَة اسم علم الأرض ، وأن الصعيد منه ، ولهذا قيل لحمر الوحش : بنات صعْدة ، وهذا إن ثبت فهو كما يقال بنات البر ، و يقال فى الجثمان : إنه الشخص، والجسمان الجسم ، والشخص إنما يستعمل فى بدن الإنسان إذا كان قائما ، هذا قول الأصمعى ، وذكر الخليل أن الجثمان والجسمان بمعنى واحد ؛ و «جنيب» بمعنى مَجْنُوب مُسْتَتْبَع ، يقول : هواى معرُكبان الإبل القاصدين نحو اليمن مَقُودٌ معهم وبَدَنى مأسُورٌ مقيد بمكة

(١) إنما تعجب من سيرها على عادة الشعراء فى وصف الخيال. وذلك أنهم يُجْرُونه مُجْرَى المرأة نفسها ، فيستطرفون منه مايستطرفون من تلك لو وقع الفعل منها على الحقيقة مع نعمتها ، والمَسْرَى مفعل يصلح أن يكون مصدرا ومكانا ووقتا ، والبيت يحتمل الوجوه كلها ، و «أنَّى» معناه كيف أو من أين ، كذا قال سيبويه ؛ وقد تجرد لأن يكون فى معنى كيف فى قول الكميت :

* أنَّى ومن أيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ *

قال أبو الفتح : ولا يجوز أن تكون أنى من قوله «وأنى تخلصت» مجرورة عطفا على قوله مسراها لأن أنَّى استفهام لا يعمل فيه ماقبله ، فان قلت : فقد تقول : بأيِّهِمْ مررت ، ولأيِّ شىء فعلت مافعلت ؟ فتعمل فيها اللام والباء من قبلها ، وكذلك [عامة] حروف الجر نحو : من أين أقبلت ؟ وعلام ارتحلت ؟ ونحو ذلك ؛ قيل : الفرق أن اللام فى قوله «لمسراها» متعلقة بعجبت ، وهى فى قولك لمن قلت ذلك متعلقة بالفعل بعدمن ، وحرف الجر يتصل بما بعده فيصير جزأ منه ، فيصير العامل فى الاسم

أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ(١)

المستفهم [عنه](١) كأنه إنما هو الفعل ، لا حرف الجر ، وهذا لا يجوز ، ألا ترى أنك لا تقول ضربت مَنْ ، ولا نزلت على مَنْ ، وأنت تقول : مَنْ ضَرَبت ؟ وعَلَى مَنْ نزلت ؟ وكذلك تقول : بِمَنْ مَرَرْت ، ولا تقول : مررت بمن ، فإذا ثبت ذلك بطل أن يكون «أنى» من قوله «وأنى تخلصت» مجرورة عطفا على قوله «مَسْرَاها» وإذا بطل ذلك ثبت أنها منصوبة بقوله «تخلصت» كقولك أنى ارتحلت : أى من أين ارتحلت ؟ فكأنه لما قال «عجبت لمسراها» تم كلامه ، ثم قال مستأنفا آخذا فى كلام آخر «وأنى تخلصت» أى : ومن أين تخلصت . هذا وضع الإعراب ومقتضى الصنعة فيه ، فأما حقيقة المعنى فكأنه قال عجبت لمسراها ولتخلصها إلىّ لأن العجب اشتمل عليهما جميعا ، ولا يستنكر أن يكون وضع الإعراب مخالفا لحصول المعنى ، ألا تراك تقول : أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ . فمعناه الحق أهلك قبل الليل ، وإعرابه على غير ذلك

(١) الإلمام : الزيارة الخفية ، والتحية : السلام والملك والبقاء ، والمُحَيَّا : الوجه من الإنسان لأنه يخص عند التسليم بالذكر فيقال : حَيَّا الله وجهك ، وإن كانت الجملة متلقاة به ، وقيل : إن التحية مشتقة من الحياة ، أو من الحياء ، والمحيا من الفرس : حيث انفرق اللحم تحت الناصية ، و«تزهق» تذهب وتهلك ، ومنه قيل للبئر البعيدة [القعر](١) والمتلفة البعيدة زاهقة وزهوق وزهقت الراحلة تقدمت وزهق السهم أسرع وقوله «لما تولت» جوابه «كادت النفس» وهو علم للظرف ومتى كان علما للظرف لم يكن بد من جواب لأنه يكون لوقوع الشىء لوقوع غيره ، وتزهق خبر كادت لأن كاد ككان وأخواته وهو موضوع لمشارفة الفعل فلهذا وجب أن لا يكون معه أن ، تقول كاد يفعل ولا يجوز أن يفعل إلا فى الشعر . يقول حاكيا

(١) سقطت هذه الكلمة من ب

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ   لِشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ ٱلْمَوْتِ أَفْرَقُ(١)

لحال الخيال: جاءتنا فسلمت علينا ثم لم تلبث إلا قليلا حتى قامت وأعرضت فلما تولت كادت النفس تخرج فى أثرها

(١) تخشعت: تكلفت الخشوع، والخشوع فى البصر والصوت كالخضوع فى البدن، ويقال: اختشع فلان، إذا طأطأ رأسه رامياً ببصره إلى الأرض، وهو خاشع الطرف خاضع العنق، والفرق: الخوف، فان قيل: أين مفعول تحسبى؟ قلت: قد نابت الجملة التى هى قوله «أنى تخشعت بعدكم» عن المفعولين، ألا ترى أن تقديره لاتحسبينى خاشعاً، فكما أن المفعولين يحصلان من دون أنّ كذلك إذا دخل أنّ فى الكلام ينوب مع ما بعده عنهما، لأن اللفظ بالمفعولين قد حصل وإن كانا فى صلة أنّ، وأن وما بعده فى تقدير اسم، وهذا كما تقول: لو أنك جئتنى لأكرمتك، إذ كنت قد لفظت بالفعل فى صلة أن وإن كنت لا تقول: لو مجيئك، يقول: لا تظنى أنى تكلفت الخشوع بعدكم لشىء عارض، ولا أنى أخاف من الموت، وترك الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها جرياً على عادتهم فى تصرفهم فى الكلام، ودخلت هذه الأبيات فى الحماسة لاستهانته بما اجتمع عليه من الحبس والتقيد وصبره على ذلك. وقال أبو الفتح: تخشعت بمعنى خَشَعت وقد جاء تَفَعَّل وفَعَل بمعنى نحو قوله تعالى (الجبار المتكبر) أى الكبير، وعليه بيت الكتاب:

وَلَا يَشْعُرُ الرُّمْحُ الأَصَمُّ كُعُوبُهُ   بِثَرْوَةِ رَهْطِ الأَبْلَخِ الْمُتَظَلِّمِ(١)

(١) البيت فى اللسان عن ابن برى (ظ ل م) منسوبا إلى الجعدى، وفيه «بثروة رهط الأعيط»

وَلاَ أَنَّ نَفْسِى يَزْدَهِيهَا وَعِيدُكُمْ ... وَلاَ أَنَّنِي بِالْمَشْىِ فِى الْقَيْدِ أَخْرَقُ (١)
وَلٰكِنْ عَرَتْنِى مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ ... كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ (٢)

أى : الظالم . وقال آخر :

تَظَلَّمَنِى حَقِّى كَذَا وَلَوَى يَدِى ... لَوَى يَدَهُ اللهُ الَّذِى هُوَ غَالِبُهْ (١)

(١) ويروى «وعيدهم» يقال : زهاه وازدهاه ، إذا استخفه ، ويستعمل الزَّهْو فى الباطل والتزيُّد فى القول ، تقول : قال زَهْوًا ، وفى الكبر يقال : زُهِى . لا غير . وهو مَزْهُوٌّ ، والأصل الخفة . والوعد والوعيد من أصل واحد ، وإن كان أحدهما فى الخير والآخر فى الشر ، لكنه فُرِّق بين المعنيين بتغيير البناءين ، كما فعلوا ذلك فى عدل وعديل فجعل أحدهما فى الأناسى والآخر من غيرهم . والأَخْرَق : القليل الرفق بالشىء ، والخُرْق : ضد الرفق ، ويروى «أخْرُق» بضم الراء فيكون فعلا . و«أخْرَق» بفتح الراء فيكون صفة ، يقول : لا تظنى أن نفسى يستخفها تهدُّدكم ولا أننى ضَجِرْت بالمشى فى القيد ، وإذا روى وعيدهم يكون أحسن فى المعنى ، يريد وعيد القوم الذين حبسوه لأجلهم ، يصف نفسه بالصبر على ما يلقاه من الشدة

(٢) الفعل من الصبابة صَبِبْتُ بكسر الباء ، والصفة صَبٌّ ، والأجود أن

---

(١) هذا البيت ينسب لفرعان بن الأعرف ، يقوله من كلمة فى ابنه منازل بن فرعان ، وكان منازل به عاقا ، وأول هذه الكلمة :

جَزَتْ رَحِمٌ بينى وَبين منازل ... جزَاءً كمَا يَسْتَنْزِلُ الدَّيْنَ طَالِبُهْ
لَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا آضَ شَيْظَمًا ... يكادُ يُسَاوِى غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهْ
تَغَمَّدَ حَقِّى ظَالِمًا وَلَوَى يَدى ... لَوَى يَدَهُ اللهُ الذى هُوَ غَالِبُهْ

والبيت الثالث هو البيت الذى أنشده المؤلف مع بعض تغيير ، وذكره فى اللسان (ظ ل م) على شكل آخر ، وهو :

* تظَلَّمَ مَالِى هٰكَذَا وَلَوَى يَدِى *

يكون «ما» فى قوله «كما» موصوفة غير موصولة لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة، وفى تقدير الذى، والقصد إلى تشبيه صبابة مجهولة بمثلها، فالتقدير عرَتْ صبَابَةٌ تشبه صبَابةً كنت أكابدها فيك فى ذلك الوقت [(١)]، كأنه شبه حاله فيها بعد مامنى بها بحاله من قبل، ومفعول ألقى محذوف تخفيفا، أراد ألقاه منك، وعراه واعتراه بمعنى واحد إذا جاءه، ومنه عرا الدار وعروتها بفتح العين: أى حيث تعرى منه: أى تؤتى، وقوله «إذ أنا مطلق» الجملة فى موضع جر بالإضافة، وقد شرح بها «إذ» كأنه قال: وقت إطلاقى، يقول: عرتنى فى الهوى رقةُ شوقٍ وَجَهْدٌ صبابة كما كنت أقاسيه فيك حيث كنت مطلقا

حديث جَعْفر بن عُلْبَة الحارثى وسبب حبسه وقتله:

كانت بنو عقيل بن كعب و بنو الحرث بن كعب حلوا بصَيْهَد، فلما كان عشية من العشى جاء فتيانهم يلعبون و بَرَزَت لهم فتيات ينظرن إليهم، فبصر رجل من بنى الحرث بن كعب برجل من بنى عقيل بن كعب يقال له أصغر بن محمد، وهو أحد بنى الأبرص، يُومِضُ [(٢)] بامرأة من بنى الحرث؛ فركب الحارثى فرسا وأخذ رمحا فطعن به العقيلى فى فيه، فَدَقَّ نابه وشق لثته، وحسب أن الرمح قد بلغ غير ذلك منه، فولّى، واستثار رجل من العقيليين أخا أصغر عبّاسَ بن

---

(١) يقول أبو رجاء غفر الله له ولوالديه: هذا المعنى الذى ذكره المؤلف لا يحتاج إلى أن تجعل «ما» نكرة كما زعم، بل أنت لو جعلتها موصولة معرفة بمعنى الذى لكان المعنى أدق، وحاصله أنه يقول: لا تظنى أن ما تشاهدينه من اضطرابى وقلقى هو من الخوف ولكنه قد عرض لى من الصبابة عارض كالذى تعرفينه عنى من عوارض الحب حين كنت مطلقا.

(٢) الايماض: الاشارة الخفية ومسارقة النظر، تقول: أومض الرجل يومض، إذا كان يشير إشارة خفية، ويقال: أومضت المرأة، إذا سارقت النظر

محمد ، فوثب هاربا فى البلاد لما استثير ، ووثب رجل من بنى عقيل فرمى الحارثى بسهم ، فجذم صلبه فمات ، وقالت امرأة من بنى الحرث :

أَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ * وَأَشْهَدُ أَنَّ عَبَّاسًا جَبَانُ

فصارت مثلا ، وبنو الحرث إذا كان الرجل جبانا لم تَخْتَمِر[1] منه امرأة أبدا ، ولم يُشَاوَرْ ، ولا يرونه شيئاً ، ولا يدعونه فى دعوتهم ، فغبروا دهراً ، ثم إن بنى عقيل حكموا بنى الحرث فعقلوا لهم ، وبرأ العقيلى من طعنته ، ومضى زمان ، ونسى الناس ذلك ، ونشأ نشء فى بنى الحرث عُيِّرُوا بما فعلت بهم بنو عقيل ، وفيهم شابان مُتْرَفَانِ مُتَخَالاَّن ، وهما على بن جُعْدُب بن عُتَيّ ، وجعفر بن علبة ، وزوّجوا محمد بن هشام بن إسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بنتَ عُلْبَةَ أختَ جعفر ، فالتى بنو الحرث نفراً من بنى عقيل ، وفى الحارثيين جَعْفَرُ بن عُلبة وعلى ابن جُعْدُب ، فقتلا[2] رجلا من بنى عقيل يقال له خُشَيْنَة ، وضربا عُرْقُوبَى هذيل بن كلاب ، وضربا آخر بَيْنَ الشارب والأنف فقطعوه ، فلما فعلا ذلك أتيا عُلْبَةَ أبا جعفر فأخبراه الخبر ، وقالا له : ما ترى لنا أنهرب ؟ فقال : لا تهربا ، ولكن ائتيا[3] صهرى محمد بن هشام وأنا لكما جارٌ من أن يضيركما من هذا شىء ، فأرد إلى ابن هشام بالكتاب أن على بن جُعْدُب وجعفر بن عُلْبَة قد أَحدَثا حَدَثاً فما رأيك ، فكتب إليه إنى لهما جارٌ فنيأتيانى ، وحَذِرَ بنو عقيل ابن هشام فركبوا إلى هشام بن عبد الملك ، فاسْتَعْدَوْه فكتب لهم إلى أمير نجران — وهو ابن عبد الله الثقفى أن خُذ الحارثيين إن أقام العقيليون بينة فأَقِدْهُمَا ممن قتلاه ، وخذلهم بحقهم ، فلما لقوا الثقفى قال : قد لحق القوم بصهرهم ابن هشام بمكة ، ولا أقدر عليهم ، وقد

---

(١) لم تختمر : لم تلبس خمارها ، يريد أنها لاتراه أهلا لأن تستتر منه .

(٢) فى نسخة بن « فقتلوا » ، وفيها « وضربوا » (٣) فى ب « آتيا »

لحقوا بمن هو عَلَيَّ ؛ فرجعوا حتى أَتَوْا هشاما ، فقالوا : حال محمد بن هشام بيننا و بين حقنا أن نأخذه من القوم ، وهم أصهاره ، فكتب له : أَنْ أَعْطِ القوم حقهم واتق الله ، فلما جاء العقيليون طُلاَّبو الدم أخذ ابن هشام صهره وعلى بن جعدب فقيدهما ، وقال للعقيليين : ائتونى بالبينة ، فقالوا : قَسَامة ، كيف نأتى بالبينة وكيف نقيم من يشهد لنا وقد اسْتُودِى بدمائنا وَنُفِّىَ بها واعترف ؟ قال : أما قَتْلاً فلستُ قاتلا ، ولكنى عاقل لكم و مُوفٍ نذر دمائكم وخيلكم ، فراجع القوم الثالثة هشاماً ، فكتب إليه ألا تَطُلَّ دماء القوم وقد نطقت الأشعار واعترفوا على أنفسهم ، فكتب ابن هشام إلى هشام بن عبد الملك أن رُدَّهُم إلىَّ إذا أتوك فان أصهارى أفضل دماء منهم ؛ و إنى أحبسهم أرجو أن يأخذوا العقل ، فرجع العقيليون الرابعة حتى أتوا هشاماً ، فلما أراد رَدَّهم إليه قالوا : ليس ينصفنا ابن هشام ولا نجاوزك أبدا ، نخذلنا أثآرنا . فقال لهم هشام : أكتب لكم إليه يعطيكم العقل و يرضيكم فقد تحرَّز بصهره ، فقال العقيليون : لا ، إلا أن يبرزه لنا فيرى الناس أن قد قدرنا على حقنا فنترك عن قدرة ثم نأخذ حينئذ منه العقلَ ؛ فكتب لهم إلى ابن هشام بذلك ، فأخذ عليهم العهد أنكم تفونَ بذا و إنى أعطيكم الغِيَرَ ، ففعل ، وقال العقيليون لرجل منهم لم يكن يعرف يقال له رَحْمَة بن طَوَّاف : سِرْ قريبا منا ، وادخل إذا دخلنا ، ولا تنزل حيث ننزل ، ولا تنتسب عقيليا ، فاذا ما برز الرجل فاضرب عنقه وَانْخَنِس بين الناس ، وأَبْرَزَ ابن هشام جَعْفَرَ بن عُلْبَةَ عليه حُلَّة أحسن الناس ، وقد وضع على العقيليين حرَساً أن تبدر منهم بادرة ، وخاف غدرهم ، فلما برز جعفر أهوى إليه رَحْمة فقتله ، فأخذه ابن هشام فحبسه وأيسه وعذبه ، وحبس العقيليين ، وقال : لأغيظَنَّكُمْ وكان يعذب رَحْمَة ولا يطعمه ، فمات يوم الجمعة ، ولم تأت جمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك وقام الوليد بن يزيد و بعث يوسف بن عمر الثقفى فأخذ ابنى ابن هشام فعذبهما حتى ماتا فى عذابه

٧ — وقال أبو عَطَاءٍ السِّنْدِيُّ (١)

ذَكَرْتُكِ وَالْخَطِّيُّ يَخْطِرُ بَيْنَنَا ... وَقَدْ نَهِلَتْ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ (٢)

وسجنه ، وكان جعفر بن عُتْبَة قد قال حين لقى بنى عقيل :

كَأَنَّ الْعُقَيْلِيِّينَ يَوْمَ لَقِيتُهُمْ ... فِرَاخُ الْقَطَا لاَقَيْنَ أَجْدَلَ بَازِيَا

أَلاَ لاَ أُبَالِي بَعْدَ يَوْمٍ بِسَحْبَلٍ ... إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا

ومما قال وهو محبوس :

* هَوَاىَ مع الركب اليمانين مصعد * القطعة

ومما قال أبوه وجعفر محبوس :

لَعَمْرُكَ إِنَّ اللَّيْلَ يَا أُمَّ خَالِدٍ ... عَلَيَّ وَإِنْ عَالَيْتِنِي لَطَوِيلُ

أُحَاذِرُ أَنْبَاءً مِنَ الْقَوْمِ قَدْ دَنَتْ ... وَأَوْبَةَ أَنْقَاضٍ لَهُنَّ زَلِيلُ

لَعَمْرُكَ إِنَّ ابْنِي غَدَاةَ تَقُودُهُ ... عُقَيْلٌ لَنَائِي النَّاصِرِينَ ذَلِيلُ

(١) واسمه أفلح ، مولى عنبر بن سماك بن حصين . وكان به عجمة شديدة يجعل الجيم زاياً والشين سيناً ، وهو من شعراء بنى أمية

(٢) من الضرب الأول من الطويل ، والقافية من المتواتر

قالوا : عنَى بالْخَطِّيِّ رمح نفسه ، وقيل : لم يرد رمحاً واحداً ، وإنما أراد الجنس ، وهو منسوب إلى الْخَطِّ ، وهو سيف البحرين وعمان ؛ وكأن قولهم الخطيطة أرض لم تمطر بين أرضين ممطورتين منه ، وأصل الخطر التحرك ، وقوله « وقد نهلت منا » أراد من دمائنا ، والنَّهَل من الأضداد لوقوعه على الرَّيَّان والعطشان ، وكأن حقيقة النهل أول السَّقى ، والاكتفاء به قد يقع وقد لا يقع ؛ فلذلك استعمل الناهل فى الرى والعطش ، ومصدر « ذكرتك » ذُكْر بضم الذال لأن الذُّكر بالقلب والذِّكر

فَوَاللهِ ما أَدْرِى وَإِنِّى لَصادِقٌ   أَداءٌ عَرَانِى مِنْ حِبَابِكِ أَمْ سِحْرُ(١)
فإِنْ كانَ سِحْرًا فَاعْذِرِينِى عَلَى الْهَوَى   وَإِنْ كانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكِ الْعُذْرُ(٢)

باللسان ، ونبه بهذا الكلام على قلة مبالاته بالحرب واشتياقه إليها فى حال اختلاف الرمح بينهم بالطعن ، وقال أبو الفتح : قوله « وقد نهلت منا المثقفة » منصوب الموضع لأنه[١] بدل من قوله « والخطى يخطر بيننا » وذلك منصوب بقوله « ذكرتك » وجاز إبداله منه لما فى الثانى من البيان الزائد على ما فى الأول ، ألا ترى أنه قد يخطر الخطىُّ بينهم ثم لا يكون مع ذلك ناهلاً . على أن يكون تجاول من غير تطاعن ، ويجوز أن يكون قوله « وقد نهلت » حالا من الضمير المجرور فى بيننا فلا يكون إذا بدلا مما قبله

(١) أقسم بالله على استواء علمه فى الحالتين اللتين ذكرها ، وتسمى الألف التى فى قوله « أداء عرانى » ألف التسوية ، وكذلك لو قال « ليت شعرى أزيد فى الدار أم عمرو » لكان الألف ألف التسوية ، ومن روى « من حَبَابك » بفتح الحاء فقد قيل : إن معناه من أجل حُبِّك ومن معظمه ، ولعله يؤدى معنى الحب ، والرواية الكثيرة « من حِبابك » بكسر الحاء ، وهو المصدر من قولك « حابيته حِبَابًا » قال أبو ذؤيب :

فَقُلْتُ لِقَلْبِى يَالَكَ الْخَيْرُ إِنَّمَا   يُدَلِّيكَ فِى الْمَوْتِ الْجَدِيدِ حِبَابُهَا

ويكون مصدر حَبَبْتُهُ ، ويكون جمع الحب أيضا ، وكأنه جمعه على اختلاف أحواله فيه ؛ ويروى « مِنْ جَنَابك » أى : من ناحيتك ، و « من جِنَابِكِ » أى من مجانبتك

(٢) السحر : التمويه ، يجريان مجرى واحدا ، ولذلك قال الله تعالى : (سحروا

---

(١) فى نسخة ب ونسخة بن « إلا أنه » والذى أثبتناه أكثر وضوحا ودلالة على الغرض

٨ — وقال بَلْعَاء بن قَيْس الْـكِنَانِيُّ (١)

وَفَارِسٍ فِي غِمَارِ الْمَوْتِ مُنْغَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقَا (٢)

أعين الناس) أى أخرجوه على وجه فى مَرْأى العين (١) وحقيقته على خلافه ، والسَّحَّارة : لعبة ذلك صفتها ، وعنز مسحورة : إذا عظم ضرعها وقل لبنها ، وأرض مسحورة : إذا لم تنبت شيئاً ، يقول : إن كان ما بى سحراً فلى عذر فى هواك لأن من يُسْحر يُحْبَبْ ، وإن كان داء غير السحر فالعذر لك لأنى وقعت فيه بتعرضى لك وفكرى فى محاسنك ، والدليل على أن « فاعذرينى » فى موضع فلى عذر ماقابله به من قوله « فلك العذر » وفى هذا إسقاط سؤال السائل : لم قال اعذرينى ولا ذنب له وإنما يحتاج إلى بسط العذر من له ذنب أو يتصور بصورته ؟ ويجوز أن يكون توهم أن تلك تصورته بصورة المذنب فيما أظهره من عشقه فقال لها : إن أنتِ فَتَنْتِنِى لما عرضتِ علىّ من محاسنك فلى عذر حين افتتنت ، وإن كُنتُ المتعرضَ لك فالعذر لك

(١) قال أبو الفتح : لا أعرف بَلْعَاءَ فى الأجناس اسما ولا صفة فأقول إنه منقول ، ولا أظنه [إلاَّ] (٢) مرتجلا للعلمية كعَدْنان وقَحْطَان ونحوهما ، وأما قيس فمنقول من قاس الشىء بالشىء يَقِيسه عليه قَيْسًا ، وأما قول العجاج :

بَاتَ يُقَاسِى أَمْرَهُ أَمُبْرَمُهْ أَعْصَمُهُ أَمِ السَّحِيلُ أَعْصَمُهْ

فانه أراد يقايس : أى يميز ، فقلب

(٢) من الضرب الأول من البسيط ، والقافية من المتراكب

---

(١) كذا فى نسخة بن وفى نسخة ب « فى مرائى العين »

(٢) سقطت هذه الكلمة من نسخة ب ونسخة بن ، وهى ثابتة فى كتاب المبهج فى تفسير أسماء شعراء الحماسة لأبى الفتح ابن جنى (ص ١٦) وهو الذى ينقل عنه المؤلف

غَشَيْتُهُ وَهْوَ فِي جَأْوَاءِ بَاسِلَةٍ عَضْباً أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فانْفَلَقَا[1]

أي : و رُبَّ فارس فى غمار الموت ، جعل الموت غمارا ، على السعة ، ثم جعله مُنْغَمِساً فيها . والْغِمَارَ : جمع غَمْرَة ؛ وَتأَلَّى وَائْتَلَي وآلى بمعنى واحد من الأَلِيَّة ولا حلف ثَمَّ إنما يريد الْحَتْمَ والإيجاب. يقول : رب فارس داخلٍ فى شدائد الموت إذا حلف على ما يكره منه أو يكون كريها فى نفسه بَرَّ ولم يحنث أنا فعلت به كذا ، ويروى « مكرُوهَة » والمعنى خَصْلَة تُكره ؛ فعلى هذا يكون صفة مفردة عن الموصوف ، ويجوز أن يكون مصدرا كالمصدوقة وما أشبهها من المصادر الجائية على وزن المفعول ، وإذا روى «مَكروهِهِ» فانه أضاف المكروه إلى الفارس لوقوعه منه ، والمنغمس : الداخل فى الشيء ، ويقال : غَمَسْتُهُ فى الماء وغيره ، ورجل مُغَامِس : يغشى الحروب ويتردد فيها ، والْغِمَار والْغَمَرَات : جمع غَمْرَة ، وهو فى الماء والحرب والشر ؛ وفى كله يرجع إلى السَّتْر ، ورجل مُغَامِر : يلقى نفسه فى الْغَمَرَات ، وقال أبو الفتح : مكروهة يحتمل خلاف الرجلين سيبويه وأبى الحسن ؛ فمذهب صاحب الكتاب أنه وصف لموصوف محذوف ، كأنه قال : إذا تألَّي على حلٍ مكروهة صدق . ومذهب أبى الحسن أنه مصدر جاء على مفعول ، وقياس قول صاحب الكتاب أن يكون فيه ضمير من الموصوف المحذوف ، وقياس قول أبى الحسن ألا يكون فيه ضمير ، كما لا يكون فى الكره والكراهية والكراهة ، وكأن تأنيث المكروهة يشهد لقول صاحب الكتاب وذلك أن تأنيث الصفة أَشْيَعُ وأَيْسَرُ من تأنيث المصدر ؛ من حيث كان المصدر دالاًّ على الجنس ، وإذا أفضى بك الأمر إلى الجنس ملكك جانب التنكير فاعلمه

(١) التَّغَشِّى والْغَشْى : أصله الإتيان والملابسة ، ومنه الْغِشَاوَة الغطاء ،

بِضَرْبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنِّى مُخَالَسَةً ولاَ تَعَجَّلْتُهَا جُبْنًا ولا فَرَقَا[١]

وتوسعوا فيه حتى قيل : تَغَشَّاهُمْ بالعدل أو الجور . وَغَشَيْتَهُ . كما يقال : قَنَعْتَه . والعَضْب : القاطع من السيوف ، كأنه وصف بالمصدر . والعَضْبُ : القَطْع ، وتوسعوا فيه فقالوا : عَضَبَهُ عن حاجته : أى حبسه ، والسوّاء : الوَسَط ههنا ، ومنه (فى سَوَاءِ الجحيم) ويوضع موضع المصدر ثم يوصف به ، نحو (سَوَاءً للسائلين) وأصاب : بمعنى طلب ، وبمعنى نال ؛ يقال : أصبت الصواب فأخطأته . والجَأْوَاء : الكتيبة المخضرة ، من الجُؤْوَة يعنى اخضرار السلاح ، والبسالة : من البَسْل وهو الحرام ، كأنه تمنعه مُحَرَّم . وانفاق : انشق ، وفاقته : شققته . يقول : رب فارس هكذا أنا ضربته وهو [فى] [١] جيش تام السلاح كريه اللقاء بسيف قاطع أصاب رأسه فشقه

(١) الخَلْسُ : أخذ الشىء مُخَاتَلَة ، وقيل : الاختلاس أوحى من الخلس ، ويقال : هو لك خُلْسَة ، كما يقال نُهْزَة ، ويقال : تَعَجَّلْتُ الشىء : أى تكلفته على عَجَلة . ويقال أيضا : أعجلته واستعجلته وتَعَجَّلْتُهُ بمعنى ، وانتصاب « جُبْنًا » على أنه مفعول له ، وهو الذى يسمى مصدر العلة ، وقوله « لم تكن منى مخالسة » خلاف قول الآخر :

وَقَدْ أَخْتَلِسُ الضَّرْبَـ ـةَ لاَيَدْمَى لَهَا نَصْلِى

لأن قصد الشاعر ههنا إلى أنه تناول من خصمه ما تناول بتثبت وقوة قلب لا كما يفعله الجبان ؛ يقول : لم أتكلف عجلتها لضعف قلبى ولا تخوفى من صاحبى وضربة الجبان أعجل ، وقد يوصف الشجاع بالمخالس والخَلِيسُ ، وكذلك المصارع ، قال أبو الفتح : يجوز أن تكون الباء فى قوله « بضربة » صفة لقوله « عضبا » أى عضباً بضربة : أى ذا ضربة ، كقولك : مررت برجل بآخرِ رَمَق : أى

(١) سقطت هذه الكلمة من بن

٩ — وقال رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ (١)

مررت به ومعه رَمَق : أى آخر نفسه ، وكما جاز أن تكون هذه الباء وصفاً للنكرة فكذلك جاز أن تكون حالا المعرفة ، كقولك خرج بثيابه : أى وثيابه عليه ، ومثله :

وَمُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنَانِ الْخَرُوفِ وَقَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمِرْوَدِ (١)

أى : ومروده فيه ، وفى هذه الباء بموضعيها كليهما ضمير ؛ لتعلقها فيهما جميعا بالمحذوف ؛ وقد جاء ذلك فى قول الله تعالى : (فخرج على قومه فى زينته) أى : متزينا ، ومعناه وزينته عليه ، ومثله بيت الهذلى : (٢)

يَعْثُرْنَ فِي حَدِّ الظُّبَاتِ كَأَنَّمَا كُسِيَتْ بُرُودَ بَنِي تَزِيدَ الْأَذْرُعُ

أى : يعثرن وهن فى الظبات : أى كائنات فى الظبات ، ويجوز فى الباء من قوله « بضربة » أن تكون زائدة ، فيصير تقديره ضربة ، فتكون ضربة إذاً بدلا من قوله « عضبا » وكان قياسه على هذا أن يكون ضربة به ، كقولك : رأيت رجلا سيفا معه ، إلا أنه حذفه للعلم بمكانه ، قال أبو محمد الأعرابى فى قوله و « فارس فى غمار الموت » : لا أعرف هذا البيت فى شعر بلعاء ، وأظنه مصنوعا والذى أعرفه له :

فَإِنْ تَكُنْ عَبْرَتِي ظَلَّتْ أُكَفْكِفُهَا فَرُبَّ قِرْنٍ أَمَلْتُ الرَّأْسَ وَالْعُنُقَا

بضربة لم تكن منى مخالسة البيت

وسائر الناس على غير هذا الذى ذهب إليه فى رده على النمرى

(١) الربيعة : بيضة الحديد ، والربيعة : الحجر يُرْتَبَع : أى يشال ، وأما مقروم فيقال : قَرَمْتُ الشىء بأسنانى فهو مقروم : أى مقطوع ، وقرمت البعير أيضاً ،

---

(١) أراد بالمرود الوتد ، ومثل البيت الذى ذكره المؤلف قول الآخر :

دَاوَيْتُهُ بِالْمَحْضِ حَتَّى شَتَا يَجْتَذِبُ الْأَرِيَّ بِالْمِرْوَدِ

(٢) البيت فى اللسان (زيد) منسوبا إلى أبى ذؤيب الهذلى

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا　　بِسَلِيمِ أَوْظِفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ[1]

وهو أن تقشط جلدة خطمه فتفتل ويجعل هناك الجرير ليذل؛ وتلك الجلدة هي القرمة، والبعير مقروم، وقد يكون المقروم المأكول، من قولهم: قرمت البهمة في أول ما تأكل؛ وأما ضَبَّة فواحدة ضَبَّات الحديد ونحوه، والضبة الأنثى من الضِّبَاب، أو الضبة أيضاً المرة الواحدة من ضَبَّت لثته تَضِبُّ إذا سالت، قال الشاعر:

تَضِبُّ لِثَاتُ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهَا　　وَتَسْمَعُ مِنْ تَحْتِ الْعَجَاجِ لَهَا أَزْمَلَا[1]

(١) من الضرب الأول من الكامل، والقافية من المتدارك

أراد بالخيل الفرسان، لا الأفراس، ألا ترى أنه قال: يوم طرادها، والطراد من الفرسان: حَمْلُ بعضهم على بعض. وعلى هذا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «يا خيل الله اركبي» وَاطِّرَادُ الماء والسراب والكلام: اتساقها على حد الاستقامة والمراد، وجَدْوَلٌ مُطَّرِد وبلد طَرَّاد: أي واسع يَطَّرِدُ فيه السراب، ولشهدت موضعان: الحضور، من قول الله عز وجل: (وَلْيَشْهَدْ عذابهما طائفة من المؤمنين) ويتعدى هذا إلى مفعول واحد، والآخر العلم والتبيين، على ذلك قوله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو) وهذا يتعدى إلى مفعولين، وقد يُقْسَم به كما يقسم بالعلم، فيقال: يشهد الله، كما يقال: يعلم الله، وأما شهادة الشاهد فلابد من القول فيها، والهيكل: أصله في البناء العظيم[2]، ثم وصف به الفرس،

---

(١) ضبت شفته ضبا وضبوبا: سال منها الدم، أو تحلب ريقها، وقال الشاعر:

أَبَيْنَا أَبَيْنَا أَنْ تَضِبَّ لِثَاتُكُمْ　　عَلَى خُرَّدٍ مِثْلِ الظِّبَاءِ وَجَامِلِ

والبيت الذى أنشده المؤلف رواه في اللسان (زمل) عن الأخفش، وقال بعد إنشاده: يريد أزمل فحذف الهمزة، كما قالوا: ويلمه، والأزمل: كل صوت مختلط

(٢) كذا في الأصول، ولعل «في» زائدة والأصل «أصله البناء العظيم»

فدَعَوْا نزَالِ فكُنْتُ أَوَّلَ نازِلٍ   وَعلامَ أَرْكَبُهُ إذَا لَمْ أَنْزِلِ (١)

يقول: حضرتهم يوم تطاردهم بالرماح وأنا على فرس ضخم سليم الأوْظِفَة من العيوب ؛ والأوظفة: جمع وظيف ، وهو ما فوق الحافر من الفرس ، ولكل ذى أربع ثلاثة مفاصل فى رجليه : الفخذ ، والساق ، والوظيف ، ثم الحافر أو الخف أو الظلف ، وفى يديه ثلاثة مفاصل : العضد ، والذراع ، والوظيف ، ثم الحافر أو الخف أو الظلف

(١) أى: صاحوا نزَالِ ، ومنه قيل لتطريب النائحة فى نياحتها التدعى ، ويجوز أن يكونوا جعلوا نزالِ على التوسع هى المدعوة ، وإن كانت دعى إليها ، ويشهد لهذا الوجه قوله :

* دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الذُّعْرِ (١) *

وفى القرآن (دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) وَنَزَالِ : اسم لانْزِلْ ، مبنى على الكسر معرفة مؤنث معدول ، و «ما» من «علام» حذفت ألفه لأنه فى الاستفهام إذا اتصل بحرف الجر يخفف بالحذف ، على ذلك : بِمَ ، ولِمَ ، وَفِيم ، وَعَمَّ ، ومِمَّ ، إلا إذا اتصل بذا فتقول : بماذا ، ولماذا ، لأنه حينئذ يصير ماذا كالشىء الواحد فلا تغيرها ، يقول : تَنَادَوْا وقالوا نزالِ ، فكنت أوّل النازلين ، ثم قال مظهرا لترك التحمد بذلك وأنه فيما فعله كمن أدى

على أن بقاء فى لا يمنع من هذا المقصود وذلك بأن ترفع « العظيم » على أنه خبر قوله « أصله » ويكون قوله « فى البناء » متعلقا بمحذوف حال فافهم ذلك .

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبى سلمى ، وصدره :

* ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا *

وَأَلَدَّ ذِى حَنَقٍ عَلَىَّ كَأَنَّمَا تَغْلِى عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِى مِرْجَلِ (١)
أَرْجَيْتُهُ عَنِّىَ فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاظِرِ مِنْ عَلِ (٢)

واجبا عليه : وعلام أركبه ؟ أى لأى شىء أركب فرسى إذا لم أنزل إذا دُعيتُ للنزال

(١) الألد : الشديد الخصومة ، كأنه لدّ بالخصومة : أى أوجر فلُدّ به ، وكان لذلك اللدد مصدر ألد . ويقال : معناه أنْكد . وقال أبو العلاء : خصم ألدّ : أى شديد الخصومة ، كأنه يميل عما يريد صاحبه . أخذ من اللديد . وهو صفحة العنق وجانب الوادى . والحَنَق : شدة الغيظ . أحنقته فهو محنوق . والحنق يجوز أن يكون من اللزوق ، كأن الحقد لصق بصدره ، ومنه يقال : أحنقت الدابة ، إذا أضمرتها ، يقول : رب خصم شديد الخصومة ذى غيظ وغضب علىّ تغلى عداوته فى صدره غليان المِرْجَل بما فيه إذا كان على النار أنا دَفَعْتُهُ عن نفسى ، وقد أخرج التشبيه ما لا يدرك من العداوة بالحس إلى ما يدركه من غليان القدر حتى تجلّى فصار كالمشاهد ، وجواب رُبَّ هو صدر البيت الذى يليه

(٢) ويروى أرجيته وأرجأته ، والهمز أفصح ، ويروى أوجيته عنى وأزجيته وكلها تتقارب فى المعنى ، يقول : رب خصم هكذا أنا أرجيته عن نفسى وصرفته وقد أبصر رشده ، والقصد : ما لا سرف فيه ، وكويته فوق النواظر ، يقول : كويته من عَلِ فوقَ النواظر : أى من أعلاه فوق نواظره ، ففيه التقديم والتأخير ، ولو سكتَّ عَلَى «من عَلِ» لجاز أن يكون فوق النواظر ودون النواظر ، لكنه بين أن قصده إلى الجبين بتيسمه ، والنواظر : عروق فى الرأس ، ويجوز أن تكون سميت بالنواظر لأنها تتصل بالعينين ، ومنه قول الراعى :

وبِيضٍ خِفَافٍ قَدْ عَلَتْهُنَّ كَبْرَةٌ ... يُدَاوَى بِهَا الصَّادُ الَّذِى فِى النَّوَاظِرِ (١)

يعنى بالصاد الداء الذى يسمى الصَّيَد ، وإنما أراد الكبر ، وعلى ذلك فسروا قول جرير :

وأَشْفِى من تَخَلُّجِ كُلِّ جِنٍّ ... وَأَكْوِى النَّاظِرَيْنِ مِنَ الْخُنَانِ (٢)

أراد بالناظرَيْن العرقين ، وانتصاب «فوق» يجوز أن يكون على البدل من الضمير فى « كويته » وأن يجعله ظرفا ، يريد كويته فى هذا المكان مما علا منه وإنما لم يبن «مِنْ عَلٍ» لأنه جعله نكرة كما تقول : أتيته قبلا : أى أولا ؛ وأنت لا تقصد إلى أنه مضاف إلى معرفة مخصوصة فاعله ، ومثله :

* كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (٣) *

فالكسرة فى الموضعين كسرة إعراب ، وإن شئت جعلته معتل الآخر منقوصا كَشَجٍ وقَاضٍ ، وجعلته فى النية مضافا ، فيكون معرفة وتنوى ضمة البناء فى موضع لامه ، كما تنويها فى الياء من قاض وغاز إذا ناديت بهما واحدا بعينه ، قال أبو الفتح : أكثر من ترى يروى هذا البيت « أَرْجَيْتُه » بالراء ، فاذا تعالى شيئا رواه «أرجأته» بالهمز ، وكلاهما تصحيف ؛ وإنما هو « أوجيته » بالواو : أى

---

(١) البيت قد رواه فى اللسان (س ن ن) وروى صدره :

* وَبِيضٍ كَسَتْهُنَّ الْأَسِنَّةُ هَفْوَةً *

(٢) وقع فى الأصول :-

* وَأَكْوِى النَّاظِرَيْنِ مِنَ الجنان *

بالجيم ، وهو تحريف ، وصوابه بالخاء المعجمة كما فى اللسان (خ ن ن) كما فى ديوان جرير فى قصيدة يهجو بها زهرة القنانى (ص ٥٦٦)

(٣) هذا عجز بيت لامرىء القيس بن حجر فى وصف فرس ، وصدره :

* مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً *

١٠ — وقال سَعْدُ بن ناشب (١)

أذلته وقهرته ، وكذلك روينا ، وكذلك وجدته أيضا فى القبيلة ، وهو أفعلته من الوَجَى ، وهو رُزُوح الفرس لألم قوائمه ، ويؤكد ذلك قوله من بعد «وكويته» وليس أخَّرته من كويته فى قرب أذللته من كويته ولا قريبا من ذلك ، وقوله «من على» يجب أن يكتب بالياء وليست الكسرة فى اللام كسرة إعراب . ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة ، ألا ترى معناه فوق نواظره أى النواظر منه : فهو إذا معرفة يريد به شيئا مخصوصا ، فهو إذا كبيت أوس :

فَمَلَّكَ بِاللِّيطِ الَّذِى تَحْتَ قِشْرِهَا كَغِرْقِىءِ بَيْضٍ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُ (١)

أى : من أعلاه ، وإنما تعرب «عل» إذا كانت نكرة ، كقولهم فى النكرة : من فوقٍ ، ومن عالٍ ، ومن قَبْلٍ ، ومن بعدٍ ، إذا لم ترد أمراً معلوما فقوله إذ :

* وكويته فوق النواظر من على *

عالٍ كشجٍ وعَمٍ ، ووزنه فَعِلٌ ، والياء فيه لام الفعل ، والكسرة فى اللام قبلها ككسرة الضاد من قاضٍ ، فاعرف ذلك

(١) من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وكان أصاب دَمًا فهدم بِلالٌ داره . قال أبو العلاء : سُمِّىَ الرجل ناشبا إما من قولهم : نَشِبَ فى الشىء ، إذا عاق به ، إما أن يكون خَرَجَ على معنى تامرٍ ولابن : أى ذى تمر ولبن ، فيراد أنه ذو نَشَبٍ : أى ذو مال ثابت ، أو أنه ذو نُشَّاب

(١) البيت فى اللسان (ل ى ط) وهو من كلمة لأوس بن حجر يصف فيها قوسا وقواسا ، ومعنى ملك شدد : أى ترك شيئا من القشر على قلب القوس ليتمالك به ، وموضع « الذى » نصب بملك ، ولا يكون جرا صفة لليط ، والليط هو قشر القصبة والقوس والقناة وكل شىء له متانة ، وقد وقع فى الأصول « كنه القيض » ولا معنى له ، والتصويب عن اللسان

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَيَّ قَضَاءُ اللهِ مَا كَانَ جَالِبًا (١)

وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِيَ مِنْ بَاقِي الْمَذَمَّةِ حَاجِبًا (٢)

---

(١) هذه من الضرب الثانى من الطويل ، والقافية من المتدارك

وأصل القضاء الحَتْم ، ثم يتوسع فيه فيقال : قُضِيَ قضاؤك : أى فرغ من أمرك . فاستعمال فى معنى الفراغ من الشيء ، ويروى « قضاءُ الله » و « قضاءَ الله » بالرفع والنصب . فإذا رفعت فانه يكون فاعلا لجالبا علىّ ، و « ما كان جالبا » فى موضع مفعول ، ويكون القضاء بمعنى الْحُكْمِ . والتقدير سأغسل العارَ عن نفسى باستعمال السيف فى الأعداء فى حال جلب حكم الله علىّ الشيء الذى يجلبه ، وإذا نصبت القضاء فانه يكون مفعولا لجالبا وفاعله «ما كان جالبا» ويكون القضاء الموتَ المحتوم ، كما يقال للمصيد الصَّيْد والمخلوق الخَلْق ، والمعنى جالبا على الموت جالبه . وقيل : إن « كان » فى قوله « ما كان جالباً » فى معنى صار . ومثله :

بِتَيْهَاءَ قَفْرٍ وَالْمَطِيُّ كَأَنَّهَا قَطَا الْحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاخًا بُيُوضُهَا (١)

والغُسل من الجنابة والنفاس وللجمعة وغسل الميت كله بالضم ، وهو اسم ، وما عدا ذلك فهو الغَسْل بفتح الغين . والغسل ههنا مثل ، ومعناه سأزيل عنى العار كما يزيل الغسل الوسخ عن الثوب ، فاذا أزلت عنى العار لم أُبَالِ بعد ذلك بما يقع بى من مكروه

(٢) الذهول : ترك الشيء مُتَنَاسِياً له . ومنه اشتقاق ذُهْل ، وانتصب

---

(١) هذا بيت لابن أحمر ، وقد أنشده فى اللسان (ك ا ن) وقبله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً صَحِيحَ السُّرَى وَالْعِيسُ تَجْرِي غُرُوضُهَا

والبيت الذى أنشده المؤلف من شواهد النحاة ، وانظره فى شرح الأشمونى (٢ : ٧٣) وقد أنشده ابن يعيش فى شرح المفصل ونسبه لابن كنزة .

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْثَنَتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا(١)

«حاجبا» على أنه مفعول ثان لأجعلُ لأنه بمعنى أصير ، والتقدير أجعل هدمها حاجبا لعرضى ، ولجعل مواضع غير هذا : تكون بمعنى خلقت ، فيتعدى إلى مفعول واحد ، كقوله تعالى : (وجَعَلَ الظلمات والنورَ) وتكون بمعنى سَمَّيْتُ فيتعدى إلى مفعولين ، كقوله تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) وتكون بمعنى ظننت ، تقول : جعلته عبداً فشتمته : أى ظننته . وتكون بمعنى طَفِقَ فلا تتعدى ، تقول : جعل يكلمه : أى أقبل : يقول : إذا نبا المنزلُ بى حتى يصير دارَ الهوان انتقلتُ عنه وجعلت خَرَابه وقايةً لنفسى من العار الباقى ، وهذا قريب من قوله : —

* وَإِذَا نَبَابِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ *(١)

وهو ضد المعنى الذى يقصدونه بالثبات فيه والصبر عليه من الإقامة فى دار الحفاظ : لأن الانتقال ثَمَّ هو الجالب للعار ، كما أن الإقامة هنا هو الجالب للعار ، والمذمة بالفتح من الذَّم وبالكسر من الذِّمام

(٤) أراد بقوله « يصغر » صِغَرَ القدر ، وخص التلاد — وهو المال القديم — لأن النفس به أضَنُّ ، ونبه بهذا الكلام على أنه كما يخف على قلبه ترك الدار والوطن خوفا من التزام العار كذلك يقل فى عينه إنفاق المال عند إدراك المطلوب ، وجواب «إذا» مقدم عليه ، وهو قوله « ويصغر فى عينى » وقوله «كنت طالبا» أى : كنت طالبه ، فحذف العائد إلى الذى

---

(١) هذا عجز بيت ينسب إلى عنترة بن شداد العبسى (الديوان : ١٧٦) وصدره

* اِحْذَرْ مَحَلَّ السُّوءِ لَا تَحْلُلْ بِهِ *

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِى فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِى الْعَوَاقِبَا (١)

أَخِى غَمَرَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِى يَهُمُّ بِهِ مِنْ مُفْظِعِ الْأَمْرِ صَاحِبَا (٢)

---

(١) الهدم : القلع والتخريب ، وسمى المهدوم هَدَماً ، وتوسعوا فيه فقالوا للثّوب الخلق هِدْمٌ ، وعجوز مُتَهَدِّمة : هَرِمة ، وتهدم عليه من الغضب ، كما يقال : تَهَجَّمَ ، وَالْغَدْر : ترك الوفاء ، ومنه غادر والغدير ، ومعناه أنه يرى أعداءه قلةً فكره (١) فيما يجرى عليه من جهتهم ، يقول : إنْ تخربوا دارى بالغدر منكم فإنها تراث كريم هكذا ، ويعنى نفسه ، وسمى ملكه ميراثا وهو حى والمعنى أنه سَيُورَث ؛ وهذا تسمية الشيء بما يؤول إليه ، وَتُرَاث : أصله وُرَاث ؛ قلبت الواو تاء ، وقوله « كريم » أراد بالكرم التنزه عن الأقذار ، وقوله « لا يبالى العواقبا » يقال : ما باليته بَالَةً وَبالِيَةً ومُبَالاة وَبِلَاءً ، وما باليت به ، كأنه أخذ من البلاء ، واستعمل فى المفاخرة وتعداد الخصال الحسنة ، ثم كثر استعماله حتى صار يقال فى الاستهانة بالشيء ، ويشهد لصحة ذلك قول الآخر :

مَا لِى أَرَاكَ قَائِماً تُبَالِى وَأَنْتَ قَدْ مُتَّ مِنَ الْهُزَالِ (٢)

أى : تفاخر

(٢) ويروى « أخى عَزَمات » فالغمرات : الشدائد ، ويقال : ماله عَزْمة ولا عَزِيمة : أى تَثَبُّت وَصَبر فيما يعزم عليه ، وحقيقة العزم تَوْطين النفس وعَقْد القلب على ما يرى فعله ، ولذلك لم يجز على الله تعالى ، والاعتزام : لزوم القصد وترك

---

(١) كذا فى الأصول عامة ، والعبارة قلقة نابية ، ولعلها « فكره ما يجرى الخ »

(٢) البيت فى اللسان (ب ل ى) غير منسوب ، وروايته عن ابن الاعرابى وقال : قال : سمعه وهو يقول : أكلنا وشربنا وفعلنا ، يعدد المكارم وهو فى ذلك كاذب ، وقال فى موضع آخر : معناه تبالى تنظر أيهم أحسن بالا ، وأنت هالك . ووقع فى اللسان « وأنت قد قمت . . » وأغلب الظن أنه محرف عما هنا

إذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبَا[١]
فَيَا لَرِزَامٍ رَشِّحُوا بِي مُقَدِّماً إلَى الْمَوْتِ خَوَّاضاً إِلَيْهِ الْكَتَائِبَا[٢]

الانثناء ، ويروى «من مَقْطَع الأمر» أراد فَصْله والخروج منه ، و«مُفْظِع الأمر» وهو من فَظُع الأمر وأفظَعَ فَظَاعةً وإفظاعا وهو فظيع ومُفْظِع ، أو من أفظعنى الأمرُ ففَظِعْتُ به : أى أعيانى فضِقْتُ به ذَرْعًا ، وقوله «صاحبا» صفة فى الأصل استعملت استعمال الأسماء فلم يجر مجرى أسماء الفاعلين و يجرى مجرى قولهم وَالد ، والمعنى أنه يصف نفسه بأنه صاحب هم وأخو عَزَمات مستبد برأيه فيها غير متخذ رفيقا

(١) يقال : هَمَّ بالشىء يهم به ، وقد أهمه الأمر ، والْهَمُّ : ما تُجِيلُ لفعله و إيقاعه فِكْرَك ، وأصل الرَّدْع الكف ، يقال : رَدَعْتُه فارتدع ، والرَّدْعُ : ضرب الحداد رؤسَ المسامير ، ويقال : ردع عنقه ، إذا وجأه ، يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأى الأول إذا أراد الأمر اعتزم ولم يتردد فيه كما قال الشاعر :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أنْ تَتَرَدَّدَا

ومثله هنا :

جَسُورٌ ، لَا يُرَدِّعُ عِنْدَهَمٍّ وَلَا يَثْنِى عَزِيمَتَهُ اتِّقَاءُ

وَالْهَيْبَة : تكون من الذعر ومن الإجلال جميعا ، ويقال للجبان : هَيُوب ، وَهَيُوبة ، الهاء فيها للمبالغة ، وللمحتشم مهيب ، وفى الحديث « الإيمان هيوب » ويقال : تَهَيَّبْتُ الشىء ، وتهيبنى ، بمعنى ، لما كان لا يلتبس ، ومثله من المقلوب كثير

(٢) الفاء فى قوله «فيالَرِزَامٍ» النية بها استئناف ما بعدها وإن نَسَقَ بها جملةً على جملة ، واللام من «يالرزام» هى لام الاستغاثة ، ورِزَام ينجرُّ به ، وهم المدعوون ، وأصل حركة لام الاضافة إذا دخل على ظاهر الكسر ، ولهذا إذا عطف على هذه

إذا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا[1]
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا[2]

اللام بلام أخرى كُسِرَت الثانية ، تقول : يالَزَيْدٍ وَلِعَمْرٍو ، لكن هذه فتحت لكون ما بعده منادى ، ووقوع المنادى على هذا الحد موقع المضمرات ، فكما قيل : لَهُ ، ولَكَ ، قيل : يالَزَيْدٍ ، وقوله « رَشِّحُوا بِي مُقَدِّما » بكسر الدال ، بمعنى متقدما ، وهكذا يقال : وَجَّهَ وتوجه ، وَنَبَّهَ وتنبه ، وَنَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ ، وعلى هذا مُقَدِّمَة الجيش ، ومن فتح الدال فالمعنى على أنه يُقَدَّمُ ليقيهم ، وانتصاب « الكتائب » على أنه مفعول « خَوَّاض » ، ويروى « الكرائبا » وهى الشدائد ، جمع كريبة ، والأصل فى الكرب الغم الذى يأخذ بالنفس ، والترشيح أصله التنبيت والتربية ، ومنه « رَشَّحَت المرأة ولدها » إذا دَرَّجَته فى اللبن ، ثم قيل : رُشِّحَ فلانٌ لكذا ، توسعاً ، وتلخيصه رَشِّحُوا بترشيحكم إياى رَجُلاً جسورا متقدما يخوض إلى الموت الجيوشَ لجراءته ، فأقام الصفة مقام الموصوف ، ويروى « رَشِّحُوا بِيَ مُقْدِمًا » والكتائب : الجيوش المجتمعة

(١) قوله « ألقى بين عينيه عزمه » أى جعله برأي منه لا يَغْفُل ، وقد طابق فيه لما قبله بقوله : « ونكب عن ذكر العواقب جانبا » وانتصب « جانبا » على أنه ظرف ، ويجوز أن ينتصب « جانبا » على المفعول ، ويكون « نكب » بمعنى حَرَّفَ ، والمعنى : وانحرف عن ذكر العواقب ، وأصل النكوب الميل ، ومنه قيل المنكب : مَنْكِب ؛ لأنه فى جانب من البدن

(٢) نبه على الرأى بقوله « ولم يستشر » وعلى الفعل بقوله « ولم يرض إلا قائم السيف » وانتصب قائم على أنه استثناء مقدم ، ألا ترى أن الأصل ولم يرض صاحبا إلا قائم السيف ، ولو أتى على هذا لكان الوجه أن يكون بدلا ؛ فقدم

١١ — وقال تأبَّط شرًّا (١)

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جدَّ جِدُّهُ ... أضاعَ وقاسى أمرَهُ وهو مُدْبِرُ (٢)

المستشير كما ترى ، ويروى « ولم يستشر في أمره غيرَ نفسه » أي : لا يشاور أحدا ، وهذا خلاف ما يذهب إليه الناس ، وأحزم منه الذى يقول :

خليليَّ ليسَ الرَّأيُ في صدرِ واحدٍ ... أشيرا عليَّ اليومَ ما تريانِ

وقال أكثم بن صيفي : أول الحزم المشورة . وقالت الروم : نحن لا نملك من يستشير ، وقالت الفرس : نحن لا نملِّكُ من لا يستشير

(١) وهو ثابت بن جابر بن سُفْيَان . قيل : إنه سمي بذلك لأنه أخذ سيفا تحت إبطه وخرج ، فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لا أدرى تأبَّط شراً وخرج . وقيل أيضا : إنه أخذ سكِّيناً تحت إبطه وخرج إلى نادى قومه فوجأ بعضهم ، فقيل تأبط شرا ، وأما سُفْيَان فُمرتجل للعلمية . وفيه لغات سُفْيَان وَسَفْيَان وسِفْيَان فان أخذته من سَفَتِ الرِّيحُ تَسْفِي فهو فُعْلَان وفَعْلَان وفِعْلَان ، ويجوز أن يكون سِفْيَان فِعْيَالاً من السفن ، ولا يجوز ذلك في سُفْيَان ولا سَفْيَان ؛ لأنه ليس فى الكلام فُعْيَال ولا فَعْيَال ، والوجه أن تكون نونه زائدة : لأن ذلك أكثر ، ولأنه أيضا لم يسمع مصروفا ، ويقال : إنه كان له أربعة إخوة أحدهم اسمه ريشُ بَلْغُبٍ ، والآخر ريش نَسْرٍ ، والآخر كَعْبُ خَدَرَ ، والآخر لا بَوَاكِيَ له

(٢) هذه من الضرب الثانى من الطويل ، والقافية من المتدارك

يقول : إذا نزل به المكروه ولم يجد ناصراً فسبيله أن يحتال ؛ لأن العرب تقول : الحيلة أبلغ من الوسيلة ، وذهب بعضهم إلى أن الحيلة مأخوذة من قولهم : حَالَ الشيء : أى انقلب عن جهته ، كأنَّ صاحبها يريد أن يستنبط ما يحول عند غيره ، ولذلك يقال : فلان حُوَّلٌ قُلَّبٌ وقوله « جَدَّ جِدُّهُ » أى ازداد جده جدا ، ويكون مثل

وَلٰكِنْ أَخو الْحَزْمِ الَّذِى لَيْسَ نازِلاً ... بِهِ الْخَطْبُ إِلاَّ وَهْوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ(١)
فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حُوَّلٌ ... إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ(٢)

قوله « استدق نحولها (١) » لأن المعنى ازداد دقة هادقة ، ويجوز أن يكون المعنى صار غير الجد جداً فسماه بما آل إليه ، وهذا كما يقال : رِيعَ رَوْعُه ، وخرجت خوارجه ، وجُنَّ جُنُونه . وقوله « أضاع » يجوز أن يكون معناه وجد أمره ضائعا ، ويجوز أن يكون بمعنى ضَيَّعَ . وإذا أخذ الرجل فيما لا يعنيه قيل : فشت عليه الضيعة ، ويقارب قولهم : * اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِع *

وقوله « وَهْوَ مُدْبِر » يجوز أن يكون الضمير للامر ، والمعنى : قاسى أمره أى شقى وهو مُوَلٍّ فائت ، ويجوز أن يكون الضمير للمرء ، والمعنى : عالج أمره وكابده مُدْبِراً فيه غير مقبل ولا منصور ، وتلخيص معناه إذا المرء لم يطلب رشده فى إصلاح أمره فى الوقت الذى يجب أن يفعله آل به أمره إلى هذه الحال

(١) الحزم فى اللغة : الشدة والضبط ، ومنه الحزام والحزمة والحَيْزُوم والمَحْزِم ، والخطب : الأمر المخطوب ، يقال : خطبت الأمر فأخطب ، كما يقال : طابته فأطاب ، يقول : صاحب الحزم هو الذى يستعد للأمر قبل نزوله ، وهذا كما قيل : قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمْلأُ الْكَنَائِن

(٢) قوله « فذاك » إشارة إلى « أخى الحزم » وقريع الدهر : يحتمل وجهين ؛ يجوز أن يكون فى معنى مختار الدهر ، ويكون من « قَرَعْتُهُ » أى اخترته : بقرعتى ، ويقال : هو قَرِيعُهُمْ وقريعتهم وقِرِّيعُهُمْ ، ويجوز أن يكون من قَرَعَه الدهر بنوائبه حتى جَرَّب وتبصر ، ويكون قريع فى الوجهين فَعِيلاً فى معنى مفعول ، ولا يمتنع أن يكون المراد بقريع الدهر فحل الدهر ، ويكون فى هذا الوجه قريع فعيل

---

(١) هذه قطعة من بيت لأبى ذؤيب الهذلى ، وهو بتمامه :

وَكُنْتُمْ كَعَظْمِ الْعَاجِمَاتِ اكْتَنَفْنَهُ ... بِأَطْرَافِهَا حَتَّى اسْتَدَقَّ نُحُولُهَا

أَقُولُ لِلحْيَانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ   وِطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْجُحْرِ مُعْوِرُ (١)

فى معنى فاعل ، لأنه يترع الناقة ، وماتقدم أحسن ، وقوله « ما عاش » فى موضع الظرف ، والمعنى مُدَّةَ عيشه ، وقوله « إذا سُدَّ منه منخر » مثل للمكروب الْمُضَيَّق عليه ، وهذا كما استعمل فيه الخنق والخناق ، وأصل المنخر فى الأنف من النَّخير : ويسمى النخرة أيضا ، والجمع النخر ، والنخير : مَدُّ النفس ، ونخرتا الأنف خَرْقَاهُ ، وجاشت القدر : غلت ، وجاش البحر : اهتاج ، وأصل الْجَيْشِ الحركة والاضطراب فى الموضعين : أى لافتنانه فى الحيل لايؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى آخر ، ويقال : رجل حُوَّل وحَوِلٌ وحَوَالِيٌّ ، قال ابن أحمر (١) :

أَوْ يَنْسَأَنْ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ   أَنِّي حَوَالِيٌّ وأَنِّي حَذِرْ

(١) لِحْيَانْ : بطن من هُذَيْل ، وكان تأبط شرًّا راغمهم ووَتَرَهم ، وكانوا يطلبون غَفْلَته ، حتى اتفق منه الصعود إلى الجبل الذى وصفه ، ولم تكن له إلا طريق واحد ، فجاؤا وأخذوا عليه ذلك الطريق ، فقال : أقول لهم ، يعنى عند مخاطبته إياهم وهو على الجبل ، وقوله « وقد صَفِرَتْ لهم وطابى » يحتمل وجوها : يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبى من وُدِّهم ، كأنه يريد وِطاب ودى ، ويجوز أن يكون المعنى أشرفت نفسى على الهلاك بسببهم ، ويكون هذا من قوله :

* ولو أدْرَكْنَه صَفِرَ الْوِطَابُ (٢) *

ويجوز أن يكون أشار بالوِطَاب إلى الجسم : أى كاد تفارقه الروح . ويجوز أن تكون الإشارة إلى ظروف العسل التى صَبَّ العسل منها على الجانب الآخر

(١) البيت فى اللسان (ح و ل) وقال فى نسبته : « قال ابن أحمر ، ويقال : للمرار بن منقذ العدوى » اه

(٢) هذا عجز بيت لامرىء القيس بن حجر ، وصدره : ـ

* وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً *

هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسارٌ وَمِنَّةٌ ... وَإِمَّا دَمٌ والْقَتْلُ بِالْحُرِّ أَجْدَرُ(١)

و ركبه منزٓتا عليه حتى لحق بالسهل . ومُعْوِر : من أعور لك الشيء ، إذا بدت لك عَوْرَته ؛ وهى موضع المخافة . قال الله تعالى فى الحكاية عن المنافقين لما قعدوا عن نصرة النبى صلى الله عليه وسلم : (إن بيوتنا عورة) أى : واهية يجب سترها وتحصينها بالرجال ، وكل ماطلبته فأمكنك فقد أعْوَرَكَ وأعور لك ، والواو فى قوله « وقد صفرت لهم وطابى » واو الحال ، وكذلك فى « ويومى ضَيِّق الجحر » أى : أقول لهؤلاء فى هذه الحالة ، وقوله «ضيق الجحر » مثل ضرب به لضيق منفذه وتخوف ظفر الأعداء به ، والخائف مُضَيَّق عليه وإن كان فى فضاء ؛ قال الشاعر :

كأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَهْيَ عَرِيضَةٌ ... عَلَى الْخَائِفِ الْمَحْزُونِ كِفَّةُ حَابِلِ(١)

وذلك أن الحشرة إذا لجأت إلى جحر ضيق لامنفذ له وصل إليها الطالب ، ومعنى البيت : إنى أقول للحيان فى هذه الحالة

(١) الْخُطَّة : الخصلة ، وهى مأخوذة من الخط ، وهى تجرى مجرى القصة ، وحذف النون من خُطَّتَا إذا رفعت «إما إسار» استطالةً للاسم ، كأنه استطال خطتا بدله ، وهو قوله إما اسار ، كما استطال الآخر الموصول بصلته فقال(٢) :

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا ... قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الْأَغْلَالَا

فحذف النون من « اللذان » وقول الآخر :

لَنَا أَعْنُزٌ لُبْنٌ ثَلَاثٌ فَبَعْضُهَا ... لِأَوْلادِهَا ثِنْتَا وَمَا بَيْنَنَا عَنْزُ

ويجوز أن يكون الحذف على وجه الحكاية ، كأنه قال : هما خطتا قولكم إما

---

(١) البيت فى اللسان (كفف) ولم ينسبه إلى معين ، وفيه «على الخائف المطلوب»

(٢) ينسب هذا البيت للفرزدق ، وهو من شواهد النحاة على مثل ماذكره المؤلف وانظره فى أوضح المسالك (١ : ٣٣) ومثله قول الأخطل :

هُمَا اللَّتَا لَوْ وَلَدَتْ تَمِيمُ ... لَقِيلَ فَخْرٌ لَهُمْ صَمِيمُ

وَأُخرَى أُصَادِي النَّفْسَ عَنْهَا وَإِنَّهَا ... لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ [1]
فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا ... بِهِ جُؤْجُؤٌ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ [2]

كذا وإما كذا . فلما نوى ذلك حذف النون للاضافة ، وكأنهم كانوا يديرونه على الخصلتين فأخذ يتهكم عليهم ويحكي مقالهم . وإذا جررت « إما إسار » يكون الحذف للاضافة . والتقدير خطتا إسار ، والمعنى ليس لى إلا واحدة من خصلتين اثنتين على زعمكم : إما استئسار والتزام منتكم إن رأيتم العفو ، وإما قتل ، وهو بالحر أجدر مما يكسبه الذل ، فهاتان الخصلتان هما اللتان أشار إليهما بقوله « هما خطتا » وقد ثلثهما بخطة أخرى ذكرها فيما بعد . وهذا كله تهكم وهزء . وقوله « والقتل بالحر أجدر » يسمى اعتراضا لوقوعه بين ماعدَّدَهُ من الخصال ، وهو قوله هما إسار ومنة وإما دم ، وقوله فى البيت الذى يليه

(١) المصاداة : إدارة الرأى فى تدبير الشىء والاتيان به ، ومنه قولهم : إنه لصدى مال ، إذا كان حسن القيام به ، يقول : وههنا خصلة أخرى أدارى [1] نفسى فيها وإنها هى الموضع الذى يرده الحزم ويصدر عنه إن فعلت ، وإنما قسم الكلام هذه الأقسام لأنه رآهم يَبْنُونَ أمره عليها ، ولأنه نظر إلى جهتى الجبل فعلم أنه إن رضى الطريق الذي عليه بنو لحيان لنفسه طريقا كان فيها إحدى الحالتين من الأسر أو القتل بزعمهم ، وإن احتال للجهة الأخرى فالحزم فيها ، لأن خلاصه منها ، وكان أمرا ثالثا ، وقوله « وإنها لمورد حزم » اعتراض أيضا لوقوعه بين قوله « وأخرى أصادى النفس عنها » وبين قوله فى البيت الذى يليه

(٢) الْفَرْش : البسط ، ثم توسعوا فيه فقالوا : فرشته أمرى ، وافترش لسانه فتكلم كيف شاء ، وقوله « لها » الضمير للخطة التى عبر عنها بقوله « وأخرى » أى : فرشت من أجل هذه الخطة صدرى على الصَّفَا ، وهذا حين صَبَّ العسل فزلق به

---

(١) كذا ، ولعله « أداور نفسى »

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا ... بِهِ كَدْحَةً وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ(١)

عن الصفا ، وقوله « به جُؤجؤ » أى به صَدْرٌ ضخم ومَتْن دقيق ، والصدر والمتن صَدْره ومتنه ، ولكنه أخرجه مخرج قولهم : لقيت بزيد الأسد ، وزيد هو الأسد عندهم ، ووضع « فرشت » موضع ألقيت ووضعت ، ويقال : فرشت ساحتى بالآجرّ ، وأفرشت الشاة للذبح ، إذا أضجعتها ، وذكر بعضهم أنه يجوز أن يكون الضمير من « لها » للصفاة ، والكلمة مقلوبة ، والمعنى فرشتها لصدرى ، وفى هذا إضمار قبل الذكر والقلب ، وإذا كان كذلك فالأول هو الوجه

(١) الخلط : أصله تداخل أجزاء الشىء فى الشىء ، وقد توسع فيه حتى قيل : رجل خَلْط ، إذا اختلط بالناس كثيرا . يقول : أسهلت ولم يؤثر الصفا فى صدري أثرا ولا خدشا ، والموت كان قد طمع فى فلما رآنى وقد تخلصت بقى مستحييا ينظر ويتحير ، والواو فى قوله « والموت » واو الحال ، وهذا من فصيح الكلام ، ومن الاستعارات الحسنة ، وقد حمل قول الله عز وجل : (وأنتم حينئذ تنظرون) على أن يكون المعنى تتحيرون ، وقوله « ينظر » يجوز أن يكون فى موضع الحال ، وأن يكون خبرا بعد خبر ، ويكون معناه فى مقابلتى ، ويقال : بيوتهم تتناظر ، إذا تقابلت ، لأن النظر تقليب العين نحو المرئى وفى مقابلته ، لذلك صح أن يقال للأعمى(١) : نظر إلى ، ويجوز أن يكون معنى ينظر يعلم حسن حيلتى وغنائى فيما يدهمنى ، وفسر قوله تعالى : (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) أى يعلمون ذلك ويتيقنون ، وقوله « لم يكدح الصفا » الكدح بالأسنان والحجر دون الكَدْم ، والكَدْم : السحج ، وهو فوق الخدش ، والكدح أيضا الكَسْبُ ، وقوله تعالى (إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) أى كاسب كسبا فمجازًى به ، وقوله « خَزْيَان » يجوز أن يكون من الخِزْىِ الهوان ، ويجوز أن يكون من الخزاية الاستحياء

(١) لعل هذا القول أنسب بكون نظر بمعنى علم الذى سيذكره بعد

فَأُبْتُ إلى فَهْمٍ ولَمْ أَكُ آئِبًا وكَمْ مِثْلِهَا فارَقْتُها وهْيَ تَصْفِرُ (١)

---

(١) فَهْم : قبيلته ، يقول : رجعت إلى قبيلتي وكدت لا أؤوب ، لمشارفتي التلف ، ويجوز أن يريد ولم أك آيبا في تقديرهم . ويروى «ولم آل آيبا» أي : لم أدع جهدي في الإياب ، والأول أحسن ؛ واختار أبو الفتح «وما كدت آيبا» أي : وما كدت أؤوب ، فاستعمل الاسم الذي هو الأصل المرفوض الاستعمال موضع الفعل الذي هو فرع ، وذلك أن قولك : كدتُ أقوم ، أصله كدت قائماً ، ومنه :

أكْثَرْتَ فِي الْعَذْلِ مُلِحًّا دَائِمَا لاتُكْثِرَنْ إِنِّي عَسِيتُ صَائِمَا (١)

ومنه : عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا ، و« كم مثلها » أي : مثل هذه الخطة فارقتها بالخروج منها وهي مغلوبة تَصْفِر ، وأنا الغالب . وصفير الطائر معروف ، ومنه : ما في الدار صَافِرٌ ، أي : ذو صفير ، وإذا كان من صفير الطائر فيكون المعنى : كم مَرَّة فارقتها وأطَلْتُ الغيبة عنها : أي عن القبيلة فهي تَلْغَط في أمري وتكثر القول في شأني : فمنهم من يقول : إني قتلت ، ومنهم من يقول : إني ظَفِرْتُ فتعلو أصواتهم ويكثر كلامهم كالطير تجتمع وتصيح ، وقال النمري : أُبْتُ رجعت ، وفَهْمٌ قبيلة . والهاء راجعة إلى هذيل في قوله « وكم مثلها » وقوله : « وهي تصفر » معناه تتأسف على فوتي ، وقال أبو محمد الأعرابي : سألت أبا الندى عن قوله « وكم مثلها فارقتها وهي تصفر » فقال : معناه كم مثلها فارقتها وهي تتلهف كيف أفلتُّ . والرواية الصحيحة «وما كدت آيبا» قال : ورواية من روى « ولم أك آيبا » خطأ ، وفَهْم : ابن عمرو بن قيس بن عيلان ، وتكلم المرزوقي على اختيار أبي الفتح هذه الرواية رَادًّا عليه ولم يُنْصِفه

---

(١) هذا البيت من شواهد النحاة على مجيء خبر عسى اسماً مفردا ، وقد تكلم فيه قوم منهم ابن هشام ، ونقل الطعن فيه والقول بعدم الاحتجاج به لجهل قائله ، وقد تكلمنا عليه كلاماً مستفيضاً في حواشينا على شرح الأشموني (٢ :)

١٢ — وقال أبو كَبيرٍ الهُذَلىُّ (١)

وخبر هذه الأبيات أن تأبّطَ شَرًّا كان يَشْتَارُ عسلا فى غارٍ من بلاد هذيل ، وكان يأتيه كُلَّ عام ، وأن هذيلا ذكر لها ذلك فرصدته لإِبَّانِ ذلك ، حتى إذا جاء هو وأصحابه تَدَلَّى يدخل الغار فأغارت هذيل على أصحابه وأنفروهم ، ووقفوا على الغار فحركوا الحبل ، فاطلع رأسه ، فقالوا : اصعد ، فقال : علام أصعد ؟ أعلى الطلاقة والفداء ؟ فقالوا : لاشَرْطَ لك ، قال : أفتراكم آخذىّ وقاتلىّ وآكلى جَنَاى ؟ لا والله لاأفعل ، ثم جعل يُسيل العسل على فم الغار ، ثم عمد إلى زقٍّ فشَدَّهُ على صدره ، ثم لصق بالعسل ولم يزل يزلق حتى جاء سليما إلى أسفل الجبل ، فنهض ، وفاتهم ، وبين موضعه الذى وقع فيه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام ؛ وفى خبر آخر أنه كان يشتار عسلا من جَبَل ليس له غير طريق فأخذ عليه لحيَانُ ذلك الموضع ، وخَيَّرُوه النزول على حكمهم أو إلقاء نفسه من الموضع الذى ظنوا أنه لايسلم منه ، فصَبَّ العسل الذى كان معه على الصَّفَا وألقى نفسه فسلم ، وجعل يكلمهم ، وكان بينهم وبين الموضع الذى استقر به على الطريق مسيرة ثلاثة أيام ؛ فلذلك قال : « فرشت لها صدرى » وقيل فيه غير ذلك ، والأخبار تختلف

(١) واسمه عامر بن حُلَيْسٍ ، وقيل : عُوَيْمِر بن حُلَيْس ، أحد بنى سعد ابن هُذَيْل

الهذل : الاضطراب . ويقال : مَرَّ يُهَوْذِل بِبَوْله ، إذا هزه وحركه . وأنشد :

إِذْ لَا يَزَالُ قَائِلٌ أَبِنْ أَبِنْ ... هَوْذَلَةَ الْمِشْآةِ عَنْ ضِرْسِ اللَّبِنْ (١)

(١) البيت فى اللسان (هـ ذ ل) ونسبه لابن هرمة ، وروى أوله « إما يزال قائل أبن أبن »

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلامِ بِمِغْشَمٍ جَلْدٍ مِنَ الْفِتْيَانِ غَيْرِ مُثَقَّلِ (١)

ومنه هذيل أبو هذه القبيلة ، وهو مرتجل لامنقول . ويجوز أن يكون تحقير هُذْلول على الترخيم ، وهو ما ارتفع من الأرض ، قال :

* يَعْلُو الْهَذَالِيلَ وَيَعْلُو الْقَرْدَدَا (١) *

ويقال للطويل : هُذْلول ؛ لأن طوله يؤدي إلى الاضطراب ، يستعمل فى الناس وغيرهم . قال الأسدى :

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي تُعَالِجُ هُذْلُولاً مِنَ الرَّمْلِ أَسْوَدَا

وحُلَيْس : تصغير حِلْس . وهو الكساء الذى يلزم ظهر البعير . ومنه قولهم : فُلاَنٌ حِلْسُ بيته ، إذا لزمه فلم يَبْرَحْ منه

(١) الأوّل من الكامل ، والقافية من المتدارك

يقال : سَرَى وَأَسْرَى بمعنى واحد ، وقوله « على الظلام » أى : فى الظلام ؛ وموضعه نصب على الظرف ، ويجوز أن يكون « على الظلام » فى موضع الحال : أى وأنا على الظلام : أى راكب له ، وَالْمِغْشَم مِفْعَل من الغشم وهو الظلم ، فإن قيل : إذا كان السُّرَى لايكون إلا ليلا فلم قال « على الظلام » ؟ ولم جاء فى القرآن (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) ؟ قيل : المراد توسُّط الليل والدخول فى معظمه ، تقول : جاء فلان البارحة بِلَيْلٍ : أى فى معظم ظلمته ، وَالْجَلْد : الصلب القوى . ومنه الجلد من الأرض وقوله « غير مُثَقَّل » أى : كان حسن القبول محبَّباً إلى القلوب ، وإذا كان الرجُلُ عُدَّة للفعل قيل مِفْعَل نحو مِغْشَم وَمِحْرَب وَمِرْجَم ، وإذا كان قويا على الفعل قيل فَعُول مثل صَبُور وقَتُول وشَكُور ، فاذا فعل الفعل وَقْتاً بعد وقت قيل فَعَّال مثل صَبَّار وعَلاَّم ، فاذا كان الفعل عادة له قيل مِفْعَال مثل رجل مِغْوَار ومِعْطَاء ومِهْدَاء ،

---

(١) وروى ابن منظور هذا أيضا (هـ ذ ل) ولم ينسبه ولا زاد عما هنا

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ ... حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ (١)

وَمُبَرَّءٍ مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِلِ (٢)

وقال أبو رياش : المغشم الذى يغشم الأمورَ و يخلطها من غير تمييز ، وقيل : المغشم ههنا مَنْ إذا خفى عليه الطريق اعتسف

(١) الضمير فى «حملن» للنساء ، ولم يجر لهن ذكر . ولكن لما كان المراد مفهوما جاز إضمارها ، وقال «به» فرد الضمير على لفظ مَنْ ، ولو حمل على المعنى لقال «بهم» والرواية «حُبُكَ الثِّيَابِ» لأن النِّطَاقَ لا يكون له حُبُك ، والحبك : الطرائق . والواحد حبيك ، وَالْحُبْـكَة وَالحِبَاكُ الإزار أيضا ، يقال : احتبكت المرأة ، وقوله «عَوَاقِد حُبُكَ» حكاية الحال ، و إن كان ذلك فيما مضى ، مثله قوله عز وجل : (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) ويروى «مما حملن به» أى : هو من الحمل الذى حَمَلْن به ، ومعناه أنه من الفتيان الذين حملت أمهاتهم وهن غير مستعدات للفراش فنشأ محمودا مرضيا لم يدع عليه بالْهَبَل وَالثُّكل ، وحكى عن بعضهم إذا أردت أن تُنْجب المرأة فأَغْضِبْهَا عند الجماع ، وكذلك يقال فى ولد المذعورة إنه لا يطاق ، قال الشاعر :

تَسَنَّمْتُهَا غَضْبَى فَجَاءَ مُسَهَّدًا ... وَأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرِّجَالِ الْمُسَهَّدُ

وذكر بعضهم أن الْمُهَبَّل المعتوه الذى لا يتماسك ، فان صح ذلك فكأنه من الإسراع ، جَمَلٌ هبل : سريع

(١) غُبْرُ الحيض وَغُبَّرُه : بقاياه ، وكذلك غُبْرُ اللبن باقيه فى الضَّرع ، وقد يكون الْغُبَّر جمع غابر ، وَالْحِيضَةُ : الاسم ، والْحَيْضَة الفعلة ، ويروى «ومبرأ» بالنصب ، و«مبرىء» بالجر ، فالنصب عطف على «غَيْرَ مُهَبَّل» كأنه قال شب فى هاتين الحالتين ، و إذا جررته كان عطفا على قوله «جَلْدٍ من الفتيان» كأنه

حَمَلَتْ بهِ فى لَيْلَةٍ مَزْؤُودَة   كرْهاً وَعقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ (١)

قال جلد ومبرىء ، ولم يرض بلفظ التبرئة حتى أتى بلفظ السكل معه تأكيداً . كأنه نفى قليل ذلك وكثيره ، وأضاف الفساد إلى المرضعة لأنه أراد الفساد الذى يكون من قبلها ، وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة . والمُغْيِل : من الغَيْل ، وهو أن تغشى المرأة وهى ترضع ، فذلك اللبن الغيل . ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم « لَهَمَمْتُ أن أنهى عن الغيلة حتى ذكر لى أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرهم شيئاً » وسئل شيخ من العرب عنها . فقال : إنها تدرك الفارس فتصرعه عن فرسه ، ويروى « وداء مُعْضِل » وهو الذى لا دواء له ، كأنه أعضل الأطباء وأعياهم ، وأصل العضل المنع ، ومنه عَضَّلَتِ المرأة . إذا نشب ولدها فى بطنها فلم يخرج ، وَعَضَلْتُهَا وَعَضَّلْتُهَا : منعتها التزويج ظلما . ومعناه أنها حملت به وهى طاهر ليس بها بقية حيض ، ووضعته ولا داء به استصحبه من بطنها فلا يقبل علاجا ؛ لأن داء البطن لا يفارق ، ولم ترضعه أمه غَيْلاً ، وكانت العرب تقول : إذا حملت المرأة فى قبل الطهر أول الشهر عند طلوع الفجر ثم أذكرت جاءت بما لا يطاق ، وجمع الشاعر هذه المعانى فقال :

لَقِحَتْ فِى الْهِلَالِ عَنْ قُبُلِ الطُّهْـ   ـرِ وَقَدْ لَاحَ لِلصَّبَاحِ بَشِيرُ

(١) الزؤد : الذعر ، وقد زُئِدَ فهو مزؤود . والمعنى حملت الأم بهذا المُغْشَم فى ليلة مزؤودة ، لما كان الزؤد فى الليلة جعله لها ، والأكثر فى المجاز والاتساع أن ينسب الفعل إلى الوقت فيؤتى به على أنه فاعل ، كما قيل : نهاره صائم ، وليله قائم ، وحَسُنَ هذا لأن الظرف قد يقدر تقدير المفعول الصحيح بأن ينزع منه معنى فى ، كما قال « ويَوْمٌ شَهِدْنَاه » فعلى ذلك تقول : ليلة مَزْؤُودَة ، ويجوز أن يكون انجراره على الجوار ، وهو فى الحقيقة للمرأة ، كما قيل : هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ ،

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبَطَّنًا   سُهُدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ (١)

وهذا الميل بهم إلى الحمل إلى الأقرب، ولأمنهم الالتباس . ومزؤدةً بالنصب على الحال من المرأة ، ومزؤدة بالرفع صفة أقيمت مقام الموصوفة ، وينتصب كَرْهًا على أنه مصدر في موضع الحال ، والتقدير كارهة . و « عَقْدُ نطاقها لم يُحْلَلِ » ابتداء وخبر ، والواو للحال . وأظهر التضعيف في قوله « لم يحلل » وهو لغة تميم ، ووجه الكلام لم يحلّ . والنطاق : ماتنتطق به المرأة تشد وسطها للعمل . وذات النِّطَاقَيْن : أسماء بنت أبي بكر ، والْمِنْطَقَة أخذت من هذا . والمعنى أنها أكرهت ولم يحل نطاقها . ويحكى عنها في وصف ابنها أنها قالت فيه : إنه والله شيطان ، ما رأيته قط مستثقلا ، ولا ضحكا ، ولا هَمَّ بشيء مذ كان صبيا إلا فعله ، ولقد حملت به في ليلة ظلماء وإن نطاقي لمشدود ، وهذه صفة تأبط شراً

(١) حوش الفؤاد وحُوشيُّ الفؤاد : وَحْشِيُّهُ لحِدَّته وتوقده ، ورجل حُوشِيٌّ : لايخالط الناس ، وليل حُوشِيٌّ : مظلم هائل كما يقال : ليل سُخَامٌ وسُخَامِي للأسود ، وكذلك إبل حُوش وحُوشِيَّة : أي وحشية ، وقيل : الحوش بلاد الجن ، ومُبَطَّنٌ : خميص البطن ، وقوله « نام ليلُ الهَوْجَل » جعل الفعل لليل لوقوعه فيه : أي نام الْهَوْجَلُ في ليله ، والهوجل : الثقيل الكسلان ، وقيل الهوجل الأحمق لامسكة به ، وبه سميت الفلاة لاأعلام بها ولايهتدى فيها الهوجل : أي أتت الأم بهذا الولد ذكيا حديد الفؤاد يَسْهَرُ إذا نام الهوجل : أي الجافي الثقيل النوم ؛ والهوجل أيضا : الناقة الصلبة الشديدة ؛ قال الشاعر :

وَأَقْطَعُ الْهَوْجَلَ مُسْتَأْنِساً   بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسْ

والسُّهُد الكثير السهاد ، وقال بعضهم : سُهُدٌ مثل عمر ، وإنما يكون ذلك في الأسماء الأعلام ، وفُعُلٌ بالضم في النكرات كثير ، يقال : باب فُتُح ، وامرأة عُطُل ، وناقة سُرُح ، ولسان طُلُق

فَإِذَا نَبَذْتَ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ ... يَنْزُو لِوَقْعَتِهَا طُمُورَ الْأَخْيَلِ (١)
وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ ... كَرُتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّلِ (٢)
مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مَنْكِبٌ ... مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَيَّ الْمِحْمَلِ (٣)

---

(١) يقال : نبذت الشيء من يدى ، إذا طرحته ، وتوسعوا فيه فقيل : صبى منبوذ ، ونابذت فلانا ، إذا فارقته عن قِلًى ، والشاعر إنما يحكى ما رآه منه ، والمعنى إنك إذا رميته بحصاة وهو نائم وجدته ينتبه انتباه من سمع بوقعتها هَدَّةً عظيمة فيطمر طمور الأخيل ، وهو الشقراق ، ويروى « فَزِعًا لوقعتها طمور الأخيل » وانتصب طمورا بما دل عليه قوله « فزعا لوقعتها » كأنه قال : رأيته يطمر طموره لأن الخائف المتيقظ يفعل ذلك ، والطمور : الوثب ، ومنه قيل : فرس طِمِرٌّ : أى وثاب ، وقيل : إن الطِّمِرَّ فى صفة الفرس هو المشرف ، ومنه قيل للموضع العالى : طمار ، وابنا طمار : جبلان ، و« فزعا » انتصابه على الحال ، وجواب إذا قوله « رأيته » وقال بعضهم : الأخيل الشاهين ، ومنه قيل : تَخَيَّلَ الرجل ، إذا جبن عند القتال فلم يتثبت ، والتخيل : المضىّ والسرعة والتلوّن

(٢) أصل هَبَّ تحرك واضطرب ، ثم قيل : هَبَّ من نومه هَبًّا ، وهبت الريح هُبُوبًا ، وهبت الناقة فى سيرها هبابا ، وهب التيس هبيبا ، وأهْبَبْتَ السيف : هززته ، ويقال : رَتَبَ رتوبا ، إذا قام وانتصب ، والراتب : القائم ، والزُّمَّل والزُّمَّال والزُّمَّيْل كله الضعيف ، سمى بذلك لتزمله فى ثوبه وقعوده عن الحرب وغيرها ، يقول : إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب كعب الساق ، وكعب الساق منتصب أبدا فى موضعه ، وتحقيق الكلام وإذا يهب من المنام رأيت رتوبه كرتوب كعب الساق ، لكنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه

(٣) « إنْ » زيد لتوكيد النفى ، ويبطل عمل « ما » بانضمامه إليه فى لغة من يُعمله ، وانتصب « طَيَّ » على المصدر مما دل عليه ما قبله ؛ لأنه لما قال يَمَسُّ

وَإذَا رَمَيْتَ بِهِ الفِجاجَ رَأَيْتَهُ ... يَهْوِي مَخارِمَها هُوِيَّ الأَجْدَلِ (١)

وَإذَا نَظَرْتَ إلَى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... بَرَقَتْ كَبَرْقِ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ (٢)

الأرضَ منه إذا نام جانبُهُ وحرفُ الساق علم أنه مطويٌّ غير سمين ، والمعنى إنه إذا نام لا ينبسط على الأرض ولا يتمكن منها بأعضائه كلها حتى لا يكاد يتشمر عند الانتباه بسرعة ، وَالمِحْمَل : حمالة السيف

(١) الفَجّ : الطريق الواسع فى قبل جبل ونحوه ، والجمع فِجَاجٌ ، وَالهُوِيّ - بضم الهاء - هو القصد إلى أعلى ، و بفتح الهاء إلى أسفل ، وعلى ذلك قول زهير

* هَوِيَّ الدَّلْوِ أسلمها الرشاء *

ولا تختر على الضم فى رواية البيت و إن كان قد قيل غير ذلك ، والمخارم : جمع مخرم ، وهو منقطع أنف الجبل . والخرم : أنف الجبل ، وجمعه خروم ، ومن فصيح كلامهم : هذه يمين طاحت فى المخارم ، وهى التى تجعل لصاحبها منها مخرجا ، والأجدل : الصقر ، وهو من جدل الخلق ، وقوله « يهوى مخارمها » يريد فى مخارمها

(٢) الخطوط التى فى الجبهة الأغلب عليها سرار ، ويجمع على الأسِرَّة ، والتى فى الكف الأغلب عليها سرر وسر ، وتجمع على الأسرار ، كما قال :

* أُنظُرْ إلَى كَفٍّ وَأَسْرَارِهَا *

وقد قيل : الأسِرَّةُ الطرائق ، والعارض من السحاب : مايعرض فى جانب من السماء ، وعلى ذلك العارض فى الأسنان ، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها ، ويقال : تَهَلَّلَ الرجل مَرَحًا واهتل ، إذا افْتَرَّ عن أسنانه فى التبسم ، يقول : إذا نظرت فى وجهه رأيت أسارير وجهه تشرق إشراق السحاب المتشقق بالبرق ، يصفه بحسن البشر وطلاقة الوجه

صَعْبُ الْكَرِيهَةِ لاَ يُرَامُ جَنَابُهُ ... مَاضِي الْعَزِيمَةِ كَالْحُسَامِ الْمِقْصَلِ
يَحْمِي الصِّحَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةٌ ... وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا فَمَأْوَى الْعُيَّلِ (١)

(١) الْعُيَّل : جمع عائل ، وهو الفقير ههنا

* خبر هذه الأبيات * كان سبب قول أبي كبير هذه الأبيات أنه تزوج أمّ تأبط شرًّا ، وكان غلاما صغيراً ، فلما رآه يكثر الدخول على أمه تنكر له ، وعرف ذلك أبو كبير في وجهه إلى أن ترعرع الغلام ، فقال أبو كبير لأمه : وَيحكِ !! قد والله رَابَنِي أمْرُ هذا الغلام ، ولا آمنه ، فلا أقربك ، قالت : فاحْتَلْ عليه حتى تقتله ، فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذاك من أمري ، قال : فامض بنا ، فخرجا غازيين ولا زاد معهما ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد ، حتى ظن أبو كبير أن الغلام قد جاع ، فلما أمسى قصد به أبو كبير قوما كانوا له أعداء ، فلما رأى نارهم من بعد قال له أبو كبير : ويحك !! قد جعْنَا ، فلو ذهبت إلى تلك النار فالتمست لنا منها شيئا ، قال : ويحك !! وأي وقت جوع هذا ؟ قال : أنا قد جعت فاطلب لي ، فمضى تأبط شرا فوجد على النار رجلين من ألص من يكون من العرب ، وإنما أرسله إليهما أبو كبير على معرفة ، فلما رأياه قد غشي نارهما وثبا عليه ، وَكَرَّ ساعياً ، واتبعاه فلما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله ، ورجع إلى الآخر فرماه فقتله ، ثم جاء إلى نارهما فأخذ الخبز منها فجاء به إلى أبي كبير ، فقال : كُلْ لا أشبع الله بطنك ، ولم يأكل هو ، فقال : ويحك !! أخبرني كيف كانت قصتك ؟ قال : وما سؤالك عن هذا ؟ كل وَدَعِ المسألة فدخلت أبا كبير منه خيفة ، وَأَهَمَّتْه نفسه ، ثم سأله بالصحبة إلا حدثه كيف عمل فأخبره فازداد له خوفا ، ثم مضيا في غزاتهما ، فأصابا إبلا ومتن به أبو كبير ثَلاثَ ليال يقول له كل ليلة : اختر أيَّ نصفي الليل شئت تحرس فيه وأنام ،

١٣ — وقال تأبط شرا

إِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي فَقَاصِدٌ به لِابْنِ عَمِّ الصِّدْقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكِ (١)

وتنام النصف الآخر وأحرس ؛ وقال : ذلك إليك اختر أيهما شئت ، فكان أبو كبير ينام إلى نصف الليل ويحرسه تأبط شرا ، فإذا نام تأبط شرا نام أبو كبير أيضا لا يحرس شيئا ، حتى استوفى الثلاث . فلما كان فى الليلة الرابعة ظن أن النعاس قد غلب الغلام ينام أول الليل إلى نصفه وحرسه تأبط شرا ، فلما نام الغلام قال أبو كبير : الآن يستثقل نوما وتمكنني فيه الفرصة ، فلما ظن أنه قد استثقل أخذ حَصَاةً فخذف بها ، فقام الغلام كأنه كعب ، فقال : ما هذه الوجبة ؟ قال : لا أدرى والله سمعتها فى عرض الإبل ، فقام وعَسَّ وطاف فلم ير شيئا ، فعاد فنام ، فلما ظنَّ أنه قد استثقل أخذ حُصَيَّة أصغر من تيك فخذف بها ، فقام كقيامه الأول ، فقال : ماهذا الذى أسمع ؟ قال : والله ما أدرى قد سمعت كما سمعت وما أدرى ماهو ، ولعل بعض الإبل تحرك ، فقام فطاف وعَسَّ فلم ير شيئا ، فعاد فنام ، فأخذ حُصَيَّة أصغر من تلك جدا ، فرمى بها ، فوثب كما وثب أولا ، فطاف وعس فلم ير شيئا ، فرجع إليه فقال : ياهذا ، إنى قد أنكرت أمرك ، والله لئن عدتُ أسمع شيئا من هذا لأقتلنك ، قال : فقال أبو كبير : فبتُّ والله أحرسه خوفا أن يتحرك شىء من الإبل فيقتلنى ، قال : فلما رجعا إلى حيهما قال أبو كبير : إن أم هذا لامرأة لا أقربها أبدا ، وقال الأبيات التى مضت

(١) هذا من الضرب الثانى من الطويل ، والقافية من المتدارك ، وهذا البيت مخروم ، والمخروم : ماسقط من وتده المجموع أول حرف منه

لا يقال فى الهدية إلا أَهْدَيْتُ . ويقال فى العروس هَدَيْتُهَا وَأَهْدَيْتُهَا جميعا ، والأصل واحد ، واللام فى قوله «لابن عم الصدق» يجوز أن تتعلق بمهد ، يقال : أهديت له كذا ، وعلى هذا تكون أعملت الفعل الأول ، وما أهداه يكون محذوفا

أَهُزُّ بِهِ فِى نَدْوَةِ الحَىِّ عِطْفَهُ ... كَمَا هَزَّ عِطْفِى بِالْهِجَانِ الأَوَارِكِ (٣)

لعلم السامع بأنه يريد شعره وتقريظه . وكان الأجود أن يقول : فقاصد إياه به ، ويجوز على قول من يزيد « مِنْ » فى الواجب أن يكون قوله ثنائى مفعولَ مُهْدٍ ، فيكون ما أهداه مذكورا . ويجوز أن تتعلق اللام بقوله «فقاصد» يقال : قصدته بكذا ، وقصدت له به ، وعلى هذا تكون قد أعملت الفعل الثانى ، وهو المختار عندنا ، ويقال : هذا ثوب صدق . وأخو صدق ، وضع الصدق موضع الفضل والصلاح ، والتسمية بالشمس كالتسمية بالبدر والهلال . ويقال : إنه شُمْس — بضم الشين — ويكون علما لهذا الرجل فقط كحجر فى أنه علم أبى أوس الشاعر وأبى سُلْمَى فى أنه علم أبى زهير الشاعر ، والأعلام لا مضايقة فيها

(١) عِطْفُ كل شىء : جانبه . ويقال : ثَنَى عطفه . إذا أعرض وجفا ، وكأن القوس والرداء سميا عطفين (١) لاشتمالها عند التوشح بهما على العطف ، وأصل العطف ماعطف ، كما أن الذبح ماذبح . والطِّحْن ماطحن ، ويقال لكل ماينعطف من الجسد : عِطْف وقيل فى قوله تعالى (ثانى عطفه) أى : عنقه ، وقيل : خصره ، والنَّدْوة أصله الجمع . ويقال : نَدَاهُم النَّادِى : أى جمعهم . ويقع لفظ هِجَان للواحد والجمع وذلك أن فِعَالاً وَفَعِيلاً يتشاركان كثيرا ، وكما جُمع فَعِيلٌ فِعَالا كذلك يجمع فِعَال فِعالا ، ألا ترى أن العدد والوزن فيهما واحد ؛ وحرف المدمن كل واحد بازاء مافى الآخر فإذا كان كذلك حمل عليه ، إلا أن فِعالا إذا كان جمعا ينوى بحركاته وألفه أنها حركات بنائه ، وهو جمع لا واحد له ، كأن الكسرة فى أوله الكسرة التى فى أول ظِرَاف وَكِرَام ، لا الكسرة التى فى أول حِمَارٍ وإزار ، وكذلك درع دِلَاصٌ ودروع دِلَاص . والأَوَارِك : التى ترعى الأَرَاكَ ، وهو شجر ؛ يقول : أَسُرُّه

(١) فى بن « سميا عطافا » وما أثبتناه عن ب ، وهو الوجه فى العربية

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُهِمِّ يُصِيبُهُ   كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ (١)

بثنائي حتى يراح ويطرب كما سرني بالإبل البيض الكرام حتى اهتززت

(١) يقول : إنه لا يشكو ما ينزل به من الخطوب المهمة إلى أحد ؛ لصبره عليها ، وعلمه أن شكايته غير نافعة له . ولكنه يعمل فى إزالتها ودفع مضرتها ، وهو مثل قول دريد بن الصمة :

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ   مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِي غَدِ

وَالْمُهِمّ يجوز أن يكون من الهَمّ الذى هو الحزن . ويجوز أن يكون من الهمّ الذى هو القصد ، واستعمل لفظ القليل والقصد إلى نفى الكل ، وهذا كما يقال : فلان قليل الاكتراث بوعيد فلان ، والمعنى لايكترث ، وعلى ذلك قولهم : قَلَّ رجلٌ يقول ذاك ، وأَقَلُّ رجل يقول ذاك ، والمعنى معنى النفى ، وليس يراد به إثبات قليل من كثير ، فان قيل : من أين ساغ أن يستعمل لفظ القليل من الشىء — وهو الاثبات — فى النفى ؟ قلت : إن القليل من الشىء فى الأكثر يكون فى حكم مالا يعتد به ولا يعرّج عليه لدخوله بخفة قدره فى ملكة الفناء ، فلما كان كذلك استعمل لفظه فى النفى على ما فى ظاهره من الإثبات ، وقوله « كثير الهوى شتى النوى » طابق الكثير بالقليل لفظا لا معنى يعنى ، أنه كثير الهمم مختلف الوجوه والطرق ، ويريد بالهوى الجنس ، وكذلك النوى ، وهى وجهته التى ينويها ومثله :

شَدِيدُ مَجَامِعِ الكَتِفَيْنِ بَاقٍ   عَلَى الْحَدَثَانِ مُخْتَلِفُ الشُّؤُونِ

ويريد بقوله « شتى » المتفرق ، وتشتت الشيء : تفرق ، والأشتات : جمع شت ، والمسالك : الطرق ، يقال : سلكت أنا ، وسلكت غيرى ، وقد يقال : أسلكت غيرى . ومنه أخذ السلك الذى تنظم فيه الخرز ، وانسلك الرجل فى

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشاً وَيَعْرَوْرِى ظُهُورَ المَهَالِكِ (١)
وَيَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ المُتَدَارِكِ (٢)

معنى سلك ، قال زهير :

* وَاقْدِرْ بِذَرْعِكَ وانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ *

(١) المَوْمَاة : المفازة التي لاماء فيها ، ووزنها فَعْلَلَة ، وجمعها مَوَامٍ ، وإنما قال «يمسى بغيرها» ولم يقل يبيت لأن قصده إلى أن يصفه بأنه يقطع في بياض نهاره مفازة ، ولو قال يبيت لم يتبين منه ذلك : أي يقطع المفاوز لاكتساب المكارم ، فتراه يكون نهاره في مفازة ، فإذا أتى عليه المساء تجده في أخرى . جحيشا : أى وحيدا . يقال : حَلَّ فلان جحيشاً : أي منفرداً ، وانتصب «جحيشاً» على الحال ، وقوله بغيرها لايجوز أن يكون مستقرا فعامله ، وقوله «ويَعْرَوْرِى ظهور المهالك» أى : يركبها ، وأصله من قولهم : اعْرَوْرَيْتُ الفرس ، إذا ركبته عُرْيًا ليس تحتك شيء ، يقول : يركب المهالك من غير أن تكون له وقاية منها

(٢) وفد الريح : أولها ، ومنه أخذ رؤبة قوله :

* يسبق وفد الريح من حيث انخرق *

وأخذه الأعرابى بغير لفظه فقال :

غَايَةُ مَجْدٍ رُفِعَتْ فَمَنْ لَهَا نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا

* لَوْ تُرْسَلُ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا *

والمعنى أنه يسبق الريح لخفته ، وينتحى : يعتمد ويقصد ، وينتحى : يحتمل أن يكون للممدوح ولوفد الريح ، وجعل العدو منخرقا لاتساعه ، والمنخرق : السريع ، وهو من قولهم : ريح خريق : أى شديدة سريعة الهبوب ، والمتدارك : المتلاحق ، وقال بعضهم : المنخرق الذى لايضبط كما تنخرق الريح الشديدة ، ومن ثم سميت الريح خريقا

إذَا خَاصَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ * لَهُ كَالِئٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فَاتِكِ[(١)]
وَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ رَبِيئَةَ قَلْبِهِ * إلَى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أخْلَقَ صائِكِ[(٢)]

---

(١) خاص : بمعنى خاط ، ويروى « إذا خاط عينيه » والكرى : النوم الخفيف ، وكأنه من كريت أى عدوت عدوا شديدا ، وقوله « خاط عينيه » أى مر فيهما ، وليس يريد التمكن منهما حتى يجعل أجفانهما كالمخيطة ، ومنه :

* حَتَّي تخيط بالْبَيَاضِ قُرُونِى *

وأضاف الكرى إلى النوم كما يضاف البعض إلى الجنس ، كأن النوم لجنس الفعل ، والكرى لما كان على صفة مخصوصة ، يريد أنه إذا نامت عينه لاينام قلبه ، والشَّيْحَان والشائح والشَّيِّح : الحازم ، قال :

* وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ أنَّكَ شِيحُ *

والفاتك : الذى يفاجىء غيره بمكروه أو قتل ، وفى الحديث « الإيمان قيد الفتك » وقال ابن دريد : هو الذى إذاهم بشىء فعل

(٢) ويروى :

إذَا طَلَّمَتْ أُولَى الْعَدِيِّ فنفره إلى سلة من صَارِمِ الْغَرْبِ بَاتِكِ

وهى أسلم الروايتين ، العدى : الرَّجَّالة يَعْدُون قُدَّامَ الخيل ، وهو اسم صيغ للجمع كالْكَلِيب والضَّئِين ، وعلى الروايه الأولى يقول : لايغفل قلبه عن التحفظ ، وعينه ديدبانه إلى سَلِّ سيفه ، فان قيل : كيف تكون العين ديدبان القلب وهو يقول إذا نام بعينه لم ينم بقلبه ؟ أم كيف تصح هذه الرواية وفيها يتكرر معنى واحد فى مصراعى البيتين ؟ وهل الواجب فى هذا إلا أن يقال : إن القلب هو ديدبان العين لأن العين نائمة والقلب منتبه ؟ قلت : إنه وصف حالتين ، فالمتقدم صفة حال النوم ، والثانى صفة حال اليقظة ، والمعنى إن العين رقيب القلب

إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمِ قِرْنٍ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاحِكِ (١)

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأُنْسَ الْأَنِيسَ ، وَيَهْتَدِي
بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ (٢)

المنتظر لإظهار ما يكرهه ، فاذا كره القلب شيئا كانت العين صاحبه الذى يظهره ؛ فهى ربيئته إلى نزع سيفه ، والأخاق : الأملس ، والباتك : القاطع ، وقوله « إلى سائق » يجوز أن يكون إلى بمعنى مع ، كما تقول : هذا إلى ذاك ، ويجوز أن يكون المعنى إنها ربيئته إلى أن يستل سيفه ، وبعد ذلك فالعمل للقلب ، ويكون للانتهاء ، وقوله « من حد أخاق » فيه توسع ، لأن السيف يستل من الغمد فيصير مسلولا ، ألا ترى قوله :

إذا سُلَّ من جَفْنٍ تأكل أثره عَلَى مثل مصحاة اللجين تأكلا

وهذا جعل الجفن مسلولا منه ، فهو فى ذلك كقولهم : أدخلت الخف فى رجلى ، والقلنسوة فى رأسى

(١) قوله « فى عظم قرْن » إيذان بأنه لايتعرض له إلا من يقاربه بأسا وشدة ، ونسبة التهلل إلى النواجذ مجاز وسعة ، وهذا كما يقال : سُرَّ فلان بكذا حتى صار لكل سن له ضحك ، وقد سمى مايبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك ، وقوله « إذا هزه فى عظم قرن » أى : إذا هزه وضربه به ضحك الموت ، وهو مثل ، فكأنه قال : إذا هزه لعظم قرن ، وقد تقام حروف الصفات بعضها مقام بعض إذا لم يشكل ، ويحتمل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به نَشِبَ فى عظمه فهزه فيه : أى حركه ، ليتخلص منه ، والتهلل : الضحك ، شبه بتهلل البرق ولمعانه ، وهوخلاف قوله * وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ *

(٢) أى : ذلك مذهبه ، وهذا كما يقال : هو يرى رأى أبى حنيفة أى يذهب

١٤ ـ قَالَ قَطَرِىُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ (١)

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا ... مِنَ الْأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِى (٢)

مذهبه ، ويفسر هذا على وجهين : أحدهما أنه قد اعتاد سلوك المفاوز والتوحش عن الناس ، فقد استأنس بالوحدة ؛ والآخر أنه كثير الأعداء لكثرة ما أغار على الناس وانتهب من أموالهم ، فهو يستوحش إذا رأى الناس ، ويستأنس إذا لم يرهم وإتباعه الأنس بالأنيس تأكيد وإظهار المبالغة ، وهذا كما يقال : ظِلٌّ ظَلِيل ، وداهية دَهْيَاء ، وهم يبنون من لفظ الشيء ما يتبعونه على طريق التأكيد ، وقيل فى أم النجوم : إنها الشمس ، وقيل : المجرة ، ويسمى معظم الشيء أمه ، والشمس أعظم الكواكب ، وسمى جامع الأشياء أما ، والشوابك : المشتبكة ، وإذا جعلت أم النجوم المجرة فيجوز أن يكون المعنى أنه يستغنى عن الدليل ، كما تستغنى تلك : أى لا يضل فى قَصْدِه كما لا تضل المجرة ، والعرب تقول : هو أهدى من النجم ، قال الشاعر :

أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ ... وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السيل

(١) القطرى : منسوب إلى موضع يقال له قَطَر ، وَالفُجَاءَة من قولهم : فجئه الأمر يَفْجَؤُه فَجْأَةً وفُجَاءَة ، وهو أحد الخوارج ، سُلِّمَ عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة ، قال أبو العلاء : قطرى سمى بهذا الاسم ومولده موضع يقال له الأعْدَان ، وَقَطَر موضع قريب من عُمَان ، يقال : بعير قطرىٌّ إذا نسب إلى ذلك الموضع ، وكذلك ريح قَطَرِيَّة ، إذا هبت من نحو قَطَر ، وهذا كما يسمى الرجل مَكِّيًّا وَسِنْدِيًّا وهو لم يولد بمكة ولا بالسند

(٢) من الضرب الأول من الوافر ، والقافية من المتواتر

قوله « لها » يعنى النفس ، والشعاع : المتفرق ، وهذا مثل ، ومعناه المبالغة

فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ ... عَلَى الْأَجَلِ الَّذِى لَكِ لَمْ تُطَاعِى
فَصَبْرًا فِى مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا ... فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَا ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ ... فَيُطْوَى عَنْ أَخِى الْخَنَعِ الْيُرَاعِ [1]
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَىٍّ ... فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِى
وَمَنْ لَا يُعْتَبَطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ ... وَتُسْلِمْهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ [2]
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِى حَيَاةٍ ... إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

١٣ — وقال بعض بنى قيس بن ثعلبة [1]

فى الفزع ، وقوله «لن تراعى [1]» من الروع وهو الفزع . يقال : ريع الرجل يُراع . المعنى إنه يذكر تشجيعه نفسه وتعريفه إياها — بعدما استشعرت الفزع — أن الأجل مُقَدَّر وأن الزيادة لا تلحقه . ويوضحه قوله

(١) أخو الخنع : الذليل ، والخنوع : الذلة . ولا يكاد الخنوع يستعمل إلا فى ذلة فى غير موضعها ، وَالْيَرَاع : القصبة التى لا جوف لها . والرجل الذى لا قلب له جبان كأنه لا جوف له ، فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه

(٢) الاعتباط : أن يموت من غير علة : أى من لم يمت شابا مات هرمًا . ويسأم : أى يسأم ما يعتريه من تكاليف الهرم ، ويروى «تقض به المنون» و «يقض به القضاء»

(٣) ويقال : إنها لبشامة بن حَزْن النهشلى ، الْبَشَامة : شجرة يستاك بعودها . قال جرير :

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى ... بِعُودِ بَشَامَةٍ سُقِىَ الْبَشَامُ

---

(١) وقع فى ب فى متن الكتاب « ويحك لا تراعى » ولها وجه

إِنَّا مُحَيُّوكِ يَاسَلْمَى فَحَيِّينَا وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا(١)

والحزن : الموضع الغليط ، والحزم أغلظ منه ، والنهشل : الذئب ، فَعْلَلٌ ، ويقال إنه منحوت من أصلين من نهش ونشل . وكلاهما من فعل الذئب ، وقيس : مصدر قاس يقيس قَيْساً

(١) يقال : حَيَّيْتُ الرجل ، إذا سلمت عليه ؛ ومن ثم سمى الوجه الْمُحَيَّا ، وحييت فلانا : ملكته ، والتحية : الملك ، يقول : إنا مسلمون عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله ، وإن سقيت الكرام فأجرينا مُجْرَاهم فانامنهم ؛ والأصل فى التحية أن يقال عند اللقاء : حَيَّاكَ الله ، ثم استعمل فى غيره من الدعاء ، وقيل فى سَقَيْتِ : إن معناه إن دعوت لأماثل الناس بالسقيا فادعى لنا أيضا ، والأشهر فى الدعاء أن يقال فيه : سَقَّيْتُ فلاناً ، مثقل ، والحجة فى التخفيف قول أبى ذؤيب :

سَقَيْتُ بِهِ دَارَهَا إِذْ نَأَتْ وَصَدَّقَتِ الْخَالُ فِينَا الْأُنُوحَا(١)

يقال : أَنَحَ يأْنِحُ ، إذا زحر ، وعلى هذا يكون فى الكلام إضمار ، كأنه قال : وإن سقيت بظهر الغيب الكرام بالدعاء فافعلى بنا مثله ، وقولى : سقاكم الله ، وفصل بعضهم بين سقيت وأسقيت فقال : أسقيته جعلت له سقيا يفعل ماشاء ، وسقيته أعطيته ماء لفيه . ومثله كسوته وأكسيته ، وبعضهم يجعلهما سواء ، ويحتج ببيت لبيد :

سَقَى قَوْمِى بَنِى مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ (٢)

---

(١) البيت فى اللسان (أ ن ح) منسوبا إلى أبى ذؤيب أيضا ، والخال : المتكبر ، والأنوح - بزنة صبور - صفة من قولهم : أنح يأنح أنحا ، بوزن ضرب يضرب ضربا ، وهو مثل الزفير يكون من الغم والغضب والبطنة والغيرة

(٢) البيت فى اللسان (س ق ى) منسوبا إلى لبيد أيضا ،

وَإِنْ دَعَوْتِ إِلَى جُلَّى وَمَكْرُمَةٍ   يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا(١)
إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدَّعِي لِأَبٍ   عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا(٢)

---

(١) جُلَّى: فُعلى. أجراها مجرى الأسماء، ويراد بها جليلة، كما يراد بأفعل فاعل وفعيل، نحو قوله تعالى: (وهو أهون عليه) أي هَيِّن، وكقوله: —

* فتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ (١) *

أي: واحد، يقول: إن أَشَدْتِ بذكر خيار الناس بجليلة نابت أو مَكْرُمَةٍ عرضت فأشيدى بذكرنا أيضا، وهذا الكلام ظاهره استعطاف لها، والقصد به التوصل إلى بيان شرفه واستحقاق مايستحقه الأشراف، ولا سَتْقى ثَمَّ ولا تحية، وَالسَّرَاة فى الناس. وَالشَّرَاة بالشين معجمة فى المال والخيل، وفى حديث أم زرع «فنكحت بعده رجلا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وأخذ خَطِّيًّا وأراح علىَّ نَعَمًا ثريا» وَالْجُلَّى بالألف واللام: تأنيث الأجل، كالأكبر والكبرى، ولا تحذف الألف واللام منه حينئذ؛ لأن أصله يكون أفعل الذى يتم بمن، ويقال لكل ماعلا شيئا: جلله، ومنه الجلالة، وَسَرَاة القوم: سادتهم، وسراة كل شىء: أعلاه، والجمع السروات، ورجل سَرِىٌّ بَيِّن السرو، وَسَرِيَّة فعيلة من سرى يسرى إذا سار ليلا، ثم كثر حتى قيل سرية وإن سارت نهارا، والكرام ههنا: الذين يَحْمُون الحريم ويدفعون الضَّيْمَ

(٢) إن كان الشعر للقَيْسى فالرواية «إنا بنى مالك» وانتصاب «بنى» على إضمار فعل، كأنه قال: اذكر بنى نهشل: وهذا على الاختصاص والمدح، وخبر إن «لا ندّعى» ولو رفع فقال «إنا بنو نهشل» على أن يكون خبرا لكان

---

(١) هذا عجز بيت، وصدره:

* تَمَنَّى أُنَاسٌ أَنْ أَمُوتَ، وَإِنْ أَمُتْ *

إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا(١)

« لا ندعي » فى موضع الحال . والفصل بين أن يكون اختصاصا و بين أن يكون خبرا صُرَاحا هو أنه لو جعله خبرا لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان لا يخلو فعله لذلك من خُمُول فيهم أو جهل من عند المخاطب بشأنهم ، فإذا جعله اختصاصا فقد أمن من الأمرين جميعا ، و إنما قلت « خبرا صُرَاحا » لأن لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص ، لكنه يستدل على المراد منه بقرائنه ، وَعلى هذا قوله :

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِى شِعْرِى *

وقوله « لا ندَّعى لأب عنه » ندعى : نفتعل ، و « عنه » تعلق به ، يقال : ادعى فلان فى بنى فلان ، إذا انتسب إليهم ، وَادَّعَى عنهم ، إذا عدل بنسبه عنهم ، وهذا كقولهم : رغبت فى كذا ، و رغبت عنه ، وقوله « لأب » أى من أجل أب ، ومعناه إنا لا نرغب عن أبينا فننتسب إلى غيره ، وهو لا يرغب عنا ، قد رضى كل منا بصاحبه . و يقال : شَرَيْتُ الشيء : بمعنى بعته واشتريته جميعا ، ومنه الشَّرْوَى وهو الْمِثْلُ

(١) يقال : بادرت مكان كذا وكذا ، و إلى مكان كذا ، وكذلك ابْتَدَرْنَا الغاية . و إلى الغاية ، وقوله « لمكرمة » أى : لاكتساب مكرمة ؛ ويجوز أن تكون اللام مضيفة للغاية إلى المكرمة ، كأنه يريد تسابقهم إلى أقصاها ، و إنما قال « الْمُصَلِّين » ولم يقل المصلّيات مع السوابق لأن قصده إلى الآدميين و إن كان استعارهما من صفات الخيل ، و يجوز أن يكون أخرج السابق لانقطاعه عن الموصوف فى أكثر الأحوال ولنيابته عن المجلّى ـ وهو اسم الأوَّل منها ـ إلى باب الأسماء فجمعه على السوابق ، كما يقال : كاهل و كواهل ، و غارب وغوارب ،

والْمُصَلِّى : الذى يتلو السابق فيكون رأسه عند صَلاَهُ ، وَالصَّلَوَانِ : العظمان الناتئان من جانبى العجز ، وقال ابن دريد : هو العظم الذى فيه مَغْرِزُ عجب الذنب ، وقال بعض أهل اللغة : هما عرقان فى موضع الرِّدْف . وأسماء خيل الحلبة عشرةٌ ، لأنهم كانوا يرسلونها عشرةً عشرةً ، وسمى كل واحد منها باسم ، فالأول منها السابق ، وهو الْمُجَلِّى لأنه كان يجلى عن صاحبه ، والثانى الْمُصَلِّى لأنه يضع جَحْفَلَتَه على صَلاَ السابق ، والثالث الْمُسَلِّى لأنه يسليه ، والرابع التالى ، والخامس الْمُرْتَاح ، والسادس العاطف ، والسابع الْمُؤَمَّل ، والثامن الْحَظِىُّ ، والتاسع اللَّطِيم لأنه يُلطم عن الحجرة ، والعاشر السُّكَيْت لأنه يعلوه تخشع وسكوت ، ويقال سُكَّيْت أيضا مشددة الكاف ، والفِسْكَل الذى يجىء آخر الخيل فى الحلبة ، ويقال للحبل الذى يجعل فى صدور الخيل يوم الرهان : الْمِقْبَض : والْمِقْوَس ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الخيل تجرى بأعْرَاقِهَا وَعِتْقِهَا فإذا وضعت على المقوس جرت بجدود أربابها » وقيل فى أسماء خيل الحلبة : إن أولها المجلى ، ثم المصلى ، ثم المسلى ، ثم العاطف ، ثم المرتاح ، ثم الحظىّ ، ثم المؤمل . هذه السبعة لها حظوظ ، ثم اللواتى لاحظوظ لها : اللَّطِيم ، ثم الْوَغْد ، ثم السُّكَيْت ، وقال محمد بن يزيد بن مَسْلمة بن عبد الملك بن مروان يصف الحلبة وذكر أسماء الخيل :

نجَلَّى الأغر ، وَصَلَّى الكُمَيْتُ وَسَلَّى فَلَمْ يُذْمَمِ الْأَدْهَمُ
وَأَتْبَعَهَا رَابِعٌ تَالِياً وَأَنَّى مِنَ الْمُنْجِدِ الْمُتْهِمُ
وَمَاذَمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِساً وَقَدْ جَاءَ يَقْدُمُ مَا يَقْدَمُ
وَسَادِسُهَا الْعَاطِفُ الْمُسْتَجِيرُ يَكَادُ لِحَيْرَتِه يُحْرَمُ
وخَابَ الْمُؤَمَّلُ فِيما يَخِيبُ وَعَنَّ لَهُ الطَّائِرُ الْأَشْأَمُ
وَجَاءَ الْحَظِىُّ لَهَا ثَامِناً فَأَسْهَمَ حِصَّتَهُ الْمُسْهِمُ
حَذَا سَبْعَةً وَأَتَى ثَامِناً وَثَامِنَةُ الْخَيْلِ لَا تُسْهَمُ

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلاَّ افْتَلَيْنَا غُلاماً سَيِّدًا فِينَا (١)
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِى الْأَمْنِ أُغْلِينَا (٢)

وَجَاءَ اللَّطِيمُ لَهَا تَاسِعاً فَمِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُلْطَمُ
يَخُبُّ السُّكَيْتُ عَلَى إِثْرِهَا وَعُلْيَاهُ مِنْ قَنْبِهِ أَعْظَمُ
عَلَى سَاقَةِ الْخَيْلِ يَعْدُو بِهَا مُلِيماً وَسَائِسُهَا أَلْوَمُ
إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ ذَا لَمْ يُجِبْ مِنَ الْحُزْنِ بِالصَّمْتِ مُسْتَعْصِمُ

(١) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم ، ومنه الْفَلُوُّ ، والأبد : الدهر ، وقيل : سميت الْوَحْش أوابدلأنها تُعَمَّرُ على الدهر ولاتموت إلا بآفة ، وأنْ يكون من التأبُّد أى التَّوَحُّش أحسنُ ؛ يقول : نحن لا نخلو من سيد ومصنوع للسيادة أى : مرشح لها . فاذا هلك السيد خلفه المصنوع ، كما قال أوس :

إِذَا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ مِنَّا نَابُ آخَرَ مُقْرَمِ (١)

(٢) يقول : إذا كان يوم الرَّوْع تَقَدَّمْنَا للقاء ، فان ذهبت أنفسنا ذهبت رخيصة لأنا بَذَلْنَاهَا بالإقدام ، ولم نمنعها بالإحجام ، ولكنها يوم الأمْن غاليةٌ ، والألف فى قوله «أغلينا» للاطلاق ، والنون ضميرالأنفس ، ومعنى أُغلين وجدت غالية ، وليس يريد أنهم مع الغلاء يمكنون منها، بل المراد قطع المقدرة عنها ، ومثل هذا

نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا الْتَقَيْنَا نُفُوسًا لا تُعَرَّضُ لِلسِّبَابِ

---

(١) المقرم ـ بفتح الراء ، بزنة اسم المفعول ـ هو فى الأصل البعير المكرم الذى لايحمل عليه ولا يذلل ، ولكن يكون للفحلة والضراب ؛ وسمى السيد الرئيس من الرجال مقرما لأنه شبه بالمقرم من الابل لعظم شأنه وكرمه عندهم ، وذرا نابه : انكسر حده أو سقط أوضعف ؛ وأصل التخمط هدير الفحل والتكبر والغضب ، وأراد ههنا إذا ضعف منا سيد أو هلك قام سيد آخر وخلفه ؛ والبيت فى اللسان (خ م ط) و (ق ر م) و (ذ ر ا)

بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا ... نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا (١)

يقول : نبتذل أنفسنا فى الحروب ولا نصونها ، ولو عرض علينا إزالتها فى غيرها لامتنعنا ، وهذا لحرصهم على تخليد الذكر الجميل ، والرخص فى السعر سهولته ولينه ، وهو من قولهم فيما أظن : امرأة رَخْصَة ، إذا كانت ناعمة . وقوله « ونُسَام بها » أى : نحمل على أن نسوم بها ، يقال : سام بسلعته كذا وكذا ، واستام أيضاً ، وأغلى السَّوْمَ والسِّيمة وأَسَمْتُه أنا : أى حملته على أن يسام ، ولا يمتنع أن يكون قولهم « سُمْتُه » أى حملته على أن سام خَسْفا أصله من ذلك ، وإن استعمل فى المكروه ، وفى البيت طباق فى موضعين : بذكر الإرخاص والإغلاء . والرَّوْع والأمن ، ومثله للأجدع والد مسروق الفقيه :ـ

لَقَدْ عَلِمَتْ نسوان هَمْدَانَ أَنَّنِى ... لَهُنَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولِ

وَأَبْذُلُ فِى الْهَيْجَاءِ وَجْهِى وَإِنَّنِى ... لَهُ فِى سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَذُولِ

(١) ويروى « بيض مَعَارفنا » وهى الوجوه ، والمراد بذلك نقاء العِرْض وانتفاء الذم وَالْعَيْب ، ويقال : امرأة حَسَنة الْمَعَارِف : أى الوجه بما يشتمل عليه ، وقيل : هى الأنف وماوالاه ، وقيل : الحسن فى الأنف ، والملاحة فى الأسنان ، وواحد المعارف مَعْرَف وَمَعْرِفُ ، وكأن الوجه سمى بها لأن مَعْرفة الأجسام وَتَمْيِيزها به ، والأشهر « بيض مفارقنا » ويجوز أن يكون المراد ابْيَضَّت مفارقنا من كثرة ما نقاسى الشدائد ، وهذا كما يقال : أمر يُشِيب الذَّوائب ، و « تغلى مراجلنا » أى حروبنا ، كقول الآخر :

تَفُورُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَنُدِيمُهَا ... وَنَفْثَؤُهَا عَنَّا إِذَا حَمْيُهَا غَلَا (٢)

---

(١) البيت فى اللسان (ف ث أ) منسوبا إلى الجعدى . ثم قال : وهذا البيت فى التهذيب منسوب إلى الكميت ، ونفثؤها : نسكن غليانها

إنّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ ... قِيلُ الْكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا (١)

ويجوز أن يكون المراد ابْيَضَّت مفارقنا لانحسار الشعر عنها باعتيادنا لُبْسَ الْمَغَافِرِ والبيض وإدْمَاننا إياه ، ويكون هذا كقول الآخر :

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا ... أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ (١)

وتكون الْمَرَاجِلِ على هذا كناية عن الحروب أيضا ، ويجوز أن يكون المراد ابيضت مفارقنا من كثرة استعمال الطيب ، ويكون كقول الآخر : ـ

* جَلَا الْأَذْفَرُ الأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرْقَهُ *

ويكون على هذا « تغلى مراجلنا » أى : قدورنا للضيافة ، ويجوز أن يريد مَشِيبَنَا مشيب الكرام لا مشيب اللئام ، كما أنشد ابن الأعرابى فى نوادره : ـ

وَشَيْبُ مَشِيبِ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا ... وَشَيْبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ (٢)

وعلى هذا تحمل المراجل على أن يكون المراد بها قدور الضيافة ، وقوله « نأسو بأموالنا آثار أيدينا » يريد ترفعهم عن الْقَوَدِ ورفع أطماع الناس عن مقاصَّتهم ، والأَسْوُ : المداواة : أى نقتل ونَدِى ، والاساء : الدواء

(١) الْكُمَاة جمع : كَمِىّ ، وهو من قولهم : كَمَى شهادته ، إذا كتمها ، لأن الشجاع يستغنى بأفعاله عن دَعْوَاه ، فكأنه يستر أمره وشأنه لوقت الحاجة ، ولأنه إذا سكت دَلّ على صفاته بلاؤه ، وقال أبو العلاء : الكماة فى الحقيقة جمع كَامٍ كما يقال غَازٍ وَغُزَاةٍ ، وذلك من قولهم : كَمَى نفسَه فى السلاح ، إذا توارى فيه ،

(١) حصت البيضة رأسه : حسرت شعره وجردته ، والبيت فى اللسان (ح ص ص) ونسبه لأبى قيس بن الأسلت

(٢) كذا فى الأصول كلها ، ولعله « وشيب لئام العبد » أو « وشيب لئام الناس » ليطابق قوله « وشيب كرام الناس » فى عجز البيت ، أو لعله « وشين مشيب العبد »

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا (١)

وأهل العلم يتجوّزون في العبارة فيقولون : الْكُمَاة جمع كَمِيّ ، وفَعِيل لا يجمع على هذا الوزن ، وإنما استجازوا بذلك لأن فاعلا وفَعِيلاً يشتركان كثيرا ، فيقال : عالم وعليم ، وشاهد وشهيد ، وحافظ وحفيظ . قال كثير في أن أكمى بمعنى أستر :

وَإِنِّي لَأَكْمِي النَّاسَ مَا أَنَا مُضْمِرٌ مَخَافَةَ أَنْ يَدْرِي بِذَلِكَ كَاشِحُ (١)

وكأن فَعِيلاً أشدّ مبالغة ، وقد جاء أكْمَاء في جمع كَمِيّ ، وله نظائر كما قالوا : يتيم وأيتام ، وأنشد أبو زيد :

تَرَكْتُ ابْنَتَيْكَ لِلْمُغِيرَةِ وَالْقَنَا شَوَارِعُ وَالْأَكْمَاءُ تَشْرَقُ بِالدَّمِ (٢)

(٢) يعنى قولهم : يا لَفُلَان ، ومَنْ فارس ، وما أشبهه ، ويقال : خِلْتُه إخاله خَيْلاً ومَخِيلة وخيلانا ، وهذا مثل قول طرفة :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ (٣)

وإنما قال « مَنْ فارس » فنكر كما قال طرفة « من فتى » فنكر ، ولم يعرّف واحد منهما لأن السؤال بالمنكر لشدة إبهامه يكون أشمل لتناوله واحدا واحدا ، لاسيما وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين ، ولا إلى الجنس ؛ فيقال : من الفتى ؟ ومن الفارس ؟ وفي هذه الطريقة قول الآخر :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى لِعَظِيمَةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

---

(١) كذا ورد البيت في الأصول كلها ، وفيه معاملة الفعل الناقص اليائى معاملة ذى الألف في عدم إظهار الفتحة على آخره ، والذى في اللسان (ك م ى) رواية عجزه هكذا :

* مَخَافَةَ أَنْ يَثْرَى بِذَلِكَ كَاشِحُ *

وقد خلا من هذا العيب

(٢) البيت لضمرة بن ضمرة ، وقد أنشده في اللسان (ك م ى)

(٣) ويروى في عجزه « فلم أكسل ولم أتبلد »

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمُ حَدُّ الظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا (١)
وَلاَ تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مَعَ الْبُكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا (٢)
وَنَرْكَبُ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافٌ تُوَاتِينَا (٣)

---

(١) إنما قال «حد الظُّبَاة» وَظُبَةُ السيف حَدُّه لأنه أراد المضارب بأسرها، كما صلح أن يقال : أصابته ظُبَة السيف . صلح أن يقال : حَدُّ الظبة ، وقيل : الظُّبَة طرف السيف ، وَالشَّبَاة حَدُّ طرفه ، وذكر الرياشى أن ظبة السيف دون ذُبَابه بمقدار أربع أصابع وهو مَضْربه ، وَظُبَته أيضا حده ، وكذلك ظبة السنان حده ، وقوله « وصلناها » الضمير للسيوف ولم يجر لها ذكر كقول كعب بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفُ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا قُدُمًا فَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقال بشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك :

وَإِذَا السُّيُوفُ قَصُرْنَ أَكْمَلَهَا لَنَا حَتَّى نَنَالَ بِهَا الْعَدُوَّ خُطَانَا

(٢) يعنى أنهم لا يموتون إلا بالقتل فقد استعادوه : أى صارلهم عادة ، وإن كل من يولد منهم يكون سيداً فلا يجزعون على من مات منهم

(٣) يجوز أن يكون معنى قوله «وأسياف تواتينا» كقوله : فخالفنا السيوف على الدهر ، ويجوز أن يكون أراد بالسيوف رجالا كأنهم السيوف مضاء ، والأول أولى ، و « يَفْرُجُهُ » يكشفه ويوسّعه ، يقال : فَرَجَ الله عنه وَفَرَّجه ، بالتشديد والتخفيف ، ومنه سمى ما بين القوائم الْفُرُوج ، وإطلاق لفظ الْفَرْج على العورة يجرى مجرى الكنايات ، وعلى هذا قيل : رجُلٌ فرجة ، إذا كان كَشَّافا لأسراره ، وقال النمرى : قال رجل من بنى قيس بن ثعلبة « إنا محيوك ياسلمى ـ البيت » قال : وفيها « إنا بنى نهشل ـ البيت » قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل « اختلط الخاثر بالزباد » قال فى البيت الأول : هو

١٤ — وقال السموأل بن عادياء (١)

لبعض بنى قيس بن ثعلبة . ثم قال : وفيها « إنا بنى نهشل » ، ولم يفرق بين نَهْشَل الذين هم مُضَرِية و بين بنى قيس بن ثعلبة الذين هم رَبَعِيَّه ؛ فلزَّهما فى قَرَن . والبيت الذى فيه « إنا بنى نهشل » لِبَشَامة بن حَزْن النهشلى ، والأبيات الأخر لمرقَّش الأكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، قال أبوعبدالله : وفيها « بيض مفارقنا ـ البيت » وهذا بيت قد فُسِّرَ على وجوه أنا ذاكر منها ماخطر ببالى : قيل بيض مفارقنا أى لادنس فينا ، والعرب كلها سُمْر ، فاذا وصفوا بالبياض فانما يراد به النقاء والطهارة فى كلام يشبه هذا ، قال أبو محمد الأعرابى : سألت أبا الندى عن قوله :

* بيض مفارقنا تغلى مراجلنا *

فقال : هذه روايه ضعيفة ، لأن بياض المفارق قَرَعٌ ، ومِرْجل الحائك تغلى كما تغلى مِرْجَل الملك ، والرواية الصحيحة : ـ

* شُعْثٌ مَقَادِمُنَا نُهْبَى مرَاجِلُنَا *

يعنى أننا أصحاب حروب وقِرًى ، ونظام الأبيات :

* ياذَاتَ أجْوَارِنَاقُومِى فَحَيِّينَا * البيت

* وإن سقيت . . . . * البيت

* وإن دعوت إلى جُلَّى . . . . * البيت

* شُعْثٌ مقادمنا نُهْبِي مراجلنا * البيت

الْمُطْعِمُونَ إذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ ... وَخَيْرُ نَادٍ رَآهُ النَّاسُ نَادِينَا

(١) هـذا اسم مرتجل غير منقول ، ووزنه فَعَوْأَل كالسَّمَرْمَط وهو وعاء تسكون فيه الخمر ، وعادياء مثله فى الارتجال وغير النقل ، وهو فاعلاء من عَدَوْتُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ(١)

بوزن القاصعاء والراهطاء والنافقاء والسابياء وأصله عاديا فقلبت لامه للكسرة ، وقال أبو العلاء : السموأل اسم عبرانى وليس بعربى ، ويقال : إن المكان الغليظ يقال له السموأل ، وأنشدوا قول امرىء القيس :

* أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ السَّمَوْأَلِ *

وقال قوم : أراد بالكديد والسموأل الغبار ، ولم يثبت ، لأن السموأل معرب ، ووافق من العربية قولهم : اسمأل الظل ، إذا قصر . قال

يَرِدُ الْمِيَاهَ حَضِيرَةً وَنَفِيضَةً وِرْدَ الْقَطَاةِ إِذَا اسْمَأَلَّ التُّبَّعُ(١)

وعادياء جاء ممدودا ومقصورا ، قال النمر بن تولب :

هَلاَّ سَأَلْتِ بِعَادِيَاءَ وَبَيْتِهِ وَالْخَلِّ وَالْخَمْرِ الَّتِى لَمْ تُمْنَعِ

وقال السموأل :

بَنَى لِى عَادِيَا بَيْتًا رَفِيعاً وَمَاءً كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

وقيل : السموأل بالهمز : طائر ، والسموّل بغير همز : أرض صلبة ، ويقال : إنها لعبد الملك بن عبدالرحيم الحارثى ، وهو إسلامى

(١) الثالث من الطويل ، والقافية من المتواتر

يقال : دَنِسَ يَدْنَسُ دَنَساً ، وتدنَّس تَدَنُّسًا ، إذا تكلفه ، يقول : إذا لم

---

(١) البيت فى اللسان (س م أ ل) ونسبه إلى سلمى بنت مجدعة الجهنية ترثى أخاها أسعد ، وذكره فى (ن ف ض) عن الجوهرى منسوبا إليها ثم نقل عن ابن برى أن صواب اسمها سعدى الجهنية ، ورواه ثالثة فى (ت ب ع) ونسبه إليها على التصويب فى اسمها

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا ... فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ (١)

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ (٢)

يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأى ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا . وذكر الرداء ههنا مستعار ، وقد قيل : رداه الله رداء عمله . فجعل كناية عن مكافأة العبد بما يعمله . كما جعله هذا الشاعر كناية عن الفعل نفسه ، وتحقيقه فأى عمل عمله بعد تجنب اللؤم كان حسنا ، واللؤم : اسم لخصال تجتمع ، وهى : البخل ، واختيار ماتنفيه المروءة ، والصبر على الدنية ، وأصله من الالتئام . وهو الاجتماع ، وإنما سمى لؤما لاجتماع هذه المعايب فيه . و « إذا » تتضمن معنى الجزاء ، والفاء مع ما بعدها جوابه ، وليس هذا البيت من قول الآخر :

لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ ... فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا (١)

بسبيل فتعتقد أنه يريد بالرداء الثياب

(١) أى : إن لم يصبرها على مكارهها . وأصل الضيم العدول عن الحق ، يقال : ضَامَه ضَيْماً ، وهو مَضِيم ، إذا عدل به عن طريق النصفة واهتضمه ، ومنه قيل : قعد فى ضيم الجبل : أى فى ناحية تعدل إليه ، وكما استعمل الضيم من ضامه كذلك استعمل الهَضْم واحد أهضام الوادى من هَضَم ، ويبعد من طريق المعنى أن يريد بقوله « ضيمها » ضيم الغير لها فأضاف المصدر إلى المفعول : لأن احتمال ضيم الغير لهم يأنفون منه ويعدونه تذللا

(٢) يقال : عَيَّرْتُه كذا ، وهو المختار ، وقد جاء « عيرته بكذا » قال عدى :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِالدَّهْـــرِ أَأَنْتَ الْمُبَرَّأُ المَوْفُورُ

أى : أنكرَتْ منّاقلة عددنا فعدته عارا فأجبتها : إن الكرام يقلون ، والكرم : اسم لخصال تضادُّ خصال اللؤم ، واعترف الشاعر فى هذا البيت بقلة

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب ، وهو من كلمة له فى الحماسة ستأتى مشروحة

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا ‏ ‏ شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلاَ وَكُهُولُ (١)

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ‏ ‏ عَزِيزٌ وَجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ (٢)

العدد ، لا بقلة القدر ، ألا تراه جاء بالنفي في البيت الذي يليه فقال :

* وما قل من كانت بقاياه مثلنا *

وقوله «إن الكرام قليل» يشتمل على معان كثيرة ، وهي وَلُوع الدهر بهم ، وَاعْتِيَامُ الموت إياهم ، واستقتالهم في الدفاع عن أحسابهم ، وإهانتهم كرائم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم ، ومحافظتهم على عمارة ما ابتناه أسلافهم ، فكل ذلك يقلل العدد ، وقليل وكثير يوصف بهما الواحد والجمع

(١) الهاء في «بَقَايَاه» راجعة إلى لفظ «مَنْ» لا معناه : لأن معناه للكثرة ، ولو رد عليه لقال بقاياهم . و «شباب» مصدر في الأصل وصف به ، فلذلك لا يثنى ولا يجمع ، يقال : شَبَّ الصبيُّ يَشِبُّ شَبَابًا ، وشابٌّ فاعل ، وفاعل لا يجمع على فَعَال ؛ فَشَبَاب إذاً مصدر وصف به الجمع ، وقوله « تسامى » أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين استثقالا للجمع بينهما . فإن قيل : هلا أدغمت كما أدغمت في ادَّارَكَ ، والأصل تَدَارَكَ ؟ قلت : ليس هذا موضع إدغام : لأنه فعل مضارع ، ألا ترى أنه لو أدغم لاحتيج إلى جلب ألف الوصل لسكون أوّله ، وألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع ، والكَهْل : الذي قد وَخَطَه الشيبُ ، ومنه «اكتهل النبتُ» إذا شمله النَّوْرُ

(٢) « وما ضرنا » يجوز أن يكون « ما » حرف نفي ، والمعنى لم يضرنا ، ويجوز أن يكون اسما مستفهما به على طريق التقرير ، والمعنى أيُّ شيء ، والواو من قوله «وجارنا عزيز» واو الحال ، وكذلك الواو من قوله «وجار الأكثرين» وإنما صلح الجمع بين الحالين لأنهما لذاتين مختلفتين ، ولو كانا لذات واحدة لم

لنا جبلٌ يحتلّه من نجيره ... منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ (١)
رسا أصلُه تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرعٌ لا ينال طويلُ (٢)
وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً ... إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ (٣)

يصلح ، والعز والعزازة استعمل فى القدرة والمنع وفى الصلابة والشدة ، يقال : تعزّز اللحم : لأن الكل يرجع إلى أصل واحد ، كما أن الذُّل والذِّل الذى هو ضده استعمل فى الانقياد والسهولة واللين يدعو إلى شىء واحد

(١) مثله :

أنا هضبةٌ لا يدخلُ الذلُّ وسطها ... ويأبى إليها المستجيرُ ليعصما

وأراد بذكر الجبل العز والسمو : أى من دخل فى جوارنا امتنع على طلابه ، وحلّ واحتلّ بمعنى ، والطرف : النظر والعين جميعاً ، ومَنيع (١) : اسم الفاعل من منُع مَناعة ومَناعا ، ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول : أى ممنوع منه ، كما استعمل المنيع فى العز استعمل أيضا فى العفة ؛ فقيل : امرأة منيعة ومتمنعة ، ولمكان هذا البيت نسبت القصيدة إلى السموأل ، وظن أن هذا الجبل هو حصن السموأل الذى يقال له الأبلق الفرد ، وفى بعض الروايات بيت :

هو الأبلقُ الفردُ الذى سار ذكرُه ... يعزّ على من رامه ويطولُ

وقال بعضهم : الجبل هنا العز والمَنَعَة

(٢) رسا أصله : أى ثبت أصله فى الأرض ، والرسوّ والرسوخ يتقاربان ، والثرى : الندى ، وما تحت الأرض ثرى ويقال : ثرى ثرى على المبالغة ، وقد طابق الرسو بالسموّ ، كما قابل الأصل بالفرع

(٣) كان الوجه أن يقول : ما يرون القتل سُبّة ، حتى يرجع الضمير من صفة القوم إليه . ولا يعرى منه ، لكنه لما علم أن المراد بالقوم هم قال « ما نرى »

---

(١) فى بن « منيف » فى صلب الشعر دون الشرح

يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجالَنا لَنا وَتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ وتَطُولُ (١)

وقد جاء فى الصلة مثل هذا ، وهو فيه أفظع ، قال :

* أَنَا الَّذِى سَمَّتْنِ أُمِّى حَيْدَرَه (١) *

وَالوجه « سَمَّتْهُ » حتى لاتعرى الصلة من ضمير الموصول ، قال المازنى : لولاصحة مورده وتكرره لرددته ، والقتل : إصابة القَتَال ، والقَتَال النفس ، فكأنه إذا قال « قتلته » أراد أنه أصاب قَتَاله : أى نفسه . كما أنه إذا قال «رَأَسَه» أراد أنه أصاب رأسه . يقول : إذا حسب هؤلاء القتلَ عارا عدَّه عشيرتى فخرا ، والسُّبَّة : مايسب به ، كما أن الْخُدْعَةَ مايخدع به . وأصل السب القطع ، ثم استعمل فى الشتم ، وهذا كما يقال : فلان يقطع أعراض الناس ، وقوله «ماترى» أى لانجعل ذلك مذهبا ، وعامر وسلول : يعنى عامر بن صعصعة ، و بنوسلول هم بنومرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان

(١) أى : حُبُّنَا الموت ، وقد ألم بقول الآخر فى المصراع الأول : —

* رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ *

لأنه يشير إلى أنهم يُغْتَبَطُونَ لاقتحامهم المنايا ، وأن أولئك يُعَمَّرون لمجانبتهم الشر ، و يجوز أن يكون أضاف الحب فى قوله « حب الموت » إلى الفاعل وهو الموت ، و يكون كقوله : —

* أَرَي الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ (٢) *

---

(١) ينسب هذا البيت إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

(٢) هذه قطعة من بيت لطرفة بن العبد البكرى ، وهو بتمامه هكذا :

أَرى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ ... وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ (١)

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا ... وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ (٢)

ويكون على هذا « وتكرهه آجالهم » محمولا على أنه إذا كرهت آجالهم الموت فقد كره الموت آجالهم أيضا : ألا ترى قول دريد :

أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ ... أَبَوْا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ

وروى بعضهم « يقصِّر حب الموت » واختاره ليكون القصر بازاء الطول ، وهم لا يراعون مثل هذا إذا تناسبت المعانى وتقاربت ، ويكون ذلك منهم كالمبرىء من التكلف ، ألا ترى أباذؤيب قال :

وَشِيكُ الْفُضُولِ بَعِيدُ الْقُفُو ... لِ إِلَّا مُشَاحًا بِهِ أَوْ مُشِيحَا

وكان يمكنه أن يقول « بطىء القفول » فلم يراع ذلك

(١) « حَتْفَ » انتصب على الحال ، ولم يستعمل منه حتف ، ولا هو محتوف ، وليس هذا مثل تَبَسَّمَتْ وَمِيضَ البرق ، ويقال : إن أوّل من تكلم بقولهم « حَتْفَ أنفه » النبى صلى الله عليه وسلم ، وتحقيقه كان حتفه بأنفه أى بالأنفاس التى خرجت من أنفه عند نزوع الروح ، لادفعة واحدة ، ويقال : خُصَّ الأنف بذلك لأنه من جهته يتقضى الرَّمَق ، ويروى — :

* وما مات منا سَيِّدٌ فى فراشه *

وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية ، وقوله « ولا طل منا حيث كان قتيل » أى : لم يَبْطُل دم قتيل منا ، يقال : طُلَّ دمه ، إذا بطل ولم يطاب به ، وهو مطلول ، وقد طَلَّه فلان : أبطله ، يقول : إنا لا نموت ، ولكن نقتل ، ودم القتيل منا لا يبطل

(٢) ويروى — :

* تسيلُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نُفُوسُنَا *

أى : أرواحنا ، ويقال : دماؤنا ، والدم يسمى النفس ، وسميت النُّفَسَاء نفساء بالدم السائل منها أيام ولادها ، وإنما قال «وليست على غير الظبات تسيل» ولم يقل «على غيرها تسيل» فى الروايتين لأنهم يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيرا ، ولا سيما إذا قصدوا التفخيم بها ، كما قال عدى :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا (١)

وفى إضافة الحد إلى الظبات وجهان : أحدهما أن يكون أراد بالظبات السيوف كلها ، ثم أضاف الحد إليها ، وهذا كما يسمى السيف كما هو نصلا ، وكما يسمى السهم نصلا كما هو ؛ والثانى أن تكون إضافة الحد إلى الظبات كإضافة البعض إلى الكل ويكون التقدير تسيل على الحد من الظبات ، وتكون الظبات مضارب السيوف . فإن قيل : كيف تبجح بأن تكون دماؤهم تسيل على حد السيوف لا على غيره ؟ قلت : إن الدماء قد تسال بالعصىّ وغيرها مما لا يكون شرفا ، فعدّ القتلة بالسيف أكرم ، وسموا بنى أسد عبيدَ العصا لما كان من حُجْرٍ أبى امرىء القيس حين أوقع بهم قتلهم بها لتكون قتلتهم ذميمة ، وقال الآخر :

وَلَا نُقَاتِلُ بِالْعِصِىّ وَلَا نُرَامِى بِالْحِجَارَهْ (٢)

إِلَّا عُلَالَةَ أَوْ بُدَا هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَهْ

وأما قوله :

أَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا رُمِّلَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ (٣)

(١) سبق ذكر بيت عدى هذا ، واستشهد به المؤلف لمثل ماذكره هنا (أنظر ص ٢٤) من هذا الجزء

(٢) هذان البيتان للأعشى ، وقد رواهما ابن منظور (اللسان : ب د ه) ورواهما سيبويه (١ : ٩١ و ٢٩٥) ووقع فى رواية سيبويه « أو بداهة قارح »

(٣) البيت للمهلهل ، وكان رجل من جنب قد خطب إليه ابنته فأكره على تزويجها منه ، وقبل البيت قوله :

صَفَوْنَا فلَمْ نَكْدَرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا ‏ ‏ إنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنا وَفُحُولُ(١)
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا ‏ ‏ لِوَقْتٍ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولُ
فَنَحْنُ كَمَاءِ المُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا ‏ ‏ كَهَامٌ وَلاَ فِينا يُعَدُّ بَخِيلُ(٢)

فان الفحل الهجين إذا تعرض للناقة الكريمة قُدِع أنفه بالعصا وضرب وجهه بها فهذا من ذاك مأخوذ ، والمصراع الأول دل على الشجاعة ، والثانى على العز والمنعة

(١) أى : صفت أنسابنا فلم يَشُبْها كدر ، يقال : كَدِرَ الماء يَكْدَرُ كَدَرًا وكُدُورًا وَكُدُورَةً وهو أَكْدَرُ وكَدِرٌ ، وكَدَرَ يَكْدُرُ مثله ، والسر ههنا : الأصل الجيد ، يقال : إن فلانا ليضرب فى سِرٍّ : أى فى أصل جيد ، والسر فى غير هذا الموضع : النكاح ، سمى بذلك لأنه يُفْعَلُ سرًّا ، والسر فى غير هذا أيضا : اسم لذكر الرجل

(٢) ماء المطر أصفى المياه عندهم ، فَشَبَّه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر ، وَالْمُزْن : السحاب الأبيض وماؤه أطهر المياه لسلامته من الاستعمال ، ويجوز أن يكون المراد به السخاء : أى نحن كالغيث ننفع الناس ونخلُفُ المطرَ ، وسمى المنذر ماءَ السماء لأنه كان يكفى الناس إذا أجدبوا ، والنصاب : الأصل ، ومنه نصاب السكين ، وَالْكَهَام : الكليل الحد : أى كل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد ، وهذا نفى البخل رأسا ، وليس يريد أن فيهم بخيلا يعد ، ومثله :

* ولا ترى الضبَّ بها يَنْجَحِرْ(١) *

أَنْكَحَهَا فَقْدُهَا الْأَرَاقِمَ فِى ‏ ‏ جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ

(١) رواه فى أساس البلاغة (ج ح ر) وقال : « جحرت الضباب وانجحرت : دخلت فى جحرتها » ثم أنشده

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ... وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ(١)
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ(٢)
وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ ... وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ(٣)
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا ... لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ(٤)
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ ... بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ(٥)

أى : ليس بها ضبّ رأسا فينجحر ، ويقال : كَهُمَ يَكْهُمُ وَكَهِمَ يَكْهَمُ كَهَامَةً فهو كَهَام وكَهِيم : يقال ذلك للرجل إذا ضعف ، وللسيف إذا كلَّ ، أبو هلال : هذا البيت مَعيب لأن الكهوم والمضاء ليسا من ماء المزن فى شيء ، وكان ينبغى أن يقول : ونحن كماء المزن صَفاءَ أخلاق وبذْلَ أكف : أى(١) ونحن سيوف لا يعتريها كهوم ، ولا يشينها كلول

(١) هذا كقول الآخر : —

وَمَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ عَقْدًا يَشُدُّهُ ... وَيَنْقُضُهُ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ مُبْرَمَا

(٢) وهذا يشبه قول حاتم : —

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ ... نَظِيرٌ لَهُ يُغْنِى غَنَاهُ وَيَخْلُفُ

(٣) أراد نار الضيافة : أى نديم إيقادها فلا تطفأ دون طارق ليل ، والطروق يختص بالليل دون النهار ، ويسمى النجم طارقا لذلك

(٤) أى : وقعاتنا مشهورة فى أعدائنا ، فهى بين الأيام كالأفراس الغُرّ المحجَّلة بين الخيل ، وَالحُجْلُ : أصله الخَلْخَال ، فلما كان البياض فى موضع الخلخال وفوق ذلك سمى الفرس مُحَجَّلًا

(٥) القِراع : المقارعة ، وهو أن يقرعك وتقرعه ، والذى تضرب به المِقْرَعَةُ

---

(١) هكذا فى الأصول كلها ، وعندى أنه محرف عن « أو » والمراد أنه كان يجب أن يقول أحد هذين القولين

مُعَوَّدَةً أَنْ لاَتُسَلَّ نِصَالُهَا   فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ (١)
سَلِي إِنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ   وَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ (٢)

وسميت حلقة الباب إذا كانت مستطيلة مقرعة : أى تَفَلَّتْ سيوفنا مما نضارب بها الأعداء ، وقال « من قراع الدَّارعين » لأن الغرض أن يكون عدوهم على غاية الاحتراز منهم ، والدارعين : أصحاب الدروع . ولا يُصَرَّف منه فعل ، إنما هو بمعنى النسبة ، وقوله « فى كل غرب ومشرق » ظرف قراع الدارعين : أى بأسيافنا فلول من القراع فى كل شرق ومغرب

(١) انتصب « مُعَوَّدَةً » على الحال . ويجوز أن يرفع على أن يكون خبر ابتداء مضمر ؛ والعامل فيه إذا كان حالا ما يدل عليه قوله « بها من قراع الدارعين فلول » يقول : عُوِّدَتْ سيوفنا أن لا تجرد من أغمادها فترد فيها إلا بعد أن يستباح بها قبيل ، والقبيل : الجماعة من آباء شتى ، وجمعه قُبُل ، والقبيلة : الجماعة من أب واحد ، وجمعها قبائل ، ويقال : عوَّدْته كذا فتعوَّده واعتاده ، والعادة : من العَوْد وهو الرجوع ، ويقال : غَمَدْت السيفَ وأغمدته ، وأصله الستر ، ومنه تغمَّده الله برحمته

(٢) ويروى :

* سلى إن جهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا فتُخْبَرِى *

أى : إن كنت جاهلةً بنا فسلى الناس تُخْبَرِى بحالنا ، فالعالم والجاهل مختلفان ، وينتصب فتخبرى بأن مضمرة ، وهو جواب الأمر بالفاء ، وسَوَاء : أى استواء ، كما تقول : هذا درهم تماماً : أى تم تماما ، وفى القرآن (فى أربعة أيام سواء للسائلين) أي : مستويات ، وقرىء سَوَاء على المصدر كأنه قال استواء ، وحكى الأخفش هما سَوَاء وَسَوَاآن وَأَسْوَاء فى الجمع

فَإِنَّ بَنِي الدَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ   تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ (١)

١٥ — قال الشَّمَيْذَرُ الحارثى (٢)

---

(١) القُطْب : الحديد فى الطبق الأسفل من الرحا يدور عليه الطبق الأعلى ، و به سمى قطب السماء لما يدور عليه الفلك ، وعلى التشبيه قالوا : فلان قُطْبُ بنى فلان : أى سيدهم الذى يلوذون به ، وهو قطب الحرب ، والمراد بالقطب ههنا أن أمر قبيلتهم بهم يتم كتمام أمر الرحا بالقطب ، وقال أبو محمد الأعرابى فى رده على النمرى : قوله قال السموأل « وأسيافنا فى كل غرب ومشرق » هـذا البيت لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، لا للسموأل بن عادياء الغسانى ؛ و يدلك على ذلك قوله فى القصيدة « فان بنى الدَّيَّان قُطْبٌ لقومهم » وَالدَّيَّان : هو يزيد بن قَطَنِ بن زياد بن الحرث الأصغر بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث الأكبر ، وقال النمرى : فان قال قائل : لم قدم الغرب على الشرق وَالعادة جارية أن يقال الشرق والغرب ؟ فالجواب عن ذلك أنه قدم الغرب لحلوله وحلول قومه فيه ، وأنه دارهم ، والقطر الذى يدنو منهم . قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل « عِيٌّ صامتٌ خيرٌ من عيٍّ ناطقٍ » كيف يكون الغرب منزل الحرث بن كعب ، وهم ينزلون اليمن ناحية الجنوب ، ولا أدرى ما أنكر أبو عبـد الله من رواية من روى وهو الصحيح « وأسيافنا فى كل شرق ومغرب » ، ومعنى ذلك أنهم يُبْعِدون الغارات فى نواحى نجد وتهامة ، وهو قول عُرْوَةَ بن الْوَرْد :

تقول لك الْوَيْلاَتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ   ضُبُوأً بِرَجْلٍ مَرَّةً وَبِمَنْسَرِ

فَيَوْماً على نَجْدٍ وَغارَاتِ أَهْلِهَا   وَيَوْماً بِأَرْضٍ ذَاتِ شَثٍّ وَعَرْعَرِ

(٢) الشميذر : صفة منقولة ، وهو فى الأصل السريع الخفيف ، يقال : سير شَمَيْذر : أى سريع ، واشتقاقه من الشمذ والشذر ، والشمذ : رَفْعُ الناقة الذنبَ ،

بَنِي عمِّنَا لاَ تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ الْقَوَافِيَا (١)

والشذر : النشاط والسرع فى الأمر ، وقال أبو العلاء : ويقال إن اشميذر اسيء الخلق ، وقيل : اسم هذا الشاعر الشمذر ، وهى دابة ، قال ابرقى : هذا الشعر لسُوَيْد ابن صُمَيْع الْمَرْثَدِيّ من بنى الحرث ، وكان قتل أخوه غِيلَةً ، فقتل قاتل أخيه نهاراً فى بعض الأسواق من الحضر . وَسُوَيْد : تصغير أسود مرخما ، وَصُمَيْع : تصغير أصمع وهو اللطيف

(١) الضرب الثانى من الطويل ، والقافية من المتدارك

الصحراء : اسم المكان الواسع ، والجمع صَحَارٍ وَصُحْرٌ . وَالغُمَيْر : موضع ، وفى دفنهم القوافى قولان : أحدهما أنكم انهزمتم بصحراء الغمير ، ولم تفعلوا ماتستوجبون به المدح ، فلا تذكروا الشعر ، فليس لكم مفخرة تفخرون بها فى الشعر بعد انهزامكم : أى لاتكلفوا أحدا مَدْحَكم ، ولا تفتخروا فى شعر أبدا ، فقد دفنتم القوافى بهذا الموضع لسوء بلائكم ، والثانى أنه قتل شاعرهم ودفن بصحراء الغمير ، يقول : لستم بقادرين على الشعر وقد دفنتم شاعركم بصحراء الغمير ، فلا تتكلفوا ما لستم من أهله ، فعلى هذا ذكر المضاف إليه وترك المضاف ، كأنه قال : دفنتم صاحب القوافى ، وأراد بالقوافى القصائد ، والقصيدة تسمى قافية لأنها بالقوافى تتم ، أو سميت قافية لأنها تقفو الكلام ، وقافية البيت (١) عند

(١) الذى صوبه علماء العروض تعريف القافية بأنها « من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما » وخذ مثلا لذلك قول امرىء القيس :

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لاَتَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

والقافية ههنا من الحاء المهملة إلى آخر البيت ؛ لأن الحاء هى أول حرف متحرك بعده حرف ساكن (هو الميم الأولى ههنا) قبل آخر البيت . وقد تكون القافية

فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً فَنَقْبَلَ ضَيْماً أَوْ نُحَكِّمَ قَاضِيَا (١)
وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ فَنَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا

الأخفش : آخر كلمة فى البيت ، وقال غيره : القافية من كلمتين فى آخر البيت ، وقال آخرون : هى المصراع الأخير ، والقول قول الأخفش ؛ لأنا رأيناهم إذا قالوا البيت حتى تبقى منه كلمة قالوا : بقيت القافية ، ولو أن شاعرا قال لك : اجمع لى قوافى : لم تجمع له أنصاف أبيات ، وإنما كنت تجمع له كلمات أواخرها الحرف الذى يريد أن يجعله روى القصيدة ، واشتقاقها من قولهم : قَفَوْت الرجل ، إذا جئت خلفه ، وفى القرآن (وقفينا على آثارهم) أى : أتبعنا بعضهم بعضا

(١) السَّلة : السرقة ، ورجل مُسِلٌّ مُغِلٌّ : سَرَّاق خَوَّان ، وفى بنى فلان سَلَّة : أى سرقة ، وانتصب « سَلَّةً » على أنه مصدر فى موضع الحال ، والتقدير تصيبونهم سالين : أى سارقين ، يقول : لسنا كمن كنتم تقصدونه وهو منفرد شاذ فتصيبونه سرقة فنغضى على الضيم أو نحاكمكم إلى قاض ، ولكنا أولو منعة نحكم السيف فيكم ، فلا نرضى بحكم القضاة ، بل نقضى لأنفسنا كيف نريد ، وحكم السيف أن يضرب به حتى ينفل ، ورضاه أن يعمل حتى يكل ، فإنه مادام يقتل فكأنه يقبل الضرب ، والمعنى إنا نقتل جهارا لثقتنا بأنفسنا ، ونحكم السيف فيكم إلى أن يكل ، ولسنا مثلكم قتلتم منا سرقة ، وقيل : إن القوم الذين يخاطبهم كانوا قتلوا أخاه فأخذ ديته ثم قتل قاتله

بعض كلمة كما فى هذا المثال ، وقد تكون كلمة تامة ، وذلك مثل قول امرىء القيس أيضا :

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّى صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِىَ مِحْمَلِى

وقد تكون كلمتين كاملتين كقول امرىء القيس أيضا :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وَقَدْ سَاءَنِى مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا ... بَنِى عَمِّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيَا (١)

فَإِنْ قُلْتُمُ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ... ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا (٢)

---

(١) جَرَّت : أى جنت ، ودل قوله « لو كان أمرا مدانيا » على أنه لم يسؤه ما جنت الحرب بينهم لأنه وقع باستحقاق ، ألا ترى أنه قال ساءنى ذلك لو كان الأمر المؤدى إليه أمرا مدانيا ، والمراد لو كان الأمر أمراً مدانيا ساءنى ، وإذا كان كذلك فجواب لو متقدم ، وتلخيصه لو كان ما ترددنا فيه قريباً ساءنى ما جنته الحرب بيننا ولكن الآن لم يسؤنى

(٢) « أسأنا التقاضيا » فيه قولان : أحدهما القتل بعد أخذ الدية ، والآخر قتل جماعة بواحد ، ويحتمل أن يكون قتلنا واحدا بواحد وأسأنا بذلك عندكم ، ولم نظلم لأن القصاص حق ، ورواه بعضهم « فان تزعموا أنا ظلمنا » والزعم فى دفع الدعوى أبلغ ، وإنما نبه بهذا الكلام على أنه لا يعد ما عوملوا به ظلما ، مع كون ابتدائه منهم ، ولكنا أسأنا التقاضيا حين استخرجنا الحق بالعنف والقهر ، فكأنه سمى ما عدَّه أولئك ظلما سوءَ تقاضٍ ، والظلم : وضع الشيء فى غير موضعه ، ومنه قيل للأرض الصلبة إذا حفرت : مظلومة ، وللسقاء إذا تنوقل ما فيه قبل إدراكه : ظليم ، وقيل : الظلم انتقاص الحق ، وقوله « فلم نكن ظلمنا » إذا كان من حكم الجواب أن يكون طبقا للابتداء ومبنيا عليه فكان من الواجب أن يقول « فان قلتم إنا كنا ظلمنا » ألا ترى أنا نقول فى قوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم) إنه كأنه جواب قائل قال : فان كان الله سيعذبهم ، فنفى على حد الابتداء وطريقته ، لكن الشاعر حذف من الابتداء « كنا » لأن ما فى الجواب يدل عليه ، وفيكم (١)

---

(١) هكذا وقعت هذه العبارة ، وهى إنما تأتى على الرواية التى ذكرها أبو محمد عن أبى الندى بعد ذلك وغرضه أنه قد حصل الاكتفاء عن قوله « وفيكم » بذكر قوله « فينا » لأن ذكر فينا يدل عليه ويرشد إليه

١٦ — وقال وَدَّاكُ بْنُ ثُمَيْلٍ الْمَازِنِيُّ (١)

رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تُلاَقُوا غَدًا خَيْلِي عَلَى سَفَوَانِ (٢)

كما يقول أحد الحيين المتحاربين : حكم الله فينا نافذ ، يريد فينا وفيكم ، قال أبو محمد : هذا خطأ ، والصواب ما أنشدناه أبو الندى

* وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِينَا مُسَمَّطُ *

وهذا مثل تقوله العرب « حُكْمُكَ مُسَمَّطًا » أى : احكم فحكمك مُرْسَل جائز

(١) وقال البرقى : هو وَدَّاك بن سِنَان بن ثُمَيْل ، وَدَّاكٌ : فَعَّال من الْوَدْكِ والدَّكَة ، وأصله الصفة ، ألا ترى أن فَعَّالا بابه الصفة ، وقلما يوجد فى الأسماء ، وفى الكتاب من ذلك الكَلاَّء والْجَبَّان ، قال أبو الفتح : وزادنا أبو على الفَيَّاد ذكر البوم ، ووجدت أنا الجَيَّار ، وهو السعال أو نحوه والصاروج أيضا ، وَثُمَيْل : تصغير ثمل أو ثمل أو ثامل على الترخيم ، ويقال فيه أيضا نُمَيْل بالنون ، والمازن : بيض النمل خاصة ، قال :

وَتَرَى الذَّمِيمَ عَلَى مَرَاسِنِهِم غِبَّ الهِيَاجِ كَمَازِنِ الْجَثْلِ

يعنى النمل ، فأضافه إليه احتياطا وإن كان لايكون إلا منه

(٢) من الضرب الثالث من الطويل ، والقافية من المتواتر

ويروى « رويدا بنى شيبان » وهو الأكثر ، ورويد : تصغير إرْوَادٍ ، وهو مصدر أَرْوَدْت فلانا على طريق الترخيم ، وانتصابه بفعل مضمر دلَّ عليه لفظه وأكثر ما يجىء تصغير الترخيم فى الأعلام ، وقد يجعل رُوَيد اسْمًا لارْفُقْ فيبنى حينئذ كما تبنى أخواته من أسماء الأفعال ، على ذلك ماجاء فى المثل من قولهم : رُوَيْدَكَ الشِّعْرَ يَغِبُّ ، وقوله « بعضَ وعيدكم » انتصب بفعل مضمر دل عليه رويد ، لأن مع استعمال الرفق كفاء عن بعض الوعيد ، فكأنه لما قال أرودوا يابنى

تُلاَقُوا جِيَادًا لاَ تَحِيدُ عَنِ الوَغَى　　إِذَا مَا غَدَتْ فِي الْمَأْزِقِ الْمُتَدَانِي (١)

شيبان قال كفوا بعض الوعيد وهذا تهكم وقوله « تلاقوا » انجزم على أنه جواب الأمر الذى دل عليه رويد وإنما جعل الأمر الجواب لأنه ضمن معنى الجزاء والشرط ، وقوله «غدا» لم يشر به إلى اليوم الذى هو غد يومه ، وإنما دل به على تقريب الأمر ، كأنه قال : تلاقوا خيلى قريبا على سَفَوَان ، وهو ماء على أميال من البصرة ، وكانت بنو شيبان توعد تميما ، وتزعم أن سَفَوَان لهم ، وأرادوا إجلاء بنى مازن عنه ومن كان معهم من بنى تميم

(١) تلاقوا هذه بدل من تلاقوا الأولى ، نبه بهذا على أن المراد بالخيل الفرسان ، ويجوز أن يكون أراد بالخيل الدواب ، ووصفها بأنها لا تجبن عن الوغى لدوام مُمَارستها له ، ثم خبَّر فى قوله تلاقوهم عن أربابها ، والوغى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة : أصله الجَلَبَة والصوت سميت الحرب به ، قال الهذلى :

كَأَنَّ وَغَى الْخَمُوشِ بِجَانِبَيْهِ　　وَغَى رَكْبٍ أُمَيْمَ ذَوِى هِيَاطِ (١)

---

(١) أنشد صاحب اللسان (خ م ش) هذا البيت ، وبين فى روايته اختلافا ، قال : والخموش : البعوض بفتح الخاء فى لغة هذيل ، قال الشاعر :

كَأَنَّ وَغَى الْخَمُوشِ بِجَانِبَيْهِ　　وَغَى رَكْبٍ أُمَيْمَ ذَوِى زِيَاطِ

واحدته خموشة ، وقيل : لا واحد له ، وهذا الشعر فى التهذيب :

كَأَنَّ وَغَى الْخَمُوشِ بِجَانِبَيْهِ　　مَآتِمُ يَلْتَدِمْنَ عَلَى قَتِيلِ

واحدتها بقة ، وقيل : واحدتها خموشة ، قال ابن برى : ذكر الجوهرى هذا البيت فى « وغى » أيضا ، وذكر أنه للهذلى ، والذى فى شعر هـــذيل خلاف هذا ، وهو :

كأَنَّ وَغَى الْخَمُوشِ بِجَانِبَيْهِ　　وَغَى رَكْبٍ أُمَيْمَ أُولِى هِيَاطِ

والبيت للمتنخل ، وقبله :

عَلَيْهَا الْكُمَاةُ الْغُرُّ مِنْ آلِ مَازِنٍ لُيُوثُ طِعَانٍ عِنْدَ كُلِّ طِعَانِ
تُلَاقُوهُمُ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ عَلَى مَاجَنَتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ (١)
مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوَهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانِ (٢)
إِذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمُ لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ (٣)

الخموش : البعوض ،وهياط : منازعة ، يصف ماء ، والحيد: العدول عن الشيء ، والمازق : المضيق ، وأصله من الأزْق وهو الضيق في الحرب ، فهو مَفْعِل منه

(١) أي : تلاقوا من بلائهم ما يستدل به على حسن صبرهم على ما جنت : أي على جناية ، وموضعه نصب على الحال ، والعامل فيه « تعرفوا » وقوله « يد الحدثان » أراد الحوادث ، وليس للحدثان يد ، وإنما استعار ذلك لأن أكثر الجناية باليد تكون

(٢) مَقَادِيم : جمع مِقدام ، وهو الكثير الاقدام في الحرب ، والرَّوْع ههنا : الحرب ، وأصله الفزع ، وسميت روعا لما فيها من الفزع ، وهذا مثل قول كعب :

* نصل السيُوفَ إذَا قَصرْنَ بخطونا *

وقوله « بكل رقيق الشفرتين » أي الحدين ، وأصل الشَّفْر القطع ، وسمى الحرف من كل شيء شفرا لأنه كالمقطوع منه

(٣) الاستنجاد : الاستنصار ، يقول : هؤلاء لحرصهم على الحرب إذا استنصرهم صارخ ودعاهم إلى الحرب لم يطلبوا علة يتأخرون عنها ، ومثله :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخَ لَهُ قَرْعُ الظَّنَابِيبِ (١)

وَمَاءٍ قَدْ وَرَدْتُ أُمَيمَ طَامٍ عَلَى أَرْجَائِهِ زَجَلُ الْقَطَاطِ

والهياط: الخصومة والصياح . والطامى : المرتفع . وأرجاؤه : نواحيه . والقطاط: ضرب من القطا .

(١) هذا البيت لسلامة بن جندل ، وقد سبق المؤلف ذكره (ص ١٧ من هذا

١٧ — وقال سَوّارُ بْنُ الْمُضَرَّب السَّعْدِىّ (١)

فَلَوْ سَأَلَتْ سَرَاةَ الحَىِّ سَلْمَى عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوَّنَ بِى زَمَانِى (٢)

الظنابيب : جمع ظُنْبُوب ، وهو عظم الساق . والصارخ : المستغيث ، والصارخ : المغيث ؛ ومعنى البيت أنه إذا أتاهم مستغيث كانت إغاثتهم إياه ركوب الخيل

(١) من سعد بن تميم ، وقال البرقى : من سعد بنى كلاب ، سَوّار : فَعّال من سار يسور ، صفة ، وأنشدوا بيت الأخطل :

* لاَ بِالحَصُورِ ولاَ فِيهَا بِسَوّارِ *

أى : معربد ، ويقال أيضاً « بِسَأّرِ » أى لا يُسْئِرُ فى قَدَحِه فضلةً من شرابه وهو قليل النظير : لأنه ليس فى الكلام أَفْعَلَ فهو فَعّال ، إلا أحرف يسيرة وهى هذا الحرف أَسْأَر فهو سأّر ، وأدرك فهو دَرّاك ، وأَجْبَر فلان فلاناً على كذا فهو جَبّار ، وأَقْصَرَ عن الشىء فهو قَصّار ، وعلى أنهم قد قالوا قصرت عن الشىء ، وجبرته على كذا ، والأول أفصح ، ومضرَّب — بفتح الراء — أى ضُرِب مرة بعد مرة ، وسمى مُضَرَّبا لأنه شبب بامرأة فقال فيها : —

وَلاَ عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ وَاجِدٌ مَلاَقِيَهَا قَدْ دُيِّثَتْ بِرُكُوبِ

فحلف أخوها ليضربنه بالسيف مائة ضربة ، فضربه فغشى عليه ، ثم أفاق فقال : —

أَفَقْتَ وَقَدْ أَنَى لكَ أَنْ تُفِيقَا فَذَاكَ أَوَانُ أَبْصَرْتَ الطَّرِيقَا

وَكَانَ الجَهْلُ مِمَّا يَزْدَهِينِى عَلَى غُلَوَائِهِ حَتَّى أُذِيقَا

فسمى مُضَرَّبا لذلك :

(٢) من الضرب الأول من الوافر ، والقافية من المتواتر

الجزء) ونبهنا هناك على أن روايته غير ما وقفنا عليه فى مراجع عدة ، وقد ذكر هنا الرواية التى نعرفها فيه

لَخَبَّرَهَا ذَوُو أَحْسَابِ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فَكُلٌّ قَدْ بَلاَنِي (١)
بِذَبِّي الذَّمَّ عَنْ حَسَبِي بِمَالِي وَزَبُّونَاتِ أَشْوَسَ تَيَّحَانِ (٢)

وسَرَاة الناس : خيارهم ، وقال الخليل : السرو سخاء في مروءة ، يقال : سَرَا(١) يَسْرُو فهو سَرِيّ ، ولم يجىء على فَعَلَة غيرها ، يعنى أن فَعَلَة يختص بها الصحيح فى الجمع دون المعتل ، وذلك كالفَجَرَة والفسقة ، وتَلَوُّن الزمان به تصاريفه فى الخير والشر ، وقوله « على أن قد تلون » أنْ إذا وُصل بالماضى أفاد حدثا ماضياً ، و إذا وصل بالمستقبل أفاد حدثاً مستقبلا

(١) « لخبَّرَهَا » جواب « لوسَأَلَتْ » وأحساب : جمع حَسَب ، وهو ما يُعَدُّ ويُحْسَب عند التفاخر ، « فكلٌّ قد بلانى » أى : قد جربنى ، يقال: بَلَوْته واختبرته ، ومنه الْبَلْوَى لأن الانسان يُخْتَبر بها ، والبلاء على أربعة أوجه : نعمة ، واختبار ، ومكروه ، وهو بمعنى الْبِلَى أيضاً ، يقال : بلى الشىء بِلًى وَبَلاَء ، بالكسر والقصر والفتح والمد ، يقول : يعرف حسنَ صنيعى أعدائى وغيرُهم ؛ وكل يشهد لى بالفضل ، و إذا أقر به ذوو الأحساب كان غيرهم أقرب إلى ذلك ، وهذه جملة اعترضت بين خبر ومفعوله ، وهو قوله :

(٢) والباء من قوله « بذبى » تتعلق بقوله « لخبرها » والفاء فى قوله « فكل » دخلت معلقةً لجواب الجملة بها ، وزَبُّونات : فعُّولات من الزَّبْنِ وهو الدفع ، وتَيَّحَان : هو العرِّيضُ الْمِقْدَام ، وهو فَيْعَلاَن — بفتح العين — ولا يجوز أن يروى بكسرها ، لأن فَيْعِلاَن لم تجىء فى الصحيح فيبنى المعتل عليها قياسا ، ومثل تَيَّحَان هَيَّبَان ، وهما صفتان حكاهما سيبويه بالفتح ، ومثالهما من الصحيح قَيْقَبَان وَسَيْسَبَان ، وتَيَّحَان من تاح يتوح و يتيح ، لغتان ، إذا أشرف وتهيأ ، ورجل مِتْيَحٌ ، وقال أبو العلاء : قوله « وزَبُّونات أَشْوَسَ تَيَّحَان » يعنى بالأشوس

---

(١) جاء هذا الفعل ككرم ودعا ورضى

وَإِنِّى لاَأَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ ... إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجَنَّ جَانِى (١)

١٨ — وقال بعض بنى تَيْم الله بن ثَعْلَبة

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا ... فَطَعَنْتُ تَحْتَ كِنَانَةِ المُتَمَطِّرِ (٢)

التيحان نفسه ، والشَّوَس : أن يضيق الرجل أجفانه وينظر فى أحد شقيه من الكبر ، ويقال : تَشَاوَس ، إذا فعل ذلك ، قال حُمَيْد بن ثور :

يَقَرُّ بِعَيْنِى أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهِ ... سُهَيْلاً كَعَيْنِ الأَخْزَرِ المُتَشَاوِسِ

والتَّيِّحَان : يروى بكسر الياء وفتحها ، وهو الذى يعترض فى الأمور ، وذهب قوم إلى أنه يعنى بأشوس تيحان فرساً وادَّعوا أن الزَّبُونة الأذن ، وأنه كنى بالزبونات عن رأس الفرس وهاديه ، لأن الأذنين يكونان فيه ، فاذا صح ذلك فهو مثل قولهم : رماهم بهادى فرسه و بغرته ، ونحو ذلك ، كما قال عنترة :

* مَازِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِغُرَّةِ وَجْهِهِ *

والمعنى لو سألتْ سلمى خيارَ الحى عنى لخبرها ذوو الأحساب منهم وأعدائى فكل قد جربنى بأنى أدفع العار عن شرفى بمالى وزبوناتى ، ويجوز أن يكون أراد أنى أدفع العار عن شرفى وأدفع زبونات أشوس ، وهو المتكبر

(١) إذا رويت «أنى» بفتح الهمزة عطفت على «بذبى الذم» وكان موضعه جرا ، ويكون هذا مما شهد به الأعداء له أيضا ، وإن كسرت «إنى» فهو على الاستئناف والانقطاع عما قبله ، ومعناه إنى أمارس الحروب ، فان لم أجدما يبعثنى على محاربة الأعداء طلبت من شقى بمثل ذلك فدافعت دونه وحاميت عليه

(٢) من الضرب الأوّل من الكامل ، والقافية من المتدارك

قال أبو رياش : هذه الأبيات لبعض بنى تَيْم الله بن ثَعْلَبَة يوم أوارة ،

وَنُطَاعِنُ الأَبْطَالَ عَنْ أَبْنَائِنَا   وَعَلَى بَصَائِرِنَا وَإِنْ لَمْ نُبْصِرِ (١)

وأُوَارة : موضع ، وهو الموضع الذى أحرق به عمرو بن هند بنى دارم ، وهى مأخوذة من أُوار النار : أى حرها ، ويقال للعطش : أوار ، قال الراجز :

قَدْ سُقِيَتْ آبَالُهُمْ بِالنَّارِ   وَالنَّارُ قَدْ تَشْفِى مِنَ الْأُوَارِ

يعنى بالنار السمة ، يريد أن إبلهم وردت الماء ، فلما رأى أصحابه سِمَتَهَا علموا أنها لقوم أعزة فسقوها لذلك ، والمتمطر : اسم رجل من لَخْم ، وهو من قولهم : تَمَطَّر الرجل ، إذا أسرع ، ويقال : مطر به ، وقطر به ، إذا بادر ، وروى الرياشى « تحت لبابة » وقال : اللبابة ثوب يَتَلَبَّبُ به الرجل على ثيابه إذا تحزم لحرب ، والمرأة تتلبب بِمِقْنَعَتِهَا إذا قامت للعمل ، وهو أن تضع أحد طرفيها على منكبها الأيسر وتخرج وسطها من تحت يدها اليمنى فتغطى بها صدرها وترد الطرف الآخر على منكبها الأيسر ، وكذلك يتحزم الفارس ، وغيره يرويه « تحت كِنَانَةِ الْمُتَمَطِّرِ » يشير به إلى المقتل ، وهذا المتمطر كأنه كان بارزه ، وأراد أن يبادر إلى أمر فحال بينه وبينه ، والكنانة : من الكِنّ الستر لأنه يصان بها النبل

(١) ذكر الأبناء كناية عن الْحُرَم ، والبصائر : جمع بصيرة ، وهو ما يَسْتَبِدُّ به الرجل من رأيه وعقله على ما يغيب عنه ، وعلى ذا سميت الطريقة من الدم بصيرة : لأنه يستدل بها على المجروح ، وفسر قوله :

رَاحُوا بَصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ   وَبَصِيرَتِى يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى

على وجوه : يجوز أن تكون البصائر ههنا الآراء : أى خلفوا آراءهم وراءهم ، كما يقال : تركت الرأى موضع كذا ، وبصيرتى يعدو بها فرسى : أى رأيه معه نافذ

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ شُلْنَ عَلَيْكُمُ   شَوْلَ الْمَخَاضِ أَبَتْ عَلَى الْمُتَغَبَّرِ (١)

مستمر ، وإذا جعلتها بصائر الدم يكون المعنى أنهم منهزمون مَكْلُومون فى ظهورهم فدماؤهم على أكتافهم ودمى سالم فى نفسى ، ويجوز أن يكون المعنى أنه قتل أبوهم فأخذوا ديته فاشتروا بها ثيابا فلبسوها ، ويقال : بل عَيَّرهم بأخذ الدية ، فكأنهم حملوا بها ثقلا من العار على أكتافهم ، وأما هذا الشاعر فيقول : أنا أطلب ثأرى على فرسى : أى أقتل بأبى ، ومعنى البيت إنا ندافع عن حُرَمنا على مايعترض من الرأى فى الوقت ، نفعل ذلك وإن لم نبصر عاقبة الأمر ، وحذف مفعول « وإن لم نبصر » لأن المراد مفهوم ، وكذلك حذف جواب « إن » لأن فيما تقدم دليلا عليه ، وقد قيل فى معنى هذا البيت : إنه كما حكى عن مسيلمة حين قال لبنى حنيفة : قاتلوا عن أحسابكم فأما الدين فلا دين ، وقيل : إنه أراد بالأبناء ههنا البنات ، وذهبوا إلى أن عادة العرب أن يقولوا : نقاتل عن نسائنا . ولا يقولون : نقاتل عن رجالنا ، كقول الآخر : —

* نُقَاتِلُ يَوْمَ الرَّوْعِ دُونَ نِسَائِنَا *

(١) «شُلْنَ عليكم » أي : شائلة ، والتقدير وقد شلن عليكم . وأراد بالخيل ههنا الدوابَّ ، وهى تشول بأذنابها إذا اشتد عَدْوُها . ويستدل بذلك على قوة ظهورها ، يقول : لقد رأيتكم منهزمين والخيل تعدو عليكم رافعةً أذنابها رَفْعَ النوق الحوامل لها إذا طُلِبَ حَلْبُ غُبْرِ لبنها ، والغُبْر : البقية تبقى من اللبن فى الضَّرع ، وقيل : معنى قوله « ولقد رأيت الخيل شُلْنَ عليكم » أى أشرعت فرسانُهَا الرماحَ نحوكم كما تشول الإبل الحوامل بأذنابها عند الإباء ، وقوله « أبت على المتغبر » قد معه مضمرة ، وهو واقع موقع الحال . أراد رأيت الخيل شائلةً أذنابها عليكم شَوْلَ

١٩ — قال قَطَرِىّ بن الْفُجَاءة المازنى

لاَ يَرْكَنَنْ أَحدٌ إلى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَغَى مُتَخَوِّفاً لِحِمَامِ (١)

الخفض : آبيةً على المتغير ، ومن روى « ولقد رأيت غداةَ شُلْنَ عليكم » فقد أضمر مفعول رأيت ، وهو الخيل . وساغ ذلك لأن قوله « ولقد شهدت الخيل » — وإن أريد بها الفرسان — يدل عليه . وقال النمرى : قال أبو رياش : فى قوله « وعلى بصائرنا وإن لم نبصر » البصيرة ههنا : اليقين ، فيقول : نقاتل على ما خيلت ، قال : وقال غيره : نطاعن فى الجاهلية والإسلام ، قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل :

يُصِيب وَمَا يَدْرِى وَيُخْطِى وَمَادَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكُ إِلاَّ كَذٰلِكَا

أصاب أبو عبد الله فيما حكاه عن أبى رياش من تفسير هذا البيت ، ولم يدر أنه أصاب ؛ وأخطأ فى قوله « إنه أراد نطاعن فى الجاهلية والإسلام » ولم يدر أنه أخطأ ، وكيف يكون ذلك وقائل هذا الشعر عَلْقَمَةُ بن شيبان بن عدى بن الحرث ابن تيم الله وهو فى عصر المنذر ذى الْقَرْنَيْنِ قبل الإسلام بزمان ؟! وإنما قال هذا الشعر أنه حمل يوم أُوَارَةَ على المتَمَطِّرِ أخى المُنْذِرِ جد النعمان ذى الْقَرْنَيْنِ فقتله ، وعليه التاج ، لا يحسبه إلا المنذر ، فقال : —

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ أُوَارَةٍ فَطَعَنْتُ تَحْتَ كِنَانَةِ الْمُتَمَطِّرِ

ونطاعن الأبطال . . . . الأبيات

(١) الضرب الثانى من العروض الأولى من الكامل ، والقافية من المتواتر

قوله « لا يركنن » يقال : رَكَنَ إلى الشىء يَرْكُنُ ، إذا مال إليه ، ويقال : رَكِنَ يَرْكَنُ ، بمعناه ؛ فأما رَكَنَ يَرْكَنُ بفتح الكاف من الماضى والمستقبل جميعا فإنها لغة ثالثة مُرَكَّبة من اللغتين الأوليين ، وليست أصلا ، والإحجام :

فَلَقَدْ أَرَانِى لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً ... مِنْ عَنْ يَمِينِى مَرَّةً وَأَمَامِى (١)

حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِى ... أَكْنَافَ سَرْجِى أَوْ عِنَانَ لِجَامِى (٢)

النُّكُوص ، والإجحام مثله أيضاً ، وهو مقلوب . وقالوا : أجحم — بتقديم الجيم — إذا أقدم ، وأحجم — بتأخير الجيم — إذا نكص ، والإحجام : مطاوع حَجَمْتُ أى كففت ومنعت ، فهو كالإكباب فى أنه لمطاوعة كَبَبْتُ . ويقال : حَجَمْتُ البعيرَ ، إذا خطمته بما يمنعه من العض ، ويسمى ذلك الشيء الحجام ، والمتخوف : الخائف شيئاً بعد شيء ، والحِمَام : الموت ، وأصله من قولهم : حُمَّ الشيء ، إذا قدّر

(١) الدريئة تهمز ولا تهمز ، فتجعل من الدَّرْء وهو الدفع ، ومن الدَّرْى وهو الختل ، وبهذا سمى البعير الذى يسيب فتألفه الوحش فلا تنفر منه ثم يجيء صاحبه يستتر به فيرمى الوحش فيصطاد ، والحلقة التى يتعلم عليها الطعن : درية ، ويمكن حمل البيت عليهما جميعا ، وإنما اقتصر على ذكر اليمين والقدام لأنه يعلم أن اليسار فى ذلك كاليمين ، فأما الظهر فإن الفارس لا يمكن منه أحدا ، فاذا أراد بالدرية الحلقة التى يتعلم عليها الطعن فالمراد أن الطعن يقع فيه كما يقع فى تلك ، وإذا أراد به الدابة التى يستتر بها فالمراد أنه يُتَّقَى به فيصير سترة غيره من الطعن ، كما تكون تلك الدابة سترة للصائد ، وعلى هذا تكون « الرماح » من أجل الرماح ، وقوله « من عن يمينى » من متعلقة بما دل عليه قوله « أرانى الرماح درية » وهى تأتينى وما يجرى مجراه ، و« عن » من قوله « عن يمينى » اسم ههنا ، وليس بحرف ، والمعنى من جانب يمينى

(٢) أو ههنا ليست للشك ، وإنما هى التى يراد بها أحد الأمرين على طريق التعاقب : أى إمَّا ذا وَإمَّا ذا ، ولك أن تريد الجمع لأن أصل «أو» الإباحة ، وهذا

ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أُصَبْ جَذَعَ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَامِ (١)

كما يسئل الرجل فيقال له : ما كان طعامك فى بلدك ؟ فيقول : الحنطة أو الأرز ، والمعنى أحد هذين ، على أن يكون كل واحد منهما بدلا من صاحبه أو الجميع ، ومعنى البيت انتصبت للرماح حتى خضبت بما سال من دمى إما عنان لجامى و إما جوانب سرجى ، على حسب ما اتفق من الطعن ، فالعنان لما سال من أعاليه ، وجوانب السرج لما سال من أسافله ، و يروى « بل عنان لجامى » وقيل : إنه لم يرد بقوله « من دمى » دمه ، و إنما أراد دم من قتله ، وأضافه إلى نفســه لأنه أراقه ، وليس كذلك ، بل أراد دم نفسه

(١) الجذوعة قبل الإثناء بسنة ، والدهر لجدته يسمى الأزلم الجذع ، وكذلك يقال لمن يرى فى أمر ما على حالة واحدة : هو جذع فيه ، وانتصاب « جَذَعَ البصيرة» على أنه حال وهو نكرة ، وقوله « جذع البصيرة قارحَ الإقدام » مثلان ، وأصلهما فى الخيل وذوات الحافر كلها ، وذلك أن المهر يُرْكَبُ بعد حول سياسَةً وَرياضَةً فاذا بلغ حَوْلَيْن فهو جَذَعٌ ؛ فحينئذ يَسْتَغْنى عن الرياضة ، فيقول : أنا جـذع البصيرة : أى استبصارى و يقينى لايحتاجان إلى تهذيب ولا تأديب ، كما لايحتاج الجذع إلى الرياضة ، و إقدامي قارح : أى قد بلغ النهاية ، كما أن القروح نهاية سن الفرس ، ولا سن بعده ، هذا تفسير قوله « جذع البصيرة قارح الإقـدام » على ماذكره العلماء المفسرون لهذه الأبيات ، ومعنى البيت ماذكره أبو العلاء المعرى ، وهو أنه يريد أنه مذ كان لم يزل شُجَاعًا فاقدامه قارح لأنه قديم ، و يعنى بقوله « جذع البصيرة » أنه كان فيما سلف لايَرَى رأى الخوارج ، ثم تبصر فى آخر أمره ، فعلم أنهم على الحق فاتبعهم ، فبصيرته جذعة : أى محدثة لم تطل عليها الأيام ، وذلك أن هذا الرجل كان خارجيا سُلِّمَ عليــه بالخلافة ثلاث عشرة سنة ، وقد ذكرناها فيما تقدم

٢٠ — وَقَالَ الْحُرَيْشُ بْنُ هِلاَلٍ الْقُرَيْعِيُّ (١)

(١) ويروى للعباس بن مِرْدَاس السُّلَمى ، ويروى للجَحَّاف بن حكيم بن عاصم الذى قال فيه الأخطل :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَّافُ بِالْبِشْرِ وَقْعَةً ... إِلَى اللهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمُعَوَّلُ

وَالْحُرَيْش : يتصرف على وجوه : يحتمل أن يسمى الضَّبُّ حَرِيشا فيكون فَعيلا فى معنى مفعول ، يقال : حَرَشْتُ الضبَّ ، وأصله أن يجيء الرجل إلى بيته فيضرب بيده على بابه ، فإذا أحس الضب به ظن أنه حية ، فأخرج إليها ذنبه ليضربها به ، فيقبض عليه الحارش ، ثم كثر ذلك حتى صار يسمى كل صيد للضب حَرْشاً ، قال الشاعر :

فَكَيْفَ تَرَى حَرْشِي بَنَاتِ ضُبَيْبَةٍ ... أَلَسْتُ مِنَ الْحَرْشِ غَيْرَ هِدَانِ

و « بنات ضُبَيْبَةٍ » ضرب من الضِّباب ، وقال كثير : —

وَمُحْتَرِشٍ ضَبَّ الْعَدَاوَةِ مِنْهُمُ ... بِحُلْوِ الْخَلاَ حَرْشَ الضِّبَابِ الْخَوَادِعِ

ويقولون فى المثل : أخدع من ضب حَرَشْتَهُ ، ومثل آخر : هـذا أَجَلُّ من الْحَرْش ، وذلك أن الضب كان يُحَذِّر ولده من الحرش ، فسمع يوما صوت فأس يُحْفَر بها ظهرُ بيته ، فقال : ياأبت : أهـذا الحرش ؟ فقال الضب : يا بُنَيَّ ، هذا أجلُّ من الحرش » وَالْحُرَيش : دويبة مقدار الإصبع كثيرة الأرجل وهى تسمى دخال الأذن . وقال آخرون : الحريش دابة لها قرن واحد ، ويجوز أن يكون الحريش من قولهم : حرش البعير ، إذا حَكَّ ظهره بِرَسَنه ليسرع ، و « هلال » اسم الرجل يجوز أن يكون مأخوذا من هلال السماء ، وهو أحسن التأويل ، ولا يمتنع أن يكون مسمى بالهلال الذى هو ذكر الحيات ، أو بالهلال الذى هو قطعة من الرحا ، أو بالهلال الذى هو بقية الماء فى الحوض ، أو بالهلال إذا

شَهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ حُنَيْنًا وَهْيَ دَامِيَةُ الْحَوَامِي (١)

أريد به الغبار ، أو بعض الأسنة ، ويقال للغلام الْمُقْتَبِلِ : هلال ، و«قُرَيْع» يجوز أن يكون مصدر قَرَعْتُ الشيء بالشيء مصغرا أو تصغير ترخيم لأقرع أو تصغير قَرَع الفصال ، وهو جدر بها ؛ قال الراجز :

جَاءَ سُهَيْلٌ حِينَ جَاءَ بِالْقَرَعْ غَابَ سُهَيْلٌ غَيْبَةً فَلَا رَجَعْ

فأما القرع هذا المعروف فالعامة تسكن راءه ، ويقال : إن تحريكها الأصل ، قال الراجز :

بِئْسَ إِدَامُ الْعَزَبِ الْمُعْتَلِّ ثَرِيدَةٌ بِقَرَعٍ وَخَلِّ

ويدل على أن قُرَيْعًا الذى هو قُرَيْع بن عوف ومن ولده الأضبط بن قريع مرادٌ به الأقرع ثم صغر تصغير الترخيم قول النابغة :

لَعَمْرِى وَمَا عَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلاً عَلَىَّ الْأَقَارِعُ
أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أُحَاوِلُ غَيْرَهَا وُجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِى مَنْ تُجَادِعُ

فرد قُرَيْعًا إلى أقرع ثم جمعه ، ومن روى للعباس بن مرداس فالعَبَّاس : فعَّال من الْعُبُوس ، وَمِرْدَاس كأنه شديد صُلْب يكسر به الشيء ؛ من الردس : وهو الكسر ، ومن روى للجَحَّاف فجحاف فعَّال من قولهم : جَحَفَ الشيءَ برجله ، إذا رفسه بها حتى يرمى به ، وجاحف الشيء ، إذا زاحمه ولصق به

(١) من الضرب الأوّل من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية من المتواتر

مسوَّمات : مُعَلَّمَات ، ويكون بمعنى مخلاة مرسلة ، من قولهم : سامت السائمة ، إذا أرسلت فى الرعى ، وقيل : المسوّمة الْمُطَهَّمَة ، والتطهيم : حسن الخلق ، وقوله تعالى : (حجارة من طين مسومة) يعنى معلمة عليها مثل الخواتيم ، والسُّومة :

وَوَقْعَةَ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَحَكَّتْ ... سَنَابِكَهَا عَلَى البَلَدِ الْحَرَامِ (١)
نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا الْتَقَيْنَا ... وُجُوهًا لاَ تُعَرَّضُ لِلَّطَامِ (٢)

العلامة ، يصف خيلا حضرت مع النبى صلى الله عليه وسلم وادى حنين وقد دمِيَتْ حوامى حوافرها لما لحقها من التعب وكثرة الْعَدْو ، وواحدة الحوامى حامية ، وهو ما أحاط بالحافر ، وأصلها من الحماية وهى المنع ، وكما جعلوا للحوافر حوامى سَمَّوْا ما تُطْوى به البئر من الحجارة وغيرها ليحمى جوانبها من التشعب حوامى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بوادى حنين ، ورئيس هوازن مالك بن عَوْفٍ النَّصْرِى ، وهذا اليوم الذى قتل فيه دريد بن الصِّمَّة الْجُشَمِي ، قتله ابن لَذْعَة ، وهو ربيعة بن رُفَيْع السُّلَمى ، غلب عليه اسم أمه

(١) يعنى خالد بن الوليد بن المغيرة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم استعمله يوم فتح مكة على الخيل فلقى قريشا بالْخَنْدَمة فقاتلهم فهزمهم ، وقوله « وحكت سنابكها » يعنى أنها وطئت أرض مكة . والسنابك : أطراف الحوافر ، الواحد سنبك . فارسى معرب

(٢) هذا يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المراد إنا نضرب بالسيوف وجوها لم تُضْرب بالأيدى لعزتها ، يعنى وجوه الأعداء . والثانى أن يكون المعنى وجوه أنفسهم ، فيكون كما قال الآخر :

نُهِينُ النُّفُوسَ ؛ وَهَوْنُ النُّفُو ... سِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا

يقول : نبذل وجوهنا فى الإقدام فى الروع ، وهى مصونة فى غيره ، لاتعرض لمكروه لفضل أحلامنا ، ويروى «بكل ثغر خدودا» والثَّغْر بالإسكان : موضع المخافة ، ولا تفتح الغين

وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّى ثِيَابِى إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أُرَامِى (١)
وَلَكِنِّى يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِى إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحُسَامِ (٢)

٢١ — وقال ابن زَيَّابَةَ التَّيْمِىُّ (٣)

---

(١) ثيابى : أى سلاحى ، ويكنى عن السلاح بالثياب ، وبالبز ، كما قال الهذلى :

فَوَيْلُ أُمِّ بَزٍّ جَرَّ شَعْلٌ عَلَى الْحَصَا وَوُقِّرَ بَزٌّ مَا هُنَالِكَ ضَائِعُ

البز فى هذا الموضع : السلاح ، وَشَعْلٌ : لقب تأبط شرا ، وكان قتل رجلا من بنى هذيل وأخذ سلاحه ، وكان تأبط [شرا] قصيرا فلما لبس درعه سحبها على الأرض فلذلك قال : جر شعل على الحصا ، وذكر بعضهم أنه أراد بالبز السيف ، وهذا يرجع إلى المعنى أيضا ، فكأنه لما تقلد بسيفه طالت حمائله عليه لقصره فجره على الأرض ، وقوله « إذا هر الكماة » : أى كرهت ، ويروى « إذا هز الكماة » بالزاى ، يعنى إذا هزوا سلاحهم عند خلعها ، وموضع « لا أرامى » نصب على الحال : أى لا أفعل ذلك غَيْرَ مُرَام ، ويعنى بالمراماة مدافعة الخصم ، ويجوز أن يكون نفى الأمرين جميعا : أى لا أخلع ثيابى تخفيفا عن نفسى فى التولى والانهزام عند هرير الكماة ، وذكر أن معناه لا يكون سلاحى مع عدوى الفحش وخلع الثياب كفعل الجهال ، ووجه آخر ، أى : لا أخلع ثيابى إذا أرادوا سلبها ، بل أقاتل عنها ، وإذا لبست ثياب الحرب راميت

(٢) العضب : القطع والمنع ، ثم قيل : سيف عضب : أى قاطع ، كما قيل ضَيْفٌ للضائف ، وقال الخليل : سمى السيف حُسَاماً لأنه يَحْسِم العدو عما يريد من بلوغ عداوته ، وقوله « بالعضب » أى ومعى العضب ، وهو موضع الحال

(٣) زَيَّابة : اسم مرتجل للعلم ، وهو فَعَّالة أو فَيْعَالة أو فَوْعَالة من لفظ الأزيب ، وهو النشاط ، وَتَيْم : فَعْل من تَيَّمَه الحب أى ذلله ، ويقال أيضا : تامه ، قال :

تَامَتْ فُؤَادِى بِذَاتِ الْجِزْعِ خرعبة مَرَّتْ تُرِيدُ بِذَاتِ العذبة الْبِيَعَا

نُبِّئْتُ عَمْراً غَارِزًا رَأْسَهُ ... فِي سِنَةٍ يُوعِدُ أَخْوَالَهُ (١)

ومنه تَيْم اللات : أي عبد اللات ، ومنه قالوا : طريق مُعَبَّد : أي مذلل مَوْطوء : وقال أبو العلاء : لم يصرف الفعل من زَبَابَة إلا أنهم قالوا : رجل أَزْيَبُ وهو الدعى ، وقالوا للريح الأزيب فقيل : هى الجنوب ، وقيل : هى الصبا . وقال أبو رياش : هو فارس محلز عمرو بن لأى ؛ اللأى : البطء ، ومجاز : من الجاز ، وهو الفتل الشديد . وجاز السوط : مقبضه ، وجلز السنان : أسفله . قال أبو زبيد :

حَمِدْتُ أَمْرِي وَلُمْتُ أَمْرَكَ إِذْ ... أَمْسَكَ جَلْزُ السِّنَانِ بِالنَّفَسِ

وكل ذلك راجع إلى الجلز الذى هو إحكام الفتل

(١) الثانى من السريع ، مُرْدَفٌ مطاق بوصل وخروج ، والقافية متدارك

نبئت : أخبرت ، والنبأ : الخبر إلا أن فيه معنى العظم ، وقوله «غارزا رأسه» أى : مدخلا ، ومنه الغرز بالإبر ، ومعناه ثابتا على ضلالته لَجُوجًا فيه لا يقلع عنه ، وكل شيء أثبتَّه فى شيء فقد غَرَزْتَه فيه ، وغرزت رجلى فى الغرز ، إذا ركبت ، واغترزت ، وغرزت الجرادة ، إذا أدخلت ذنبها فى الأرض لتبيض ، ورزت مثله ، ومنه اشتقاق رزة الباب ، وجعل غرز الرأس كناية عن الجهل والذهاب عما عليه وله من التحفظ ، وقال أبو العلاء : قوله «غارزا رأسه» على معنى الاستعارة ، كما يقال : غرز فلان ذنبه فى موضع كذا : أى أقام به ، والسِّنَةُ : النعاس ، يقول : هذا الرجل كأنه وَسْنَان فقد تغير عقله ، فهو يوعد من لا يجب أن يوعده ، وهذا كما يقال للرجل إذا غفل أو أخطأ : أنت نائم ، ويروى « فى سَنَةٍ » بفتح السين : أى فى جَدْب . والعرب تسمى الجدب سَنَةً ، ولذلك قالوا : أَسْنَتَ القوم ، إذا أجدبوا ، وهذه التاء عندهم مبدلة من واو ، وهى التى تظهر فى قولهم سَنَوَات ، قال الشاعر :

وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ   أَنْ يفعَلَ الشَّىْءَ إِذَا قَالَهُ (١)
الرُّمْحُ لاَ أملأُ كَفِّى بِهِ   وَاللِّبْدُ لاَ أَتْبَعُ تَزْوَالَهُ (٢)

عَمْرُو الَّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ   وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقال الشَّنْفَرَى :

فَبِتْنَا كَأَنَّ الْبَيْتَ حُجِّرَ فَوْقَنَا   بِرَيْحَانَة جيدت عِشَاءً وطُلَّتِ
بِرَيْحَانَة مِن نَوْرِ حَلْيَةَ أَزْهَرَتْ   لَهَا أَرَجٌ مَا حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ

وقال المرزوقى : نَبَّأَ وأنبأ مما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، فعمراً انتصب على أنه مفعول ثان ، وغارزاً انتصب على أنه مفعول ثالث ، ورأسه انتصب من غارز ، وأراد بالسِّنة الغفلة ، وهى مايحدث من أوائل النوم فى العين ولم يستحكم بعد ، يدلك على ذلك قوله :

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ   فى عينه سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

وقد فصل الله عز وجل بينهما بقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) والفعل منه وَسِنَ يَوْسَنُ وَسَنًا ، وموضع « يوعد » نصب على الحال ، وتوسعوا فى الغرز حتى قالوا : اغترز فلان فى ركاب القول

(١) أى : تلك الخصلة لا يؤمن وقوعها من عمرو ، وهو فعله لما يقوله ، وهذا تهكم ، و« أن يفعل » موضعه رفع على البدل من قوله « وتلك منه » . وقيل : معناه أنه ليس بمصدَّق فيها ، لأنه لا يقدر على إمضاء وعده

(٢) يصف نفسه بالفروسية وأنه يقاتل بالرمح وغيره من السلاح ، وإذا اقتصر على الرمح فكأنه ملأ كفه به وشغلها عن غيره ، وقيل : معناه أطعن به اختلاسا ، كقول الآخر :

* أَبِيقاً بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا *

وَالدِّرْعُ لاَ أَبْغِى بِهَا ثَرْوَةً   كُلُّ امْرِىءٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ (١)

والأول أحسن ، وربما استحسنت العرب خلس انطعنة ، قال خِداش ابن زُهَيْر :

وَطَعْنَةِ خَلْسٍ كفرغ الإزا   ء أفرغَ فِى مِثْعَبِ الخائِرِ

وقوله « واللبدلا أتبع تزواله » أى : أنا فارس متمكن من نفسى ، فلا أتبع اللبد إذا مال فأميل معه : أى إنى ثابت على ظهور الخيل لايضرنى فقد بعض الآلة ولا تغير السرج عما يريد[ه] الراكب

(١) أى : درعى ما لى الذى أذخره ، وهذا كما قال الآخر :

وَمَا لِىَ مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ حَصِينَةٍ   وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلِ

ويحتمل أن يعنى بقوله « لا أبغى بها ثروة » أنه لايبيعها فيأخذ العوض عنها فيثرى به ، يقول : فعلام أبيعها بما لايبقى ولا أستبقيها لدفع المكاره وكسب الذكر الباقى ؟ وقوله « كل امرىء مستودع ماله » يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد احتفاظه بالدرع وأن كل إنسان يحفظ ماله . فصاحب الإبل يحوطها ، وكذلك صاحب الغنم وغيرها من المملوكات ، فهى عنده كالوديعة التى قد لزم حفظها ومراعاتها ؛ والآخر أن يريد تعزية نفسه إذ لامال له فيقول : كل امرىء مستودع ماله : أى إنه سيسترد منه كما تسترد الوديعة ، وهذا كقول الآخر :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إلاَّ وَدِيعَةٌ   وَلاَ بُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

ويجوز أن تكون « ما » من قوله « ماله » بمعنى الذى ، فيكون المعنى كل امرىء مرتهن بأجله وبالذى كتب له ، ولا يمتنع أن يكون أشار بما إلى مايقتنى من أعراض الدنيا ؛ ويروى « كل امرىء مستودع ماله » بكسر الدال — والمعنى أن ما يجمعه المرء ويكسبه إذا جاء محتوم القضاء يتركه لغيره لامحالة فلم أرغب فيه

إِنَّكَ يَاعَمْرُو وَتَرْكَ النَّدَى ... كَالْعَبْدِ إِذْ قَيَّدَ أَجْمَالَهُ (١)

وأزهد في اكتساب المحامد ؟ ويروى « والدرع لا أبغي بها نَثْرَةً » وهي الواسعة ؛ المعنى إني أكتفي من الدرع ببدنه ، ويجوز أن يكون معناه إني لا أبغي بها درعًا أحْصَنَ منها ، يقول : إني لا أُبالي بحَصَانة الدرع وجودتها لشجاعتي وقوة قلبي

(١) قال ابن السكيت : يقول : أنت كالعبد اقتصر على موضع يرعى فيه ولا يتعزب بإبله ، وقال غيره : أي إنك قد تركت الندى واكتساب الشرف به فلا تميد ولا تستفيد كالعبد يقيد أجماله وينام فيستريح ، وطَلَبُ الشرف إنما يكون مع التعب ، وهذا مثل قول الحطيئة :

دَعِ الْمَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وقال رجل للأحنف : لا أبالي أهجيت أم مدحت ، فقال : استرحت من حيث تعب الكرام ، وقيل : استراح من وضع المكارم ، وقيل : معناه إنك وبخلك وحبسك مالك كالعبد قيد أجماله فلا يبرحه منها بعير ؛ وكذلك أنت قيدت مالك فلا يبرحك منه شيء ، وذكر النمري هذا الوجه فقال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل :

فَلا يَدْرِي نُصَيْرٌ مَنْ دَحَاهَا ... وَمَنْ هُوَ سَاكِنُ الْعَرْشِ الرَّفِيعِ

أخبرنا أبو الندى قال : هذا البيت من المختل القديم ؛ والصواب

إِنِّي وَحَوَّاءَ وَتَرْكَ النَّدَى ... كَالْعَبْدِ إِذْ قَيَّدَ أَجْمَالَهُ

قال : حواء فرسه ، ومعناه إني متى ماتركت الغزو على ظهر حواء واغتنام الأموال وتفريقها على الزائرين والسائلين لم يبق لي هم ، لأن أكثر همي في ذلك ، وكنت مثل العبد إذا شبعت إبله فأراحها وقيدها في مُرَاحها لم يبق له هم حينئذ ، يقول : همي في الغزو واغتنام الأموال و بذلها

آلَيْتُ لَاأَدْفِنُ قَتْلَاكُمُ فَدَخِّنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ (١)

٢٢ — وقال الحرث بن همّام الشيبانيّ (٢)

أَيَا ابْنَ زَيَّابَةَ إِنْ تَلْقَنِى لَاتَلْقَنِى فِى النَّعَمِ الْعَازِبِ (٣)
وَتَلْقَنِى يَشْتَدُّ بِى أَجْرَدُ مُسْتَقْدِمُ الْبِرْكَةِ كَالرَّاكِبِ (٤)

---

(١) يروى أن واحدا من المخاطبين كان أحدث فى حرب حضرها خوفا على نفسه فعرّض الشاعر بهم ، يريد أنهم إذا صرعوا فى المعركة عثر منهم إن لم يطيبوا على مثل مافعله ذلك الواحد المعرّض به فافتضحوا ، وقيل : إنه عَيَّرَ رجلا منهم طُعِن فأحدث ، فقال « دخنوه » : أي بخروه لتطيب رائحته ، فإنى لاأدفن القتيل منكم إلا طاهرا ، وكان المطعون ربما أحدث ، فكانوا لايقاتلون إلاعلى جوع ؛ والسِّرْبال : القميص ، والسِّربال : الدرع ؛ وآليت : حلفت ، والأليّة : اليمين

(٢) الحرث : الكاسب ، وهمّام : فعّال من همّ بهم

(٣) الضرب الثانى من السريع ، مؤسس مطلق موصول ؛ والقافية متدارك قال أبو العلاء : يقول : لست بتِرْعِيَّة أكون فى النعم الذى قد عَزَب عن أربابه : أى بعد ، وإنما أنا صاحب فرس ورمح أُغير على الأعداء وأحارب من أبتغى حربى

(٤) زعموا أن الراكب ههنا فَسِيلة لم تقتطع من أمها ، ويجوز أن يعنى طولَ عنق الفرس وأنه يوازى الراكب على ظهره ، ويكون هاديه هو الذى يستقدم البركة ، فيكون الكاف من قوله « كالراكب » فى موضع رفع بفعلها ، ولا يمتنع أن يكون الفعل للبركة والكاف فى موضع نصب ؛ والبركة وَالْبَرْك : الصدر ، وقيل : هو وسط الصدر ، وهو حيث انضمت الفهدتان من أعاليهما ، وعظم البركة مما يستحب فى الفرس ، وأراد أنها عظمت حتى كأنها قد استقدمت :

٢٣ — فأجابه ابن زَيَّابة على وزنها :

يَالَهْفَ زَيَّابَةَ لِلْحرثِ الصَّـ ... ابِحِ فَالْغَانِمِ فَالآيِبِ (١)
وَاللهِ لَوْ لاَقَيْتُه خَالِياً ... لآبَ سَيْفَانَا مَعَ الْغَالِبِ (٢)

أى تقدمت ، وتقدم واستقدم وتأخر واستأخر سواء . وقال بعضهم : معناه أنه مشرف الصدر إشراف الراكب ، وقيل : كالراكب ، يقول : هو من إشرافه كأنه راكب لامركوب ، ومن ههنا أخذ أبو تمام :

أُنَاسٌ إذَا تُدْعَي نَزَالِ إلى الْوَغَى ... رَأَيْتَهُمُ رَجْلَى كَأَنَّهُمُ رَكْبُ

يصفهم بطول القامات ، ويجوز أن يكون معنى قوله « مستقدم البركة كالراكب » أنه يتقدم فى الحروب كراكبه ، من حدة نفسه وجراءته

(١) قال أبو هلال : زَيَّابة أبوه ، يقول: يالَهْفَ أبى على الحرث إذ صبح قومى بالغارة فغنم وآب سالما أن لا أكون لقيته فقتلته ، وإنما يريد يالَهْفَ نفسى ، فأقام أباه مقام نفسه ، ويقال : صَبَّحَ الرَّجلُ الْقَوْمَ ، بالتشديد ، كما قال الله تعالى : (ولقد صَبَّحَهُمْ بكْرَةً عَذَابٌ مستقر) وَصَبَحَهُمْ ، بالتخفيف ، إذا سقاهم صَبُوحاً . فقوله « الصابح » فكأنه جعل الغارة لهم صَبُوحا . وقيل : صَبَحْتُهُ وصَبَّحْتُه فى الغارة بمعنى . وقال أبو العلاء : يالهف زيابة كقولهم : يالَهْف أمى ، لأن زيابة أمه . والصابح الذى يصبح القوم بالغارة ، ولما كانت هذه الصفات متراخية حسن إدخال فاء العطف : لأن الصابح قبل الغانم ، والغانم أمام الآيب ، ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة فى الموصوف ، فلا يحسن أن يقال : عجبت من فلان الأزرق العين فالأشم الأنف فالشديد الساعد إلا على وجه يبعد : لأن زرقة العين وشم الأنف وشدة الساعد قد اجتمعن فى الموصوف

(٢) أى : لو لاقيته لقتلته أو قتلنى فآب السيفان مع الغالب ، وفى هـذا

أَنَا ابْنُ زَيَّابَةَ إِنْ تَدْعُنِي ... آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ (١)

٢٤ — قال الْأَشْتَرُ النَّخَعِيّ (٢)

الكلام صفة لنفسه بالشجاعة وقلة المبالاة بالموت ، وإنصاف لمحاربه ، وهذا مثل قول الرجل لصاحبه عند المنافسة في القوة : لو صارعتني لصرع أحدنا صاحبه ، وهو في مذهب قول الله تعالى : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) وإنما ادّعى الفضل على الحرث ، والدليل على ذلك قوله :

(١) هذا يحتمل وجهين : أحدهما إنك إن دعوتني علمت حقيقة ما أقول ، فادعني واخلص من الظن ، لأنك تظن بي العجز عن مقاتلتك : والظن من شأن الكاذب ، مثل ما يقال : القيام بهذا الأمر على فلان : أي هو الذي يقوم به ؛ والآخر أن يكون معنى قوله « والظن على الكاذب » أي : يكون عوناً عليه مع الأعداء ، كما تقول : رأيك عليك : أي إنك تسيئه فيكون كالمتظاهر عليك : أي إنْ تَدْعُني وظننت أنك تغلبني فإني أغلبك فيعود ظنك كاذبا ؛ وقال بعضهم : أراد أن الحرث يصبح أعداءه بالغارة فيغنم ويؤب سالما ، قال : فوصفه بالفتك والظفر وحسن العاقبة ، وهكذا ذكره النمري ، فقال أبو محمد الأعرابي رادا عليه : هذا موضع المثل : « أخطأَتْ استُكَ الحُفْرَةَ » كيف ذكره بالفتك والظفر وهو أعدى عدوّ له ؟ وإنما المعنى أنه لهف أمه وهي زَيَّابة أن لا يلحقه في بعض غاراته فيقتله أو يأسره ، واسم هذا الشاعر سَلَمَةُ بْنُ ذُهْلٍ ، ويعرف بابن زيابة ، ومثل هذا البيت في تلهيف الأم والتحسر على الغائب قول النابغة الذبياني :

يَالَهْفَ أُمِّي بَعْدَ أُسرةِ جَعْوَلٍ ... أَنْ لاَ أُلاَقِيَهُمْ ورَهْطِ عِرَارِ

(٢) أما الأشتر فمن شَتَرِ العين ، وهو معروف ، والأشتر في اللغة : المنخرق جفن العين ، وإنما سمي به لشترة كانت بإحدى عينيه ، والنَّخَعُ : اسم مرتجل للتعريف ،

بَقَّيْتُ وَفْرِى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلاَ ‏ ‏ وَلَقِيتُ أَضْيَافِى بِوَجْهِ عَبُوسِ (١)

وهو من قولهم : انْتَخَع الرجل عن أرضه انتخاعا ، إذا بعد عنها ، والنَّخَعُ هذا : أبو قبيلة من العرب

(١) من الضرب الثانى من الكامل ، مردف مطلق موصول ، وقافيتها من المتواتر

قال أبو هلال : الأشتر هو مالك بن الحرث بن عبد يَغُوثَ بن مَسْلَمَةَ بن الحرث بن جذيمة . وفى الشعراء آخر يقال له الأشتر بن عامر أحد بنى عَوْف بن ولاَد بن تَيْم اللات ، ومنهم الأشتر الحمامىّ الأَزْدِىّ من بنى حَمَامَةَ من أَزْدِ عُمَانَ ؛ وبعث علىّ عليه السلام مالكا الأشتر على مصر فكاتب مُعَاوِيةُ جَانستانَ ، وكان فى طريقه ، فَسَمَّهُ فمات ، وقال أبو العلاء : الذى ينبغى أن يحمل عليه معنى قوله « بَقَّيْتُ وَفْرِى » أن الوفر المال ، وذلك المشهور من كلام العرب ، وذكر أبو محمد الدِّمْرِتىُّ أن الْوَفْرَ ههنا الشعر ، وأنكر ذلك عليه أكثر أهل العلم ، ولا يمتنع فى القياس أن يسمى الشعر وفرا ؛ لأنه كالثمْرَةِ فى الجسد ، ولأنهم قد سَمَّوْا شعر الرأس إذا كثرة وَفْرَةً ، وإذا صح ذلك لم يحسن أن يحمل البيت عليه ؛ لأن توفير شعر الرأس ليس من جنس الانحراف عن معالى الأمور ولقاء الضيف بالوجه العابس ، وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن غيره من صلحاء السلف أنهم كانوا يُوَفِّرُونَ شعورهم ، فان ذهب إلى أنه أراد بالْوَفْر الذى جاءت السنة بإماطته عن الجسد فهو أيضا ليس بلائق ؛ إذ كان منافيا لما بعده ، وقد كانوا فى الجاهلية يكرهون ذلك ، وروى أن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك قال للأسدى الذى قتله : أجر لى سراويلى فانى لم أَسْتَعِنْ ، يعنى لم يحلق عانته ، وذكر بعض من انتصر

إِنْ لَمْ أَشُنَّ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً ... لَمْ تَخْلُ يَوْماً مِنْ نِهَابِ نُفُوسِ (١)

خَيْلاً كَأَمْثَالِ السَّعَالِى شُزَّباً ... تَعْدُو بِبِيضٍ فِى الْكَرِيهَةِ شُوسِ (٢)

للدّيمرْتى أن الوفر فى معنى الشعر ذكره الأصمعى فى بعض ما أملاه من تسمية خلق الإنسان ، وذكر أنه أملاه خمس عشرة مرة ، فكل نسخة من إملائه تخالف سائر النسخ فى نقص أو زيادة . ولايجوز أن يعدل عن أن الوفر المال الكثير ، والعبوس : الكلوح عن غضب ، وتوسعوا فيه فقالوا : يوم عَبُوس : أى شديد وهو جبس عبس فى اللئيم ، وهذا من الأيمان الشريفة . واللفظ لفظ الخبر ، وظاهره الدعاء ومحصوله القسم : أى بقيت مالى ولم أنفقه فيما يكسبنى الذكر ورفع القدر

(١) يدعو على نفسه بما يكسبه سوء الثناء إن لم يفرق الغارة على ابن حرب ، يعنى معاوية بن أبى سفيان ، وهذا المعنى مأخوذ من قول عدى بن زيد :

فَإِنْ لَمْ تَنْدَمُوا فَثَكِلْتُ عَمْراً ... وَهَاجَرْتُ الْمُرَوَّقَ وَالسَّمَاعَا

وَلَا وَضَعَتْ إِلَيَّ عَلَى فِرَاشٍ ... حَصَانٌ يَوْمَ خَلْوَتِهَا قِنَاعَا

وَمَا مَلَكَتْ يَدَاىَ عِنَانَ طِرْفٍ ... وَلَا أَبْصَرْتُ مِنْ شَمْسٍ شُعَاعَا

والشّن بالشين معجمة فى الغارة ، والسن غير معجمة فى الماء ، وأصلها فى الماء ، ثم توسع فى ذلك ، وسمى الخيل غارة لما كانت من قبلها تكون ، وموضع « لم تخل يوما » نصب على الصفة للغارة : أى خيلا جرت عادتها بذلك ، والنِّهَابُ : يجوز أن يكون مصدر ناهبته ، ويجوز أن يكون جمع النَّهْب ، وجواب « إن لم أشن » فيما تقدم

(٢) الشزَّب : الضُّمَّرُ ، والشُّوس : جمع أشوس ، يقال : شَاسَ يَشُوسُ ، وشَوِس يَشْوَسُ ، إذا عرف فى نظره الغضب أو الكبر ، وانتصب « خيلا » على أنه بدل من « غارة » وشبه الخيل فى ضمرها وسرعة نفارها بالسعالى ، وهى الغيلان ،

حمِيَ الحَدِيدُ عَلَيْهِمُ فَكأَنَّهُ ... وَمَضَانُ بَرْقٍ أَوْشُعَاعُ شُمُوسِ (١)

٣٧ — وقال مَعْدَان بن جَوّاسٍ الْكِنْدِيُّ (٢)

وقيل : بنات الغيلان ، وانتصب « شُزَّبَا » على أنه صفة الخيل ؛ لأن قوله « كأمثال » أيضا صفة ، ويجوز أن يكون حالا للمضمر فى « كأمثال السعالى » وقوله « تعدو ببيض » أيضا صفة ، إما لقوله « شزبا » وإما للأول . وإذا جمع بين مفردات وجمل فى الوصف فالترتيب المختار تقديم المفردات على الجمل ، وقد جاء البيت على ذلك ، والعرب تجعل البيض كناية عن الكرم كأنها تريد نقاء العرض ، على ذلك قوله : أملك بيضاء من قضاعة ، وقولهم : بيض الوجوه ، فالمراد أنهم لم يفعلوا شيئا يشينهم فيغير لونهم عند ذكره ، وقد قالوا فى ضده : أوجههم كالحُمَمِ ، وسود الوجوه ، ويجوز أن يعنى بالبيض المشهورين ، ويجوز أن يعنى أنه لا تكسف ألوانهم عند الكريهة ، وقوله «فى الكريهة» الكريهة للحوق الهاء بها لحق بباب الأسماء ، ويستعمل فى نوازل الدهر ، وهو ظرف إن شئت لما دل عليه قوله « بيض » من الكرم ، وإن شئت لقوله « شوس » والكرم فى الكرائه نزاهة النفس عن لوازم العار

(١) شعاع الشمس : انتشار ضوئها ، يقال : أَشَعَّتِ الشمس ، إذا انتشر شعاعها ، وجمع الشموس لاختلاف مطالعها . وقال أبو هلال : الحديد إذا كان مَجْلوا وطلعت عليه الشمس برق ، وإن لم يحم ، وإذا لم يكن مجلوا لم يكن له بريق وإن حمى ، فقوله حمى فصار له ومضان ردىء لا وجه له

(٢) ويروى الجُحَيَّةَ بن المضَرِّبِ السَّكُونى ، الحاء قبل الجيم ، ويكنى أبا حَوْطٍ ، شاعر جاهلى ، وفارس مُقَدَّم ، حليف فى بنى أبى ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبانَ ؛ قال أبو الفتح : مَعْدَان : اسم مرتجل من معد يمعد إذا أبعد الذهاب ، وقال

أبو العلاء : مَعْدَان : يحتمل أن يكون من المعد . وهو نحو الخطف والاختلاس ، يقال : امتعد الذئب الشاةَ . إذا اختلسها ، ويقال : معد الرجل ، إذا صار لصا ، وهو راجع إلى ذلك المعنى . قال الراجز :

أَخْشَى عَلَيْهَا طَيِّئًا وَأَسَدَا وَخَارِبَيْنِ خَرَبَا وَمَعَدَا

* لَا يَحْسَبَانِ اللهَ إِلا رَقَدَا *

ولا يمتنع أن يكون مَعْدَانُ من المعد ، وهو الشيء الغض . ويقال : مَعَدَ الدَلْوَ ، إذا نزعها نزعا شديدا ، قال الراجز :

يَاسَعْدُ يَاابْنَ عَمَلٍ يَاسَعْدُ هَلْ يُرْوِيَنْ ذَوْدَكَ نَزْعٌ مَعْدُ

ويقال : معد معداً ، إذا خطا خطوا سريعا ؛ وهذا كله راجع إلى الخطف وزعم قوم أن مَعِدَةَ الإنسان سميت بذلك لشدتها . وما أراها إلا من بعض ماذكر من الألفاظ ، وَجَوَّاس : فَعَّال من جَاسَ البلادَ يَجُوسها ، إذا تخللها . قال الله تعالى : (فَجَاسُوا خِلَالَ الديار) وقرأ أبو السَّمَّال : (فحاسوا) قال أبو زيد : فقلت له : إنما هو جاسوا . فقال : جاسوا وحاسوا واحد ، وهو صفة منقولة كَشَدَّاد وَعَلَّاق ، قال أبو الفتح : وأنا أرى أنّ حاسوا من الحَيْس ، وهو الخلط . كأنه إذا وطئ المكان وَذَلَّلَهُ فقد خلط بعضه ببعض . ويجوز أن يكون حاسوا من الواوي من حَوِس الرجل يحوس حَوَساً . إذا كان شجاعا ، وهو الأحوس ، وذلك أنه إذا كان شجاعا أقدم على الأمور وتعجرف فيها وتوردها . فالمعنى قريب . ولا يجوز أن يكون حاسوا إتباعا لجاسوا ، ألا ترى أنه منفرد من صاحبه ، وَكِنْدَةُ : مرتجل ، وهو فِعْلَةٌ من كَنَدَ النعمة إذا كفرها . وقال أبو العلاء : كِنْدَة مأخوذ من الغلظة وكثرة اللحم ، واسم كندة فيما قيل عُفَيْر ، ويجوز أن يكون مأخوذا من الـكَنُود : أي الـكفور ، قال أبو رياش : هو من السَّكون ، وهؤلاء الرهط مجاورون في بني شيبان

إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّى فَلَامَنِى ... صَدِيقِى وَشَلَّتْ مِنْ يَدَىَّ الْأَنَامِلُ(١)
وَكَفَّنْتُ وَحْدِى مُنْذِرًا فِى رِدَائِهِ ... وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعَادِىَّ قَاتِلُهْ(٢)

---

(١) من الطويل الثانى ، مطلق مؤسس موصول . والقافية متدارك ، والبيت الأول مخروم

قوله « صديقى » يجب أن يريد به الكثرة لا الواحد ، ولفظه لفظ الخبر ، والمعنى معنى الدعاء ، والمراد القسم ، وقوله « لامنى » فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : فأنا لامنى ، والفاء مع مابعده جواب إنْ ، والمعنى إنْ كان ماأُدِّى إليك عنى حَقًّا ففعلتُ ما استحققت به لوم الصديق واسترخت أناملى ، وخص الأنامل لأن أكثر المنافع بها ، فان قيل : اليمين فى الشرط كيف تصح ؟ قلت : هذا كلام مبطل لما أُدُّعِىَ عليه نافٍ له ، فاليمين تناولت نفى ما أثبت فيه ، ودل على ذلك فحوى الكلام ، ويجوز فى «إنْ كان» أن تكون « كان » التامة لا الناقصة فيكتفى بالفاعل ، ولا يحتاج أن يضمر بعده حقا ، والمعنى إنْ وقع ما بُلِّغت عنى وحدث ، وجاز إضمار خبر كان إذا جعلتها ناقصة لأن فى الكلام والحال دليلا عليه . ولأن دخوله على المبتدأ والخبر ، فكما يحذف الخبر فى ذلك الباب يحذف هنا ، وقوله « وَشَلَّت » الشَّلَلُ : فَعَلٌ ، ولا يجوز فى معناه شَلٌّ ، يقال شَلِلَتِ اليدُ ، ومصدر فَعِلَ فَعَلٌ فى غير المتعدى ، وأما الشَّلُّ فالطرد ، شَلَلْتُ — بالفتح — إذا طردت

(٢) «وحدى» انتصب على المصدر ، وهو فى موضع التوحد ، ومن النحويين من يجعله وإن كان معرفة فى موضع الحال ، قال أبوسعيد : هو ينتصب عند الخليل وسيبويه على الحال ، وهو اسم يجعل فى موضع المصدر الذى يكون حالا ، والمصدر الذى هذا الاسم فى موضعه فى موضع اسم هو الحال فى الأصل . فاذا قال القائل :

مررت بزيد وحده ، فتقديره مررت بزيد إفراداً له بمروري : أى أفردته بالمرور إفرادا ، وهو فى معنى مررت بزيد مُفْرَدًا له أنا بالمرور ، وقوله «أعاديّ» بناه على الفتح لخفته ولأنه الأصل فى ياء الضمير إذا حرك ، وعلى هذا تقول : هؤلاء بَنِيّ ومُعْطِيَّ ، وأَعَادِيّ : يجوز أن يكون أَفَاعِلَ وأضافه ، ويجوز أن يكون أفاعيل كأنابيب ، وخففه كما خفف أثَافٍ ، ثم أضافه ، ويجوز أن يكون نوى الإضافة اجتمع ثلاث ياآت فحذف مدة أفاعيل ، ومعنى قوله «وكُفِّنْتُ وحدى منذرا» أى : أكون غريبا لا أجد مُعينا ، وقوله «فى ردائه» أى : لا أجد كفناً ، قال النمرى : منــذر ابنه وحَوْط أخوه ، وقال أبو محمد الأعرابى رادا عليه : هذا موضع المثل :

إذَا هَبَطَتْ حَوَرَانَ مِنْ أَرْضِ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ كَذَلِكِ

غلط أبو عبد الله ههنا من ثلاثة أوجه : أحدها أنه نسب هذا البيت إلى مَعْدَانَ بن جَوَّاس ، وهو لِحُجَيَّةَ بن الْمُضَرَّب ، والثانى أنه قال مُنذر ابنه ، والثالث أنه قال حَوْط أخوه ، وإنما المنذر أخوه ، وهو المنذر بن المضرب ، وحَوْط ابنه ، وبه كان يكتنى حُجَيَّةُ ، وفيه يقول مَعْدَان بن جَوَّاس :

وَرِثْتُ أَبَا حَوْطٍ حُجَيَّةَ شِعْرَهُ وَأَوْرَثَنِي شِعْرَ السَّكُونِ الْمُضَرَّبُ

ثم إن هذا البيت متعلق بقصة لا يكاد يشفى الغليل فى معرفة معناه إلا بها ، وكان سبب ذلك أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم ، فنذروا به ، ومعه بكر ابن وائل والصنائع من العرب ، وكان فيمن كان معه حُجَيَّة بن المضرب ، وكانت أخته فُكَيْهَةُ بنت الْمُضَرَّب تحتَ ضَمْرَةَ بن ضمرة ، وهى أم حَرِيٍّ ، فنذر بنو تميم بالنعمان بن المنذر ، فهزموه ، فاتَّهم النعمان حُجَيَّةَ أن يكون أنذرهم ، فقال :

إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَامَنِي صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ

وما بعده

٢٨ — قال زُفَرُ بْنُ الحَرْثِ (١)

(١) ابن مُعَاز بن يزيد بن عمرو الصَّعِق بن خُوَيْلد بن نُفَيْل بن عمرو بن كلاب ، يَوْمَ مَرْجِ رَاهِطٍ موضع كانت لهم فيه وقعة بالشام ، وهو اليوم الذى قتل فيه الضَّحَّاك بن قَيْس الفِهْرِىّ . زُفَر : مَعْدُول عن زافر ، ولذلك لم يُصْرَف لاجتماع التعريف والعدل فيه ، ويدل على أنه معدول أنك لاتجده فى الأجناس ، كما تجد نحو صُرَد ونُغَز ، وأما قوله : —

* يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ (١) *

فقال أبو على : إنك إن سميت بهذا صرفته لدخول اللام عليه ، كما تصرفه إذا سميت صُرَدًا وجُرَذا وحُطَمًا ولُبَدًا ، قال أبو العلاء : يقال زَفَرَ الشىء ، إذا حمله ، ويقال للحمل : زفر ، وجمعه أزفار ، قال القَتَّالُ الكلابى :

طِوَالُ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا ... رِيحَ الإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارِ

ويجوز أن يكون زُفَر فُعَلاً من الزفير ، والحرث : مأخوذ من الحَرْث ، وأصله الكسب ، ثم قيل لشق الأرض بالسكة : حرث ، لأنه يؤدى إلى الكسب ، ويسمى الزرع حَرْثا : لأنه بالحرث يكون ، فأما الحرث فى قول قَيْسِ بن الْخَطِيم

وَلَمَّا هَبَطْنَا الْحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنَا ... حَرَامٌ عَلَيْنَا الْخَمْرُ مَالَمْ نُحَارِبِ

فيقال : إنه أراد موضعا بالمدينة ، وقيل : إن الحَرْثَ المكان السهل ، ولعله سمى حَرْثاً لأنه يُحْرَث فيه ، ومُعَاز : مأخوذ من الشدة ، ومنه اشتقاق الأمعز من الأرض ، ويزيد : مُسَمًّى بالفعل ، وَخُوَيْلِدٌ : تصغير خلد ، وله مواضع ،

---

(١) هذا عجز بيت لأعشى باهلة من قصيدة رواها له ابن الشجرى (ص٨-١١) يرثى فيها أخاه المنتشر بن وهب ، وصدر هذا البيت قوله : —

* أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا *

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً   لَيَالِيَ لاقَيْنَا جُذَامَ وَحِمْيَرَا (١)

يقال : خَلَد ، إذا طال مكثه ، وخَلَد إلى الأرض مثل أخلد ، إذا لصق بها ، ويقال : خَلَد ، إذا أبطأ عنه الشيب ، يَخْلِد ويَخْلُد . وأَخْلَدَ يُخْلِد فهو مُخْلِد بمعناه ، والصَّعق ــ واسمه عمرو ــ وقيل : خويلد ، وإنما قيل له الصَّعق لأنه أصابته صاعقة ، وقيل : بل ضُرب على رأسه فكان لا يستطيع أن يسمع صوتا شديدا ، ونُفَيْل : يجوز أن يكون تصغير نَوْفَل على معنى الترخيم ، والنَّوْفَل : الكثير العطاء ، وقيل : النوفل هي العطية مثل النافلة ، ويجوز أن يكون تصغير نَفَل من الأنفال : أي الغنائم ، أو نفل من النبات ، وعَمْرو : يجوز أن يكون من عُمُور الأسنان ، وهو اللحم الذي بينها ؛ ومن العُمْر في معنى العَمْر : أي الحياة ؛ وبيت ابن أحمر يفسر على الوجهين :

بَانَ الشَّبَابُ وَأَخْلَفَ الْعُمْرُ   وَتَغَيَّرَ الْإِخْوَانُ وَالدَّهْرُ

فإذا قيل : إن العمر ههنا من عمور الأسنان فمعنى «أخلف» تغيرت رائحته ولا يمتنع أن يكون عمرو من عَمَرْت الأرض أو من العمر إذا أريد به القرط ، ويقال : هو حلقته ، وكِلاب : يجوز أن يكون جمع كَلْب ، كما سموا الرجل أَنْمَارًا وأَكْلُبًا ، ويجوز أن يكون مصدر كَالَبَ يُكَالِب مكالبة وكِلابا ، إذا عادى وخاصم

(١) الثاني من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية من المتدارك

يقول : كنا نطمع في أمر فوجدناه على خلاف ما كنا نظن ، وهذا من قولهم في المثل : ما كل بيضاء شَحْمَةً ، ومثلها ما كل سَوْدَاءَ تَمْرَةً . وجُذَام : اسمه عمرو ، ويقال : إنهم كانوا يُسَمُّون بهذه الأسماء الفظيعة لتكون لعدوهم كالطِّيَرَة ، فسمَّوا بالجذام هذا الداء ، وبغَيْظ ، وبحنظلة ، ومرة ، ونحو ذلك ، وإنما أخذ الجُذَام من الجَذْم ، وهو

فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضَهُ ببَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا(١)

وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً تَغْلِبِيَّةً يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ ضُمَّرَا(٢)

التقطع . ويقال : ما سمعت له جذمة ولا زجمة : أى كلمة لتقطُّع الصوت بها عند النطق ، ويروى « صُدَاءَ وَحِمْيَرَا » وصداء : اسم يجوز أن يكون من صدى العطش ، ومن صدأ الحديد : فان كان من صدى مطش فهمزته منقلبة من ياء ، وإن كان من صدأ الحديد فهمزته أصلية . وحِمْيَر : اسمه العَرَنْجَج ، وزعموا أنه سمى حميرا لأنه كان يلبس ثيابا حُمْرا . فأما العرنجج فنونه زائدة ، وكذلك أحد جيميه ، ووزنه فَعَنْلَل ، فيجوز أن يكون من عَرِج الرجل إذا مشى مشية العُرْجان ، أومن عرج إذا صار أعرج ، أو من عَرَجَ فى السلم إذا رقى فيه ، أومن عرج الابل وهو القطيع العظيم منها ، أو من عرج الشمس وهو مغيبها ، وجذام وحمير من اليمن ، ومعناه إنا حسبنا أن الناس شَرَعٌ فى الخور والجبن ، حتى لقينا جذام وحمير فاتتينا بأسا وشدة

(١) النَّبْع : شجر صاب تنبت بالجبال ، تعمل منها القِسِىّ ، ومن الأمثال : النبعُ يَقْرَعُ بَعْضُه بعضا ، فضربه مثلا لهم ولأعدائهم ، والرواية « عيدانه أن تكسرا » على أن الهاء راجعة إلى النبع ، قال أبو العلاء : ولم يقل الرجل والله أعلم إلا عيدانهم ، يعنى القوم الذين حاربوه ، لأنه شهد لهم بالصبر ، وليس هو من ذم أصحابه كما قال عمرو بن معد يكرب : —

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِى أَنْطَقَتْنِى رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلٰكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

وجواب « لما » قوله « أبت » : أى فلما قرع الرجال بعضهم بعضا ثبت كل واحد منهم لصاحبه ولم ينكل فكأنهم نبع قرع بعضه ببعض فلم يتكسر

(٢) يعنى تغلب بن حُلْوَان بن عمران بن إلحاف بن قُضَاعة ، لأن الظفر

سَقَيْنَاهُمُ كَأْساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا   وَلٰكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا (١)

٢٩ — وقال عامر بن الطُّفَيْل (٢)

في يوم مرج راهط كان لكلب بن وَبَرَة بن تغلب بن حُلْوان، وليس لتغلب وائل ههنا مدخل، وجواب لما فيما بعد، وهو سقيناهم، وإنما احتاج إلى الجواب لما كان علما للظرف، لأنه يجىء لوقوع الشيء لوقوع غيره، واللام من قوله «لمنية» يجوز أن تتعلق بيقودون، ويجوز أن تتعلق بقوله «ضمرا»: أى ضُمِّرَتْ لها

(١) شهد لهم بالغلبة، واعترف أنهم أهل صبر، وبعض الناس يتأول قوله:

* وَلٰكِنَّهُمْ كانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا *

تأولا فاسدا، ويزعم أنه أراد أن القتل كان فيهم أكثر، وليس هذا التأول بشيء، لأن الخبر مشهور، وقد أقر زُفَرُ بن الحرث بالهزيمة فى قوله:

أَرِينِى سِلاَحِى لاَ أَبَا لَكِ إِنَّنِى   أَرَى الْحَرْبَ لاَ تَزْدَادُ إِلاَّ تَمَادِيَا

وَلَمْ تُرَ مِنِّى نَبْوَةٌ قَبْلَ هٰذِهِ   فِرَارِى وَتَرْكِى صَاحِبَيَّ وَرَائِيَا

يعنى ابنه كَعْباً ومولاه مِسْكَانَ

عَشِيَّةَ أُجْرِى بِالصَّعِيدِ وَلاَ أَرَى   مِنَ النَّاسِ إِلاَّ مَنْ عَلَيَّ وَلاَ لِيَا

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ   بِصَالِحِ أَيَّامِى وَحُسْنِ بَلاَئِيَا

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى   وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا

وقوله «أصْبَرَا» أى: أصبر منا، وأَفْعَلُ الذى يتم بمن تحذف منه من فى باب الخبر، دون الوصف، وساغ ذلك فيه لأن الخبر كما يجوز حذفه بأسره لقيام الدلالة عليه يجوز حذف بعضه أيضا له

(٢) قال أبو الفتح: هو تصغير طِفْلٍ أو طَفْل، وأنْ يكون تحقير طَفْلٍ بالفتح أقيسُ؛ ألا ترى إلى ثبات لام التعريف مع العلمية، وبابها هنالك الصفات ،

طُلِّقْتِ إنْ لَمْ تَسْأَلِي أَيُّ فَارِسٍ ... حَلِيلُكِ إِذْ لاَقَى صُدَاءً وخَثْعَمَا (١)

نحو الحارث والعباس ، وطَفْل صفة ، وتأنيثه طَفْلَة ، فهو كَصَعْب وصَعْبة ، فأما الطِّفل فليس تمكنه في الوصف تمكن الطَّفْل ، ألا ترى إلى قول الله سبحانه : (أو الطِّفل الذين لم يظهروا على عَوْرَات النساء) فأوقعه جنسا ، وهذا باب يغلب عليه الاسم لا الصفة ، نحو الشاة والبعير والانسان والملك ، قال الله تعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقال تعالى : (إن الإنسان لفي خسر) ونحو ذلك ، وقد جاء شيء من ذلك في الصفة نحو قوله :

إن تَبْخَلِي يَا جُمْلُ أَوْ تَعْتَلِّي ... أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ الْمُوَلِّي

وقال تعالى : (ويوم يعض الظالم على يديه) وقال سبحانه : (وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) وكل واحد من هذه الصفات لا يُوقَعُ هذا الموقع إلا بعد أن يجرى مجرى الاسم الصريح ، وقال :

* عَلَى رُؤُسٍ كَرُؤُسِ الطَّائِرِ *

ويجوز أن يكون تصغير طَفَل ، وَالطَّفَل : آخر النهار

(١) الثاني من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

طُلِّقْتِ : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون على معنى الدعاء ، والآخر أن يكون معنى الإخبار ، والمراد قَرُبَ طلاقك ، وهذا كما يقال للإنسان إذا أشرف على على الهلكة : هَلَكْتَ يا فلان ، وهو لم يهلك بعد : أي قربت من أن تهلك ، ومنه قول مالك بن عوف النَّصْرى لما نظر إلى جيش المسلمين : هَلَكَتْ هَوَازِنُ فلا هَوَازِنَ بعد اليوم ، وحليل المرأة : زوجها ، قيل له ذلك لأنها تحل له ويحل لها ، وقيل : بل سمى بذلك لأنه يُحَالُّهَا في موضع واحد : أي يحل معها ، ومن هذا الوجه قالوا للجارة حليلة ، قال أوس بن حجر :

أُ كَرُّ عَلَيْهِمْ دَعْلَجًا وَلَبَانَهُ إِذَا مَا اشْتَكَى وَقْعَ الرِّمَاحِ تَحَمْحَمَا (٣)

وَنِسْتُ بِأَطْلَسِ الثَّوْبَيْنِ يُصْبِى حَلِيلَتَهُ إِذَا مَا النَّاسُ نَامُوا

وَخَثْعَم : زعم قوم أنهم سُمُّوا بذلك من التخثعم ، وهو التلطخ بالدم ، ويذكر أنهم نحروا بعيرا وغمسوا أيديهم فى دمه واختلفوا عليه ، وقال بعض الناس : كان لهم جمل يسمى خثعم يحتملون عليه فسموا خثعم

(١) دَعْلَجٌ : اسم فرسه ، أخذ من الدَّعْلَجَة ، وهو اختلاط الألوان فى الشيء . وقيل : الدَّعْلَجَة وَثْبٌ كوثب الفأر أو اليربوع . ويروى : —

* إذا مَا اشْتَكَى وَقْعَ السِّلَاحِ تَحَمْحَمَا *

والسلاح يقال لكل مادفع به العدو من سيف ورمح وغير ذلك ، ويذكر ويؤنث ، قال :

تَمْشِى كَأَلْوَاحِ السِّلَاحِ وَتُضْ حِى كَالْمَهَاةِ صَبِيحَةَ الْقَطْرِ

يعني بالسلاح ههنا السيوف . وقال الطِّرِمَّاح :

يَهُزُّ سِلَاحًا لَمْ يَرِثْهَا كَلَالَةً يُشَكُّ بِهَا مِنْهَا أُصُولَ الْمَغَابِنِ

والصحيح أن يروى « وَلَبَانُهُ » بالرفع ، جعل الفعل للصدر على المجاز والسعة لكونه موقع الطعن ، وبعض الناس روى «ولبانه» بفتح النون . والرفع أحسن ، وقال أبو هلال : من نصب جعل التحمحم للفرس ، ومن رفع جعله للَّبان ، وبيته على كلا الوجهين مَعِيب ، فأما وجه عيبه فى حال النصب فهو أنه إذا قال أكر فقد استغنى عن ذكر اللبان لأنه إذا كرَّه فقد كر جميع جسده فليست به حاجة إلى ذكر اللَّبان . ووجه عيبه فى حال الرفع أنه يجعل التحمحم للَّبان ، ولأن يجعله للفرس أحسنُ ، وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل :

إِذَا أَفْسَدْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَعْجَازُهُ إِلَّا الْتِوَاء

٣٠ — وَقَالَ عَمْرُو بن مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْدِى (١)

والصواب :

أُقَدِّمُ فِيهِمْ دَعْلَجًا وَأَكُرُّهُ ... إِذَا أَكْرَهُوا فِيهِ الرِّمَاحَ تَحَمْحَمَا

والبيت لعبد عمرو بن شُرَيح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب فارس دَعْلَج قاله يوم فَيْفِ الريح ، وليس هو لعامر بن الطفيل ، وأنشدنى تَصْدَاق ذلك لمروان ابن سُرَاقة الجعفرى :

وَعبدُ عَمْرٍو مَنَعَ الْقِيَامَا ... وَدَعْلَجًا أَقْدَمَهُ إِقْدَامَا

لَوْلَا الَّذِى أَجْشَمَهُمْ إِجْشَامَا ... لَجَعَلَتْهُمْ مَذْحِجٌ نَعَامَا

(١) عمرو قد تقدم تفسيره ، واشتقاق مَعْدى مثل اشتقاق مَعْدَان ، ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من الْعُدْوَان فتقلب الواو ياء إذا بنى على مَفْعِل ، أو يكون بنى على مَفْعُول فقلبت الواو ياء كما قال الحارثى :

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِى ... أَنَا اللَّيْثُ مَعْدِيًّا عَلَيْهِ وَعَادِيَا

ثم خففت الياء لطول الاسم ، لأنه جعل مع الاسم الثانى كالشىء الواحد ، وكَرِبَ : يجوز أن يكون من الْكَرْب الذى هو أشد من الغم ، ومن كَرَبَ فى معنى قارب ، ومن أكربت الدلو إذا شددتها بالْكَرَبَ ، وهو الحبل الذى يشد على العراق ، وقال أبو الفتح : فسر أبو العباس أحمد بن يحيى معد يكرب أنه من عَدَاهُ الكربُ : أى تجاوزه وانصرف عنه ، وقد ذكرنا وجه شذوذه لمجيئه وهو معتل اللام على مَفْعِل وبابه مَفْعَلٌ كالْمَدْعَى وَالْمَشْتَى ، ومثله فى الشذوذ مَأْوِى الإبل ، وتوهم الفراء أن مَأْقِى العين من هذا . وليس منه ، لأن ميم مأقى أصل ؛ لقولهم مُوق ومَاق وأَمْآقٌ ، وهو فعل ، فشذوذه ليس من هذا الضرب وَزُبَيْد : تصغير زُبْد أو زَبْد ، والزَّبْد : العطاء ، يقال : زَبَدَهُ يَزْبِدُهُ زَبْدًا ، إذا أعطاه .

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَّتِ (١)
فَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ (٢)

---

(١) من الضرب الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول . والقافية متدارك

زور : جمع أزور ، وهو المعوج الزَّوْر : أى هى مائلة من وقع الطعن فيها ، أو للطعن ، والجداول : جمع جَدْوَل ، وهو النهر الصغير . يقول : لما رأيت الفرسان منحرفين للطعن وقد خَلَّوْا أعِنَّةَ دوابهم وأرسلوها كأنها أنهار زَرْعٍ أرسلت مياهها فاسْبَطَرَّت : أى امتدت ، والتشبيه وقع على جَرْى الماء فى الأنهار لا على الأنهار . ويجوز أن يقال : إنها امتدت فى السير منهزمة . أو يريد أنها تثج دما فكأنها جداول تجرى

(٢) جاشت النفس : حَمِيت من الفزع وارتفعت مثل القدر تجيش فيرتفع ما فيها ، فردت على مكروهها : أى فرددتها وسكنتها على شدة فثبتت ، وقيل : كان عمرو من الشجعان الذين شهدوا على أنفسهم بالجبن فى بعض الأحوال ، قال المرزوقى : واعترض بعضهم فقال : لولا أنه جبان لما جاشت إليه النفس ، وليس الأمر على ما توهم ؛ لأن ماذكره عمرو وغيره من هذا المعنى بيان حال النفس ، ونفس الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يَدْهَمُهَا عند الْوَهْلَةِ الأولى ، ثم يختلفان : فالجبان يركب نفرته ، والشجاع يدفعها فتثبت ، وقوله «أولَ مرة» وذات مرة لايكونان إلا ظرفين لأن مَرَّة ليس باسم الزمان لازم ، وإنما هو مدخل عليه ، فإذا قلت مَرَّةً فإنما حقيقتها فَعْلَةٌ واحدة ، ويجوز أن يكون وقتاً واحداً ، ويجوز أن تكون الفاء فى « فجاشت » زائدة فى قول الكوفيين وأبى الحسن الأخفش ، ويكون جاشت جوابا للمَّا . والمعنى لما رأيت الخيل هكذا خافت نفسى

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي ... إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتِ (١)

وثارت . وطريقة أكثر البصريين فى مثله أن يكون الجواب محذوفا ، كأنه قال : لما رأيت الخيل هكذا فجاشت نفسى فردت على ما كرهت طَعَنْتُ أو أبايت ، يدلك على ذلك قوله : —

* عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ سَاعِدِى *

فحذف طعنت أو أبايت ، لأن المراد مفهوم ، وهذا كما حذفوا جواب لو رأيت زيداً وفى يده السيف ، وحذف الجواب فى مثل هذا الموضع أبلغ وأدل على المراد وأحسن ؛ بدلالة أن المولى إذا قال لعبـده « والله لئن قمت إليك » وسكت جالت الأفـكار له بما لم تجل له لو أتى بالجواب ونص على مؤاخذته بضرب من العذاب

(١) «ما» فى الاستفهام إذا اتصل بحرف جر تحذف الألف من آخره تخفيفا ، على ذلك : فيم ، وبم ، ولم ، إلا إذا اتصل «ما» بذا نحو لماذا ، فإنه حينئذ يترك على تمامه ، وقوله «تقول الرمح» يروى بفتح الحاء وضمها ، فإذا نصبت جعلت «تقول» فى معنى تظنّ ، وهم يحملون القول على الظن عند الخطاب والـكلام استفهام ، وعلى ذلك قوله : —

* فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا (١) *

أى : متى تظن ذلك ؟ فجعل القول بدل الظن لما كان القول ترجمة عن الظن ، والخطاب والاستفهام يحتملان مالا يحتمل غيرهما ، وإذا رفعت الرمح فالقول متروك على بابه ، والرمح يرتفع بالابتداء ، والـكلام حكاية ، والمعنى بأى

---

(١) هذا عجز بيت لعمر بن أبى ربيعة المخزومى وينسب للأعشى ميمون (انظر الديوان : ٢٥٩) وصدره قوله

* أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدٍ *

لَحَا اللهُ جَرْمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَأَرَّتِ (١)
فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقَتَا وَلَكِنَّ جَرْمًا فِي اللِّقَاءِ ابْذَعَرَّتِ (٢)

حجة أحمل السلاح إذا لم أقاتل عند كرّ الخيل : أى إنما أتكلف مؤنة حمل الرمح للطعن به ، وإلا فما معنى حملى إياه ، وقوله « إذا أنا لم أطعن » أى : لم يثْقُلْ ساعدى الرمح فى وقت تركى الطعن بزمان كر الخيل ؟ فاذا الأول ظرف لقوله « يثقل » وإذا الثانى ظرف لقوله « لم أطعن »

(١) « كلما » انتصب على الظرف ، وانتصب « وُجُوهَ » على الشتم . ويجوز أن يكون انتصابه على البدل من قوله « جَرْمًا » ومعنى « لحا الله » قشر الله : أى فعل بهم ذلك غداة كل يوم . والذرور فى الشمس أصله الانتشار والتفريق ، ويقال ازبأر : أى انتفش حتى ظهر أصول شعره ، قال :

فَهْوَ وَرْدُ اللَّوْنِ فِي ازْبِئْرَارِهِ وَكُمَيْتُ اللَّوْنِ مَا لَمْ يَزْبَئِرّ

والمهارشة والمخارشة سواء ، هارشت : واثبت ؛ وازبأرّت : تهيأتْ للقتال ؛ وازبأر الرجل : تهيأ للشر

(٢) جَرْمٌ وَنَهْدٌ : قبيلتان من قضاعة ، وكانت جَرْمٌ ونَهْدٌ فى بنى الحرث ابن كعب فقتلت جَرْم رَجُلاً من بنى الحرث يقال له معاذ بن يزيد ، فارتحلت جرم فتحولوا إلى بنى زُبَيْد قوم عمرو بن معد يكرب ، فجاءت بنو الحرث يطلبون بدم صاحبهم ، فعبّى عمرو جَرْماً لبنى نهد ، و تعبّى هو وقومه لبنى الحرث ، فكرهت جرم دماء بنى نهد ففرت ، وانهزمت بنو زبيد ، فلامهم عمرو ، وابذعرت : تفرقت ، قال :

مَارَ الزَّمَانُ بِجَرْمٍ فَابْذَعَرَّ لَهَا جَمْعٌ وَكَانُوا كِرَامَ الْقَيْظِ والجمد

وأضاف نهدا إلى ضمير جَرْم لاعتقادهم الاكتفاء بها ، ويقال : أغنى فلان

ظَلِلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةٌ ... أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ (١)

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ ... نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ (٢)

فلانا ، إذا أقام به فى حرب أوجدال ، ومثله أغنيت عنك مَغْنَى فلان . ومَغْنَاتَهُ

(١) أى : بقيت نهارى منتصبا فى وجوه الأعداء ، والطعن يأتينى من جوانبى ، أذُبُّ عن جَرْم وقدهربت ، وَالدَّرِيَّة : حلقة يتعلم عليها الطعن شبه نفسه بها لما كان الطعن يأتيه من كل جانب ، ويجوز أن يكون المعنى كأنى للرماح صيد ؛ فقد حكى أبوزيد أنه يقال للصيد خاصة دَرِيَّة غير مهموز . و دَرَايا ، فكأنه من دَرَيْتُ : أى ختلت ، فأما الدابة التى يستتر بها من الصيد فبالهمز ، يقال : دَرَأْتها نحو الصيد ، وإلى الصيد ، وللصيد ، إذا سقتها نحوه ، هذا من الدَّرْء وهو الدفع ، وقد تسمى تلك الدابة الذريعة والسَّيِّقة ، قال :

إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَانَدِبُّ لَهُمْ ... كَمَا تَدِبُّ إِلَي الْوَحْشِيَّةِ الذُّرُعُ

جمع ذريعة كَصُحُف وصحيفة ، وقوله « أقاتل » فى موضع الحال إن جعلت قوله « كأنى للرماح » خبر ظلت ، وإن جعلت « كأنى » الحال فأقاتل فى موضع الخبر لظللت حينئذ

(٢) النطق استعمل فى الكلام وغيره ، ولذلك قيل : « منطق الطير » ثم توسعوا فقالوا : نَطَقَ الكتابُ بكذا ، يقول : لو أنهم أبلَوْا فى الحرب بَلَاءً حسنا لمدحتهم وذكرت بلاءهم ، ولكنهم قصروا فأَجَرُّوا لسانى فما أنطق بمدحهم ، والافتخار بهم ، والإجْرَارُ : أن يُشَقّ لسان الفصيل لئلا يرضع أمه ويجعل فيه عُوَيْد ، وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم فى أن التقصير كان منهم لامنها ؛ ومثله قول عبد يغوث :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ ، أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا

٣١ — قال سَيَّارُ بن قَصِيرٍ الطَّائىّ (١)

لَوْ شَهِدَتْ أُمُّ القُدَيْدِ طِعَانَنَا ... بِمَرْعَشَ خَيْلَ الإِرْمِنِيِّ أَرَنَّتِ (٢)

أى : أساؤا إلىّ فسكت عن مدحهم . فكأنهم شدوا لسانى ، وقوله «أطلقوا عن لسانيا» أى : أحسنوا إلى ينطاق لسانى بشكركم

(١) قال أبو الفتح : سَيَّار : فَعَّال من سارَ يَسير أو فَيْعَال أو فَوْعال ، ويجوز أن يكون فَيْعَالا من سار يَسُور ، وهو صفة منقولة . إلا أن يكون فَوْعالا : فانه يختص بالاسم ، وقصير : صفة منقولة كسَيَّار ، وأما طَيِّئٌ ففَيْعِل من طاء يَطُوء إذا جاء وذهب ، وأصله طَيْوِىء فتقلب كسَيِّد ومَيِّت . فاذا أضيف إليه قلت طَائى ، وأصله طَيِّئِىٌّ كطيِّعى ، حُذفت تخفيفا ورفضا لها البتة فبقى طَيْئِىٌّ كطَيْعى ، ثم أبدلت الياء ألفا استحسانا استمر لا وجوبا عن قوة علة ، ومثله من القلب قولهم فى النسب إلى الحِيرة : حَارِىٌّ ، وقولهم فى يَيْأس ويَيْئِس : يَاأس ويَائِسُ ، وقول من زعم أنه سمى بطيىء لأنه أول من طوى المناهل من كلام غير أهل الصناعة

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

جواب «لو» قوله «أَرَنَّتِ» ويقال : رَنّ وأَرَنّ بمعنى ، والرنين : صوت مع بكاء ، وأم القُدَيد : قيل هى امرأته ، ويجوز أن يكون تصغير القَدّ من قولك : قَدَدْت الشيء ، إذا قطعته طولا . أو قَدّ الإنسان . أو القد الذى هو مسك السخلة ، أو القد المعروف ، ولو صغرت القُدَاد الذى هو وجع فى البطن أو القديد من اللحم تصغير الترخيم لقلت : قُدَيْد ، ومَرْعَش : من ثغور إرمينية ، يقول : لوحضرت هذه المرأة مطاعنتنا بمَرْعَش خيل هذا الرجل الإرمنى لولولت وضجت إشفاقا علينا لكثرتهم وقلتنا ، والباء من قوله «بمرعش» تعلق بطعاننا . وهو ظرف

عَشِيَّةَ أَرْمِى جَمْعَهُمْ بِلَبَانِهِ وَنَفْسِى وَقَدْ وَطَّنْتُهَا فَاطْمَأَنَّتِ (١)
وَلاَ حِقَةِ الآطَالِ أَسْنَدْتُ صَفَّهَا إِلَى صَفِّ أُخْرَى مِنْ عِداً فَاقْشَعَرَّتِ (٢)

٣٢ — وقال بعض بنى بَوْلاَنَ من طيء (٣)

مكان له قد عمل فيه . و إنما قيل هذا لئلا يتوهم أنه تعلق بشهدت ، أو لأنه فى موضع الحال للخيل أو المطاعنين فيكون قد فصل به بين الصلة والموصول وهى طعاننا وخيل الإرمنى

(١) انتصب «عشية» على أنه ظرف لطعاننا ، و يجوز أن يكون ظرفا لشهدت ، ولا يجوز أن يكون [ظرفا] لأرمى : لأن أرمى أضيفت عشية إليه ، والمضاف إليه لا يعمل فى المضاف ، ومن روى «ونفسى قد وطنتها» تكون الواو للحال ، ونفسى ترتفع بالابتداء ، و «وطنتها» فى موضع الخبر ، ومن روى « ونفسى وقد وطنتها » فان نفسى تكون فى موضع الجر عطفا على « بلبانه » أى : أرمى جيشهم بنفسى وفرسى ، ويكون «قد وطنتها» فى موضع الحال . وتحقيق الكلام وقد وطنتها على الشر فسكنَتْ إليه و رضيت به

(٢) الآطال : جمع إطِل و إطْل ، وهو الكشح ، وأَيْطَل مثله ، يقول : رب خَيْل قد لحقت بطونها بظهورها أَمَلْتُ صفها إلى صف خيل مثلها من الأعداء فخافت قلتنا و كثرتهم ، وأصل الاقشعرار تَقَبُّض الجلد وانتصاب الشعر ، وقد تكلم الناس فى قول امرىء القيس :

* والْقَلْبُ من خشية مقشعر *

فقال بعضهم : الاقشعرار لا يصح فى القلب ؛ لأنه يُخْبَر عما عليه شَعَر ، ولا شعر على القلب ، وقال غيره : إنما هذا كناية عن الوجل ، ولما كان الاقشعرار يقع عنده كنى عنه ، و إذا كان كذا فكأنه قال : والقلب من خشية وَجِلْ

(٣) قال أبو الفتح : بَوْلان : اسم مرتجل غير منقول ، وهو فَعْلاَن من

نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِى جَدِيلَةَ فِى ... نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ (١)

نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ بِالْحَضِيضِ وَنَصْ ... طَادُ نُفُوساً بُنَتْ عَلَى الْكَرَمِ (٢)

البول ، وقال أبو العلاء : يجوز أن يكون اشتقاق بَوْلان هذه القبيلة من قولهم : ماجرى ذلك على بالى : أى على خلَدِى . وقال بعضهم : البال الحال . وكان بعض السلف إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : بخير أصلح الله بالكم . ولا يمتنع أن يكون بَوْلان من البول من قولهم : رجل بُوَلَة إذا كان كثير البول . والبُوَال : داء يصيب الغنم فتبول حتى تموت

(١) الأول من المنسرح ، مطلق مجرد موصول . والقافية متراكب

جَدِيلة : من الجَدْل ، وهو الفتل ، وزعموا أن جديلة أمهم ، ويقال : ضرمت النار تضرم ضَرَماً إذا التهبت ، ويقال لما تلتهب به النار سريعا الضِّرام ، والضرام : الشخت من الحطب ومالا جمر له ، وماله جمر فهو جَزْل ، والضَّرَم ههنا : الاضطرام ، وقد يكون الضَّرَم النار بعينها ، والجَحْمَة : استعارُ النار ، من قولهم : جَحَمتِ النار تَجْحَم جَحْماً وجَحَمًا فهى جاحمة ، إذا اضطرمت ، ومنه الجَحيم ويقال : وصفت النار بالجحمة لحمرتها ، ولذلك سميت عين الأسد جَحْمَة لحمرتها ولأنها تتراءى بالليل كأنها نار ، والجحمة : العين ، لغة يمانية ، وعين الأسد خاصة فى كل اللغات الجحمة ؛ يقول : حبسنا هؤلاء القوم على نار من الحرب شديدة الالتهاب ، وليس للنار إبقاء على شىء ، فشبه بها الحرب لقلة إبقائها على أهلها

(٢) ويروى « تستوقد النبل » يعنى أن الحرب تفعل ذلك ، وقوله « نستوقد النبل » من فصيح الكلام ، كأنه جعل خروج النار من الحجر عند صَدْمة النبل له استيقاداً منهم لها ، وتوسعوا فى الوقد حتى قيل : قلب وَقّاد ، فان قيل : هَلاَّ قال : نستقدح النبل فكان أصح ؟ قلت : الذى قال أفصح ، وقد

٢٣ — وقال رُوَيْشِدُ بنُ كَثِيرٍ الطَّائِيُّ

يا أَيُّها الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ سائِلْ بَنِي أَسَدٍ مَاهَذِهِ الصَّوْتُ[1]

قيل : زَنْدٌ ميقاد ، إذا كان سريع الوَرْى، وَيُرْوى «تستوقد النبلُ» و«تصطاد» فيجعل الفعل للنبل ، والمعنى إن نبلنا تجوز المرمى وتصيب الحجارة فتُورِى نارا ، وفى البيت تقديم وتأخير . والمعنى إنها تصيب النفوس ثم تمرق منها فتصيب الحجارة ؛ وهو مثل قول النابغة فى صفة السيوف :—

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ

وقوله « بُنَتْ على الكرم » أصله بُنِيَتْ فأخرجه على لغة طيئ لأنهم يقولون فى بَقِيَ بَقَا وفى رَضِيَ رَضَا وفى بادية بَادَاة كأنهم يفرون من الكسرة بعدها ياء إلى الفتحة فتنقلب الياء ألفا . والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقال أبو محمد الأعرابى فيما رده على النمرى عند قوله « واحد النبل سهم ، ولا يقال له نبلة » : هذا موضع المثل : «أحاديثُ زَبَّانَ استَهُ عام صَمَّدا » مثل هذا من الشعر لايقنع بواحد النبل وجمعه ولا يعرف معناه البتة إلا بمعرفة القصة ؛ وهذا الشعر لرجل من بَلْقَيْن، وسبب ذلك أن القين بن جَسْرٍ وَطيئا كانوا حلفاء ، ثم لم تزل كلب بأوس بن حارثة حتى قاتل القين يوم مَلْكَان ، فحبسهم بنو القين ثلاثة أيام ولياليها لايقدرون على الماء ، فنزلوا على حكم الحرث بن زَهْدَم أخى بنى كنانة ابن القين . فقال شاعر القين يومئذ : نَحْنُ حَبَسْنَا بنى جديلة

(١) من الضرب الثانى من البسيط . مطلق موصول ، والقافية متواتر

وهذه الأبيات شاذة فى الشعر القديم ؛ لأن العادة قد جرت إذا استعملوا هذا الوزن أن يكون اللين فيه كاملا ، وذلك أن يكون قبل الروى ألف ، أو واو قبلها ضمة ، أو ياء قبلها كسرة ، وقوله الصَّوْت قد جاء بالواو وما قبلها مفتوح ،

وَقَالَ لَهُمْ بَادِرُوا بِالْعُذْرِ وَالتَمِسُوا ... قَوْلاً يُبَرِّئُكُمْ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ (١)
إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأْتِينِي بَقِيَّتُكُمْ ... فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ (٢)

وَالْمُزجي : السائق ، يقال : زَجَا الشيءَ يَزْجُو زَجْوًا ، وزَجَاء ، وأزْجَيته وزجَّيته ، إذا استحْثَثْتَه ، والمطية : من المطا ، وهو الظهر ، يقال : مَطَاهُ وامْتَطَاهُ ، إذا ركبه ، وللحوق الهاء به صار اسما ، ويروى « بَلِّغْ بنى أسد » وقوله « ما هذه الصوت » الجملة فى موضع المفعول ، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان ، وأراد بالصوت الجَلَبة أو الصيحة . وهذا الكلام تهكم . ويجوز أن يكون المراد بقوله « ما هذه الصوت » ما هذه التهمة التى تتأدَّى إلىَّ عنكم ، يقال : ذهب صِيتُ هذا الأمر فى الناس : أى انتشر ، فكأنه على هذا يوهمهم أنه لم يصح عنده ما يقال ، وأنهم إن لم يقيموا المعذرة والدلالة على براءة الساحة عاقبهم

(١) مفعول « بادروا » محذوف ، كأنه قال : بادروا العقاب بالعذر : أى سابقوه ، والتمسوا : أى اطلبوا قولا يبرىء ساحتكم إنى أنا حَتْفُكُمْ إن لم تفعلوا : أى أقرب حتفكم . ولمس والتمس بمعنى ، قال :

إِلاَمَ عَلَيَّ تَبْكِيهِ ... وَأَلْمَسُهُ فَلاَ أَجِدُهْ

وقوله « يبرئكم » فى موضع صفة للقول : أى قولا مبرئا لكم من الذنب

(٢) يقول : إذا جنى منكم نفر وأتانى آخرون ينتفون من جناياتهم و يعتذرون بغير عذر واضح لم ينفعهم ذلك عندى ولم تفوتونى بأنفسكم ، فالتمسوا عذراً واضحاً يبرئكم مما ذكر عنكم ، ويروى « ثم يأتينى يقينكم » يعنى صحة ذنوبكم ، ويروى « تَقِيَّتُكم » أى : حذركم ، يعنى أنه لاينجيكم ولاتفوتنى مكافأتكم ، و« بقيتكم » يفسر على وجهين : أحدهما أن يكون المعنى ثم يأتينى خياركم وأماثلكم يقيمون معذرة أنفسهم أنهم لم يساعدوكم لا بالرأى ولا بالفعل ، وهذا كما يقال : فلان من

٣٤ — وقال أُنَيْفُ بْنُ زَبَّانَ النَّبْهَانِىّ من طيىء (١)

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَىِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ كَتَائِبَ يُرْدِى الْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا (٢)

بقية أهله : أى من أفاضلهم ، والآخر أن يكون المعنى ببقيتكم الذين لم يذنبوا : أى يأتون متنصلين بأنهم قد فارقوكم وأسلموكم لعظم جنايتكم

(١) أنيف : تحقير أنْف ، وأنف كل شىء : أوله ، ويجوز أن يكون تصغير أُنُف من قولهم روضة أُنُفٌ ، ويجوز أن يكون تصغير الأنَف من قولهم : أنِفَ أَنَفاً ، وزَبَّان : مرتجل للعلمية ، وهو فَعلان من الزَّبب والأزبّ ، وليس بفعَّالٍ من الزَّبْن : لا تراه غير مصروف فى نحو قوله :

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِراً مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ

« لم تهجو » كقوله : ألم يأتيك (١) ، وقال أبو العلاء : ومن روى « ربان » بالراء فهو من رَبَبْتُ الشىء : إذا أصلحته ، ونَبْهَان : فَعْلان من الانتباه ، أو من النباهة ، فان كان من الانتباه فهو كقولهم فى التسمية : يَقْظَان ، وإن كان من النباهة فهو كتسميتهم بشَرِيف ونحوه من عالٍ وغيره

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مردف بوصل وخروج ، والقافية متدارك

واحدة الكتائب كَتِيبة وهو العسكر المجتمع ، تَكَتَّبَ : تجمع ، وقيل : هى العسكر الذى يجتمع فيه جميع مايحتاج إليه للحرب ، ومنه كَتَبْتُ الكتاب : أى جمعت فيه الحروف والمعانى المحتاج إليها ، وَالْمُقْرِفُ : الذى أمه عربية وأبوه مَوْلًى : وهو الْمُذَرَّع أيضا ، والهَجين : الذى أبوه عربى وأمُّه أَمَةٌ . وَيُرْدِى : يهلك ، ويردى مع مابعده فى موضع الصفة للكتائب : أى جمعنا لهؤلاء القوم جيوشاً يعجز

---

(١) يريد أنه أثبت الواو مع الجازم كما أثبت الآخر الياء معه فى قوله :—

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِى بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِى زِيَادِ

أَوَاخِرُهُمْ عَجُزٌ بِالرَّمْلِ فَالْحَزْنِ فَاللِّوَى ... وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّيْ جَدِيسَ رِعَالُهَا (١)

وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ... تُتَاحُ لِغِرَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا (٢)

أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا (٣)

المقرفون فيها ويلحقهم الضعف والخَوَر فلا يقومون بها حقَّ القيام فيرجعون بعارها ويصيبهم نكالها فيخمل ذكرهم فكأنهم قد هلكوا

(١) الرعيل : قطعة من الخيل متقدمة ، وتوسعوا فيه فقالوا : أراعيل الرياح، ويقال : اسْتَرْعَلَ فلان : أى خرج فى الرعيل الأول ، وَاللِّوى : حيث يَرِقُّ الرمل فيخرج السائر فيه إلى الحزن ، وقد ألوى القوم . إذا صاروا إلى اللِّوى ، وهو ههنا موضع بعينه ، وطَسْمٌ وجديس : أمة من العرب انقرضوا، وقيل : أراد بالحيين جدسا وجديساً ، وذكرهم والقصد إلى بلادهم وديارهم ، يقول : أوائل هذه الخيل قد جاوزت حيى جديس وأواخرها بالحزن فاللوى

(٢) الحَرْشَفُ : الجماعة الكثيرة ، يقال : جاء بالحرشف والدخيس ، إذا جاء بالجمع الكثير ، والأصل فى الحرشف أن يستعمل فى الجراد ، ثم استعير للجماعة من الرَّجَّالة ، على التشبيه ، وَرَجْلَة : موضوعة لأدنى العدد ، بدلالة أنك تقول : ثلاثة رَجْلة ، ومن عادتهم أن يقدموا الرَّجَّالة عند تعبية الجيش ، وأراد قطعة من الرَّجَّالة ، وتُتَاح : تُقَدَّر ، وموضعه جر على الصفة لرَجْلة ، وغِرَّات : جمع غِرَّة ، وهى صفة ، يقال : رجل غر ، وجارية غرة وغريرة ، ومصدره الْغَرَارة ، وحبة القلب : خالصته ، وسويداؤه : علقة سوداء فى جوفه : أى تحت صدور الدواب قطعة من الرجالة تقدر نبالها للقلوب الغافلة : أى لهم حِذْقٌ بالرمى فهم يرمون حَبَّات القلوب فلا يخطئون

(٣) هذا الكلام من صفة الكتائب ، و « أن يعرفوا » فى موضع المفعول

فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا (١)
دَعَوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّءٍ كَأُسْدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا (٢)
فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ بَيْنَنَا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا (٣)

لأبى ، وفاعله قوله « أنهم بنو ناتق » وقوله « كانت » من صفة الناتق ، والناتق : المرأة الكثيرة الولادة ، (١) يقال : نَتَقَتْ تَنْتِق نَتْقًا ، وأصل النتق الاقتلاع ، كأنها اقتلعت ما فى رحمها اقتلاعا ، وفى القرآن (وَإِذْ نَتَقْنَا الجبل فوقهم كأنه ظلة) أى : اقتلعناه من أصله فجعلناه كالمظلة على رؤسهم . وكثرة العدد مما يفتخر به ؛ يقول : منعهم معرفة الضيم كثرة عددهم : أى أبى لهم أن يضاموا كثرةُ عددهم ، وجعل العيال كناية عن الأولاد ، وهو جمع عَيِّل ، كجَيِّد وجياد

(١) السفح : أسفل الجبل حيث يغلظ ، والطَّلْح والسَّيَال : ضربان من الشجر ، وحائل : موضع ، والباء فى قوله « بحيث » تتعلق بفعل دل عليه « أتينا السفْح » كأنه قال : حَصَلْنَا بحيث تلاقى ، وموضعه من الإعراب نصب على الحال للمضمرين فى « أتينا » والسفح لاشتهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل . وجواب لَمَّا قوله

(٢) انتمينا : انتسبنا : أى قالوا يالنزار وقلنا يالطيّء مشابهين للأسود ، وقوله « كأسد الشّرى » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وكأنه قال : كإقدام أسد الشرى إقدامُهَا ونزالها ، وجاز الحذف لأنه لايلتبس وجه التشبيه بغيره ؛ والشَّرَى : موضع تنسب إليه الأسود المتناهية فى الجراءة

(٣) الإحفاء يكون فى السؤال عن الشىء ، ويكون فى طلب ، وفى طلب الشىء من الغير ، وهو المبالغة فيهما ، يقال : أحْفَى فى المسئلة وتَحَفَّى فيها ، إذا بالغ فيها ، وقوله تعالى : (إنه كان بى حفيا) أى : بَرًّا مَعْنِيًّا ، ومنه أحْفَى شارِبه إذا استقصى

---

(١) فى نسخة ن « المرأة الكثيرة الأولاد »

وَلَمَّا تَدَانَوْا بِالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ القَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا[١]
وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا[٢]
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمِ قَوَادِرُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا[٣]

قصّه : أى لما تحاربنا أظهر السيف رجالنا وميز بيننا وبين المنتسبين إلى نزار لامرأةٍ مبالغةٍ فى السؤال عنا ، فالذى بينه السيف حُسْنَ بلاء أحد الفريقين وزيادته فيما يحمد من الصبر والثبات على صاحبه ، وقد حذفه من اللفظ لأن المفاعيل تحذف كثيرا إذا دل الدليل عليها

(١) قوله « تضلعت صدور القنا منهم » حقيقته أن يستعمل فيما له ضِلَعٌ ، وعند الارتواء تنتفخ الأضلاع ، واستعاره ههنا ، ويقال : تَضَلَّع شِبَعًا وبحسب ريًّا ، وخص الصدور لأن الطعن بها يكون ، ويقال : عَلّ إبله يَعُلّ ويَعِلّ ، فَعَلّتْ هى ، ويجوز أن يقال : معنى تضلعت تعوّجت فيها ، ورمح ضَلِع : مائل ، والضَّلَع : الميل

(٢) يقال : عَصَوْت بالعصا ، وعَصَيْت بالسيف ، إذا ضربت بهما ، والأصل واحد ، ولكنهم أحبُّوا أن يفرقوا بينهما ، كما قالوا : طَلَقَتْ المرأة ، وأَطْلَقْتُ البعير من عقاله ، والأصل واحد ، يقول : لما تجالدنا بالسيوف وقتل بعضنا بعضا تقطع ما كان بيننا من القرب فصارت عداوات ، وَالسِّلْم : المسالمة ، والحبال ههنا : يجوز أن تكون مثلا ، ويجوز أن تكون العهود ، فان جعل الحبال مثلا فالمعنى أن حبال تلك الوسائل كانت مفتولة على الصلح فتقطعت باستعمال السيوف ، ويقال : وَسَّلْتُ إليه بوسيلة ، وَتَوَسَّلْتُ : أى تقربت إليه بقربة .

(٣) «وأطراف الرماح» فى موضع الحال للمضمرين فى «ولّوا» وذكر الأطراف

٣٥ — وَقَالَ عَمْرُو بن مَعْدِيكرب :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمئزَرٍ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَوْرَثْنَ مَجْدَا (١)

لأن الطعن بها يقع ، و إن كانت الرماح بأسرها مقصودة ، يقول: انهزموا وأسنة الرماح متمكنة منهم ومقتدرة عليهم طوالها وأوساطها ، والمربوع والمرتبع : مابين القصير والطويل ، وارتفع « مربوعاتها » على البدل من الأطراف وهذا يبين أن القصد بها إلى جميعها لا إلى بعضها

(١) من مرفل الكامل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متواتر

قوله « فاعلم » اعتراض تأكد به الكلام ، ومثله قوله تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم) لأن قوله « وإن رديت » متعلق بما قبله تعلق جواب القسم بالقسم ، يقول : ليس الجمال فيما تلبسه من الثياب ، وكانوا يأتزرون ببرد ويرتدون بآخر ، ويسميان حُلَّة ، وباجتماعهما كان يكمل اللبوس حتى كانت خِلْعَة ملوكهم لاتعدوهما ، ولذلك سمى من سمى ذا البُرْدَين ، وقوله « وإن رُدِّيت برداً » فى موضع الحال ، كأنه قال : ليس جمالك بمئزر مُرَدًّى معه برداً ، والحال قد يكون فيه معنى الشرط كما أن الشرط فيه معنى الحال ؛ فالأول كقولك : لأفعلنه كائنا ما كان . أى إن كان هذا وإن كان هذا ، والثانى كبيت الكتاب

* عَاوِدْ هَرَاةَ وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِبَا *

لأن الواو منه فى موضع الحال كما هو فى بيت عمرو ، وفيه لفظ الشرط ومعناه ، وما قبله نائب عن الجواب ، والمعنى إن خرب معمور هراة فعاودها ، وكذلك بيت عمر وتقديره : إن رديت بردا على مئزر فليس الجمال ذلك ، وقوله

أَعَدَدْتُ لِلحدَثَانِ سَا   بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَى (١)

« إن الجمال معادن ومناقب » المعادن : الجواهر ، يعنون الأصول الكريمة ، وجوهر الشيء : أصله فارسي معرب ، ويجوز أن يكون عربيا فوْعَلاً من الجهر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام » وأصل المعدن من عَدَنَ بالمكان إذا أقام به ، وقيل : اشتقاقه من عدنت الحجر إذا قلعته ، والمناقب · الطرق من طرق الخير ، ومناقب الإنسان : ما عرف فيه من الخصال الجميلة ، والواحدة مَنْقَبة ، والنقيب كأنه منه ؛ نَقيبٌ بَيِّن النَّقَابة ـ بفتح النون مثل الكفالة ـ فأما العِرافة فبكسر العين : والمجد : الشرف والرفعة ، وبه سميت الأرض المرتفعة مَجْدًا ونَجْدًا ، ويجوز أن يكون أصله الكثرة من قولهم : أَمْجَدْتُ الدابة عَلَفًا : أى وسعته لها ، يقول: جمال المرء فى أصوله الزكيَّة وأفعال له كريمة تورث المجد والشرف

(١) أعْدَدْت وأعْتَدْت واحد ، والاسم العُدَّة والْعَتَاد ، يقول : هيأت لنوائب الدهر : أى لدفعها . دِرْعاً واسعة وفرساضخما شديدا جيدالعَدْو كثيره ،والْعَلَنْدَى ألفه للالحاق بسفرجل ، وأصل الكلمة ثلاثى ، والنون والألف زائدتان ، فهو من العلد ؛ قال الخليل : هو الغليظ الشديد من كل شيء ، والدليل على أن الألف للالحاق أنك تقول للمؤنث : علنداة ، وأنك تنوّن فتقول : عَلَنْدًى ، وذكر بعضهم أن العلندى الضَّخم من الخيل والإبل جميعا ، وجمعه علاند ، وإن شئت عَلَادٍ وفرس عدّاء وعدوان : كثير العدو ، ويقال : جمل عَلَنْدًى ، وناقة علنداة ، وقد جاء فى الشعر القديم علندى فى صفة الناقة ، قال المرقّش :

فَهَلْ تُبْلِغَنِّيهِمْ عَلَى الْبُعْدِ حَسْرَةٌ   أَمُونٌ عَلَنْدًى جَلْعَدٌ غَيْرُ شَارِفِ

واستعمل العلندى فى صفات الخيل والمراد به الشديد وأكثر ما يستعمل فى الابل

نَهْدًا وذَا شُطَبٍ يَقُـ ـدُّ الْبِيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدَّا (١)

وعَلِمْتُ أَنِّى يَوْمَ ذَا كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدًا (٢)

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيـ ـدَ تَنَمَّرُوا حلقًا وَقِدًّا (٣)

---

(١) يقال : فرس نَهْد : أى ضخم طويل ، والأنثي نَهْدَة ، ومنه قيل للجارية إذا عظم ثدياها ولم يتكسرا : ناهد ، والشُّطَب وَالشُّطُب : طرائق السيف ، وسيف مُشَطَّب منه ، والأبدان : جمع بَدَن ، وهى الدرع القصيرة ، قال علقمة :

تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ السِّلَاحِ عَلَيْهِمُ كَمَا خَشْخَشَتْ يَبْسَ الْحَصَادِ جَنُوبُ

والقد : القطع طولا ، والقط عرضا

(٢) يجوز أن يشار بذاك إلى أمر قد علمه السامعون ، وهو الحرب ، لأن النزال يكون فيها ؛ ويجوز أن يكون أشار بذاك إلى السلاح الذى زعم أنه أعده ، ويجوز أن يكون أشار إلى الحدثان ، ومعنى البيت علمت أنى منازل هؤلاء فأعددت لهم هذا السلاح لعلمى بالحاجة إليه

(٣) انتصب « حَلَقًا » على أنه بدل من الحديد ؛ ويريد به الدروع التى نسجت حلقتين حلقتين ، وَالْقِدّ : أراد به الْيَلَب ، وهو شبه درع كان يتخذ من القد ، ويروى « خُلُقًا وَقَدًّا » ويكون انتصاب « خُلُقًا » على التمييز : أى تشبهوا بالنمر فى أخلاقهم وخلقتهم . ودل على الخلق قوله « قَدًّا » ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الدروع والْيَلَب تشبهوا بالنمر فى أفعالهم فى الحرب ، وَيجوز أن يريد بتنمروا تلوّنوا بألوان النمر لطول ثباتهم ، وحينئذ يصح أن يكون انتصاب « خلقا » على التمييز والمعنى الأول أجود ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم أشبهوا النمور إذا لبسوا الدروع لما فى جلود النمور من البقع شبهها بحلق الزرد ، ويجوز أن يكون المعنى أن جلودهم

كُلُّ أَمْرِىءٍ يَجْرِى إِلَى يَوْمِ الْهِيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا (١)

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شَدَّا (٢)

وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى (٣)

وألوانهم ازْبَدَّتْ من الغضب فصاروا مثل النمور ، فان قيل : كيف دخل قوله « وقدا » بالعطف على « حلقا » فى أن يكون لابس الحديد وليس منه ؟ قيل : لما كان يغنى غناء درع الحديد جاز أن يصحبه فى أن يكون بدلا . وقوله « إذا لبسوا الحديد » ظرف لتنمروا ، وقال أبو العلاء : قوله تنمروا أى لبسوها فصارت لهم كالنمرات . والنَّمِرَةُ : كساء صغير فيه بياض وسواد فنصب حلق على أنه مفعول ، ويحتمل أن يكون تنمر وايراد به اختلاف ألوان ما لبسوه فيكون نصب حلق على التفسير

(١) هذا كما قيل فى المثل : قبل الرِّماء تُملأُ الكنائن ، والضمير من صلة « ما » محذوف استطالة للاسم ويجوز أن يكون « استعدَّ » فعلا ليوم الهياج لا لكل أمرىء ، ويكون معناه بما كلف يوم الهياج أن يعدله ، يقال : أستعددته كذا : أى سألته أن يعد

(٢) الأمعز والْمَعْزَاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة ، والجمع الْمُعْز والأماعز والمَعْزاوات ، والأصل فى الْمَعْز الصلابة . يقال : رجل ماعز ومَعِز ، ومعنى « يَفْحَصْنَ » يؤثرن لشدة العدو فى المعزاء حتى يصير بها لآثارهم كالأفاحيص ، وانتصب « شدا » على أن يكون مفعولا له ، كأنه قال : يفحصن بالمعزاء لشدهن ، ويجوز أن يكون « شَدًّا » مصدرا فى موضع الحال : أى يفعلن ذلك بالمعزاء شادات ، ويروى « يمحصن » والمحص : العدو الشديد ، وينتصب شدا على أنه مصدر من غير لفظه . كأنه قال : يشددن شدا ، وجواب لما قوله « نازلت » فيما بعد

(٣) قوله « كأنها بدر السماء » فى موضع الحال للمرأة : أى بدت مشبهة البدر و « إذا تبدى » ظرف لما دل عليه « كأن » من معنى الفعل : أى برزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها كأنها قد أرسلت نقابها ، ودل على هذا بقوله « كأنها بدر السماء

وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي تُخْفِي وَكَانَ الْأَمْرُ جِدَّا
نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَمْ أَرَ مِنْ نِزَالِ الْكَبْشِ بُدَّا (١)
هُمْ يُنْذِرُونَ دَمِي وَأَنْ ذِرُ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدَّا (٢)
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا (٣)
مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلَا هَلِ عْتُ وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدَا (٤)

إذا تبدى » وإنما فعلت ذلك إما للتشبيه بالإماء حتى تأمن السباء ، أولما تداخلها من الرعب ، ومثله :

وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وُجُوهُهَا يُخَلْنَ إِمَاءً وَالْإِمَاءُ حَرَائِرُ

(١) « لابد » يستعمل استعمال لامحالة ، وتحقيقه لامَحِيد ولامَعْدِل ، ومنه قولهم : استبد فلان بالأمر : أى أنفرد به ، والبَدَدُ : مصدر الأبدّ ، وهذا جواب قوله « لما رأيت » وكبش الكتيبة : رئيسها ، يقول : لما رأيت الشدة نازلت كبش الأعداء ولم يردعنى الفزع من منازلته

(٢) يقول : هم ينذرون أنهم إذا لقونى قتلونى وأنذر الحملة عليهم

(٣) بوأته : أنزلته ، والمُبَوَّأ : المنزل ، وفى القرآن (مُبَوَّأَ صدق) ومَبَاءة الابل : مَبْرَكُهَا ، وسميت بذلك لأنها تبوء إليها : أى ترجع ، وسمى اللحد لحدًا لأنه حُفِر فى جانب القبر ، ومنه قيل : أَلْحَدَ الرجل ، إذا مال عن الدين فصار فى جانب ، ويقال: لحد و مُلْحَد وملحود بمعنى : أى كم من أخ موثوق فجعت به ، ولما فرغ من التبجح بالشجاعة ذكر صبره على البلاء

(٤) الْهَلَع : أفحش الجزع ؛ لأنه جَزَع مع قلة صبر ، فكأنه قال : ماجزعت عليه حزناً هينا ولافظيعا ، وهذا نفى للحزن رأسا ، وقوله « ولايرد بكاى زندا » يستعملون الزَّنْد فى معنى القلة ؛ كما يستعملون الفوف والنَّقِير والقِطْمِير ، وحكى

أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا (١)

أُغْنِى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ أُعَدُّ لِلأَعْدَاءِ عَدًّا (٢)

أبو زيد أنهم يقولون إذا قالوا مال الرجال : زندان فى مرقعة . ويروى « ولا يرد بكاى ردا » أى : مردودا ، ويروى « زيدا » وقالوا : يعنى أخاله ، قالوا : ولا تصح هذه الرواية : لأن بعضهم ذكر أنه فتش عن نسب عمرو فلم يجد له نسيبا ولا شقيقا يسمى زيدا ، على أن قوله « كم من أخ لى » يلائمه فيما يقتضيه سياق اللفظ ونظام المعنى ، وذكروا فى هذه الرواية أنه يريد بزيد أخا عمر بن الخطاب ، وكان حليفا له فى الجاهلية . وروى ابن دريد :ـ

* ما إنْ جَزِعْتُ وَلاَ هَلِعْتُ وَلاَ يَرُدُّ بُكَاىَ زَنْدَا *

ومجاز الكلام إنى لم أجزع ولم أهلع لفقدان من فقدته . ولو جزعت وهلعت لم يرد ذلك على شيئاً

(١) أى : كفنته ودفنته وتجلدت بعده

(٢) يجوز أن يريد بالذاهبين من انقرض من عشيرته ، ويكون المعنى أنه المعتمد عليه بعدهم ، ويجوز أن يريد بهم المتعتبين[1] عن المشاهد والمعارك ، وقوله « أعد للأعداء » يجوز أن يكون المعنى يقول فىّ الأعداء : خذوا فلانا فإنه يعد بكذا من الفرسان ، ويقال إن : عمرًا كان يعد بألف فارس . ويجوز أن يكون المعنى أهيأ للاعداء معدودا ، فيكون « عدا » انتصابه على الحال ، وموضوعا موضع المعدود ، وأعَدُّ مستقبل أعْدِدْت : أى هيئت ، ويروى « أُعِدُّ للأعداء » أى : أُعِدُّ لهم السلاح ، ويروى « أَعُدُّ للأعداء » بفتح الهمزة ، ويحتمل معنيين : أحدهما أن يقول أعُدُّ لهم وقعاتى وأيامى عند المفاخرة ، والثانى أن يقول أعُدُّ لهم كل مايحتاج إليه من عَدَدٍ وَعُدَّة . وهذا يرجع معناه إلى معنى رواية من يروى

---

(١) كذا فى عامة الأصول ، ولعله « المتغيبين »

ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدَا (١)

٣٦ — وقال عمرو أيضاً :

وَلَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلَيَّ بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّى لَفَرُورُ (٢)

« أُعدُّ للاعداء » بضم الهمزة وكسر العين ، وفى هذه الرواية يجوز أن يكون « عَدًّا » مفعولا به ، والمعنى أعد لها معدوداتها

(١) ينتصب « فردا » على الحال : أى منفردا : أى قد مضى قُرَنائى فصرت وحدى لاصاحب لى يعيننى على الأمور ، كالسيف لاثانى له فى غمد

(٢) من الرمل الأوّل إذا أطلقت ، ومن الثانى إذا قيدت ، مردف في الضربين جميعا ، والقافية من المتواتر إذا أطلقت ، ومن المترادف إذا قيدت

وروى بعضهم « لَقَرُور » بالقاف من الْقَرَار ، وقال : إن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار ، وذلك غلط ؛ لأن قوله « كُلٌّ ما ذَلِكَ مِنِّى خُلُقٌ » يدل على أنه ذكر حالين : حال ثبات ، وحال فرار ، فحال الفرار قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى قوله « ولقد أعطفها » والمعنى إنى أفر إذا كان الفرار أحزم . ولو ذكر حالا واحدة لم يحسن أن يقول « كل ماذلك منى خلق » وإنما دل على عقله وحزمه فى ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار ، وليست الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة ، إنما ذلك هَوَجٌ ، والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أنه يغلب ويظفر ؛ فأما إذا علم أنه إذا أقدم هلك ثم أقدم فإن ذلك جنون لأن كل واحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك ، وإنما الشأن فى أن يحمد غِبَّ إقدامه ، كما قال :

أُقَاتِلُ حَتَّى لاَ أَرَى لِى مُقَاتِلاً وَأَنْجُو إِذَا غَمَّ الْجَبَانُ مِنَ الْكَرْبِ

ومثله لزيد الخيل :

وَلَقَدْ أَعْطِفُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرُ (١)

كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّى خُلُقٌ وَبِكُلٍّ أَنَا فِى الرَّوْعِ جَدِيرُ (٢)

وَابْنُ صُبْحٍ سَادِرًا يُوعِدُنِى مَالَهُ فِى النَّاسِ مَاعِشْتُ مُجِيرُ (٣)

٣٧ — وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ (٤)

أُقَاتِلُ مَا كَانَ الْقِتَالُ حَزَامَةً وَأَنْجُو إِذَا لَمْ يَنْجُ إِلاَّ الْمُكَيَّسُ

غيره :

شُجَاعٌ إِذَا مَا أَمْكَنَتْنِى فُرْصَةٌ وإِنْ لَمْ تَكُنْ لِى فُرْصَةٌ فَجَبَانُ

وإنما هذا كلام من جمع إلى شجاعته و إقدامه حَذَراً وَحَزْماً . وقوله « أجمع رجلىَّ بها » أى : بفرس أضمهما عليها أستدرُّ الجرىَ ، و «حَذَرَ الموت » مفعول له

(١) وهذا القول يدل على أنه يفرُّ ثم يعطف ، والهرير : من الصوت ، هرَّ يَهِرُّ هَرِيراً ، وهرّ إذا كره أيضا ، وهو المراد ههنا : أى للنفس من الموت كراهة

(٢) «ما» زائدة ، ويقال : هوجديرٌ بكذا ، ولكذا ، وجديرأن ينال كذا ، ولقد جَدُرَ جَدَارَةً : أى هو خليق بكذا

(٣) يقال : أتى فلان سادراً ، إذا جاء من غير جهته ، و«ابن صبح» فيه قولان : أحدهما أنه رماه بأنه لغير رِشْدَةٍ : أى حملت به أمه وقت الصبح ممن أغار على قبيلته ، فنسبه إلى الصبح ، والآخر أنه يستهزىء به : أى يغير وقت الصبح كما يفعله الشجاع فنسبه إليه ، كما قالوا : ابن الحرب ، وابن الهياف . وقوله «ماعشت» ظرف ، بيانه أن «ما» مع الفعل فى تقدير المصدر ، واسم الزمان معه محذوف ، كأنه قال : مدة عيشى

(٤) ابن عدى بن عمرو بن سَوَاد بن ظَفَر الأَوْسِىّ : قيس : من قاس الشىء يقيسه قيسا إذا حمله على غيره ، وهى المقايسة ، ويقال : قاس الماشى فى الطريق ، إذا مشى

طَعَنْتُ ٱبْنَ عَبْدِ الْقَيسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ   لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءهَا (١)
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّى فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا   يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَاوَرَاءهَا (٢)

فيه كأنه يقيس مقدار خَطْوِه ، وزعموا أن القيس اسم صنم ، ولذلك سموا الرجل عبد القيس ، وَالْخَطِيم : من قولهم : خَطَمْته ، إذا ضربت خطمه ، وسمى الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه ، فهو إذاً صفةٌ غالبة ، كنابغة ، وَعَدِىٌّ : يجوز أن يكون فى معنى مَعْدُوٍّ أى مصروف ، ولا يمتنع أن يكون فى معنى فاعل ، كما يقال : عالٍ وعَلِىٌّ ، وأوس : الذئب ، والأَوْسُ : العطية

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مردف بوصل وخروج ، والقافية متدارك الشَّعَاعُ : المتفرق ، ومنه شَعَّ الغارةَ ، وتطاير القوم شَعَاعاً ، والنَّفَذُ : الخرق ، يقول : لولا انتشار الدم لأضاءها ، وأضاءها : جواب لولا ، والمبتدأ هو الشَّعَاعُ ، وخبره محذوف ، كأنه قال : لولا الشعاع مانع لأضاءها ، ومن روى «الشُّعَاع» — بضم الشين — فانه يريد نور الشمس ، والأوّلُ أحسن ، يقول : طعنته طعنة من يطالب بثأره فلم أبق غاية ، والنَّفَذ : ماينفذ من الطعنة ، والجمع أنفاذ ، قال الشاعر :

وَعَادٍ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ رَمَيْتُهُ   بِقَافِيَةٍ أَنْفَاذُهَا تَقْطُرُ الدَّمَا

ويروى « نَفَثٌ » يعنى مانفثت الطعنة من الدم

(٢) « ملكت » من قولهم : مَلَكْتُ العجين ، وأملكته ، إذا بالغت فى عَجْنه : أى شَدَدْت بهذه الطعنة كَفِّى ووَسَّعْت خرقها حتى يرى القائم من دونها الشىء الذى وراءها ، ويجوز أن يكون معنى « مَلَكْت بها كفى » أى تمكنت من فعلها فأطلقت تصريف كفى فى إيقاعها على مرادى ، وهذا كما تقول : أنا أملك هذا الأمر ، إذا كنت قادرا عليه ؛ كأنه أشار بهذا الكلام

يَهُونُ عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا عُيُونَ الأَوَاسِي إِذْ حَمِدْتُ بَلاءَهَا (١)
وَسَاعَدَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ خِدَاشٌ فَأَدَّى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا (٢)

أن الطعنة لم تكن على دهش واختلاس . ويروى

* يَرَى قَائِماً مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا *

ويكون المعنى يرى منْ وراءها إذا كان قائما من ودونها . وراء ههنا خلف ، وَ«مَنْ دُونَهَا» أى مَنْ قُدَّامَهَا ، ومعنى «أنهرته» أى وسعته حتى جعلته كالنهر سَعَةً ، والنهر نفسه سمى نَهْراً لاتساعه ، ومنه المنهرة ، وهى فضاء بين بيوت الحى يُلْقُون فيه كُنَاسَتهم

(١) الأواسى : النساء المداويات للجراح ؛ والفعل منها أَسَوْتُ ؛ ويقال للرجال : الآسُونَ والأُسَاة ، وإنما ذكر النساء لأنهم يأنفون من الصناعات ويعلمونها العبيد والإماء ، وحرائر النساء أحيانا إذا لم يكنَّ فى غاية بعيدة من الشرف ، يقول : إذا نظرت الأواسى إلى هذه الطعنة ردت عيونهن من قبحها

(٢) خِدَاشٌ : جمع خَدْش ، وهو جرح لايسيل دمه ، ويجوز أن يكون مصدر خَادَشْت ، وقوله « فأدى نعمة » يجوز أن ينتصب « نعمةً » على الحال ، ويكون مفعول «أدى » محذوفا ، كأنه قال : فأداها نعمة ويدا استحق عليها شكرا ، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول أدَّى . ويكون المعنى ساعدنى فى هذه الطعنة خِدَاشٌ فأدَّى صَنِيعةً كانت لى عنده بمساعدته واتخذها مغنما لنفسه أيضا ، ويجوز أن يكون «أفاءها» من الفَيْء الغنيمة ، ومن الفيء الرجوع : أى أداها ورجعها إلى مصطنعها (١) بعد أن كادت تفوتنى ؛ لأن الأيادى قروض ؛ وكان

---

(١) هذا اسم مكان فعله اصطنع ؛ والمعنى رجعها إلى المكان الذى تصطنع فيه الصنائع ، يريد نفسه ، وأنه أهل لأن تصنع معه المروءات لأنه يحفظها ويردها إلى صانعها .

الخَطِيمُ قتله رجل من بنى عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ ، وقتل جَدَّ قيسٍ عَدِيَّ بن عمرو رَجُلٌ من عبد القيس يسكن هَجَر ، وكان قيس يوم قتل أبوه صبيا صغيرا ، وكانت أمه خشيت أن يبلغ قَيْساً مقتلُهما فيخرج للطلب بثأرهما فيهلك ، فعمدت إلى جثوتين من تُرَاب ووضعت عليهما حجارة ، فصارتا كهيئة قبرين ، وقالت : هٰذَان قبرا أبيك وجَدِّك ، فنازع قيسٌ فَتًى من فتيان بنى ظَفَرَ ، فقال له : لو أنقيت شدَّتك على قاتل أبيك وجدك كان أولى بك ، فاغتاظ وقال لأمه : إن أخبرتنى بخبرهما وإلا قتلتك أو قتلت نفسى ، فأخبرته بمقتلهما ، وقاتليهما ، فسار حتى أتى مَرَّ الظَّهْرَان ، فسأل عن خِدَاش بن زهير ، وكان للخطيم عنده يَدٌ فأخرجت إليه امرأة خداش طعاماً ، فتناول منه قليلا ، فقالت : إنى أظنك ثائرا ، ورأى خداش أثر قدمه فقال : أنَّ قدم هذا الفتى قَدَمُ الخطيم ، ثم انتسب له ، وأخبره ما جاء من أجله ، فقال خداش : إن قاتل أبيك ابنُ عمى ، وإن أردت دَفْعَه إليك مُنِعْت ، وأنا أجالس العشية إلى جنبه ، فإذا رأيتنى أضرب بيدى على فخذه فَشُدَّ عليه واقتله ، وأنا أمنعك من قومه : ففعل ، ووثب القوم إليه ليقتلوه . فحال خداش بينه وبينهم ، وقال : إنما قَتَلَ قاتل أبيه ، ثم ركب معه حتى أتيا البحرين ، فلما دَنَوَا من قرية قاتل جده تَكَمَّن خِدَاش فى دارةٍ من الرمال ، وأتى قيسٌ قاتل جده فقال له : كنت أريد بلادكم حتى إذا كنت بهذا الرمل أتيح لى لصٌّ من لصوص قومك فسلبنى ، وقد جئتك لتركب معى فتستنقذلى سَلَبِى ، فأمر الرجل ناسا من قومه بالركوب معه ، فضحك قيس ، فقال : ما أضحكك ؟ قال : لو كان السيد منا لم يفعل فعلك ، إنما يخرج وحده إذا استعين على شىء ، فأَنِفَ الرجل أن يخرج معه أصحابه ، فركب وحده حتى أتى الدارة ، فنهض إليه خداش فصار فى وجهه ، وطعنه قيس فى خاصرته فقتله ، وكَمَنَا فى الرمل أياماً حتى هدأ الطلب ،

وَكُنْتُ امْرَأً لاَ أُسْمِعُ الدَّهْرَ سُبَّةً ... أُسَبُّ بِهَا إِلاَّ كَشَفْتُ غِطَاءَهَا[١]
فَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ ... بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا[٢]
إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْبَعاً خَطَّ مِئْزَرِي ... وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا[٣]

ثم رحلا إلى أرْضَيْهما . فهذا معنى قوله « وساعدنى فيهـا ابن عمرو بن عامر خداش »

(١) ويروى «لا أُسْمَعُ الدهر سُبَّةً » إلا كشفت غطاءها : أى لم أتركها ملتبسة على سامعها ، بل كشفتها ليعلم أنى مكذوب علىَّ فيهـا أو يريد بكشف غطائها إزالتها عن نفسه[١]

(٢) الضروس : الشديدة ، من ضَرْس البئر ، وهو طيُّها بالحجارة . ويروى « العَوَان » وهى التى قوتل فيها مرة بعد مرة

(٣)«خَطَّ مئزرى » بفتح الخاء — جعل الفعل المئزر : أى أنه يصل إلى الأرض فيؤثر فيها ، ويروى « حُطَّ » بحاء غير معجمة مضمومة ، والمعنيان واحد ، والمعنى أنه يسكر فيسحب مئزره ، كما قال زهير :

يَجُرُّونَ الْبُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ ... حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ

وقوله :

* وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا *

أى : أتممت ما بقى على من السماح فى حال الصحو ؛ كأن معظمه فعله صاحيا ، والباقى منه تممه فى حال السكر ، وهذا الكلام يجرى مجرى المثل فى قولهم : أتبع الفرس لجامها ، وأتبع الدلو رشاءها : أى تمم مابقى عليك من أمرك ، وكأنه يضرب لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقير

---

(١) فى الأصول كلها « لازالتها عن نفسه » ولا معنى لهذه اللام .

مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تُلْفَ حَاجَةٌ لِنَفْسِيَ إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا (١)
ثَأَرْتُ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أُضِعْ وِلَايَةَ أَشْيَاخٍ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا (٢)

٣٨ — قال الحرث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو (١) بن مخزوم (٣)

---

(١) ويروى «لا يُلْفِ حَاجَةً» على أن يكون الفعل الموت ، و «لا تُلْفَ حاجَةٌ» على ما لم يسم فاعله : أى لا يوجد ، ومعنى «قد قضيت قضاءها» أى : فرغت منها كقضائى لأمثالها ، وقوله «هذا الموت» يجوز أن يكون تصوّره حاضرا لمعرفته بإدراكه لا محالة ، فأشار إليه ، ويجوز أن يكون لدوام استثقاله وتحدثه بمجيئه أشار إليه على جهة التقريب

(٢) ثأرته : طلبت بثأره ثأراً ، والثأر : المصدر ، والثأر : المطلوب بالدم ، سمى بالمصدر ، يقال : فلان الثأر المنيم : أى هو الذي إذا قتل أنام طالب الدم عن الطلب ، والمثؤور به : المقتول ، والثُّؤْرة : المصدر على مثال فُعْلَة ، قال الشاعر :

طَلَبْتُ بِهِ ثَأْرِي وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي بَنِي عَامِرٍ هَلْ كُنْتُ فِي ثُؤْرَتِي نِكْسَا

وقوله «جعلت إزاءها» أى : جعلونى أقوم بها ، من قولك : فلان إزاء مال ، إذا كان يقوم بإصلاحه

(٣) وهو أخو أبى جَهْل ، وكان هرب يوم بدر لما أنزل الله على رسوله النصر ، قال أبو الفتح : هِشام : مصدر هاشمته هِشَامًا ، وهو فاعاته من الْهَشْم ، وهو الكسر ، قالت بنت هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم :

عَمْرُو الَّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

ويروى «مُصْمِتُونَ» قال الأصمعى فى تفسيره : هشم ماله فأطعم الثريد ، وقال أبو العلاء : هِشَام : من هشمت الشيء إذا كسرته ، وأصل ذلك أن يكون

---

(١) كذا ، وفى هذه الكلمة اختلاف ، والمشهور «عمر بن مخزوم»

اللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ   حَتَّى عَلَوْا فَرَسِى بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ(١)

فى شىء يابس إلا أنه ليس بصعب المكسر ، ومنه قيل للشجرة اليابسة : هَشِيمة . وللنبت اليابس : هَشِيم ، والمُغِيرة — بضم الميم — أجود اللغتين ، وقد حكى بالكسر على الإتباع ، وهو من أغرْتُ الحبلَ إذا أحكمتَ فتله ، أو من أغار على العدوّ ، أو من أغار المرأة ، ومَخْزُوم : من خَزَمْت البعير ، إذا جعلت فى أنفه خزامة ، وهى حلقة من شعر

(١) الضرب الأول من الكامل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

قوله « الله يعلم » لفظه لفظ الخبر ، وقصده إلى الحلف : لأنه يستشهد بربه ، فيقول : علم الله ما تركت مقاتلتهم حتى جرَحونى ؛ وَعَنَى بالأشقر المزبد الدم ، وزبده : البياض الذى يعلوه ، وكان لما هرب يوم بدر عيَّرَهُ حسان بذلك ، فقال :

إنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذى حَدَّثْتِنِى   فَنَجَوْتِ مَنْجَى الْحٰرِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْهُمُ   وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

فاعتذر من هربه ، وقال :

* الله يعلم ما تركت قتالهم *

ولما صار ابن الأشعث إلى رَتْبِيلَ تمثل رَتْبِيل بقول حسان :

* إنْ كُنْتِ كاذِبةَ الَّذِى حَدَّثْتِنِى * البيتين

فقال ابن الأشعث : أو ما سمعت ما رد عليه الحرث بن هشام ؟ فقال : وما هو ؟ قال :

* اَللّٰه يعلم ما تركت قتالهم * الأبيات

فقال رتبيلُ : يا معشر العرب ، حَسَّنتم كلَّ شىء حتى حسنتم الفرار ، وجعل

وَشَمِمْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّدِ (١)
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِدًا أُقْتَلْ وَلَا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي (٢)
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمُ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُرْصِدِ (٣)

الدم مُزْبدًا لأنه إذا بدر من الطعنة أزبد : أى علاه زبد ، يعنى أنه ما انهزم حتى جرح فرسه ، فعلاه دمه ، أو جرح هو فعلا فرسه دمه

(١) ويروى « ووجدت » وهو مَثَل ؛ ومعناه أنه غلب ظنه أنه لو وقف قتل ، والتِّلْقَاء : مأخوذ من لقيت ، فيجوز أن يستعمل فى معنى اللقاء ، وعلى ذلك حملوا قول الراعى :

أَمَّلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ فَالْيَوْمَ قَصَّرَ عَنْ تِلْقَائِكَ الْأَمَلُ

وأكثر مايستعمل تلقاء فى معنى نحو الشىء ، كما جاء فى الكتاب العزيز : (تلقاء أصحاب النار) أى نحوهم

(٢) انتصب « واحدا » على الحال ، والمعنى منفردا ، وواحد ههنا صفة ، وأراد حتى علمت ، وإنما أطلق لفظة علمت لارتفاع الشبه عن اعتقاده ذلك ، والمعنى حتى تيقنت أنى إن ثبتُّ لقتالهم قتلت ولا يضر حضورى أعدائى ، بل ينفعهم ؛ لأنهم إذا كنت وحدى قتلونى ففرحوا وغنموا

(٣) يعنى بالأحبة أخاه أبا جهل ورهطه من أهل مكة ، تركهم فى الجمع فقتلوا وأسروا ، ويجوز أن يكون المراد أعرضت عنهم ودماؤهم وأُسراؤهم فيهم لم أظفر بهم : أى دماء أحبتى وأسرائى ، ويقال : صد عنى فلان صُدُودًا ، إذا صرف وجهه ، وصددته أنا عن كذا ، وحكى أَصْدَدْته ، وليس بشىء ، وانتصب «طَمَعًا» على أنه مفعول له ، وقوله « بعقاب يوم مُرْصِدِ » أى : لطمعى فى أن يعقب الله لى يوما يرصد الشر لهم ويمكننى منهم فأنتهز الفرصة ، ويقال : رَصَدْتُ فلانا

٣٩ — وقال الْفرَّارُ السُّلَمِيُّ (١)

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ حَتَّى إِذَا الْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِى (٢)

فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ (٣)

بالمكافأة ، ورصدت له ، وأرصدته ، وأنا مُرْصِدٌ لفلان بما كان منه حتى أكافئه ، ويجوز أن يكون منتصباً على أنه مصدر فى موضع الحال ، والتقدير صددت عنهم طامعا ، والعقاب يجوز أن يراد به المكافأة ، يقال : أولاه خيرا فعقبه بشر عَقَبَةً وعِقَاباً وَعُقْبَي ، ومن روى « سَرْمد » فهو دوام الزمان واتصاله من ليل أو نهار فيكون المعنى بعقاب يوم طويل يتصل زمانه ويمتد بلاؤه ، وأيام الغم والمحنة توصف بالطول ، ولهذا قيل : مضى لفلان يوم كأيام ، وشهرٌ كدهر

(١) واسمه حَيَّان بن الحكم ، حَيَّان : فَعْلَان من الحياء ، والسُّلمى : منسوب إلى سُلَيم ، وهو تصغير سَلْم الدلو لها عروة واحدة ، أو سِلْم الذى هو الصلح ، أو السَّلَم الذى هو الاستسلام

(٢) الأول من الكامل : مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

سألت أبا محمد الدهان اللغوى عن قوله « وكتيبة لبستها بكتيبة » وقت قراءتى عليه ، فقال : سألت أبا الحسن السِّمْسِمِيَّ عنه ، فقرأ (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك) يقول : رُبَّ كتيبة خالطتها بكتيبة فلما اختلطت نفضت يدى منهم ، وخليتهم وشأنهم ، وتوسعوا فى النفض وأصله الإلقاء والإماطة ، فقيل : نفضت اليدَ من فلان ، ولِفُلَان أشدُّ النفض ، إذا وكلته إلى نفسه ، واستعار نفض اليد للإعراض عنها ، ويروى « نفضت بها يدى » وهذا يحتمل وجهين : أحدهما بها أى بفرسه : أى قَرَعَهَا بسوطه ، فكأنه لما ضرب فرسه نفض يده بسرعة ضربه ، والآخر بالمقرعة أو المخصرة

(٣) تَقِصُ : أى تكسر ، ومنه وَقَصْتُ العيدانَ : أى كسرتها ، وقيل

مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ وَقُتِلْتُ دُونَ رِجَالِهَا : لاتَبْعَدِ (١)

٤٠ — وقال بعض بنى أسد :

يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبٍ بِأَسْفَلِ ذِى الْجِذَاةِ يَدَ الْكَرِيمِ (٢)

القطع العود الذى يتبخر به وقص ؛ قال حميد بن ثور

لاتصطلى النار إلا مجمرا أرجاً * قد كَسَّرَتْ من يَلَنْجُوجٍ لَهَا وَقَصَا

و« تَقِصُ الرماح » فى موضع الحال لهم ، وكذلك قوله :

* من بين منعفر وآخر مسند *

والعامل فى الأول «تركتهم» ، وفى الثانى «تقص» ، يقول : فارقتهم والرماح تختلف بالطعن بينهم وتكسر ظهورهم وهم من بين مصروع ألقى فى العفر وهو التراب ، وآخر مطعون أو مجروح ، وقد أسند إلى ما يمسكه و به رمق

(١) يجوز أن تكون « ما » استفهاما ؛ و« كان » تجعل الناقصة ، ويجوز أن يكون نفيا ، وتجعل « كان» مؤكدة ، و « لاتبعد» أى : لاتهلك ، بعد الرجل يبعد ، إذا هلك وفى القرآن (كما بعدت ثمود) والرجل بَعِدٌ ، وفى الدعاء على الرجل « بعدت » أى : هلكت : أى ما ينفعنى أن يندبننى و يقلن لاتبعد وقد بعدت، ولا تبعد : كلمة تقال للميت

(٢) الأول من الوافر ؛ مردف مطلق موصول ، والقافية من المتواتر

يَدَيْتُ وأيديت بمعنى واحد ، وإنما عدَّى يديت بعلى لأنه أجرى مجرى أنعمت ، وهم يحملون النظير على النظير ، كما يحملون النقيض على النقيض ، وأيديت أكثر ، يقال : أَيْدَيْتُ إليه يَدًا ، إذا أنعمت عليه ، واليد : النعمة ، و يجب أن يكون مصدر يَدَيْت يَدْياً ، مثل جَرَيْت جَرْياً ، لكنه وضع الْيَدَ مكانه ، فان قيل : ماتنكر أن يكون اسم الحدث وقد حذف لامه كما حذف

قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الْحَمَّاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ عَنْ دَارِ الْحَمِيمِ (١)

من اسم العين ؟ قلت : اسم الحـدث لم يكثر كثرة اسم العين ، و إذا كان حذف اللام من اسم العين لـكثرة الاستعمال فيجب أن يكون اسم الحدث الذى لم يكثر استعماله لايجرى مجراه ، يقول : أنعمت عليه إنعام كريم ، والْحَسْحَاس : من قولهم : حَسْحَسْتُ الشواء على النار ، إذا قلبته عليها ، وقيل : بل الْحَسْحَسَة نفض الرماد عنه ، وقال قوم : الْحَسْحَاسُ شِوَاء لم ينضج ، وذو الْجِذَاة : موضع ، والجذاة : شجرة ، وجمعها جِذًا ، وعلى ذلك فسروا قول ابن مُقْبِل :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَقْتَبِسْنَ لَهَا جَزْلَ الْجِذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلاَ دعر

و قال قوم : الجذا جمع الجذوة من النار ، وقال أبو هلال : ذو الجذاة موضع بفتح الجيم ، وقال النمرى: الجذاة بالكسر ، وهى الرواية المشهورة ويروى «ابن حَسَّاس»

(١) الْحَمَّاء : اسم فرسه ، فيجوز أن يكون ذلك اسمها ، ويجوز أن يكون وصفالها ؛ والحماء : تأنيث الأحَمّ ، وهو الأسود من كل شىء ، وقد روى « من الجماء » فيحتمل أن يكون من جَمَّ الجرى إذا كثر ؛ ولا يمتنع أن يكون للواحدة من الخيل الْجُمِّ ، وهى التى لا رماح مع أصحابها ؛ لأنهم يجعلون الرماح قرون الخيل : أى حبست عليه فرسى فأردفته ، وكان ابن حسحاس هذا قد صرع يوم جَبَلَةَ فرآه الأسدى مجروحا فأردفه ، ويجوز أن يكون عَنَى أنه قصر منها فقاتل عنه ، والوجه هو الأول ، وحذف مفعول «شهدت» لأنه أمن الالتباس، وحَمِيم الرجل :أخوه وصديقه ، وإنما أخذ من أنه يحتم له ، والاحتمام مثل الاهتمام إلا أنه مع كرب وسهر ، وقالوا : الاحتمام بالليل والاهتمام بالنهار ، ويجوز أن يكون مرادهم به فى الأصل أن كل واحد من الحميمين إذا حُمَّ صاحبه من الحمى حُمَّ هو من الاهتمام واشتقاق الحمى من حاء وميمين ، ويدل على ذلك قولهم : محموم ، قال :

أُنَبِّئُه بِأَنَّ الْجُرْحَ يُشْوِى وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جَمُومِ (١)
وَلَوْ أَنِّى أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ (٢)
ذَكَرْتُ تَعِلَّةَ الْفِتْيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ الْمَلامَةِ بِالْمُلِيمِ (٣)

يَوْهَجُ مِثْلَ وَهَجِ الْمَحْمُومِ أَوْ كَمَدَاكِ الْعَرُسِ اللَّطِيمِ

وقوله «وغاب عن دار الحميم» كان وجهه أن يقول : لما شهدت وغاب حميمه، وجواب لما قَصَرْتُ ، وهو مقدم

(١) يُشْوِى : أى يخطىء ، من قولهم : رماه فأشواه ، إذا أصاب غير المقتل ، وَالعِجْلِزَة : الصلبة ، وَالْجَمُوم : الذى لاينقطع جريه ، والمراد أن تبليغك المأمَنَ سهلٌ وأن مابك من الجرح هين

(٢) يقول : لوشئت لبعدت منه بعد الفرقدين من النجوم السيارة ، وهى التى تحل فيها النـيران ، والفرقدان لاحلول فيه ، وهذا يجرى مجرى قولهم : هومنى مَنَاطَ الثُّرَيَّا ، فى أن المراد به التبعيد ، ويجوز أن يريد بعدت منه بعد الفرقدين من النجوم ، فيكون «من النجوم» تبيينا ، كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ويجوز أن يريد بالنجوم نبات الأرض : لأن كل ماطلع فقد نَجَمَ ، ويكون المعنى بعد الفرقدين من الأرض ومنابتها

(٣) تَعِلَّة : مصدر عَلَّلته ، وتعلة الفتيان : حديثهم الذى يتعللون به ، فيقولون : أحسن فلان ، وأساء فلان ، يقول : علمت أن فعلى سيذكر و يقال فيه الشعر فيتغنى به فيعلل بعض الناس به بعضا حسنا كان أو قبيحا فاخترت الثناء الحسن وتجنبت الذى ألام عليه من إسلام ابن الحسحاس ، وقال النمرى فى قوله « أنبئه بأن الجرح يُشْوِى » يقول لصاحبه أَقْدِمْ وَلَا تَخِمْ ؛ فان الجرح

٤١ — وقال الشَّدَّاخُ بنَ يَعْمَرَ الكِنَانِيُّ (١)

ربما أخطأ المقتل فلم يضر كبير ضرر ، وأنت أيضا على فرس جواد ، فان شئت كررت ، وإن شئت فررت ، وهذا القول مما يسكن الروع ويربط الجأش . قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل :

أَرَادَ طَرِيقَ الْمُنْصَلَيْنِ فَيَاسَرَتْ   بِهِ الْعِيسُ فِي نَائِى الصُّوَى مُتَشَائِمِ

المنصل : واديين اليمامة والدهناء ، وثنّاه بما حوله ، ومعنى البيت أنه رأى صاحبه جريحا فاحتمله خلف فرسه وجعل يؤسيه ويقويه بأن الجرح يشوى أى يخطىء المقتل ، كأنه أشار إلى جرحه فقال : الجرح يشوى : أى هذا الجرح الذى بك ، وهو فى المجاز كقوله :

سَمَا الْبَرْقُ مِنْ نَحْوِ الْحِجَازِ فَشَاقَنِى   وَكُلُّ حِجَازِىٍّ لَهُ الْبَرْقُ شَائِقُ

أى : هذا البرق ، كأنه إلى برق بعينه أشار ، وقوله « وأنت فوق عجلزة جموم » أى : فوق فرسى وهى الدهماء ، وإنها تبلغك أهلك ، وكان سبب ذلك أن معقل بن عامر الأسدى أخا حَضْرَمِىِّ بن عامر ، وهو فارس الدهماء ، مر يوم جَبَلَةَ على ابن الحسحاس بن وَهْب العيوى (١) وهو صريع فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برىء ثم كساه وأداه إلى أهله ، وقال :

يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبٍ   بِأَسْفَلِ ذِى الْجُذَاةِ يَدَ الْكَرِيمِ
قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الدَّهْمَاءِ لَمَّا   شَهِدْتُ وَغَابَ مَنْ لَهُ مِنْ حَمِيمِ

(١) من كنانة بن خُزَيمة ، وسمى شداخا لأنه شَدَخَ الدماء بين قريش وخُزاعة : أى أهدرها(٢) ، قال فى بعض الحروب : قد شَدَخْتُ الديات تحت قدمى : أى أبطلتها ، ويَعْمَرُ : منقول من الفعل ، كيزيد ويشكر ، وخزيمة : مسمى بتصغير خَزَمَة ، وهى واحدة الخَزَمِ ، وهو شجر يفتل من لحائه الحِبَالُ ، قال الراجز :

(١) فى بن « الأعيوى »   (٢) فى بن « أى هدرها » بغير همز

قَاتِلِي الْقَوْمَ يَاخُزَاعَ وَلاَ يَدْخُلْكُمْ مِنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُ (١)

الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَهُمْ شَعَرٌ فِي الرَّأْسِ لاَ يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا (٢)

دَلّ فَقَدْ أَصْبَحَ مَا تُدَلِّي مِثْلَ رِشَاءِ الْخُزَمِ الْمُبْتَلِّ

وهذا التأويل أشبه من أن يكون مسمى بتصغير خَزْمَةَ بسكون الزاى من قولك : خَزَمْتُ البعير

(١) من أوّل المنسرح ، مطلق موصول مجرد ، والقافية من المترا ب

قال أبو العلاء : قوله « قاتلى القوم » كأنه مخروم ، والخرم : سقوط حرف متحرك من أول كل شعر أصل بناء أوّله على حرفين متحركين والثالث ساكن ، وذلك لايجوز فى هذا الوزن على رأى الخليل ، قال : والذى أعتقد أنه جائز ، وقد ذكره أبو رياش على مايجب من صحة الوزن ، وهو « فقاتلى القوم ياخزاع » يروى قاتلى وقاتلوا ؛ على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى . وجعل النهى فى اللفظ للفشل ، والمراد لاتفشلوا : أى لايتداخلكم الجبن والضعف

(٢) أى : هم مثلكم مخلوقون خلقة الآدميين ، و إذا قتل منهم الرجل لم يعش ، وقد زعم أن بعض العرب كان يعتقد فى الفرس أنهم لايموتون ، وذلك جهل من قائله ؛ لأن الإنسان لا يجهل أن الناس كلهم سواء فى الموت ، وأما قول عَمْرو ابن معد يكرب لما لقى جنود فارس مع المسلمين :

أَنَا أَبُو ثَوْرٍ وَسَيْفِي ذُو النُّونْ أَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ غُلاَمٍ مَجْنُونْ

* يَالَ زُبَيْدٍ إِنَّهُمْ يَمُوتُونْ *

فانما أراد حثهم على القتال ، وهو نحو ما أراد الشَّدَّاخ ، وسألت أبا محمد الدَّهَّان اللغوى عن معنى قوله «القوم أمثالكم — البيت» فقال : سألت أبا الحسن السِّمْسِمِى عنه فقرأ (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون)

أَ كُلَّمَا حَارَبَتْ خُزَاعَةُ تَحْـ دُونِي كأنِّي لِأُمِّهِمْ جَمَلُ (١)

٤٢ — وقال الْحُصَيْنُ بن الْحُمَام الْمُرِّيُّ (٢)

(١) قال الخليل : خُزَاعة من خزع عن أصحابه إذا تخلف ؛ لأنهم تخلفوا عن قومهم بمكة أيام سَيْل العَرِم ، يقول : أتسوقنى خزاعة كلما حاربت لنصرها والدفاع عنها ، كأنى ناضح لأمهم يستقى عليه الماء ، فيقال له : أقبل بالدلو وأدبر ، وذكر الأم تغليظا للقول وتخشينا ، وقوله « كأنى لأمهم » فى موضع الحال : أى تحدونى مشبها جملا لأمهم ، و« كلما » ظرف لقوله « تحدونى » أى : إن انقدت لها قبل فانى لا أنقاد الآن

وخبر هذه الأبيات : أنه كان بين بنى كنانة وخزاعة حِلْفٌ على التناصر والتعاضد على سائر الناس ، فاقتتلت خزاعة وبنو أسد ، فاعتلتها بنو أسد ، فاستعانت خزاعة ببنى كنانة ، فذكر الشَّدَّاخ قرابة بنى أسد ، فخذَّلَ كنانة عن نصرة خزاعة فقال قاتلى القوم ، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد (١) من تهامة إلى نجد غضبا على بنى كنانة إذ لم تنصرهم

(٢) هو تحقير حِصْن ، ويمكن أن يكون تحقير الحُصْن مصدر الحُصُن كما يسمون رشيدا ، ولا يحقر المصدر إلا بعد التسمية به ، قال أبو العلاء : ولا يمتنع أن يكون تصغير ترخيم للحِصَان من الخيل أو الحَصَان من النساء ، أو المحْصَن من القفل ، أو المحصن إذا أريد به الزبيل ، والحُمَام : حمى الإبل خاصة ، ويقال : حُمَّى وحُمَّة يؤنث مرة بالتاء وأخرى بالألف ، وأنشد أبو زيد لضباب بن سُبَيْع ابن عوف :

لَعَمْرِى لَقَدْ بَرَّ الضَّبَاب بنوه وَبَعْضُ الْبَنِينَ حُمَّةٌ وَسُعَالُ

(١) كذا فى عامة الأصول ، وظاهر السياق « انحدرت خزاعة »

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ   لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا(١)
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا   وَلٰكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا(٢)

و «الْحُمَام» قيل : إنه عرق الخيل ، وإذا أخذ من ذلك فهو مثل الحميم ؛ لأن العرق يسمى حميا ، فيكون هذا من باب طَوِيل وطُوَال ، وإنما أخذ من الماء الحميم ، وهو الحار ، وهو الْحُصَيْن بن الْحُمَام المرّى ، مُرَّةَ غطفان ، وهو مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن رَيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عيلان ، ويقال : إن مرة هؤلاء هو مرة بن عَوْف بن لؤىّ بن غالب من قريش ، وقد دعاهم عمر بن الخطاب إلى الرجوع إلى نسبهم ، ووفدت عليه مشايخهم ، فقالوا له : أتجعلون لنا نصيبا فى الخلافة ؟ قال : لا ؛ قالوا : ففى الشورى ؟ قال : لا ، فقالوا : لا نخرج ونحن أُنُوف قريش فنكون أذنابا فيكم

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

يقول : لما تأخرت طمع فىّ العدوّ وتصوّر فىّ الجبن فاجترأ علىّ ، والقتل إلى الجبان أسرع ؛ لأن كل أحد يطمع فيه ، وقيل : إن الجبان حَتْفُه من فَوْقِهِ ، فتقدمت ، فكان التقدم أنجى لى ، والعرب تقول : الشجاع مُوَقًّى : أى تهيبه الأقران فيتحامونه ، فيكون ذلك وقاية له ، ويجوز أن يكون المعنى أحجمت مستبقيا لعيشى فلم أجد لنفسى عيشا كما يكون فى الإقدام ، وذلك أن الأحدوثة الجميلة إنما تكون بالتقدم لا بالتأخر ، وقوله «حياةً مثل أن أتقدما» معناه حياة تشبه الحياة المكتسبة بالتقدم

(٢) أى : لسنا بدامية الكلوم على الأعقاب ، ولو لم يجعل الإخبار عن أنفسهم لكان الكلام ليست كلومنا بدامية على الأعقاب ، يقول : نحن لا نُوَلِّى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا ، ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا ؛ فإن

نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا (١)

٤٣ — وقال رجل من بنى عُقَيْل (٢)

بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ (٣)

أصابنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا ، وقوله « تقطر الدما » إذا رويت بالتاء كان المعنى تقطر الكلوم الدم . فيكون الدَّما مفعولا به . يقال : قطر الدمُ ، وقَطَرْته ، وإن شئت جعلت الدم منصوبا على التمييز . كأنه أراد تقطر دمًا ، وأدخل الألف واللام ولم يعتد بهما ، كقول الآخر :

* وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا *

ويجوز أن يروى يقطر الدمى — بالياء — ويكون الدمى فى موضع رفع على أنه فاعل يقطر ، لكنه ردّه على الأصل فأتى به مقصورا وإن كان الاستعمال بحذف لامه

(١) يقول : نشقق هامات من رجال يكرمون علينا لأنهم منا ، وهم كانوا أسبق إلى العقوق ، وأصل العقوق القطع ، يقال : عَقَّ الرَّحِمَ ، كما يقال : قطعها ، وجمع العاق أعِقَّة ، وهو جمع نادر

(٢) وحاربه بنو عمه فقتل منهم ، وعُقَيل : تصغير عَقْل أو عَقل مصدر عقل ، ويجوز أن يكون تحقير عَقِيل تحقير الترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير عِقَال وتصغير أعْقَلَ تصغير الترخيم منهما

(٣) من الوافر الأوّل ، مطلق مردف موصول ، والقافية من المتواتر

المُرْهَفَة : السيوف ، وإرهاف السيف : أن يرقق حده ، أرهفته إرهافا ورَهَفْتُهُ ، وخصر مُرْهَف : ضامر ، وفرس مرهف : متقارب الضلوع ، وهو فى الفرس عيب ، وصِقَال : جمع صَقِيل ، ويروى « بمرهفة النضال » يعنى السهام ، والنضال : المراماة ، وهو كقولك : سهام النضال ، يقول : بمشقة رؤسائنا

نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنْكُمْ ... وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ النِّصَالِ (١)
لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٍ ... وَإِنْ كَانَتْ تُحَادَثُ بِالصِّقَالِ (٢)
وَنَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ ... وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي (٣)

وكراهتهم نبا كركم بسيوف مرققة الحدمصقولة ، وإنما قال «بكره سراتنا» لأن الرؤساء يحبُّون التألف بين العشيرة وإصلاح ذات البين ؛ إذ كان عز الرئيس بأصحابه ، ويجوز أن يكون ذكر السَّراة والمراد الجميع ؛ والمعنى على كره منا نقاتلكم ، ولكنكم ألجأتمونا إليه ، وجمع صَقيلا وهو فَعيل بمعنى مفعول على صِقَال . وذلك على غير بابه ، لأن التكسير على فِعَال يكون فى فعيل إذا كان بمعنى فاعل ، نحو ظريف وظراف ، ومثله قولهم فَصيل وفصال ؛ وساغ ذلك لاتفاقهما فى الزنة والوصفية ، ويروى « بمرهفة الصِّقَال » وتكون إضافة المرهفة إلى الصقال كاضافة البعض إلى الكل لأن المعنى بالمرققة الحد من الصقال : أى من السيوف المصقولة

(١) نعديهن : نصرفهن ، يقال : عَدِّ الْهَمَّ عنك : أى اصرفه ، والبيت يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى نصرف عنكم السيوف إبقاء عليكم وكراهية لاستئصالكم ، وإن كانت نصالها قد تفللت من كثرة ما نقارع بها الأعداء ، ويجوز أن يكون المعنى نصرفها وإن تثلمت بكم وفيكم ؛ لأن القدرة تذهب الحفيظة

(٢) قوله « من الهامات » أى : من دماء الهامات ، و« كاب » من قولهم : كبا وَجْهُهُ ؛ إذا ازْبَدَّ ، وكبا نور الصبح والشمس إذا نقص ، وجواب «إن كانت» فيما تقدم عليه ، والجملة فى موضع الصفة للمرهفة ، والمعنى أنها لا تزال تراها صدئة على تعهدنا لها بالصقال لأنا لا نعريها من العمل

(٣) يقول : نبكى قتلاكم لما يجمعنا وإياكم من الرحم الماسَّة ، ونقتلكم إذا

٤٤ — وَقَالَ الْقَتَّالُ الْكِلَابِىُّ (١)

أحوجتموناإليه ؛ فنحن نأتيه كأنا لانكرهه ، ونبالى : نفاعل من البلاء . فاذا قال «لاأباليه » أراد لاأحتفل به فأعاده بلاثى وبلاءه ، وحكى سيبويه «ماأباليه بالة »وذكر أن البالة كالحانة وأنه حذف يؤه حذف تخفيف لاحذف قياس ، قال أبو العلاء : المبالاة أكثر ماتستعمل فى النفى ، وربما استعملوها فى الإيجاب إلا أنهم لايقولون« باليت بكذا » حتى يكون فى أول الكلام أوفى آخره مجىء المبالاة وهى منفية مثل أن يقال « مابالى بك صديقك ، ولكن بالى عبدك » أو يقال « إن باليت بهذا الأمر فما بالى بك أخوك» قال زهير :

لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى ... وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى لَا تُبَالِى

(١) واختلف فى اسمه : فقيل : عبد الله ، وقيل : عبيد بن مُجِيبِ بن الْمَضْرَحِىّ بن عامر الهِصَّان بن كعب بن عدى بن أبى بكر بن كلاب ، فان كان عبد الله فالمقصد فيه معروف ، وإن قيل عبيد جاز أن يكون تصغير الْعَبْد ضد الحر ، أو العبد وهو ضرب من النبت ، قال الراجز :

فَرَّقَهَا الْعَبْدُ بِعُنْظُوَانِ ... فَالْيَوْمَ مِنْهَا يَوْمُ أَرْوَنَانِ

ويجوز أن يكون تصغير عَبَدٍ ، وهو الأنف ؛ فاذاحمل على تصغير الترخيم جاز أن يكون مكبره عابداً ومَعْبَداً وَعَبَّاداً وَعَبُّودا وَأَعْبَد ، وغير ذلك مما فيه الزوائد ، ومُجيب من أجاب الداعى ، وكثر ذلك حتى قيل : أجابت الأرض ، إذا أنبتت ، ومن ذلك سميت المرأة تجيبُ وهى أم قبيلةمن العرب منهم كنانة بن بشر التُّجِيبِىُّ الذى قتل عثمان وقد اختلف فيه . وَالْمَضْرَحِىّ أخذ من المضرحى ، وهو النسر الأبيض ، وربما استعمل فى الأسود من النسر ، ووصف الصقر به ، يريدون أنه ينقض فى جانب ، أو يضرح الصيد : أى يدفعه ، من قولهم : ضَرَحَ الفَرَسُ

نَشَدْتُ زِياداً والْمَقَادَةُ بَيْنَنَا ... وَذَكَّرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرٍ وَهَيْثَمِ (١)
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْتَهٍ ... أَمَلْتُ لَهُ كَفِّى بِلَدْنٍ مُقَوَّمِ (٢)
وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِى قَدْ قَتَلْتُهُ ... نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَىَّ سَاعَةِ مَنْدَمِ (٣)

برجله ، إذا ضرب ، وقولهم « الْهِصَّان » مأخوذ من هَصَّ الشيء يَهُصُّه إذا شدخه ، وكعب : مأخوذ من كعب العظام . قال الشاعر :

سُمِّيتَ كَعْباً بِشَرِّ العِظَامِ ... وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمَّى الْجُعَلْ

والكعب : بقية السمن فى النِّحْيِ ، وكل عقدة من القناة يقال لها كعب

(١) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية من المتدارك

يقال : نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ ، وناشدتك الله : أى سألتك بالله وبالرحم : أى أقسمت على زياد بالله أن يكف وأهل المجلس بيننا حاضرون ، وذكرته من أرحام هذين الرجلين مايجمعنى وإياه طلباً للاصلاح ؛ فلم ينته . وهَيْثَم من أشياء كثيرة يقال لولد النسر هيثم ، وكذلك لفرخ العقاب ؛ وكثيب هَيْثَمٌ سَهْلٌ ، وقال قطرب : هو الكثيب الأحمر ، وساعدٌ هَيْثَمٌ ناعم ، والهيثم : ضرب من الشجر طيب الرائحة

(٢) يقول : لما رأيته لاينتهى بالقول ولا يَرْعَوِى بالزجر حَدَرْتُ له كفى برمح لين مُثَقَّفٍ فطعنته به ، وقوله «أملت له» أى : من أجله

(٣) يقول : لما قتلته ندمت عليه حين لم تنفع الندامة ؛ وانتصب «أى ساعة مندم» على الظرف ، لأن أيا لما كان للبعض من الكل جعل حكمه حكم المضاف إليه من جميع الأجناس

وخبر هذه الأبيات : أن القَتَّالَ كان يتحدث إلى ابنة عم له ولها أخ غائب ،

فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته فنهاه ، وحلف له لئن رآه ثانية ليقتلنه ، فلما كان بعد ذلك رآه عندها فأخذ له السيف ، ورآه القتال فخرج هاربا ، وخرج فى

أثره ، فلما دنا منه ناشده القتّال بالله وبالرحم فلم يلتفت إليه ، فبينما هو يسعى وقد كاد يلحقه وجد رمحا مركوزا عند بيت فأخذه القتال ثم عطف عليه فقتله ، ثم خرج هاربا وأصحاب القتيل يطلبونه ، فمر بابنة عم له تدعى زينب متنحية عن الماء ، فدخل عليها ، فقالت : ويحك !! ما دهاك ؟ قال : ألقى على ثيابك ، فألقت عليه ثيابها . وألبسته برقعها ، وكانت تمس حناء ، فأخذ من الحناء فلطخ به يديه ، وتنحت عنه ، ومر الطلب فلما أتوا البيت قالوا وهم يظنونه زينب : أين الخبيث ؟ فقال مجيبا لهم : أخذ ههنا ، لغير الوجه الذي يريد أخذه . فلما عرف أن قد بعدوا أخذ فى وجه آخر ، فلحق بعَمَايَةَ ، وهو جبل ، وأنشأ يقول :

جَزَى اللهُ عَنَّا وَالْجَزَاء بِكَفِّهِ عَمَايَةَ خَيْراً أُمَّ كُلِّ طَرِيدِ
فَلاَ يَزْدَهِيهَا الْقَوْمُ أَنْ نَزَلُوا بِهَا وَأَنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيدِ
حَمَتْنِيَ مِنْهَا كُلُّ عَنْقَاءَ عَيْطَلٍ وَكُلُّ صَفًا جَمِّ الْقِلاَتِ كَؤُودِ

فمكث بعماية زمانا يأتيه أخ له بما يحتاج إليه ، وألفه نمر فجعل لا يصيد صيدا إلا قاسمه القَتَّال ، ولا يصيد القتال صيدا إلا قاسمه النمر ، وإن أخاه صالح عنه فأتاه ناصره بصلحه للقوم ، وأقبلا منحدرين من الجبل ، حتى إذا أسهلا عرف النمر أنه يريد الذهاب ، فجعل يمر عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه ، فلما خشى أن يقتله رماه بسهم فقتله . وقال فى ذلك :

أَرْسَلَ مَرْوَانُ إِلَيَّ رِسَالَةً لِآتِيَهُ إِنِّى إِذًا لَمُضَلَّلُ
وَمَا بِيَ عِصْيَانٌ وَلاَ بُعْدُ مرحل وَلٰكِنَّنِى مِنْ سِجْنِ مَرْوَانَ أَوْجَلُ
وَفِى سَاحَةِ الْعَنْقَاءِ أَوْ فِى عَمَايَةٍ أَوِ الْأُدَمَى مِنْ رَهْبَةِ الْقَوْمِ مَوْئِلُ
وَلِى صَاحِبٌ فِى الْغَارِ هَدَّكَ صَاحِباً أَبُو الْجَوْنِ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ يُعَلَّلُ

قوله «هَدَّكَ صاحبا» على سبيل المدح ، والرواة يفسرونه على كفاك من رجل ، وهو يرجع إلى هذا الغرض ، وإنما هو من هَدَدْتُ الحائط إذا نقضته ،

٤٥ — وقال قَيْسُ بنُ زُهيْر بن جذيمة العَبْسِىُّ فى قتله حَمَلَ بن بَدْرٍ يوم جفر الْهَبَاءَةِ

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ وَسَيْفِى مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِى (١)

فيراد أن هذا الرجل يغالبك ، ويقولون : مررت برجل هَدَّكَ من رجل ، فيخفضونه على الصفة إذا جعلوه أسما ، ومعناه الانفصال ، كأنه قال : مررت برجل هدلك ، وأبو الجون : يعنى النمر ، ويجوز «لايعالَّ» على أن يكون الفعل له . «ولا يعالُّ» على أن يكون مفعولا

إِذَا مَاالْتَقَيْنَا كَانَ أُنسَ حَدِيثِنَا صِمَاتٌ وَطَرْفٌ كَالْمَعَابِلِ أَطْحَلُ

الأطحل : الذى لونه لون الرماد ، وقيل : أصل الأطحل أن يكون لونه كلون الطحال

كِلاَنَا عَدُوٌّ لَوْ يَرَى فِى عَدُوِّهِ مَهَزًّا وَكُلٌّ فى الْعَدَاوَةِ مُجْمِلُ
وَكَانَتْ لَنَا قَلْتٌ بِأَرْضٍ مَضَلَّةٍ شَرِيعَتُنَا لِأَيِّنَا جَاءَ أَوَّلُ
تَضَمَّنَتِ الْأَرْوَى لَنَا بِشِوَائِنَا كِلاَنَا لَهُ مِنْهَا سَدِيفٌ مُخَرْدَلُ

الأروى : جمع أُرْوِيَّة ، وهى إناث الوعول ، ووزن أروى عند سيبويه أفعل ، وعند سعيد بن مسعدة فعلى

فَأَغْلِبُهُ فِى صَنْعَةِ الزَّادِ إِنَّنِى أُمِيطُ الْأَذَى عَنْهُ وَمَا إِنْ يُهَلِّلُ

يُهَلِّلُ : من قولهم : ما هَلَّل عن قرنه : أى ماتوقف عنه ولا نكل ، يعنى أنه يأكله نيئا

(١) من الوافر الأول ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

كان حَمَلُ بن بدر قتل مالك بن زهير أخا قيس ، فظفر به و بأخيه حذيفة ، فقتلهما .

فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِى فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلاَّ بَنَانِى (١)

٤٦ — وقال الْحَرِث بن وَعْلَةَ الذُّهْلِىُّ (٢)

قَوْمِى هُمُ قَتَلُوا ، أُمَيْمَ ، أَخِى فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِى سَهْمِى (٣)

---

(١) يقول : إن كنت سكنت لوعتى بقتلهم فانى لم أقطع بهم إلا أطراف أصابعى ، وذلك أن عزى كان بهم ، فكانوا كالكف ، فلما فقدتهم صرت كمن قطعت أنامله ، وهذا مما جرى بين عبس وفزارة بسبب داحس والغبراء . ومن الأمثال فى هذه الطريقة : « بالساعد تبطش الكف » يقول : هم منى فاذا قتلتهم فكأنى قطعت شيئا من جسدى

(٢) الْوَعْلَة : الصخرة المشرفة من أعلى الجبال ، وهو الموضع المنيع منه ، قال أبو العلاء : قولهم فى اسم الرجل وَعْلَة زعموا أن الْوَعْلَة مثل الوألة ، وهو ما يجتمع فى الدار من البعر ونحوه ، وقيل : الوعلة البعرة ، و يجوز أن يكون الرجل سمى بالأنثى من الوعول على لغة من سكن العين : فقال وَعْلَة فى وَعِلة ، وقال قوم : يقال لعُرْوَة الإناء وَعْلة ، فان صح ذلك فهو من قولهم « لاَ وَعْلَ » : أى لاملجأ ولا بد ، لأن الإناء كأنه يلجأ إليها و يفتقر إلى أن يحمل بها ، قال ذو الرمة :

حَتَّى إِذَا لَمْ يَجِدْ وَعْلاً ونجنجها مَخَافَةَ الرَّمْىِ حَتَّى كُلُّهَا هِيمُ

نجنجها : منعها

(٣) الضرب الثانى من العروض الثانية من الكامل : مطلق موصول مجرد ، والقافية متواتر

يقول : قومى يا أميمة هم الذين فجعونى بأخى ، ووترونى فيه ، فاذا رُمْتُ الانتصار منهم عاد ذلك بالنكاية فى نفسى ؛ لأن عز الرجل بعشيرته ، وهذا الكلام تحزّن و تفجّع ، وليس بإخبار

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلاً ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِى (١)

لا تَأْمَنَنْ قَوْماً ظَلَمْتَهُمُ ... وَبَدَأْتَهُمْ بِالشَّتْمِ وَالرَّغْمِ (٢)

أَنْ يَأْبِرُوا نَخْلاً لِغَيْرِهِمُ ... وَالشَّىْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِى (٣)

(١) يقال : عفوت عن الذنب عفواً ، إذا صفحت عنه ، وحذف حرف الجر فوصل لأعفون بنفسه ، والمعنى إن تركت طلب الانتقام منهم صفحت عن أمر عظيم ، وإن انتقمت منهم أوهنت عظمى : أى أضعفته ؛ وَالْوَهْن وَالْوَهْى جميعا : الضعف ، والسطو : الأخذ بعنف ؛ وَالْجَلَلُ : من الأضداد ؛ يكون الصغير ، ويكون العظيم ، وهو المراد ههنا ، وفى كل واحد من المصراعين يمين مضمرة جوابها فى الأول لأعفون ، وفى الثانى لأوهنن ، واللام فى الموضعين موطئة للقسم

(٢) حَوَّلَ الكلام فيه عن الاخبار إلى الخطاب متوعدا ، والرَّغْمُ مصدر رَغَمْتُ فلانا ، إذا قلت له رَغْماً أوفعلت به مايرغم أنفه ويذله . والرَّغَامُ : التراب وحكى الخليل أرغمته حملته على مالا يقدر على الامتناع منه

(٣) يقول : إذا ظلمتهم فلا تأمنهم أن ينتقموا منك فتشتفى أعداؤك منك فتكون كمن أصلح أمر غيره ، وهو كقولهم : فلان يَحْطِبُ فى حَبْلِ غيره ، وقولهم : رُبَّ ساعٍ لقاعد ؛ وموضع قوله « أن يأبروا » نصب على البدل من « قوما » فى البيت الذى قبله ، كأنه قال : لا تأمن أَبْرَ قوم ظلمتهم نخلا لغيرهم ، يقال : أَبَرْتُ النخل وَأَبَّرْتُهُ ، إذا ألقحته ، وقال بعضهم : معناه إن ظلمتمونا تحولنا عنكم فلا يكون لكم بعدنا مقام فتتحولون أو يملككم العدو فيكون ما أبرنا نحن وأنتم لهم دوننا ودونكم ، وقال أبو العلاء : قد اختلف فى معنى هذا البيت ؛ فقيل : أراد أنه يفارقهم ويهبط هو وقومه أرضاً ذات نخل كان لغيرهم فيدفعونهم عنه ويأبرونه ، كأنه يتهددهم بترحُّلِهِ عنهم ؛ لأن ذلك يؤديهم إلى الذل ،

وَزَعَمْتُمُ أَنْ لاَ حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِى الْحِلْمْ[1]

واستدلوا على هذا الوجه بقوله فى القصيدة : —

قَوِّضْ خِيَامَكَ وَالْتَمِسْ بَلَداً يَنْأَى عَنِ الْغَاشِيكَ بِالظُّلْمِ

وقيل : بل يريد أنه يحار بهم فيصلحهم لغيره فيجعلهم كالنخل التى قد أبرت ؛ إذ كان عدوّهم ينال غرضه منهم إذا أعانه عليهم ، وقيل : بل عنى أنه يسبى نساءهم فتوطأ فيكون ذلك كالإبار الذى هو تلقيح النخل ، وهذا الوجه أشبه بمذهب العرب مما تقدم ، لأنهم يكنون عن النخلة بالمرأة ، قال الشاعر يخاطب امرأة :

أَلاَ يَانَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلاَمُ

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكِ فَخَبَّرُونِى هَنًا مِنْ ذَاكَ يَكْرَهُهُ الْكِرَامُ

وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللهُ بَأْسٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُخَالِطْهُ الْحَرَامُ

(١) أكثر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلا أو فيه ارتياب ، ولذلك قالوا تزعم أى تكذب ، وزعم فى غير مَزْعَم : أى طمع فى غير مَطْمَع ، و«أن» فى «أن لاحلوم لنا» مخففة من الثقيلة ، يريد أنه لا حلوم لنا ، والهاء ضمير الأمر والحديث ، و «لا حلوم» فى موضع الخبر ، والتقدير زعمتم أن الأمر والشأن لاحلوم لنا ، فان كان الأمر على مازعمتم فنبهونا أنتم فان عامر بن الظرب كان يُقْرَعُ له العصا فينبه لما كان يزيغ فى الحكم لكبر سنه ، وهذا تهكم منهم : أى عرضتم فى قولكم بأنا سفهاء فاكتفينا بالتعريض عن التصريح ، كاكتفاء ذى الحلم بقرع العصا ، وذو الحلم الذى قرعت له العصا مختلف فيه ؛ فاليمن تقول : إنه عَمْرو بن حُمَمَة الدَّوْسِىُّ ، روى ذلك الشعبى عن ابن عباس ، ومضر تدعيه ، فتقول : عامر بن الظَّرِب الْعَدْوَانى ، وإياه عنى ذو الإصبع فى قوله :

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِى فَلاَ يُنْقَضُ مَا يَقْضِى

وتدعيه ربيعة ، فتقول : قيس بن خالد الشَّيْبَانى ، وهو جد بِسْطَام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وتدعيه بنو قيس بن ثعلبة لسعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ ؛ فأما ما يدعى لعمرو بن حُمَمَةَ فالخبر فيه وفى عامر بن الظرب واحد ، وهو أنه كل كل واحد منهما كان حكما للعرب يتحاكمون إليه فى كل معضلة ، وهو لعمرو بن حُمَمَةَ فى هذا الحديث أشهر ، وذلك أن العرب أتوه يتحاكمون إليه فغلط فى حكومته ، وكان قد أسَنَّ ، فقالت له ابنته : إنك قد صرت تَهِمُ فى حكمك : أى تغلط ، فقال : إذا رأيت ذلك منى فاقرعى العصا ، فكان إذا قرعت له العصا فطن ، وأما ما تدعيه بنو قيس بن ثعلبة فيزعمون أن أول من قرع العصا سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، قرعها لأخيه عمرو بن مالك ، وذلك حين لقى النعمان سعدا ومعه خيل بعضها يقاد وبعضها أعراء مهملة ، فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها ، فقال سعد : إنى لم أقد هذه لأمنعها ، ولم أعر هذه لأضيعها ، فسأله النعمان عن أرضه هل أصابها غيث يحمد أثره أو روى شجره ، فقال سعد : أما المطر فغزير ، وأما الورق فشكير ، وأما النافذة فساهرة ، وأما الحازرة فشبعى نائمة ، وأما الرَّمْثَاء فقد امتلأت مساربها ، وابتلت جنابتها ، ويروى جنابتها ، وأما الجوف فغدر لاتطلع ، وأما الحذف فعزاف لاينكع ، يفتر إذا يرتع ، فقال النعمان وَحَسَده على مارأى من ذَرَبِ لسانه : وأبيك إنك لَمُفَوَّه ، فان شئت أتيتك بما تعيا عن جوابه ، فقال: شئت إن لم يكن منك إفراط ولا إبعاط ؛ فأمر النعمان وصيفا فلطمه ، وإنما أراد أن يتعدى فى القول فيقتله ، فقال : ماجواب هذه ؟ فقال سعد : سفيه مأمور ، فأرسلها مثلا ، قال النعمان للوصيف : الطمه أخرى ، فلطمه ، قال : ماجواب هذه ؟ قال : لونهى عن الأولى لم يعد للأخرى ، فأرسلها مثلا ، فقال النعمان : الطمه أخرى ، ففعل ، فقال : ماجواب هذه ؟ فقال: رب يؤدب عبده ، فقال: الطمه أخرى ، ففعل ، فقال: ماجواب هذه ؟ فقال :

مَلَكْتَ فأَسْجِحْ ، فقال النعمان : أجبت فاقعد ، فمكث عنده ما مكث ، ثم بدا للنعمان أن يبعث رائداً يرتاد له الكلأ ، فبعث عمرو بن مالك أخا سعد بن مالك ، فأبطأ عليه ؛ فأغضبه ذلك فأقسم لئن جاء حامداً للكلأ أو ذاما ليقتلنه ، فلما قدم عمرو دخل على النعمان وعنده الناس وسعد قاعد لديه مع الناس . وكان قد عرف ما أقسم به النعمان من يمينه فقال سعد : أتأذن لى فأكلمه ؟ قال : إن كلمته قطعت لسانك . قال : فأشير إليه . قال : إن أشرت إليه قطعت يدك . قال : فأومىء إليه . قال : إذاً أنزع حدقتيك . قال : فأقرع له العصا . قال : اقرع . فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التى كانت معه وأخوه قائم فقرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة ، فنظر إليه أخوه . ثم أومأ بالعصا نحوه . فعرف أنه يقول مكانك ، ثم قرع العصا قرعة واحدة ، ثم رفعها إلى السماء ثم مسح عصاه بالأخرى ، فعرف أنه يقول قل له لم أجد جَدْبًا ، ثم قرع العصا مرارا بطرف عصاه ثم رفعها شيئا فعرف أنه يقول ولا نباتا ، ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان ، فعرف أنه يقول كلمه ، فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدى النعمان فقال له النعمان : هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا ؟ فقال لم أحمد بقلا ، الأرض ممسكة لا خصبها يعرف ، ولا جدبها يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، وآمنها خائف ، فقال النعمان : أولى لك بذلك نجوت ، فنجا . وهو أول من قرعت له العصا . فقال سعد بن مالك لقرعه العصا :

قَرَعْتُ الْعَصَا حَتَّى تَبَيَّنَ صَاحِبِى … وَلَمْ تَكُ لَوْلاَ ذَاكَ لِلْقَوْمِ تُقْرَعُ
فَقَالَ رَأَيْتُ الْأَرْضَ لَيْسَتْ بِمُمْحِلٍ … وَلاَ سَارِحٌ مِنْهَا عَلَى الرَّعْىِ يَشْبَعُ
سَوَاءٌ فَلاَ جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُهَا … وَلاَ صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتُمْرِعُ
فَنَجَّى بِهَا حَوْبَاءَ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ … وَقَدْ كَادَ لَوْلاَ ذَاكَ فِيهِمْ يُقَطَّعُ

قول سعد « أما الورق فشكير » يعنى أنه صغير لم يكبر ، « وأما النافذة فساهرة » يعنى التى قد نفذت من الهزال فلم يبق فيها قوة فهى ساهرة لأنها لم

وَوَطِئْتَنا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وَطْءَ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الْهَرْمِ[1]

تشبع بعد ، فسهرها لفقد الشبع ، و« الخازرة » يجب أن تكون من قولهم : حزرة المال خياره أى هى تقتدر بقوتها على الرعى فتشبع فتنام ، و « الرمثاء » أرض فيها رمث ، و« المسارب » جمع مَسْرَب ، وهى المواضع التى تسرب فيها المال ، وقوله « ابتات جنابثها » فهى مثل الجناب ، وإذا قيل «جنابثها» فيجوز أن يكون مثل الجنابذ ، وهى جمع جُنْبُذَة . والجنبذة : المكان المرتفع ، فأبدلت الثاء من الذال ، كما قالوا جَثّ وَجَذّ ، ومن روى « الرهماء » فيجوز أن يكون من الأرض التى قد أصابها الرهام ، والجوف : البطن من الأرض ، والْغُدُر : جمع غدير ، يعنى أن الوادى لم يكثر المطر فيسيل فيه فيرتفع سيله إلى جوانبه فيجاوز حد الغدران ، والحذف : ضرب من الشاء صغار ، وعزاف : يعنى أنها تعزف نفوسها عن الماء لكثرته ، ولا ينكع : أى لا يقطع شربها ، يقال : نكع وأنكع إذا ، قطع ، قال :

بَنِى ثُعَلٍ لاَتَنْكَعُوا الْعَنْزَ شِرْبَهَا بَنِى ثُعَلٍ مَنْ يَنْكَعِ الْعَنْزَ ظَالِمُ

وتفتر : تكشف أسنانها إذا رفعت رؤسها من الرعى ، وأولى لك : كلمة تقال للرجل إذا نجا من شر بعد ما كاد يصيبه ، وقوله «حوباء نفس كريمة » فيه وجوه يقال : إن الحَوْباء النفس ، فاذا أخذتها فانما أضيفت الحوباء إلى النفس فى شعر سعد لاختلاف اللفظين ، وربما قالوا الحَوْباء خالص النفس ، وقال بعضهم : الحوباء روح القلب

(١) أى : أثرت فينا تأثير الحنق الغضبان ، كما يؤثر البعير المقيد إذا وطىء هذه الشجرة الضعيفة ، وخص المقيد لأن وطأته أثقل ؛ لأنه لا يتمكن من وضع قوائمه على حسب إرادته ، كما خص الحنق لأن إبقاءه أقل ، وانتصب «وَطْءَ المقيد » على البدل . أى وطأ يشبه هذا الوطء ، ومما حكى عن العرب :

وَتَرَكْتَنَا لَحْماً عَلَى وَضَمٍ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِى مِنَ اللَّحْمِ (١)

٤٧ — وَقَالَ أَعْرَابِى قتل أخوه ابنا له فقدم إليه ليقتاد منه فألقى السيف فى يده وأنشأ يقول :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِى وَلَمْ تُرِدِ (٢)

أعوذ بالله من وطأة الذليل : أى من أن يطأنى : لأن وطأته أشد لسوء ملكته ، كما قال الآخر

* وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ (١) *

وعلى هذا قيل : ضربه ضربة الجبان . وضبطه ضبط الأعمى ، وخص النابت وأراد الحديث النبات وهو أغض له وأرق ، ويروى « يابس الثرد »

(١) الْوَضَمُ : خِوَان الجزار ، يقال : وَضَمْتُ اللحم ، إذا وضعته على الوَضَم وأوضمته : جعلت له وَضَماً ، والمِيضَمة الموضع الذى يوضع عليه الوضم : أى تركتنا لادفاع بنا كاللحم على الوضم يتناوله من شاء لو كنت تستبقى من اللحم : أى لو كنت تترك بقية ، وجواب لو فيما تقدم . جعل ذلك مثلا لاستفساده لهم وسماحته بهم

(٢) الأول من البسيط ، مطلق موصول مجرد ، والقافية من المتراكب

تأساء : تَفْعَال من الأسوة ، والتعزية : اشتقت من العزاز ، وهى الأرض الصلبة ، ومعناه تقوية القلب ، وقيل : إنها تَفْعِلة من عَزَوْته إلى أبيه ، لأن المصاب يذكر أسلافه فيهون عليه ما أصابه ، يقول : أعزى النفس عنه متأسيا بغيرى ممن قتل ولده ، وهذا على مذهب الخنساء حيث تقول :

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى

---

(١) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ ، وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ الْمُغَلَّبِ

كِلاَ هُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ   هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي (١)

٤٨ – وقال إياسُ بن قَبِيصَةَ الطَّائِي (٢)

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلٰكِنْ   أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي

وانتصابه على أنه مصدر فى موضع الحال ، وقوله « إحدى يدى » فى موضع المبتدأ ، و« أصابتنى » خبره وقوله «لم ترد» فى موضع الحال ، والجملة فى موضع النصب على أنه مفعول لقوله أقول

(١) يقول : كل واحد من الأخ الواتر والابن المفقود يصلح لأن يُرْضَى به عوَضًا من فقدان الآخر

(٢) قال أبو الفتح : إياس : مصدر أُسْتُهُ أأوسه إياسا ، إذا أعطيته ، قال أبو على : سَمَّوْا الرجل إياسا كما سموه عَطَاء ، وتوهم أبو سعيد السكرى أن إياسا مصدر قولهم أَيِسْتُ من الشيء ، وهو سهو ظاهر ، وذلك أن أيست مقلوبة من يئست ، ولا مصدر لأيست ، ولو كان له مصدر لكان أصلا لامقلوبا ، كما أن جبذت لما كان له مصدر وهو الجبذ حكمنا بأنه أصل غير مقلوب من جذب ، ويؤكد أن أيست مقلوبة من يئست صحة عينها ، ولو لم تكن مقلوبة لوجب إعلالها ، وأن تقول : إسْتُ ، كهِبْتُ وَخِلْتُ ، وجعلوا تصحيح العين دلالة على أنها فى موضع الهمزة من يئست ؛ فكما أن الهمزة هنا صحيحة لامحالة فكذلك صحت العين للارادة بها مالا بد من صحته ، كما صحت العين فى عَوِرَ وحَوِل لتكون صحتها دلالة على أنها فيما لابد من صحة عينها أعنى اعْوَرَّ واحْوَلَّ . وقَبِيصَة : اسم مرتجل للعلم ، وهو من قبصت الشيء ، وهو الأخذ بأطراف الأصابع ، وقبيصة : ملك الحيرة بعد النعمان ، وكان كسرى قتل النعمان وولى إياس بن قبيصة على ثغور العرب ، وفى ولاية إياس بعث النبى صلى الله عليه وسلم

مَا وَلَدَتْنِى حاصِنٌ رَبَعِيَّةٌ ... لَئِنْ أَنا مَالأْتُ الْهَوَى لاتِّباعِهَا[١]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَرْضَ رَحْبٌ فَسِيحَةٌ ... فَهَلْ تُعْجِزَنِّى بُقْعَةٌ مِنْ بِقَاعِهَا[٢]

وَمَبْثُوثَةٍ بَثَّ الدَّبَى مُسْبَطِرَّةٍ ... رَدَدْتُ عَلَى بِطَائِهَا مِنْ سِرَاعِهَا[٣]

وَأَقْدَمْتُ وَالخَطِّىُّ يَخْطِرُ بَيْنَنَا ... لأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُهَا مِنْ شُجَاعِهَا[٤]

---

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مردف بوصل وخروج ، والقافية متدارك مالأت : عاونت وشايعت ، والممالأة : المعاونة ، وهو مأخوذ من قولهم : هو مَلِىء بكذا وكذا ، وقد مَلُؤَ يملؤ مَلاءة ، وهذا الكلام خبر يجرى مجرى اليمين ، واللام من « لئن » تؤذن بأن الكلام قسم : فيقول : لست ابن امرأة من بنى ربيعة عفيفة إن كنت شايعت الهوى فى طلب امرأة ، والمعنى لست لِرِشْدَة إن فعلت ذلك ، والحَصَان : العفيفة ، والاسم الحُصْن ، والحَصَان أيضا : ذات الزوج ، وكذلك المُحْصَنة ، وقد حَصَنَتْ وحَصُنَتْ وأُحْصِنَتْ ، وفى القرآن (فإذا أُحْصِنَّ فإن أتَيْنَ بفاحشة فعليهن نصف ما على المُحْصَنَاتِ من العذاب) أى إذا تزوجن ؛ والرجل مُحْصَنٌ إذا كان ذا زوج

(٢) البقعة : قطعة من الأرض على غير هيئة التى إلى جنبها ، عن الخليل ، وقوله « ألم تر » كلمة يواقف بها المخاطب فى تحقيق الأمور ، وربما صحبها معنى التعجب ، يقول : أنت تعلم أن الأرض واسعة عريضة وأن بقاعها لا تنبو بى ولو نبت لم تعجزنى ، فكما أنى فى هذا بهذه الصفة فكذلك أنا فى الأول : أى فى اتباع هذه المرأة

(٣) أى : رب خيل متفرقة ممتدة فى وجه الأرض ، رددت أولها على آخرها : أى ضربت وجوه أوائلها حتى ألحقتها بأواخرها ، يريد أنه كان رئيسا مطاعا

(٤) الواو فى قوله « والخطى » واو الحال ، واللام فى « لأعلم » لام العلة : أى

٤٩ — وقال رجل من بنى تميم

وطلب منه بعض الملوك فرسا يقال له سكاب فمنعه إياها

أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّ سَكَابِ عِلْقٌ نَفِيسٌ لا تُعَارُ وَلاَ تُبَاعُ (١)

مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلاَ تُجَاعُ (٢)

سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلاَهَا إِذَا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الْكُرَاعُ (٣)

لأتبين الجبان من الشجاع : أى فعلت ذلك ليبين فضلى على غيرى

(١) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

« أبيت اللعن » تحية كانت تُحَيَّا بها ملوك الجاهلية ، يريدون إنك أبيت الأمر الذى تلعن عليه إذا فعلته ، وأصل اللعن الطرد ، وسَكَاب إذا أعربته منعته الصرف : لأنه علم ، فالحصول التعريف فيه والتأنيث مع كثرة الحروف يمنع الصرف ، والشاعر تميمى ، وهذا لغة قومه ، وإذا بنيته على الكسر أجريته مجرى حَذَامِ ؛ لأنه مؤنث ، وهذه اللغة حجازية ، واشتقاق سَكَاب من سَكَبْتُ إذا صَبَبْتُ ، ويقال فى صفة الفرس : هو بَحْرٌ ، وسَكْبٌ ، وقوله « علق نفيس » أى مال يبخل به ، ويقال : علقته بعلق وعلقه ، إذا خاطرته بكرائم المال ، يقول : منعت أن تفعل ما تستحق به اللعن إن فرسى متاع نفيس لا يعرض للبيع ولا يبذل للاعارة

(٢) أى : تُفْدَى من كرمها وعتقها وَتُؤْثَر على العيال فتشبع ويجاع العيال ، والعرب تؤثر الخيل على الأنفس والأولاد ، فتشبعها وتجيعهم ، قال مالك بن نويرة :

جَزَانِى دَوَائِى ذُو الْخِمَارِ وَصَنْعَتِى إِذَا بَاتَ أَطْوَاءً بَنِىَّ الْأَصَاغِرُ

(٣) « سليلة » ألحق الهاء بها وإن كان فعيلا فى معنى مفعول لأنه جعل اسما . كما تقول : هى قبيلة بنى فلان ، ومعنى سُلَّ نزع ، وأصل الكُرَاع فى اللغة أنف يتقدم فى الجبل ، فسمى هذا الفحل به لعظمه ، فأما الكراع الاسم الجامع

فَلاَ تَطْمَعْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ فِيهَا ‏ ‏ ‏ وَمَنْعُكَهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ (١)

٥٠ — وقالت امرأة من طيء :

دَعَا دَعْوَةً يَوْمَ الشَّرَى يَالَمالِكٍ ‏ ‏ ‏ وَمَنْ لاَ يُجَبْ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ يُكْلَمِ (٢)

فَيَا ضَيْعَةَ الْفِتْيانِ إِذْ يَعْتِلُونَهُ ‏ ‏ ‏ بِبَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدَّمِ (٣)

للخيل فهو غير هذا ، يقول : هى ولد فرسين سابقين إذا انتسبا انتهيا إلى كراع

(١) أى : ارفع طمعك فى تحصيل هذه الفرس ، وَدَفْعُكَ عنها تقدر عليه بوجه ما ، والمعنى إنى لا أسعفك بها استبعتها أو استوهبتها ، ما وجدت إلى الرد سبيلا ، ومنعكها : أى منعك عنها ، يقال : منعتك كذا ، ومنعتك عن كذا ، وأما الْمَنَعَة العز فهو مصدر كالحركة والجلبة من منع مناعة ومناعا فهو منيع

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

الشَّرَى : مكان، والحفيظة : الغضب : أى استغاث هذا الرجل بهذا الموضع فلم يُجَبْ ، وقولها « يُكْلَمَ » كناية عن الْغَلَبة والقتل ، وأصل الْكَلْم الجرح ، وقولها « يالمالك » اللام فيه للاضافة ، وإنما فتح لأنه دخل على ما هو واقع موقع المضمر ، فكما تفتح لام الإضافة مع المضمر كذلك فتح مع المنادى لوقوعه موقعه ، فان قيل : فما المدعو ؟ قيل : مالك ، كأنه قال دعائى لمالك

(٣) الْعَتْل : القود بعنف ، يقال : عَتَلَهُ يَعْتِله و يَعْتُله ، والْعَتَلَة : المجثاث ، وهى الحديدة التى يقلع بها الفسيل ، و « ياضيعة الفتيان » لفظه لفظ النداء ، ومعناه الخبر ؛ كأنه قال : ضاع الفتيان جدا ، فيقول على وجه التعجب والاختصاص : ما أضيع الفتيان فى ذلك الوقت !! كأنه لما لم يُنْصَر فى تلك الحال كان الفتيان ضائعين؛ إذ كانوا يعنفون فى قودهم إياه وهو كأنه فحل مشدود الفم خوفا من صياله، وذلك أنه كان أحد الفتيان ، فحين أضاعوه ضاعوا ، والفنيق : الفحل الْمُفَنَّق ،

وهو المنعم ، من قولهم : تَفَنَّقَ في عيشه ، إذا تنعم ؛ وجارية فُنُق : مُنَعَّمة ؛ لأن الفحل يصنع للفَحْلة ؛ والْمُسَدَّم : المكعوم ، وهو المشدود الفم الهائج الممنوع ، وإنما يفعل به ذلك إذا هاج خوفا من عضاضه ، وهو سَدِمٌ ، وَالسَّدِم أيضا : الحزين ، وهو سادم نادم ، والسُّدُم من قولهم : ماء أسدام ، ومياه أسدام ؛ وسُدُم ، وهى التى تغيرت من طول المكث ، والسَّديم : الضباب الرقيق ، قال المرزوقى : ذكر بعضهم أن هذا المقتول هو بَهْدَل بن قِرْفَةَ أحد بنى نَبْهَان ، وأخذ بسبب دم ابن جَعْدَة المخزومى ، فقتل بالمدينة صبرا ؛ قال : وما اقتص فى الأبيات يدل على خلافه ، قال الشيخ أبو زكريا رحمه الله : بل الذى اقتص فى الأبيات يدل على صحته ، بدليل ما قرأته على أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب ، عن أبى على بن شاذان ، عن أبى سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد الْقَطَّان ، عن أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، فى أخبار اللصوص . قال : أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد عن أبى عبيدة مَعْمَر بن الْمُثَنَّى ، قال : خرج عَوْن بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ بن أبى وَهْب بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك حاجًّا فى خلافة عبد الملك بن مروان . فعرض له اللصوص أسْفَلَ من زُبَالة فيهم السَّمْهَرِىّ بن بشر الْعُكْلى وَبَهْدَل ومروان ابنا قِرْفَةَ الطائيان ، وقِرْفَةُ أمهما ، وأبوهما حَيَّان الطائى ، وقيل : بل كان راجعا من عند عبد الملك يريد المدينة وهو يومئذ صائم ، فقالوا له : الغُرَاضة : أى مُرْ لنا بشىء ، فقال : ياغلام ، جَفِّنْ[1] لهم ، فقالوا : والله ما نريد الطعام ، فقال : عَرِّضْهم ، فقالوا : ولا ذاك نريد ، فعلم أنهم لصوص ، فأخذ لهم أُهْبَتَه . وأناخ رَوَاحله وعَقَلها ، وقاتلهم وقاتلوه ، وكان بَهْدَل لا يسقط له سَهْمٌ فرماه فأقْصَده . وأغاروا فى ثقله ، فلم يروا ما كانوا يظنون ، فلما رأوا ذلك هربوا وتركوه ، ولم يأخذوا شيئا منه ، وسُقِطَ فى أيديهم ، وكان معه خال له من طيىء من بنى حارثة بن لأم وعِدَّةٌ من أعوانه ، فبلغ عبد الملك بن

(١) أى أملأ لهم الجفان طعاما

مروان الخبر ، فكتب إلى هشام بن إسماعيل - وهو عامله بالمدينة - و إلى الحجاج ابن يوسف - وهو عامله بالعراق - وإلى عامله باليمامة : أن يطلبوا قَتَلَة عَوْنٍ ، وأن يأخذوا السُّعَاة بذلك أشدّ الأخذ . وتفرق اللصوص ، وانشأم السمهرى فى بلاد غَطَفَان ما شاء الله . حتى مر بهم أيوب بن سَلَمَة المخزومى ، فقالوا : هذا قاتل ابن عمك فَدُ نكه ، فأخذه وحمله إلى هشام بن إسمعيل ، فحبسه فى سجن المدينة ، فوجد من الناس غَفْلَةً فى يوم جمعة فرمى بنفسه من فوق حائط السجن ، وفض قيده ، وشده بساقه ، ونجا ، فلما أدركه الليل كسر القيد وألقاه ، وهمس طاقا ، فبينا ينظر عن يمينه وشماله رأى غرابا يُنَشْنِش ريشه ويطرحه . فقال لراعٍ من لِهْبٍ لقيه - وَلِهْبٌ : قبيلة ، لهم علم بالزجْر - : ما تقول فى رجل هَرَبَ من السجن ؟ فنظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن شماله فرأى غرابا على شجَرة بانٍ ينتف ريشه ويبدده ، فقال : إن صدقت الطير صُلِب ، فقال : بفِيكَ الحجر ، فمر السَّمْهَرِى ، وقال :

أَلاَ أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِى أَنْتَ هَاجِرُهْ ... فَلاَ الْبَيْتُ مَنْسِيٌّ وَلاَ أَنْتَ زَائِرُهْ

يَقَرُّ بِعَيْنِى أَنْ أَرَى قِصَدَ الْقَنَا ... وَصَرْعَى كُمَاةٍ فِى وَغًى أَنا حَاضِرُهْ

فَإِنْ أَنْجُ يَا لَيْلَى فَرُبَّ فَتًى نَجَا ... وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَبَيْنٌ أُحَاذِرُهْ

رَأَيْتُ غُرَاباً وَاقِعاً فَوْقَ بَانَةٍ ... يُنَشْنِشُ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهْ

فَكَانَ اغْتِرَاباً بِالْغُرَابِ وَنِيَّةً ... وَبِالْبَانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لَكِ طَائِرُهْ

فاعترض فى بلاد قضاعة حتى أتى عُذْرَة متنكرا فسقى لهم وحلب ، ثم تَحَيَّن غفلتهم فقعد على ناقة لهم وملأ فروجها ورمى بها الفجاج ليلا ، فلما أصبحوا طلبوه فاستقبله سعة من الأرض فَظَنَّ أنه الطريق فسار مَليا ثم رأى الجبال ماتفة أمامه فعلم أنه ضالّ فرجع على أدراجه فوجد القوم قعودا فى طريقه ، فنزل عنها ، وتَوَقَّلَ فى الجبل حتى أتى بلاد بنى أسد ، وقد جُعِلَ فيه جُعْلٌ كثير ، فلما صار بصحراء مَنْعِج مَرَّ بابنى فائد بن حبيب الْفَقْعَسِيّ فقال : اسقيانى ، فسقياه ، ثم

أَمَا فِى بَنِى حِصْنٍ مِنَ ابْنِ كَرِيهَةٍ مِنَ الْقَوْمِ طَلَّابِ التِّرَاتِ غَشَمْشَمِ (١)

نظرا إلى ساقيه فاذا فيهما كُدُوح طرية ، فقالا : السَّمْهَرِىُّ والله ، فوثبا عليه ، فقعدا على ظهره ، فغلبهما ، فاستغاثا بأختهما ، فقالت : ألق الشرك فى جمْلكما ؟ قالا : نعم ، فألقت الجرير فى عنقه بأنشوطة ، فانطلقا به إلى عثمان بن حَيَّان الْمُرِّىّ وهو يومئذ أمير المدينة ، فدفعه إلى ابن أخى عَوْن ، فقال له السمهرى : أتقتلنى وأنت لا تعلم أقاتل عمك أنا أم لا ، أُدْنُ منى أدلك على قاتله ، وإنما أراد أن يقطع أنفه ، فنودى : إياك والْكَلْبَ ، فقتله ، وَأُخِذَتْ طيء بِبَهْدَل ومروان ابنى قِرْفَة ، فقالوا : إن حبستمونا لم نقدر عليهما ، ولكن خلّونا فنتنحَّس عنهما : أى نبحث ، لغة طائية ، وكانا قد تأبّدا مع الوحش يرميان الصيد وهو رزقهما . فلما طال ذلك بهما هبط مروان إلى راعٍ فتحدث إليه فسقاه ، فلما لهَا انطلق الراعى فدلَّ عليه ؛ ليجتمل : أى يأخذ الجعل ، وليريح قومه من الأخذ به ، فأخذوه ، وذلك فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، فأتوا به عثمان بن حَيَّان عامله بالمدينة ، فقتله ، وأما بهدل فكان يأوى إلى هضبة من سَلْمَى بعد مَرْوَان ، ولما وجدوا مروان فى بلاد طيء ألحوا عليهم ، فبلغ سيداً من سادات طيء مَنْزِل بَهْدَلٍ بتلك الهضبة ، فجاء حتى حلّ بأهله أسْفَلَهَا ، فكان إذا كان النهار خرج الرجال من القباب وأخلوا النساء ، فكان بهدل يأتى بنتين للسيد فيسائلهما : من أنتم ؟ وما حالكم ؟ حتى اطمأن ، فحدثتا أباهما ، فأعدّ له أقوامًا وأمر بنتيه أن تدهناه وتغسلا رأسه ثم تفلياه ، وأكمن له كَمِيناً ، وقال لهما : إذا طلع القوم عليكما فخذا بشعره على غير سجيجته ، فَفَعَلَتَا فأخذوه ، فأتوا به عثمان بن حَيَّان ، فقتله أيضا فقالت بنت بَهْدَل هذه الأبيات ترثيه

(١) ابن كريهة : كأنه من كثرة غشيانه للكريهة ابن لها ، والكريهة : الشدة

فَيَقْتُلَ جَبْرًا بِامْرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ   بَوَاءً وَلَكِنْ لَا تَكَايُلَ بِالدَّمِ (١)

٥١ — وقال بعض بنى فَقْعَس، وهو حى من بنى أَسد : (٢)

رَأَيْتُ مَوَالِيَّ الْأُلَى يَخْذُلُونَنِى   عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ (٣)

فَهَلَّا أَعَدُّونِى لِمِثْلِى تَفَاقَدُوا   إِذَا الْخَصْمُ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ (٤)

فى الحرب، وَالْغَشَمْشَم : الذى يركب رأسه ولا يهاب الإقدام؛ وقيل : الكثير الْغَشْم : أى الظلم، والتِّرَاتُ : الذُّحول الواحدة تِرَة . وهذا الكلام بَعْث وتحضيض على طلب الدم والترة إذ فاتت نصرته حيا

(١) يقال : باء فلان بفلان يَبُوء بَوَاء، إذا ارتُضِىَ قتله بَدَلاً منه . وأَبَأْتُ فلانا بفلان، إذا قتلته به، وانتصب « فيَقْتُلَ » على أنه جواب التمنى بالفاء والعامل فى الفعل أَن مضمرة : أى أما فيهم رجل هكذا فيقتل هذا الرجل برجل لم يكن له نظيرا فيكون فى دمه وفاء بدمه، ولكن سقطت المكايلة فى الدماء منذ جاء الإسلام، فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد، شريفاً كان أو وضيعا

(٢) وقيل : هو مرة بن عَدَّاء الْفَقْعَسِىُّ، وفَقْعَس : اسم مرتجل غير منقول، كَمَعْدَان ونحوه، وقيل : الْفَقْعَسَة البلادة

(٣) الثانى من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك

الموالى : ههنا بنو العم، والأُلى : فى معنى الذين، و« يخذلوننى » من صلته، و« على حدثان الدهر » فى موضع الحال : أى يخذلوننى مقاسيا لما يحدث فى الدهر أوان تقلبه وتغيره

(٤) قوله « تفاقدوا » دعاء، وقد اعترض بين أوّل الكلام وآخره، لكنه أكد ما يقتضيه فصاح لذلك، يقول : هلا جعلونى عُدَّةً لرجل مثلى، فَقَدَ بعضهم بعضا، قال أبو العلاء : قال أبو رياش : قوله « أبزى » أى تحامل على خصمه ليظلمه،

وَهلاَّ أَعدُّونى لِمثْلِى تفَاقدُوا وَفِى الْأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجاعٌ وَعقْربُ (١)

وجعل أبزى فعلا، ولا يمتنع ذلك، وإنما المعروف أن يقال: بَزَوْتُ الرجل، ومنه اشتقاق البازى من الطير إذا استعمل على وزن القاضى، وإذا أخذ بهذا القول وجعل أبزى فعلا وجب أن يرفع «الخصم» بفعل مضمر يفسره قوله أبزى. ويرفع «مائل الرأس» على أنه بدل من الخصم، والأجود أن يجعل أبزى اسما من قولهم: رجل أبزى، وامرأة بَزْواء، وهو الذى يخرج صدره ويدخل ظهره، أوما بين كتفيه. قال كثير

* مِنَ الْقَوْمِ أَبْزَى مُنْحَنٍ مُتَبَاطِنُ *

وإنما وصفوا الخصم بذلك كما قالوا: حَدِبٌ وَقَمِسٌ، ويقال: تبازى الرجل، إذا فعل فى مشيه فعلا يخيل أنه أبزى. قال الشاعر، وهو أُحَيْحَة بن الْجُلَاح:

وَخَفِّضْ عَنْكَ فِى الْمِشْيَةِ لاَ يُغْنِى تَبَازِيكَا

وقال قوم: الْبَزَى: دخُولُ الصدر وخروج أسفل البطن، قال الشاعر:

فَتَبَازَتْ فَتَبَازَخْتُ لَهَا * جِلْسَةَ الْجَازِرِ يَسْتَنْجِى الْوَتَرْ

وإذا جعل «أبزى» اسما وجب أن يروى «إذِ الْخَصْم» وهذه الرواية أشبه بصناعة الشعر، وإن كانوا قد قالوا «أبزى الخصم» فانّ «بزى» أكثر، ورفع الخصم فى هذا الوجه على الابتداء؛ وأبزى ههنا مثل، ومعناه الراصد المخاتل لأن المخاتل ربما انثنى فيخرج عجزه، والأنكب: المائل، وأصله الذى يشتكى منكبيه فهو يمشى فى شِقٍّ، ومائل الرأس: أى مصعر من الكبر

(١) الشجاع: الحية الخبيث، قال اليربوعى:

يَغدُو فَلاَ تَكْذِبُ شَدَّاتُهُ ثُمَّتَ يَنْبَاعُ انْبِيَاعَ الشُّجَاعْ(١)

وقد سماه جرير الأشجع؛ فقال:

أَبْلِغْ بَنِى رَغْوَانَ أَنَّ أَخَاهُمُ قَدْ عَضَّهُ فَقَضَى عَلَيْهِ الْأَشْجَعُ

(١) هكذا ورد البيت فى الأصول، ولعله «يعدو» بالعين المهملة

فلاَ تَأْخُذُوا عَقْلاً مِنَ الْقَوْمِ أَنَّنِي　　أَرَى الْعَارَ يَبْقَى والْمَعَاقِلُ تَذْهَبُ(١)

قال أبو العلاء : يقال : إن رَغْوَان لقب مُجَاشع بن دارم ، وذلك أنه قدم فى رهط على بعض الملوك فحجبهم الملك ، فرغا مجاشعٌ رُغَاء البعير . فسمعه الملك ، فأذن له ولأصحابه ، فسمى رَغْوَان ، فلذلك صار جرير يذكر لهم الرغاء فى الهجاء ، قال :

تَرَاغَيْتُمُ يَوْمَ الزُّبَيْرِ كَأَنَّكُمْ　　ضِبَاعٌ بِذِى قَارٍ تَمَنَّى الْأَمَانِيَا

ويقولون لمجاشع أيضا : أبو رغوان ، قال جرير :

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ　　ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

وكنى بالعقرب فى البيت عن الأعداء والشر ، وارتفاع « شجاع » يجوز أن يكون على البدل ، ويجوز أن يكون على الابتداء ، و « مبثوث » خبر له قدم عليه ، ويجوز أن ينصب مبثوث على الحال ويجعل « فى الأرض » الخبر ، ولم يثن مبثوث لأن القصد بالشجاع والعقرب إلى جيل الأعداء فكأنهما شيء واحد ، يقول: قد امتلأت الأرض من الأعداء فهلا أعدونى لهم

(١) إن شئت رفعت « المعاقل » على الاستئناف . وإن شئت عطفته على «العار» يقول : لا ترغبوا فى قبول الدية فانه عار ، والعار يبقى أثره والأموال تفنى ، والمعاقل : جمع مَعْقُلَة ، وَالْمَعْقُلَة وَالْعَقْل : مصدر وصف به من عَقَلْت المقتول إذا أعطيت ديته ، وحكى الأصمعى صار دمه مَعْقُلَةً على قومه : أى صاروا يَدُونه وكان أخذ الدية عندهم من أشد العار ، قال الشاعر :

إِذَا صُبَّ مَا فِى الْوَطْبِ فَاعْلَمْ بِأَنَّهُ
دَمُ الشَّيْخِ فَاشْرَبْ مِنْ دَمِ الشَّيْخِ أَوْ دَعَا

يقول : إن الذى تشربونه من لبن الإبل الذى أخذتموها فى دية شيخكم

كَأَنَّكَ لَمْ تُسْبَقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ الَّذِى كُنْتَ تَطْلُبُ(١)

٥٢ — وقال آخر : —

فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً ... لَسُقْنَا لَهُمْ سَيْلاً مِنَ الْمَالِ مُفْعَمَا(٢)

وَلَكِنْ أَبَى قَوْمٌ أُصِيبَ أَخُوهُمُ ... رِضَا الْعَارِ فَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَا(٣)

إنما هو دمه تشربونه ، وقال آخر لرجل أخذ الدية تمرا :

فَظَلَّ يَضُونُ التَّمْرَ وَالتَّمْرُ منقع ... بورد كلَوْنِ الْأُرْجُوَانِ سَبَائِبُهْ

(١) يقول : من أدرك ماطلبه من الثأر فكأنه لم يصب ولم يوتر ، وهذا بعث على طلب الدم ، ومثله غير أنه بعث على طلب المال

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرَ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى ... وَلَمْ يَكُ فِى بُؤْسٍ إِذَا مَا تَمَوَّلَا

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

انتصب « فِدْيَةً » على الحال ، والمال يريد به الإبل لا غير ، ونكر قوله « حيا » وهو يقصد قصد حى بعينه ؛ لأن المراد كان مفهوما عند من عرف القصة ، وقوله « سيلا مُفْعَمَا » والسيل يُفْعَم به الشيءُ يجوز أن يكون من باب « هَمٍّ نَاصِبٍ » وما أشبهه ، ويكون المعنى سيلا ذا إفعام ، ولكن أكثر مايجىء معنى النسبة فيما كان للفاعل ، كطَالِق ومُرْضِع ، ومثله نخلة مُوقر ، ويجوز أن يكون عبر عن الكثرة بقوله مفعم ، كما عبر فى قولهم : شعر شاعر ، وموت مائت ، عن التناهى بلفظ فاعل ، وإن كان الموت لايموت والشعر لايشعر ، كما أن السيل لا يفعم ، المعنى لو كانت معاملتنا مع حى يرى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير

(٣) أى : امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضا بالدَّنِيَّة وآثروا طلب الدم على قبول الدية ، وجعل اللبن كناية عن الإبل التى تؤدى عقلا لأنه منها ، وكما

٥٣ — وقالت كَبْشَة أخت عَمْرو بن معد يكرب[1] :

أَرْسَلَ عَبْدُاللهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ ... إِلَى قَوْمِهِ لاَ تَعْقِلُوا لَهُمُ دَمِى[2]

ولاَ تَأْخُذُوا منهُمْ إِفالاً وَأَبْكُراً ... وَأُتْرَكَ فِى بَيْتٍ بِصَعْدَةَ مُظْلِمِ

وَدَعْ عَنْكَ عَمْراً إِنَّ عَمْراً مُسالِمٌ ... وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ[3]

نكرحيا فى البيت الأوّل نكر أيضاً فى الثانى فقال « أبى قوم » والغرض بهما على حد واحد ، ولا يجوز أن يكون « يقبل المـال فدية » صفة قوله حيا لأنه يبقى أنّ بلا خبر ، فأما قوله « أصيب أخوهم » فهو صفة قوله « قوم » وقوله « رضا العار » فى موضع المفعول : أى أبوا أن يرضوا العار خُطَّةً لأنفسهم

(١) كبشة : اسم مرتجل علما ، وليس بتأنيث كَبْش ؛ لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعجة ، كما قالوا : تيس ، ولم يقولوا تيسة ، استغنوا بعنز ، وقالوا : رجل ، ولم يقولوا رجلة ، إلا فى مواضع قليلة : قال :

هتَكُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمُ ... لَمْ يُبالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَه

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية من المتدارك

عبد الله : أخو عمرو بن معد يكرب ، وقولها «أرسل عبدالله » إنما تكلمت به على أنه إخبار عما فعله عبد الله ، وغرضها تحضيضهم على إدراك الثأر ، و يقال : عَقَلْت فُلاَنا ، إذا أعطيت ديته ، وجعل هذا المعقول الدم لأن المراد مفهوم ، كأنه قال : لاتأخذوا بدل دمى عقْلاً

(٣) الإفال : جمع أَفِيل ، وهو الذى أتت عليه سبعة أشهر أو ثمانية من أولاد الإبل ، إن قيل : لم ذكر الإفال والأبكر وما يؤدى فى الديات لايكون منهما ؟ قلت : أراد تحقير الديات ، كما يقول الرجل إذا أراد تحقير أمْرِ خِلْعَةٍ فاز بها إنسان : إنما أُعْطى خِرَقاً وَفُلُوسا ، و إن كانت الثياب المعطاة كسوة فاخرة ، والمال المحقر جائزة سنية

فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَثْأَرُوا وَاتَّدَيْتُمُ ... فَمَشُّوا بآذانِ النَّعَامِ المُصَلَّمِ (١)
ولاَ تَرِدُوا إلاَّ فُضُولَ نِسَائِكُمْ ... إذا ارْتَمَلَتْ أَعْقابُهُنَّ مِنَ الدَّمِ (٢)

وقولها « ودع عنك عمراً » أى : خاف عمراً إن هو مَالَ إلى الصلح ورغب فى أخذ الدية ، وقولها

* وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ *

تزهيد فى الدية ، كما روى فى الخبر « هل بطن ابن آدم إلا شبر فى شبر » لما أريد تزهيده فى الدنيا ، وقولها « وَأُتْرَكَ فى بيت بصَعْدَةَ مظلم » صَعْدَة : مِخْلاَف من مَخَالِيف اليمن ، ويسميها غيرهم المزالف ، وهم أهل الحجاز ، ويسميها أهل نجد المذارع ، شبهوها بمذارع الأديم وهى كرعانه ، وواحدة المذارع مَذْرَعَة ، وواحدة المزالف مَزْلَفة وإنما جعل قبره مظلما لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته يبقى قبره مظلماً

(١) «اتَّدَيْتُم» معناه قبلتم الدية ، يقال: وَدَيْتُهُ فَاتَّدَى ، كما يقال وَهَبْتُه فاتَّهب: أى قبل الهبة ، وفى الحديث « هممت أن لا أَتَّهِبَ إلا من قرشى أو أنصارى » ومثله قضيت الدين فاقتضاه : أى قبله وتوفره وقولها «فَمَشُّوا بآذان» : أى امشوا ، وضَعَّفَ الفعل للتكثير ، ومن روى « فَمُشُّوا » بضم الميم فمعناه امسحوا ، ويقال لمنديل الغَمَر : المَشُوش ، والمعنى إن لم تقتلوا قاتلى وقبلتم ديتى فامشوا أذلاَّء بآذان مُجَدَّعة كآذان النعام ، ووصف النعام بالصلم تصغيراً لها وإن كانت خلقة ، يقول : كأنكم مما تعيرون ليست لكم آذان تسمعون بها فامشوا بغير آذان : أى صُمًّا عما يتكلم به الناس من عيبكم ، واختلف فى النعام ؛ فقيل : إنها كلها صُلْم ، وقيل : إنها صُمٌّ لا تسمع شيئاً وليس لها آذان ، وإنما تعرف ما تحتاج إليه بالشم .

(٢) يقال : تَرَمَّل وارتمل ، إذا تلطخ بالدم ، وكان من عادتهم إذا وردوا

٥٤ — وقال عنترة بن الأخرس المَعْنِىُّ من طيء :[(١)]

أَطِلْ حَمْلَ الشَّنَاءَةِ لِى وبُغْضِى وعِشْ ماشِئْتَ فَانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ[(٢)]

المياه أن يتقدم الرجال ثم العضاريط والرعاء ثم النساء إذا صدرت كل فرقة عنه فكن يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرون آمنات مما يزعجهن : فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية فى الذل ، وجعل النساء مُرْتَمِلات بدم الحيض تفظيعاً للشأن ، وقال النمرى: قال أبو رياش : يقول : إذا قبلت الدية فلا تأنفوا بعدها من شيء كما تأنف العرب ، واغشوا نساءكم وهن حُيَّض ، والفضول ههنا: بقايا الحيض ، وسمى الغشيان وردا مجازاً ، وقال أبو محمد الأعرابى : معناه لاتردوا المواسم بعد أخذ الدية إلا وأعراضكم دَنِسة من العار كأنكم نساء حُيَّض ، وهذا كما قال جرير :

لاتَذْكُرُوا حُلَلَ الْمُلُوكِ فإنَّكُمْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ كَحَائِضٍ لَمْ تَغْسِلِ

(١) قال أبو الفتح : العنتر والعنترة جميعاً الذباب الأزرق ،فهو منقول أيضاً، ويقال للذباب أيضاً : الْعَنْتَرُ ، والنون والتاء أصلان عندنا ، والمعن : الشيء اليسير ، قال :

* فإنَّ هلاكَ مَالِكَ غيرُ مَعْنٍ *

أى : غير يسير ، وبه سمى الرجل ، وهو منقول ، سموه به كما سموا بصغير و بيسير . قال أبو العلاء : عنترة مسمى بالواحد من الذباب ، يقال : عنترة ، وعنتر فى الجمع ، وقال قوم : العنترة الشدة ، وقال أبو هلال : يعرف بعنترة بن عُكْبَرَة ، وَعُكْبَرَة أم أمه ، وبها يعرف ، وهو شاعر فارس مشهور

(١) الأوّل من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

الرواية الجيدة « حمل الشَّنَاءة » بالميم ، ويروى « حَبْل الشناءة » بالباء ، وهو استعارة حسنة أيضا ، جعل للشناءة حَبْلاً ، وَالشَّناءة : بغض مختلط بعداوة

فَمَا بِيَدَيْكَ نَفْعٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ (١)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ (٢)
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ (٣)

وسوء خلق ، كما أن الشنف اسم لشدة العداوة ، ويقال: ضاره يَضِيره وَضَرَّه يَضُرُّه بمعنى واحد ، وانتصب موضع « ماشئت » على أنه ظرف ، وَمَنْ :مفعول تضير ؛ لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله : أي انظر تضير من ، ومثله :

فَإِنَّكَ إِنْ أَبْغَضْتَنِي مَا ضَرَرْتَنِي وَإِنْ رُمْتَ نَفْعِي مَا وَسِمْتُ لِذَالِكَا

(١) ويروى « فما بيديك خَيْرٌ أرتجيه » وأرتجيه : فى موضع الصفة للنفع : أى نفع مُرْتَجًى ، وهذا تبيين لقلة مبالاته ببغضائه وعداوته ، وقوله «غير صدودك الخطب الكبير » أى : صدود غيرك خطب كبير ، فأما صدودك فلا ، فقلب ، ويجوز أن يكون المعنى إن ما يأتى من الحوادث غير صدودك خطب كبير ، وأما صدودك فسهل يسير

(٢) هذا تقرير له فى بيان فضله عليه وسلامة عرضه من قَرْفه إياه ، يقول: شعرك الذى قلته فىَّ لم يعلق بى ذمه ؛ لأنه كان كذبا ، وشعرى الذى قلته فيك يطوف حول بيتك لايفارقك ، لأنه كان صدقا ، ويجوز أن يكون المعنى أن شعرى سار عَنِّي لأن الرواة احتملوه استجادةً له ، وشعرك الذى قلته فىَّ فلازم لك لزهد الناس فيه ، وساغ الوجهان جميعا لأن المصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل ، فعلى ذلك جاز أن يقول شعرك ويريد شعرى المقول فيك

(٣) يقول : من بغضك لى لاتقدر على النظر إلى ، كأن بينى وبينك الشمس ، كما قال الآخر :

وَمَوْلًى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِذَا مَا الْتَقَيْنَا لَيْسَ مِمَّنْ أُعَاتِبُهْ

٥٥ — وَقالَ الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح الأنصارى :(١)

إِنّى على ماقَدْ عَلِمْتَ مُحَسَّدٌ ... أَنْمِى عَلَى البَغْضَاءِ والشَّنَآنِ (٢)

مَا تَعْتَرِينِى مِنْ خُطُوبِ مُلِمَّةٍ ... إِلاَّ تُشَرِّفُنِى وَتُعْظِمُ شَانِى (٣)

فإِذَا تَزُولُ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ ... تُخْشَى بَوَادِرُهُ لَدَى الأَقْرَانِ (٤)

أى : لاحاجة لى فى وده فأصلحه بالعتاب ، ومثله قول أوس :

إِذْ يشزرون إِلَيَّ الطَّرْفَ عَنْ عُرُضٍ ... كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بغْضَتِى عُورُ

(١) هذه صفة منقولة ، وَالخَوَص : ضيق فى العين كأنها مخيطة ، وكسروا الأحوص حُوصًا وأحاوص ، قال الأعشى :

أَتَانِى وَعِيدُ الْحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... فَيَاعَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الأَحَاوِصَا

(٢) الثانى من الكامل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

«علمت» بمعنى عرفت ، ولهذا اكتفى بمفعول واحد ، ومعنى البيت إنى مَرْمُوق محسود على ماقد عرفتـه من أحوالى زائد كل يوم على بغضاء الناس ، وقوله « على ماقد علمت » و« على البغضاء » جميعا فى موضـع الحال ، والعامل فى الأوّل قوله « محسد » وفى الثانى « أنمى » ويجوز أن يكون «على ماقد علمت » من صلة مُحَسَّد ، كما تقول : حسدته على كذا

(٣) يقال : عراه واعتراه ، إذاجاءه ، وأضاف الخطوب إلى ملمة لأنه أراد بها أوائل أمر عظيم ، وأصل الخطب الطلب ، يقال : خَطَبْتُ كذا فَأَخْطَبَنِى ، كما يقال : طلبته فأطلبنى ، فـكأنه أراد أوائل ملمة وأسبابا لها تطلبه ، ويقال : هذا خطب أمر عظيم ، وهذا خطب أمر يسير ، وقوله « إلا تشرفنى وترفع شانى » أى : لحسن بلائه فيها وصبره عليها

(٤) المتخمط : المتـكبر الغضبان ، وبوادره : مايبدر من مكروهه وسطواته ،

إنّى إذا خَفِىَ الرِّجَالُ وَجَدْتَنِى كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانِ (١)

والأقران : النُّظَرَاء فى البأس والشدة : أى إذا تكشفت الملمات انكشفت عن رجل متكبر تخاف فلتاته وبدراته عند نظرائه فى البأس والشدة ، ومعناه إن الدواهى إذا نزلت بساحته لاتلين لها عريكته ، وقوله « تخشى بوادره » فى موضع الصفة للمتخمط

(١) من ههنا أخذ بشار قوله :

أَنَا الْمُرَعَّثُ لاَ أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرَّتْ بِيَ الشَّمْسُ لِلْقَاصِى وَ لِلدَّانِى

وقال أبو هلال : من حديث هذا الشعر ماأخبرنا به أبو أحمد ، عن الجوهرى ، عن أبى زيد ، عن رجاله ، أن الأحوص ركب إلى الوليد بن عبدالملك ومحمد بن عمرو بن حزم رماه ببعض السوء ، فلقيه رجل من بنى مخزوم ، فوعده أن يعينه على ابن حزم ، فقال للوليد : والله لو كان الذى رمانى به ابن حزم من أمر الدين إلا أن دناءته (١) لاجتنبه فكيف وهو من أكبر معاصى الله ، وأنا الذى أقول :

* اظلوا وأيديهم إليك تشير *

فقام المخزومى وأثنى على ابن حزم ، فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر :

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ

ثم قدم الأحوص المدينة فأخذه ابن حزم وضربه ، وأقامه على البلس فى سوق المدينة فجعل يصيح

* إنى عَلَى مَاقَدْ عَلِمْتَ مُحَسَّدٌ * الأبيات

(١) هكذا فى الأصول كلها ، ويغلب على الظن أن أصل العبارة « لو لم يكن فى الذى رمانى به ابن حزم من أمر الدين إلا دناءته لاجتنبته »

٥٦ — وقال الفضل بن العباس بن عُتْبَةَ بن أَبى لَهَبٍ:(١)

مَهْلاً بَنِى عَمِّنَا مَهْلاً مَوَالِينَا لاَتَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونَا(٢)
لاَ تَطْمَعُواأَنْ تُهِينُونَا وَنكرِمَكُمْ وَأَنْ نَكُفَّ الأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا(٣)
مَهْلاً بَنِى عَمِّنَا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنا سِيرُوا رُوَيْداً كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا(٤)
اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا لاَ نُحِبُّكُمُ وَلاَ نَلُومُكُمُ أَنْ لاَ تُحِبُّونَا(٥)

---

(١) عُتْبَةَ :اسم مرتجل غير منقول ، وتسمى به المرأة أيضا

(٢) الثانى من البسيط ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

أى : رفقايا بنى عمنا ، وهذا التكرار يريد به التأكيد ، ويجوز أن يكون هذا الكلام تهكما ، ويجوز أن يكون رآهم ابتدؤا فى أمر لم يأمن معه تفاقم الشأن فاسترفقهم لذلك ، وذكر الدفن والنبش استعارة فى الإظهار والكتمان

(٣) يريد لاتطمعوا فى أن تهينونا ، فأوصل الفعل بنفسه من دون فى : لأن أنْ الخفيفة والشديدة إذا اتصل بها حروف الجر حسن حذفها لطول الكلام بها، تقول: أنا راغب فى أن ألقاك ، وطامع فى أن يحسن زيد إليك ، ولو قلت « أنا راغب أن ألقاك وطامع أن يحسن زيد إليك » لجاز ، ولو جعلت مكان «أن » المصدر فقلت «أنا راغب في لقائك » لم يجز حذف حرف الجر ، لا تقول « أنا راغب لقاءك » لأن ما كان يطول الكلام به لم يحصل ، يقول : لا تقدروا أنكم إذا أهنتمونا قابلناكم بالإكرام

(٤) يقال : نَحَتَ أَثْلَتَهُ ، إذا ذمه وتنقصه ، وقوله «سيروا رويدا » أى سَيْرًا تُرْوِدون فيه : أى ترفقون فيه كما كنتم تسيرون : أى ارجعوا إلى سيرتكم الأولى

(٥) أى : قد أبغضنا كم فلا لوم عليكم إن أبغضتمونا

كُلٌّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ ... بِنِعْمَةِ اللهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا [١]

٥٧ — وقال الطِّرِمَّاح بن حكيم : [٢]

---

(١) قوله «بنعمة الله» هو كما جاء فى القرآن (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) وقوله «نقليكم وتقلونا» إشارة إلى الحال ، وحذف المفعول من الثانى لأن فى الكلام مايدل عليه ، ويجوز أن يكون «تقلوننا» فحذف النون النائبة عن الأعراب ، وهو لغة حجازية ، ومثله

* قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِى [١] *

يريد تحذرين ، وعلى هذا قول الآخر

* إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تُشَوِّقِينِى *

وهذا يؤكد مذهب سيبويه فى تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب عند الضرورة ، وقال أبو هلال فى قوله «بنعمة الله نقليكم وتقلونا» جعل بغض كل طائفة منهم للأخرى نعمة من الله عليهم لأنهم مع التباغض يتفرقون ، وفى تفرقهم صلاح لهم ، وفى قرب بعضهم من بعض مضرة عليهم

(٢) قال أبو الفتح : الطرماح الطويل ، قال :

* فَهْوَ طِرِمَّاحٌ طَوِيلٌ قَصَبُهْ *

ويقال : طَرْمَحَ بناءه ، إذا أطاله ، قال :

طَرْمَحَ أَقْطَارَهَا أَحْوَى لِوَالِدَةٍ ... صَحْمَاءَ وَالْفَحْلُ لِلضِّرْغَامِ يَنْتَسِبُ

يصف إبلاً أكلت الكلأ حتى علت أسنمتها ، طرمح : أطال ، أحوى : النبتُ للونه ، وصحماء : الأرض لسودها وصفرتها ، والفحل : يعنى المطر، والضرغام : أراد

---

(١) ينسب هذا لـكليب وائل ، وقبله

يَالَكِ مِن قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ ... خَلَا لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاحْذَرِي

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِيَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ (١)
وأَنِّى شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ (٢)
إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ ... وَبَيْنِي فِعْلَ العَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ (٣)

كان بنوء الأسد فلم يمكنه ، فقال الضرغام : أى هذا المطر منسوب إلى نوء الأسد ، وقال أبو هلال : كان الطرماح معلما بالكوفة ، قال بعض العلماء : لو تقدمت أيامه قليلا لفضل على الفرزدق وجرير ، ومن عجيب ما روى من حديثه أنه قعد للناس وقال : اسألونى عن الغريب ، وقد أحكمته كله . فقال له رجل : ما معنى الطرماح ؟ فلم يعرفه

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

قوله « أنني بغيض » فى موضع الفاعل ، والمعنى زادنى بغضتى إلى كل رجل لا فضل فيه ولا خير عنده حبًّا لنفسى ؛ لأن التمايز بينى وبينه هو الذى أداه إلى بغضى ، ولو كان بيننا تشاكل لما كان كذلك ، فازددت بذلك محبة لنفسى : لأنى لو كنت مثله لأحبنى . وقوله « غير طائل » هو من طال عليهم يَطُولُ طَوْلاً ، والطَّوْلُ : الفضل ، وقال الخليل : يقال للشىء الدون الخسيس : هذا غير طائل ، والمذكر والمؤنث فيه سواء . ويقال : زدت فضلا ، كما يقال : ازددت فضلا ، وزادنيه كذا

(٢) أصله « وأننى شقى » لكنه حذف النون الأول من « أنَّ » تخفيفا لأنه اجتمع ثلاث نونات ، وهو محمول فى الإعراب على «أننى» من البيت الأول ومعطوف عليه ، فيقول : وزادنى حباً لنفسى أيضا شقوتى باللئام حتى تَنَقَّصُونى واغتابونى ، ثم قطع الإخبار ، وكأنه أقبل على مخاطب ملتفتا إليه ، فقال : ولا ترى أحدا يشقى بهم إلا وهو كريم الطبائع

(٣) أى : إذا أبصرنى ارتدَّ طرفه عنى وقطع نظره إلى فِعْلَ من يعرف الشىء

مَلأتْ عَلَيْهِ الأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا ‏ مِنَ الضِّيقِ فِى عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ (١)
أَكُلُّ امْرِىءٍ أَلْفَى أَبَاهُ مُقَصِّراً ‏ مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ الأَوَائِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ اضْطَنَى ‏ وَلاَ يَضْطَنِى مِنْ شَتْمِ أَهْلِ الفَضَائِلِ (٢)

ويتكلف جهله ، والطَّرْف ههنا مصدر طرفته إذا أبصرته ، وانتصب « فعلَ العارف » على المصدر ممادل عليه « قَطَّعَ الطرفَ »

(١) يقال : ملأت عليه الأرض ، إذا ضيقتها عليه ، وملأت منه الأرض، إذا قمت وقعدت بذكره ، والحابل : ناصب الْحُبَالة ، يقال : حَبَلْتُ الصيد ، واحتبلته ، إذا أخذته ، وتوسعوا فيه فقالوا . احتبله الموت بحبائله ، والكفة : يجوز أن يريد بها الحفيرة التى تنصب الحبائل فيها . لأنها تجعل كالطوق ، وهذا أقرب لأن الخليل فسر الكفة على ذلك ، وجاز إضافتها إلى الحابل ، كما يجوز إضافة نفس الحبالة إليه ، وأصل الكلمة من الجمع ، ومنه قيل « الناس كافة » أى : أجمعون ، ومثله فى المعنى قول الآخر :

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَهْىَ عَرِيضَةٌ ‏ على الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ

يقول : قدضاقت به الأرض من عداوتى فكأنى ملأتها عليه ، ويجوز أن يكون المراد أنه يخافنى فى كل مسلك يسلكه

(٢) ألفى أباه : أى وجده . وَالْمَسْعَاة هنا المصدر مثل السعى ، وهو العمل ، وفى القرآن (وَأَنْ لَيْسَ للانسان إلا ماسعى) واضطنى : افتعل من الضَّنى ، يقال : ضَنِىَ يَضْنَى . إذا دق وصغر جسمه ومن ثم سمى المرض ضَنًى لما يورث من الْهُزَال ، يقول : إنه يضنى إذا ذكر صنيع والده لقبحه ، ومع هذا يشتم أهل الفضائل ولا يضنى منه ، يصفه بالقِحَة

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلاَ عَزَّ أَهْلُهَا ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ (١)

٥٨ — قال بعض بنى فقعس :

وَذَوِى ضِبَابٍ مُظْهِرِينَ عَدَاوَةً ... قَرْحَى الْقُلُوبِ مُعَاوِدِى الْأَفْنَادِ (٢)

نَاسَيْتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ ... وَهُمُ إِذَا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَعَادِى (٣)

كَيْمَا أُعِدَّهُمُ لِأَبْعَدَ مِنْهُمُ ... وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى ذَوِى الْأَحْقَادِ (٤)

---

(١) القنا : الرماح ، والقنابل : جماعات الخيل ، الواحدة قنبلة

(٢) الثانى من الكامل ، مردف مطلق موصول ، والقافية متواتر

الضَّبّ : الحِقْد الخفى ، وإنما سمى ضَبًّا لأن الضب طول شتائه يخدع فى جحره فلا يظهر ، ويروى الإفناد والأفناد ، بكسر الهمزة وفتحها ، فالكسر مصدر أفند يُفْنِد إفناداً إذا أتى بالْفَنَد ، وإذا روى الأفناد — بفتح الهمزة — فهو جمع الْفَنَد ، وهو الفحش والخطأ فى الرأى ، وأفْنَدْتُ الرجلَ إذا خَطَّأت رأيه إفنادا ، وَفَنَّدْته تفنيدا ، يقول : هم أعداء قرحت قلوبهم من الغيظ على ، فهم يعاودون فى قول الخنَى ، وقوله « وذوى ضِبَاب » أى رب قوم ذوى أحْقَاد

(٣) جواب رب قوله « ناسيتهم » أى : رب قوم هكذا ناسيت بغضهم لى حتى نسوا ، لأن المناساة من اثنين فصاعدا ، وتركتهم وهم من جملة الأعداء إذا ميزت بالذكر الأصدقاء : أى صاروا لى كالأصدقاء وهم فى الحقيقة أعداء ، إذا ذكر الصديق عند الشدائد لم يذكروا ، وأراد بالصديق الجمع . يقول : لم أكاشفهم ولاأظهرت لهم علمى بعداوتهم لأعدهم لمن هو أبعد منهم وأشد عداوة ، ويوضحه قوله

(٤) أى : قد يضطر الإنسان إلى نصرة بنى الأعمام وإن كانوا مُنْطَوِين على ضغائن ، وهذا كما قيل لبعض حكماء العرب : ما تقول فى ابن العم ؟ قال : عدوّك وعدوّ عدوّك ، ويقال : أجاءه إلى كذا وأشاءه بمعنى واحد ، وأصله من المجىء .

٥٩ — وقال يزيد بن الحكم الكلابى :

دَفَعْنَاكُمُ بِالْقَوْلِ حَتَّى بَطِرْتُمُ وَبِالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعُ الأَصَابِعِ (١)

قال الله تعالى : (فأجاءها المخاضُ) أى : ألجأها . وقال أبو هلال : يقول : ربما يضطر الانسان إلى أعدائه فى بعض الأمور . ومثله قول الآخر :

وَإِنِّى لَأَسْتَبْقِى امْرَأَ السُّوءِ عُدَّةً لِعَدْوَةِ عِرِّيضٍ مِنَ النَّاسِ جَانِبِ

أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَنَبْحَهَا إِذَا لَمْ يُجَاوِبْهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ

وقال النمرى فى قوله « لأبعد منهم » أى : لمن هو أبعد عداوةً منهم : أى أشد ، من قوله عز وجل : (وضلوا ضلالا بعيدا) قال أبو محمد الأعرابى : غلط من وجهين : أحدهما أنه قال هذا الشعر لرجل من بنى فَقْعَس ، وإنما هو لمِرْدَاس ابن جُشَيْشٍ أخى بنى سعد بن ثَعْلَبَة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيْمَة ، والآخر قوله « لأبعد عداوة منهم » وإنما هو لأبعد قرابةً منهم ، وهو مثل قول حَضْرَمِىّ ابن عامر :

وَلَقَدْ طَوَيْتُكُمُ عَلَى بُلَلَاتِكُمْ وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ

كَيْمَا أُعِدَّكُمُ لِأَبْعَدَ مِنْكُمُ وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى ذَوِى الْأَنْسَابِ

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

يقول : وعظنا كم أولا باللسان حتى أبطركم ذلك ، وصرنا إلى الدفع بالراح ، وفى محاورات قريش أن بعضهم قال لآخر منهم مستضعفا لما أورده عليه : هذا دفع بالرَّاح ، فقال مجيبا : كلا إن معها الأصابع ، والرَّاحُ : جمعُ راحة ، والدفع بالراح لايضر المدفوع كبيرَ ضررٍ ، وفى الدفع بالأصابع بعض الأذى ، يقول : دفعنا كم بالقول فبطرتم ، فصرنا إلى ماهو أغلظ منه فلم ترتدعوا به ، فصرنا إلى مافيه النكاية ، وقد أحسن إبراهيم بن العباس فى جمعه هذه المعانى فى قوله :

فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ * وَمَاغَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعِ (١)

مَسِسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُلُّنَا إِلَى حَسَبٍ فِى قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ (٢)

فَلَمَّا بَلَغْنَا الْأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ بَنِى عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمَضَاجِعِ (٣)

بَنِى عَمِّنَا لَا تَشْتِمُونَا وَدَافِعُوا عَلَى حَسَبٍ مَافَاتَ قِيدَ الْأَكَارِعِ (٤)

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وَعِيدٌ فَإِنْ لَمْ يُجْدِ أَجْدَتْ عَزَائِمُهُ

وانتصب « دَفْعَ » على أنه خبر « كان » واسمه مضمر . كأنه قال : حتى كان الدفع دفع الأصابع . ولك أن ترفعه على أن يكون اسمه . وتضمر الخبر ، كأنه قال : حتى كان دفعُ الأصابع دفعنا . أو على أن يكون « كان » بمعنى حدث فيكتفى بالفاعل ، وهى التى تسمى كان التامة

(١) الأحلام هىنا : العقول : أى لما تماديتم فى جهلكم ولم ترجعوا إلى مايوجبه العقل

(٢) يجوز أن يكون « مَسِسْنَا » بمعنى أصبنا واختبرنا ، لأن المس باليد قد يقصد به الاختبار ، ويجوز أن يكون بمعنى طلبنا ، وقيل فى قوله تعالى : (لايمسه إلا المطهرون) المعنى لايطلبه ، وعلى هذا يحمل قوله تعالى : (وأنا لمسنا السماء) وقوله « وكلنا إلى حسب » أى : ننتمى وننتهى فالى تعلق بهذا وماأشبهه من المضمرات ، وهذا كما يقال : أنا منك وإليك ، وقوله « كلنا » أى : كل واحد منا ، يعنى أهل بيتهم : أى افتخرنا بالآباء بعض الافتخار ، وكل واحد منا شريف

(٣) جعل المضاجع كناية عن الأزواج : أى نظرنا فإذا نحن وأنتم سواء فى شرف الآباء ، ولكننا أكرم أمهات منكم

(٤) يقول : هو فى موضعه لم يزل عنه قدر كراع . وذكر الجمع والمراد به الواحد .

وَكُنَّا بَنِى عَمٍّ نَزَا الْجَهْلُ بَيْنَنَا فَكُلٌّ يُوَفَّى حَقَّهُ غَيْرَ وَادِعِ (١)

٦٠ — وقال جابر بن رَأْلاَنَ السِّنْبِسيُّ : (٣)

لَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إذَا مَا نَسَبْتَنِى إذَا لَمْ تَقُلْ بُطْلاً عَلَىَّ ومَيْنَا (٢)

---

(١) أراد بالجهل مايدعو إليه الجهل من الشر ، يقول : وثب الشر فى المكروه بيننا أى ارتفع وعلا فكل يأخذ منه بنصيب ، وأراد أنا نتحارب والحرب لادَعَة فيها فلهذا قال غير وادع

(٢) من همز « رأْلان » فهو فَعْلاَن من لفظ الرأل ، ومن لم يهمزه احتمل أمرين : أحدهما أن يكون تخفيف رألان ، كقولك فى تخفيف رأس : رَاس ، والآخر أن يكون فعلاَن من « روّلت الخبز فى السمن ونحوه » إذا أشبعته منه ، « ورَوّل الفرس » إذا أدلى ، ومنه الراوول للسن الزائدة من وراء الأسنان ، وكان قياسه رَوَلان كالجَوَلان ، غير أنه أُعِلّ على ماجاء من نحو دَارَان وَمَاهَان ، و « سِنْبِسٌ » اسم مرتجل غير منقول كنظائره ، وقال أبو العلاء : يجوز أن يكون رَأْلاَن فعلان من الرُؤال وهو لعاب الخيل ، و « سنبس » يقال : إن المراد به قلة الجسم والهزال ، وقيل : إن السنبس حَب نبت يؤكل ، وليس السبس بمعروف فيحكم على النون بزيادتها

(٣) الثالث من الطويل ، مطلق موصول ، والقافية متواتر

وذكر سيبويه فى باب الادغام أن الثالث من الطويل لا يستعمل إلا بلين كامل ، وأنكر أن يجىء فى قوافيه مثل المَيْن وما أشبهه مما قبل يائه فتحة لأن لينه لم يكمل ، وإنما كماله بأن يكسر ماقبل الياء ، أو يضم ماقبل الواو ، أو يكون بألف .

قوله « لعمرك » مبتدأ وخبره محذوف ، كأنه قال : لعمرك ما أقسم به ، و « أخزى » يجوز أن يكون من الخزى الهوان ، ويجوز أن يكون من الخَزَاية

وَلَـكِنَّمَا يَخْزَى امْرُؤٌ تَـكْلِمُ اُسْتَهُ ... قَنَاقَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا (١)

فَإِنْ تُبْغِضُونَا بِغْضَةً فِى صُدُورِكُمْ ... فَإِنَّا جَدَعْنَا مِنْكُمُ وَشَرَيْنَا (٢)

وَنَحْنُ غَلَبْنَا بِالْجِبَالِ وعِزِّهَا ... وَنَحْنُ وَرِثْنَا غَيْثًا وَبُدَيْنَا (٣)

الاستحياء ، والبُطْل : الباطل ، وَالْمَيْن : الـكذب . رجل مَائِن ومَيُّون ، وقوله « إذا ما نسبتنى » ظرف لقوله « ما أخزى » و « إذا لم تقل » يجوز أن يكون بدلا منه ، ولولا أنه كرر « إذا » لـكان الـكلام ما أخزى إذا ما نسبتنى ولم تقل بطلا ومينا ، ولا يجوز أن يكون العامل فى « إذا » نسبتنى ؛ لأن إذا قد أضيف إليه و بين به ، والمضاف إليه لا يعمل فى المضاف ، ويجوز أن يكون « إذا » الأول بما اتصل به وما عمل فيه الجملة فى جواب « إذا » الثانية ، كأنه قال : إذا لم تقل بطلا علىّ فلعمرك ما أخزى إذا مانسبتنى ، وانتصب « بُطْلاً » على أنه مفعول « لم تقل » لأن القول يحكى بعده الجمل فيعمل فى مواضعها لا فى لفظها ، و يقع المفرد بعده — إذا كان معنى الجملة — منصوبا

(١) « تـكلم اُسته » أى : تجرحها ، لـكونه موليا منهزما . وقومه : بنو عمه : أى حين ينهزم يُوَلِّى الدبرَ فيطعن فى اُسته فيخزى : أى فيذل ويهون ، أو إذا ذكر ذلك يستحيي ويخجل ؛ و « هَوَيْنَ » انحططن للطعن ، أو عمدن له ، وقال « قنا قومه » يريد أن قومه يقاتلونه لبغضه لهم ، وكفى بهذا خزيا

(٢) قوله « فى صدوركم » بما تعلق به فى موضع الصفة للبغضة ، « وشرينا » أى : أسرنا كم و بعنْا كم وجَدعنا آذان بعضكم . وقيل : فضحنا كم حتى صرتم بمنزلة المجدوع المبيع ، ومعناه إن تبغضونا فحق لـكم لأنا قهرنا كم وذللنا كم وبالغنا فى الإساءة إليـكم ، وقوله « فى صدوركم » أى : بغضة لا تظهرونها هَيْبَةً لنا وَفَزَعاً منا

(٣) أراد بالجبال أَجَأً وَسَلْمى وهضابهما ، ولذلك جمع ، « وعزها » أراد

وأَيُّ ثَنَايَا الْمَجْدِ لَمْ نَطَّلِعْ لَهَا   وأَنْتُمْ غِضَابٌ تَحْرُقُون عَلَيْنَا (١)

٦١ — وقال سَبْرَةُ بن عَمْرو والفقعسيُّ وعَيَّرَهُ ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ كَثْرَةَ إِبله : (٢)

أَتَنْسَى دِفَاعِى عَنْكَ إِذْ أَنْتَ مُسْلَمٌ   وقد سَالَ مِنْ ذُلٍّ عَلَيْكَ قُرَاقِرُ (٣)

عز أربابها وسكانها ، والمراد أنهم يمتنعون بها فيعزون لأنها تمنعهم فلا يلحقهم ضَيْم وقيل : أراد بالجبال جبال طيء أجأ وسلمى والعوجاء ، وذكروا أنها أسماء ناس : زعموا أن أجأ كان يعشق سَلْمى ، والعوجاء تجمع بينهما ، فأخذوا فصلبوا على هذه الجبال ؛ فسميت الجبال بأسمائهم ، وغَيْث وبُدَين : أسماء رجلين من طيء والغيث فى غير هذا الموضع عدو يجيء بعد عدو ، ويقال : فرس ذو غيث ، إذا كان يجيء بعَدْوٍ بعد عدو

(١) الاستفهام هنا يجرى مجرى النفى ، كأنه قال : ماثَنِيّةٌ من ثنايا المجد إلا اطلعناها . والثَّنية : فعيلة من ثَنَيْت أى عطفت . ويقال : حَرَق نابه يَحْرِق حَرْقاً وَحَرُوقا من الغيظ ، وذكر الخليل حريق الناب كصريف الناب . ويقال : فلان يَحْرق على الأُرَّمَ وَالْأَزَّم ؛ فلأرم الأكل ، والأزم العض : وهما جميعا بالأسنان ، والمعنى يحرق علىّ أسنانه ، والمتوعد يفعل ذلك يظهر به شدة الغيظ ، واكتفى بقوله «تحرقون» عن ذكر المفعول : لأن المراد مفهوم ، يقول : أى جبل من العز لم نعلُه وأنتم تنظرون إلينا غضابا متغيظين علينا

(٢) وَسَبْرة : منقولة من الغداة الباردة

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

قوله « أتنسى دفاعى » لفظه لفظ الاستفهام والمعنى معنى الإنكار : أى لِمَ تنسى مدافعتى عنك حين كنت مخذولا لاناصرَ معك ؛ وقُرَاقِر : وادٍ ، ومن كلامهم : سال عليك الذل كما يسيل السيل ، فيكون المعنى على هذا جرى عليك

وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وُجُوهُهَا ... يُخَلْنَ إِمَاءً وَالْإِمَاءُ حَرَائِرُ [(١)]
أَعَيَّرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا ... وَذَلِكَ عَارٌ يَا ابْنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ [(٢)]

سيل من ذل، ولا يمتنع أن يكون لحقه مالحقه من الذل من ناحية قُراقر فلذلك خصه ، ويقال . أسلمته ، وسَلَّمته : إذا خلَّيْتَ بينه و بين من يريد النكاية فيه ، « وقد سال » فى موضع الحال ، قال النمرى : يقول . سال هـذا الوادى عليك فلم تستطع الانتقال عنه ذلاً وضعفا ، وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل : ضل الدُّرَيصُ نَفَقَهُ ؛ الصواب « وقد سال من نَصْرٍ عليك قراقر » يعنى نصر ابن قُعَيْن بن الحرث بن ثعْلَبة بن دُودَان بن أَسد ابن خُزَيمة يقول : دافعتهم عنك حين سال الوادى بهم عليك . كما قال الآخر :

وَنَحْنُ أَسَلْنَا مُصْعِدًا بَطْنَ حَائِلٍ ... وَلَمْ يُرَ وَادٍ قَبْلَهُ سَالَ مُصْعِدَا

يعنى أنهم أسالوه بالرجال ، وهذا الذى ذكره أحسن ما قيل فى هذا البيت ، كأن الوادى سال عليهم بالرجال

(١) « ونسوتكم » مع خبره جملة انعطفت على قوله « وقد سال من ذل عليك قراقر » وقوله « والإماء حرائر » أى : اللاتى يُحْسَبن إماء حرائر ، وكانت الحرة فى مثل ذلك الوقت تتشبه بالأمة لكى يزهد فى سبيها . ويجوز أن يكون المعنى إنكم تفرقتم وتركتم إماءكم فيما تركتم فصرن بمنزلة الحرائر . ولو قال « تخلن إماء وهن حرائر » لكان مأخذ الكلام أقرب ، لكنه عدل إلى « والإماء حرائر » ليكون الذكر به أفخم . وقال « باد وجوهها » لتقدم الفعل ، وإن تأنيث الفعل [(١)] غير حقيقى ، ولو قال « بادية » لجاز

(٢) هذا استفهام على وجه الانكار والتقريع ، يريد لم عيرتنا ألبان الإبل ولحومها واقتناء الابل مباح لا محظور . وعار ظاهر : أى زائل ، قال أبو ذؤيب :

---

(١) كذا فى الأصول كلها ، ويترجح عندنا أن أصل العبارة « ولأن تأنيث الفاعل غير حقيقى »

نُحَابِى بِها أَكفاءَنَا وَنُهِينُهَا   وَنَشْرَبُ فِى أَثْمَانِهَا وَنُقامِرُ (١)

وَعَيَّرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّى أُحِبُّهَا   وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

أى : ذاهب زائل ، والواو واو الحال فى قوله « وذلك عار » أى : أتعيرناها والحال تلك

(١) بَيَّنَ وجوه تصرفهم فيما عيرهم به فقال : نجعلها حِباءً لنظرائنا ، ونبيعها فنصرف أثمانها إلى الخمر والإنفاق ، ونضرب بالقداح عليها فى الميسر عند اشتداد الزمان ، ذكر أبو عبيدة أن سَبْرَةَ بن عمرو قال هذه الأبيات فى منافرة عَبَّاد بن أنفِ الكلب وَمَعْبَد بن نَضْلَة بن الأشتر الفَقْعَسى ، وهو أخو خالد بن نضلة الذى يقول فيه الأسود بن يعفر :

وَمِنْ قَبْلُ مَاتَ الْخَالِدَانِ كِلاَهُمَا   عَمِيدُ بَنِى جَحْوَانَ وَابْنُ الْمُضَلَّلِ

يعنى قيس بن مالك بن مُنْقِذ بن طريف ، تنافر إلى ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دَارِم وبينهما مائة من الإبل خَطَر ؛ فقال عباد لضمرة : لك مائة من الإبل وَتُنَفِّرُنى على مَعْبَد ، ففعل ؛ فهو أول من ارتشى من حكام الجاهلية ، فلما عرف مَعْبَد ذلك قال : أما بالعير من قماص ، فأنشط الابل التى كان خطرها وطردها ، وجمع العقل فأحرقها ، فسمى محرق العقل ، فطلب عَبَّاد الخطر وادّعى النفور عليه من ضمرة ، فقال سَبْرَة بن عمرو :

نَاكَ أَبَاهُ ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَهْ   فِى شَرَجِ الْبَلْقَاءِ أولى نَظْرَهْ
وَاللهِ لاَ نَعْقِلُ مِنهَا بَكْرَهْ   أَوْ يَقْضِىَ النُّعْمَانُ فِيهَا أَمْرَهْ

فتحاكموا إلى النعمان بن المنذر . فقال : ائتوا عُزَّى ، فأتوها ، فردهم سَادِنُهَا فلم يعط عباد الخطر ، وغرم لضمرة مائة من الإبل ، وعلم الناس أن فَقْعَسًا أفضل من الصَّيْداء ؛ وقال سبرة :

يَاضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أُمُّكَ هَابِلٌ   وَالْحُكْمُ مَسْؤُلٌ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ
أَحَفِظْتَ عَهْدَكَ أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً   أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهَا لاَ يُنْشَدُ

٦٢ — فقال آخر من بنى فقعس : (١)

أَيَبْغِى آلُ شَدَّادٍ عَلَيْنَا وَمَا يُرْغَى لِشَدَّادٍ فَصِيلُ (٢)
فَإِنْ تَغْمِزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْهَا غِلَاظاً فِى أَنَامِلِ مَنْ يَصُولُ (٣)

شَنْعَاء فَاقِرَة تُجَلِّلُ نَهْشَلاً دَنَسًا تَغُورُ بِهِ الرِّفَاقُ وَتُنْجِدُ
إنَّ امرًا كَانَ أَمَالَ حُكْمُكَ حبها فَلَكَ اللِّقَاء وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ
لَاشَىْءَ يَعْدِلُهَا وَلَكِنْ دُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ تَخَافُ شَوْكَتَهَا الْيَدُ
فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَّ كَأَنَّهُ كَلْبٌ يُبَصْبِصُ لِلْخطال وَيُطْرَدُ

وقال :

أَضَمْرَةَ يَرْجُو أَبْلَقَ الاسْتِ وَالْقَفَا وَهَلْ مِثْلُنَا فِى مِثْلِهَا لَكَ غَافِرُ

وكان عيال معبد أبرص ، و بعده « أتنسى دفاعى » الأبيات

(١) قال أبوهلال : هو لعمرو بن مسعود بن عبد مُرَارة

(٢) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول . والقافية متواتر

قوله « وما يرغى لشداد فصيل » أى : لايحمل فصيل لهم على رُغَاء بأن يُفْصَل بينه و بين أمه بنحر أو هبة ضَنًّا به ، ويجوز أن يراد به مالهم فصيل فيرغى ، يرميهم بالفقر ، فيكون كقوله : —

* وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *

أى : لاضب بها فينجحر

(٣) أى : إن زرتمونا وجدتمونا غلاظاً على من يصول علينا قال أبو العلاء فى قوله « وما يرغى لشداد فصيل » : لايذهب به مذهب البخل وأنهم لايعطون أحدا فصيلا ، ولكن يحمل على أنهم لايؤذون ، كما يقال : ماتَرَوَّع له شاة : أى فلم يتعرضون لنا بالأذاة ونحن عنهم كافّون ، ويجوز أن يصفهم بأنهم أذلة

٦٣ — وقَالَ جَزْءُ بْنُ كُلَيْبٍ الْفَقْعَسِيُّ (١) :

تَبَغَّى ابْنُ كُوزٍ وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا لِيَسْتَادَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لَيَالِيَا (٢)
فَمَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَازَةً بِأَنْ أُبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيَا (٣)

لا يظلمون أحدا ولا يرغى فصيل لأجلهم ، كقوله :

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

وقال : والدليل على أنه لم يرد بالإرغاء معنى الهبة قوله « فإن تغمز مفاصلنا تجدنا » لأن هذا الكلام دال على تهدد ووعيد

(١) قال أبو محمد الأعرابى : هو جرير بن كليب ، لا جزء ، فأما جزء فهو منقول من جَزَأت الشيء أجزَؤه جزأ ، إذا أخذت جزأ منه ، ومنه الشعر المجزوء

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

قوله « والسفاهة كاسمها » اعتراض دخل بين « تبغّى » ومفعوله ، والأصل فى السفه الخفة ، يقول : السفاهة قبيح كما أن اسمها قبيح ، وإنما قال هذا لأن السفه كما ينكر فعله كذلك يكره اسمه ، فان قيل : ما اسم السفاهة حتى قال والسفاهة كاسمها ؟ قلت : قوله والسفاهة أراد ما يسمى سفاهة : أى المسمى بهذا الاسم قبيح ، كما أن الاسم الذى هو السفه قبيح ، ويجوز أن يكون « تبغى » أى أدخل نفسه فى البغى حتى عدا طَوْرَه ، ويكون بمعنى تطَلَّب . وقوله « ليستاد منا » أتى بالفعل واللام لأن تَبَغَّى مثل أراد ، كما قال الله عزوجل : (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) والمعنى إطفاء نور الله ، وكذلك هذا المراد به تبغى الاستياد منا : أى تطلب النكاح فى ساداتنا من أجل أنا دخلنا فى الشتاء ، وشتونا : بمعنى أشتينا ، والشتاء : الجدب ، و« أن شتونا » موضعه نصب ، أصله لأن شتونا ، فلما حذف الحرف الجار وصل الفعل فعمل

(٣) انتصب « حزازة » على التمييز ، والباء فى قوله « بأن أبت » هو الباء

وَإِنَّا عَلَى عَضِّ الزَّمَانِ الَّذِي تَرَى نُعَالِجُ مِنْ كُرْهِ المَخَازِي الدَّوَاهِيَا (١)
فَلَا تَطْلُبَنْهَا يَا ابْنَ كُوزٍ فَإِنَّهُ غَذَا النَّاسُ مُذْ قَامَ النَّبِيُّ الْجَوَارِيَا (٢)

فى « مازيد بمنطاق » ويقال : زَرَيْتُ عليه فعله . إذا عبته عليه . وأزريت به إذا وضعت منه : أى ليس انصرافك عنا عائبا علينا تقطيعه فى الصدر : أى إرغامك وإسخاطك يهون علينا ، وقال أبو هلال : يقول : ليس يشتد عليّ رجوعك خائبا غير ظافر بطَلِبَتِكَ مَزْرِيًّا عليك بردّنا إياك وزاريا علينا لتقديرك أنا أسأنا إلى أنفسنا بانصرافنا عنك

(١) موضع « على عض الزمان » حال : أى نحن نقاسى الدواهى من شدة الحال وكلب الزمان هَرَبًا من المخازي

(٢) أى لاتطلب التزوج بالمرأة التى خطبتها فلك فى سائر النساء مندوحة، فإن النساء قد كثرن بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعرب كانت قبل ذلك تئد البنات ، وأصل الوأد الثقل ، وذلك أنها كانت تثقل بالتراب ، وأول من منع عن الوأد صَعْصَعَةُ بن ناجية جَدُّ الفرزدق ، وذلك أنه أضل ناقتين له فخرج فى بغائهما ، فلما أجنه الليل رُفِعَت له نار فأمّها ، فاذا شيخ وامرأة مَاخِض ، فَسَلَّم فرد الشيخ ، فسأله عن الناقتين ، فقال : وجدتهما وقد أحيانا الله بهما ، ثم قال الشيخ لنساء كُنَّ عنده : إن جاءنا غلام فما أدرى ما أصنع به ، وإن جاءتنا جارية فاقتلنها ولا أسمعن صوتها ، فجاءت جارية فاشتراها صعصعة بناقتيه وجمله الذى ركبه فى طلبهما ، وجعل ذلك سُنَّةً فكل من أراد أن يئد ابنةً له جاءه فاشتراها منه بلقحتين وجمل ، فجاء الإسلام وقد فَدَى ثلثمائة موؤدة ، فقال الفرزدق :

وَجَدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ

ويجوز أن يكون المعنى إنا لانزوّجك إياها فان تزوجك إياها وأدٌ لها ، إذ

وإنَّ الَّتِى حُدِّثْتَهَا فِى أُنُوفِنَا وأَعْنَاقِنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيَا (١)

٦٤ — وقال زِيَادة الحارثى : (٢)

لَمْ أَرَ قَوْماً مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقَلَّ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِهِمْ فَخْرا (٣)

كان فى تزويجك إياها إضاعة لها ، وقال أبو محمد الأعرابى : يقول : لولا الإسلام وأنه منع من الوأد لوأدت بنتى مخافة أن يخطبها مثلك ، وابن كوز هو يزيد بن حذيفة ابن كوز أسدى أيضا

(١) الإباء : الكبر والنخوة ههنا ، يقول : إن أصابتنا السنة فنحن على ما كنا عليه من عزة النفس وشرف الهمة ، وقيل : معناه نحن على ما كنا عليه فى الجاهلية من الكبر والنخوة وإن كنا قد أسلمنا ، وقوله « فى أنوفنا » فى موضع المفعول الثالث حُدِّثْتَهَا . وقوله « كما هيا » فى موضع خبر إنَّ ، وما زائدة ، وأراد كهى : أى هى باقية بحالها ، ويجوز أن يكون هى مبتدأ . وكما فى موضع الخبر ، ويقولون : أنا كما أنت : أى تشابهنا ، ويكون « ما » نكرة غير موصوفة ، ويجوز أن يكون حذف صفته كأنه كما حدثته ، وإنما خص الأنوف والأعناق بالذكر لأنه يقال : فى أنف فلانٍ خُنْزُوَانَة ، وذَمَّ فلان بأنفه ، وأنفه أُنُفُ الليث ، إذا أرادوا الكبر والصعوبة ، وفى عنقه صَوَرٌ مثله

(٢) من بنى الحرث بن سعد أخو عذْرة ، قال [أبو] رياش : هو زيادة بن زيد من سعد هُذَيْم بن ليث بن سود بن أسْلُم بن الْحَاف بن قُضَاعة

(٣) الأول من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متواتر

ينتصب « خيرقومهم » على أنه بدل من قوله « قوما » ويجوز أن يكون صفة و « أقل » ينتصب على أنه مفعول ثان ، و« فخرا » ينصب على التمييز ، والضمير فى « به » يرجع إلى ما ذكره ودل عليه من قوله « خير قومهم » ومثله :

وَمَا تَزْدَهِينَا الْكِبْرِيَاءُ عَلَيْهِمُ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرَا (١)

وَنَحْنُ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ فَلاَ نَرَى لِأَنْفُسِنَا مِنْ دُونِ مَمْلَكَةٍ قَصْرَا (٢)

٦٥ — وقال ابنه مِسْوَرٌ حين عَرَضَ عليه سَعيدُ بن العاصي سَبْعَ دِيَاتٍ فأبى: (٣)

أَبَعْدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينَةِ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ (٤)

---

* إِذَا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ (١) *

وتقدير البيت لم أرخير قوم مثلنا أقل بذلك فخرا منا على قومنا ، والمعنى إنا لانبغى على قومنا ولا نتكبر عليهم ، بل نعدهم أمثالنا ونظراءنا فنباسطهم

(١) تزدهينا: تستخفنا ، وانتصب قوله «نزرا» على أنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال : نكلمهم كلاما نزرا . والأصل فى ازدهى ازتهى لأنه افتعال من الزَّهْوِ ، يقول : لايستخفنا الكبر على قومنا إذا كلمونا أن نكلمهم قليلا

(٢) القَصْرُ ههنا : الغاية ، يقال: قَصْرُكَ أن تفعل كذا ، وماء السماء : امرأة كانت فى حسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسميت به ، وماء السماء الملك سمى بذلك ؛ لأنه كان للناس بمنزلة المطر فى جوده ، يقول : نحن بنو مَلِكٍ فلا نرى لأنفسنا غايةً دون أن نكون ملوكا

(٣) ويقال : هى لعمه عبد الرحمن

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

ألف الاستفهام دخل ههنا على معنى الإنكار ، وتناول الفعل الذى فى صدر البيت الثانى؛ لأن ألف الاستفهام يطلب الفعل ، والمعنى أأذكر بالبقيا بعد المدفون بنعف هذا الجبل ، وهو ما استقبلك منه ، المرهونِ فى قبرٍ ذى تراب وجندل ، والنعف : اشتق منه انتعف له : أى تعرض ، والمناعفة : المعارضة من رجلين فى

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه

* وَخَافَ والسَّفِيهُ إِلَى خِلاَفِ *

أُذَكَّرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلِي (١)
فَإِنْ لَمْ أَنَلْ ثَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ بَنِي عَمِّنَا فَالدَّهْرُ ذُو مُتَطَوَّلِ (٢)
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ لَئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجَّلِ (٣)

طريقين ، وقوله «رهينة رمس» جعل رهينة اسما فلهذا ألحق بها الهاء ، والرمس : القبر ، والأصل فى الرمس التغطية ، يقال : رمسته فى التراب ، وقيل فى النعف : إنه المكان المرتفع فى اعتراض

(١) يقول : أُأْسام الْبُقْيا على من وَتَرنى ، و إبقائى عليه أنى أجهد فى قتله ولا أقصر ، والإبقاء لا يكون الجهد ، ولكن المعنى يكون هذا منى عوضا عن ذاك ، ومثله قول الآخر :

* تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ *

والبُقْيَا : اسم على فُعْلى مبنى من الإبقاء فى معناه ، والواو منه واو الحال ، ولو لم يأت به لكان الكلام على الاستئناف والانقطاع مما قبله ؛ ويقال : لا آلو فى كذا ، ولا آتلى : أى لا أقصر ؛ ولا آلو كذا : أى لا أستطيعه

(٢) يقول : إن لم أدرك ثأرى قريبا ففى الدهر تطاول ، وَمُتَطَوَّل : مصدر مثل تَطَوُّل ، وذكر اليوم والغد إشارة إلى تقريب الوقت فى المستقبل ، كما يقال فى الماضى : كان بالأمس يفعل كذا ، ونحو هذا فى المعنى قولهم : إنَّ مَعَ اليوم غَدًا ؛ قال الشاعر :

* فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ *

وقولهم : لم يفت من لم يمت

(٣) يدعو على نفسه بأن يُسْلَب الرياسة فلا يدعى للحروب والنوائب إن لم يجتهد فى الطلب بثأره فإما أن يُقْتَل و إما أن يظفر ، وهذا الكلام و إن كان لفظه لفظ الدعاء فالمعنى معنى القسم ، وقوله « أو أعجل » يريد لمثلها فحذف

أنخْتُمْ علَيْنَا كَلْكَلَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا علَيْكُمْ بِكَلْكَلِ (١)

يَقُولُ رِجَالٌ مَا أُصِيبَ لَهُمْ أَبٌ وَلاَ مِنْ أَخٍ أَقْبِلْ عَلَى الْمَالِ تَعْقِلِ (٢)

كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ ذِئَابٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يَدْرِ حَتَّى جِئْنَ مِنْ كُلِّ مَدْخَلِ (٣)

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَأَسْبَلْتُ عَبْرَةً مِنَ الدَّمْعِ مَا كَادَتْ عَنِ الْعَيْنِ تَنْجَلِى

٦٦ — وقال بعض بنى جَرْمٍ من طيىء (٤)

أَخَالُكَ مُوعِدِى بِبَنِى جُفَيْفٍ وَهَالَةَ : إِنَّنِى أَنْهَاكِ هَالاَ (٥)

---

(١) الكَلْكَل : الصدر ، وهو ههنا مثل ، وكذلك الإناخة ، وهذا الكلام تهدد فى أنه سيكافئهم على ما بدؤا به

(٢) يقول : يشيرون على بأخذ الدية ولم يصبهم ما أصابنى ، ولعلهم لو أصيبوا بما أصبت به لم تقنعهم الدية ، وقال بعض الحكماء : كُلٌّ حَلِيمٌ عند غضب غيره . ونحوه المثل السائر : وَيْلٌ للشَّجِى من الخلىِّ ، أى . لا يساعده على شجاه ويلومه .

(٣) ويروى « حتى جئن فى غير مدخل » أراد بالذئاب الأعداء ، وقوله « حتى جئن من غير مدخل » أى : من مداخل كثيرة ، ويقع فى بعض النسخ « ديات كثيرة » .

(٤) جَرْم : منقول من جَرَمْت : أى قطعت

(٥) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

قال أبو العلاء : يروى « أخالك » بفتح الهمزة . و « إخالك » بكسرها . فاذا فتحت الهمزة يحتمل وجهين ، يجوز أن يكون المراد بالهمزة الاستفهام دخلت على قوله « خالك » يعنى أخا الأم . والآخر من خِلْتُ ، و إخال فيه ضرب من الاستهانة . يقول : أحسبك تهددنى ببنى جُفَيْف وبهالة . ثم أقبل على هالة فقال : إننى أزجرك عن نصرة من يعادينى . ومثل هذا الكلام يسمى التفاتا ،

فَإِلاَّ تَنْتَهِى يَاهَالَ عَنِّى أَدَعْكِ لِمَنْ يُعَادِينِى نَكالاً (١)
إِذَا أَخْصَبْتُمْ كُنْتُمْ عَدُوًّا وَإِنْ أَجْدَبْتُمْ كُنْتُمْ عِيالاً (٢)

٦٧ — وقال آخر (٣) :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَوَالِدِهِ واللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ ومَاوَلَدَا (٤)

والعرب قد تجمع فى الخطاب والأخبار بين عدّة ثم تقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحد ؛ لكونه أكبرهم أو أحسنهم استماعا ، ويقال : خلت أخال ، وإخال طائية ، فكثر استعمالها فى ألسنة غيرها حتى صار « أخَال » كالمرفوض ، والهالة : الدارة حول القمر فى اللغة ، فاذا أنث خطابها فانه جعلها قبيلة ، وإذا ذكرها فعلى إرادة رجل هو أبو القبيلة ، وإذا جمع فعلى المعنى ؛ وفى جميع ذلك قد صرّف كلامه

(١) النَّكَال : اسم لما يجعل عِبْرَةً للغير ، ويقال : نَكَل يَنْكُل ونَكِل يَنْكَل : الأولى تميمية ، والأخرى حجازية ، يقول : إن لم تنتهى عنى أنزلت بك عقوبة يتّعظ بها من يعادينى ، و« تنتهى » أنثه على إرادة القبيلة

(٢) يصفهم بالأَشَرِ وَالْبَطَرِ وسوء الْحِفَاظ : أى إذا وَجَدتم سَعَةً عاديتمونا ، وإن أضقتم وضعتم كلكم علينا

(٣) قال أبو هلال : لم يذكر أبو تمام اسمه ، واسمه الحكم بن زهرة ، قال الجمحى : زهرة أمه ، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح أحد بنى مخاشن ابن عُصَيم . ثم أحد بنى زهرة بن قيس بن عمرو بن ثُرْمُلَةَ بن مخاشن بن شَمْخ ابن فزارة ، ويعرف بالحكم الأصم الفزارى ، وقال أبو رياش : هو لعُوَيف الْقَوَافى

(٤) الضرب الأول من البسيط . مطلق موصول مجرد ، والقافية متراكب وَبْر : ابن الأضبط ، قبيلة من كلاب ، وأصله دويبة كالهر تكون فى الجبال وتدجن

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيهِمُ أَمِنُوا   مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوَدَا (١)
وَاللُّؤْمُ دَاءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ   لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدَا (٢)

٦٨ — وقال آخر :

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي رَاشِدًا   وَصِنْوِي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ (٣)

فى البيوت ، والجمع وبار ، واللؤم : البخل مع دناءة الأصل ، وربما سميت الدناءة وحدها لؤما . فضَّل اللؤم فى اللفظ عليهم والقصد به إلى تفضيله على أخلاقهم : لأن الشرط تشبيه الأحداث بالأحداث والذوات بالذوات ، وإذا كان كذلك فقد حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : اللؤم أكرم من أخلاق وبر وأخلاق والده ، وقوله « والده » دخل فيه كل أب لهم ، كما دخل فى قوله « وما ولد » كل ولدهم ، وقال أبو هلال : يقول اللؤم نفسه أكرم من وبر ووالده وأولاده ، إن قيل : لم لم يقل ومَنْ ولدا ؟ قلت : أشار إلى الجنس ، و « ما » يقع للأجناس

(١) يقول : هم قوم إذا جرَّ واحد منهم جريرة أمن جميعهم لدقة أصولهم ولؤم أحسابهم أن يؤاخذ كلهم بها ، فكيف الواحد منهم ، كأنهم لا يعدون بَوَاءً بقتيل ، وَالْقَوَد : أن يقتل القاتل بالقتيل ، فيقال : أقدته به ، وإذا أتى الرجل صاحبه بمكروهة فانتقم منه بمثلها قيل : استقادها منه ، ونقله أبو تمام فقال :

أَمَّا الْهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ   وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ   عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

(٢) أى : داؤهم الدناءة يقتلون به دون غيره من الأدواء ، وهذا مأخوذ من قولهم : العيوب مقاتل

(٣) من المتقارب الثالث ، مقيد مجرد ، والقافية متدارك

بِأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيجُ الْجَلِيلَ   وَأَنَّ العَزِيزَ إِذا شَاءَ ذَلّ[1]

« قديما » انتصب على الظرف لقوله « خُلّتى » والمراد أبلغا خليلى قديما راشدا ، وصنوى إذا ما انتسب ، وَالصِّنوان : الفرعان يخرجان من أصل واحد ، ويقال للأخوين : هما صنوان ، تشبيها بذلك ، وَعَمُّ الرجل صِنْوُ أبيه ، يقال : صِنْوٌ وَصِنْوانِ فى التثنية وَصِنْوانٌ فى الجمع ، ولا يعرف له نظير إلا قِنْوٌ ، وقوله « اتصل » أى : انتسب ، وهذا يدل على أن راشدا من أهله ، وإذا كان هكذا كان قوله « قديما » عيبا ؛ لأنه لا يقال : إن زيدا من أهلى أو من بنى أعمامى قديما ، والصواب أن معنى « اتصل » قال : يا لفلان ، وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم « من اتصل فأعضّوه » أى : من قال يا لفلان . وقال الأعشى :

إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ أَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ   وَبَكْر سَبَتْهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ

وقال أبو عبيدة : من ذلك قوله تعالى : (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) وإنما أراد أبلغه إذا اتصل ولم يرد أنه صنوى إذا اتصل أو أنه صنوى قديما ، وإنما أراد خلتى قديما ويجوز أن يكون صنوى إذا اتصل : أى انتسب لأن نسبى مثل نسبه فى الشرف فهو مثلى إذا انتسب

(١) الباء دخلت للتأكيد ، وموضع أن مفعول ثان من أبلغا ، يقول : أبلغاه أن صغير الأمور يجنى الكبير ، وأن العزيز من الرجال متى أراد عاد ذليلا[1] بأن يَعْدُو طَوْره ويستعمل ما لا يهمه ولا يعنيه ، ومثله : الشَّرُّ يَبْدَؤُه صِغَارُه ، وَالْحَرْبُ أَوّل ما تكون فتية ، وكم مَطَر بدؤه مُطَير : أى إن لم تتدارك الصغير صار جليلا

(١) قال أستاذنا المرصفى رحمه الله فى كتابه « أسرار الحماسة » صواب هذا البيت

بأن الدقيق يهيج الجليل   وأنَّ العزيز إذَا سَاءَ ذل

وجعل « ساء » بالسين المهملة

وَأَنَّ الحَزَامَةَ أَنْ تَصْرِفُوا لِحَيٍّ سِوَانا صُدُورَ الْأَسَلْ[1]

فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدْتَنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فخَلْ[2]

٦٩ — وقال بعض بنى أسد[3] :

كِلا أخوينا إنْ يُرَعْ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِى جامِلٍ دَثْرٍ وَجَمْعٍ عَرَمْرَمِ[4]

---

(١) الأسل : الرماح . قال بعضهم : معناه أن ذل الغريز فى محاربة قومه ، وذلك أنه إذا حاربهم فغلبهم فتَّ فى عضد نفسه ، وإن غلبوه لم يجد من ينصره عليهم

(٢) يقول : إن رُمتَ سيادتنا من وجهها سدت ، وإن كنت للكبر فاذهب واحسب أنك سيد فإنك لا تكون . هذا إذا رويت «خَالْ» بفتح الخاء . وإن رويت «خُلْ» بضمها فالمعنى اذهب وتكبر فإنا لا ننقاد لك والعرب تقول : سيد القوم أشقاهم قال

وَإِنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمْ ذُرًا صَعْدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ

ويقال فى الكبر : خَالَ يَخُول وَيَخَال خَوْلاً وَخَالاً ، وفى الظن خَالَ يَخَالُ لا غير ، وقوله «فاذهب» أمر من قولهم : ذهب يقول كذا ، وعلى هذا قوله :

* فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ[1]

وكذلك قولهم للغريم : قم فأعطنى حقى ، فالأمر فى الحقيقة بالعطية لا بما سواه وأجرى مجراه قولهم : أخذ يتمسك بكذا ، ويتحدث بكذا ، وجعل يشتمه ، وقام يهزأ به ، وقعد يظن أنه أمير ، وليس القصد إلى فعل القيام والقعود ، ولكن زيادة بالتصوير للحال والتأكيد للقصة

(٣) واقتتل فريقان من قومه على بئر ادعاها كل

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

---

(١) هذا عجز بيت وصدره : ـ

* فاليوم قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا *

كلاَ أَخوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَأَنَّهُمْ أُسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَيْغَمِ (١)
فَمَا الرُّشْدُ فِى أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَئِيساً وَلاَ أَنْ تَشْرَبُوا المَاءَ بِالدَّمِ (٢)

٧٠ — وقال حُرَيْث بن عَنّابٍ النبهانى : (٣)

يقول : كلا صاحبينا إن يفزع يستغث بقوم ذوى عدد وعدة ، والجامل : الإبل ، وهو اسم صيغ للجمع ، وهى ذكور الإبل وإناثها ، والجمال : ذكورها ، وَالدَّثْر : الكثير ، والعرمرم : الجيش العظيم ، وَعُرَام الجيش : حدهم وكثرتهم ، وانتصب «ذوى» على الحال ، والجزاء مع جوابه خبر المبتدأ ، وهو كلا ، يقول : كلا أخوينا إذا فزع دعا قومه لنصرته . وهذه صفتهم فى الكثرة ، يريد أنه إذا دعاهم أعانوه بأنفسهم وأموالهم

(١) الشَّرَى : موضع تنسب إليه الأسود ، والأغلب : الغليظ العنق ، والضيغم : فيْعَل من الضَّغْم ، وهو العض ، وكلا موحد اللفظ موضوع للمثنى ، لكن المراد به هنا كل واحد

(٢) يقول : ليس الرشد أن يقتل بعضكم بعضا فتختلط مياهكم بالدماء ، وهو كقول جرير :

فَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمُجُّ دِمَاءَهَا بِدَجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دَجْلَةَ أَشْكَلُ

ويجوز أن يكون المعنى ليس من الرشد أن تقتلوا على هذه فيختلط شربكم منها بالدماء ، ويجوز أن يكون المعنى إنه ليس من الرشد أن تشربوا الماء بما يراق من دمائكم . فكأن الدم ثمن الماء ، والبئيس : يكون مصدرا كالبُؤْس ويوضع فى مقابلة النعيم ، ويجوز أن يكون بعد قوله بنعيمكم حذف ، كأنه قال : تشتروا بنعيمكم عيشاً بئيسا ؛ والبئيس أيضا الشديد

(٣) قال أبو الفتح : حُرَيث : تصغير حارث ، وعناب : اسم مرتجل غير

تعالَوْا أُفَاخِرْكُمْ أَأَعْيَا وَفَقْعَسٌ ... إلى المَجْدِ أَدْنَى أَمْ عَشِيرَةُ حاتِمِ (١)

إلى حَكَمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ فَيْصَلٍ ... وآخَرَ مِنْ حَيَّيْ رَبِيعَةَ عالِمِ (٢)

منقول ، وهذا أحد الأمثلة التى جاءت على فَعَّالٍ اسما لاصفة ، وهى الكَلاَّء والجُبَّان وَالفَيَّاد ذكر البوم وَالجُيَّار فى الصدر ، وهو أيضا الصاروج ، وَالعَقَّار أحد الأنبتة ، وَعَنَّاب هذا الرجل ، وَالخَطَّارُ دُهْن طيب ؛ ويجوز أن يكون عَنَّاب من العِنَب كتَمَّار من التمر وعَطَّار من العِطْر فيكون منقولا إذا . وقال أبو العلاء : نَبْهَان : عَبْدٌ كفل أبا هذا الحى من طىء فسمى نبهان ، ونبهان : من تنبه النائم ، ولا يمتنع أن يكون من النباهة ضد الخمول

(١) الثانى من الطويل . مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

بنو أعيا : بن طريف بن عمرو بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، وبنو فقعس : حى من بنى أسد . وأسد وطىء حليفان ؛ وقال المرزوقى : وروى بعضهم « أعيار فقعس » وزعم أن أعيا لايعرف اسم قبيلة ، وأن هذا تصحيف استدركه فأما إنكاره لأعيا قبيلة فلا وجه له لأن بنى أعيا من قبائل سعد بن قيس ، وهو مشهور ذكره النسابون وغيرهم ، وهب بن أعيا بن طريف الأسدى معروف معدود فى الأعلام ، وأما من طريق النظم فلأن تكون القبيلة مقابلة بمثلها ومذكورة فى المنافرة معها أحسن من أن تقابل الأفراد بالقبيلة ، وأعيار : إشارة إلى الأفراد يراد بها الرؤساء ، يقال : هو عير قومه : أى سيدهم ، والنسخ كلها متفقة على « أعيا وفقعس »

(٢) قيل : عَيْلاَن بالعين غير معجمة جبل ولد عنده قيس فنسب إليه ، وليس بأب ؛ وقيل فيه غير ذلك ، وقالوا : أراد بأحد الحكمين عامر بن الظَّرِب وبالآخر دَغْفَلاً النسابة ، وَالفَيْصَل : الذى يفصل الأمور ، والياء دخلته لتلحقه ببناء جعفر ، كما أن الضيغم فَيْعَل من الضغم ، والبناآن لحصول الياء فيهما صارا صفتين بعد

أن كانا مصدرين لأن أصلهما الفصل والضغم فلما حصلت الياء فيهما وصف بهما وأفادا مبالغة فى المعنى ، ألا ترى أن فَيْصَلا يفيد مالا يفيده فاصل ، وكذلك ضيغم يفيد مالا يفيده ضاغم ، وقوله « أأعيا وفقعس » استفهام فى الأصل نقل عن بابه ، والمعنى أُنَاغِركم بالقضية التى يكون نتيجتها هذا الاستفهام إلى حكم ، ولم يُثَنِّ « أدنى » وإن كان خبرا عن الاثنين لأنه أفعل الذى يتم بمن ، وقد دخل عليه الاستفهام ، فيجب أن يستوى فيه الواحد والاثنان والمذكر والمؤنث ، وهذا الكلام لو أتى به على وجهه لكان أم عشيرة حاتم أدنى إلى المجد منهم ، لكنه حذف إذ كان [هذا] المراد مفهوما ، وقال النمرى : الحكم من قيس عَيْلان عامر بن الظَّرِب العَدْوانى ، والآخر الذى هو من حي ربيعة دَغْفَلٌ ، وحيا ربيعة بكر وتغلب ، ورجل واحد لا يكون من حيين ، وإنما يريد من أحد حيي ربيعة . كقوله تعالى : (على رجل من القريتين عظيم) والقريتان : مكة والطائف ، وكقوله : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وهذان يخرجان من البحر الملح ، فان قال قائل : إنما أراد أن أباه من تغلب وأمه من بكر فهو من الحيين ، تقول على هذا لمن ولده العباس وعلى عليهما السلام من قبل أبيه وأمه : هو عباسى علوى ؛ فانما ضاق عَطَنه عما ذكرناه ، على أن هذا وجه صحيح ، قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل : كَثْرَةُ الإسهاب من الإعجاب ، كيف يكون الحكم من قيس عيلان ههنا عامر بن الظرب العدوانى وهو قبل الإسلام بمائتى عام ، ومتى لحقه حُرَيْث بن عَنَّاب وهو فى عصر عمر بن الخطاب ؟ وبعد ذلك إلى زمن معاوية ؟ وإنما عنى بالحكم من قيس عيلان هَرِمَ بن قُطْبَة ابن سَيَّار بن عمرو الفزارى ، والحكم من حي ربيعة دَغْفَلاً النسابة ، وحيا ربيعة ذهل بن شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة ، وهو عم ذهل بن شيبان وعم الرجل أبوه

ضَرَبْنَاكُمُ حَتَّى إذَا قَامَ مَيْلُكُمْ ... ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِبِيضٍ صَوَارِمِ (١)

فَحُلُّوا بِأَكْنَافِى وَأَكْنَافِ مَعْشَرِى ... أَكُنْ حِرْزَكُمْ فِى الْمَأْقِطِ الْمُتَلَاحِمِ (٢)

فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِى أَبِى أَنْ أُضِيفَكُمْ ... إِلَيَّ وَأَنْهَى عَنْكُمُ كُلَّ ظَالِمِ (٣)

٧١ — وقال إبراهيم بن كُنَيْفٍ النَّبْهَانِىُّ : (٤)

---

(١) «قام ميلكم» تعنى تقوّم ، وترك الخلاف ، يقول : ضربناكم حتى إذا استقمتم ضربنا أعداءكم بسيوف قواطع ، يدل بذلك على قدرتهم عليهم وعلى غيرهم

(٢) المأقط : المضيق فى الحرب ، والمتلاحم : يجوز أن يكون من الالتحام لأن كل شىء كان متباينا ثم تلاءم يقال فيه : التحم ، وتلاحم ، ويجوز أن يكون من الملحمة لأن أهلها يتلاحمون فيها ، يقال : لحمته فهو لحيم ، يقول : حلّوا بناحيتى وناحية معشرى نكن لكم حِرْزًا فى الحروب

(٣) «أضيفكم إلى» أى : أضمكم ، ومنه اشتقاق الضيف : لأنه يضاف إلى الأهل فيُعَال معهم ، يقول : قد كان أوصانى أبى بضمكم إلىّ وزجر من أراد ظلمكم عنكم

(٤) قال أبو العلاء : إبراهيم : اسم قديم ليس بعربى ، وقد تكلمت به العرب على وجوه ، فقالوا : إبراهيم وهو المشهور ، وإبراهام وقد قرىء به ، وإبراهم على حذف الياء ، وإبرهم ، ويروى أن عبد المطلب قال :

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِمُ ... مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَهْوَ قَائِمُ

وروى لعبد المطلب أيضا :

نَحْنُ آلُ اللهِ فِى كَعْبَتِهِ ... لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ أَبْرَهَمْ

والكنف فى اسم الرجل مأخوذ من الكنف المعروف ، وإذا قيل : كُنَيْفٌ جاز أن يكون تصغير الكَنَف من قولهم : هو فى كنف فلان : أى يكنفه ويحوطه ، من الكنف المعروف

تَعَزَّ فإنَّ الصَّبْرَ بالْحُرِّ أَجْمَلُ ... وَلَيْسَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ(١)
فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أنْ يُرَى الْمَرْءُ جَازِعاً ... لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي التَّذَلُّلُ
لَكَانَ التَّعَزِّي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ... ونَائِبَةٍ بالْحُرِّ أوْلَى وَأَجْمَلُ(٢)

---

(١) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

التعزى : التصبر ، والعزاء : الصبر ، يقال : عزا الرجل عزاء ، إذا صبر ، ورجل عزىّ : أى صبور ، وفى بناء تَفَعَّلَ زيادة تكلف ، والخطاب للنفس على طريق التسلية ، يقول : تصبر فإن الصبر بالرجل الكريم أحسن من التخشع فيما لا يحسن الخضوع فيه وله ، والأصل فى الصبر الحبس ومنه قولهم : قتل فلان صبرا ، وقوله :

* وليس على ريب الزمان مُعَوَّلُ *

المعول : المحمل ، يقال : عوّلت على فلان ، إذا حملته شيئا من أمرك ، والمعول : الْمُتَّكَل ، يقال : عوّل علىّ : أى اتكل علىّ ، وعوّل علىّ : أى احمل علىّ ماتريد ، والْعَوْلُ : شدة الأمر إذا تفاقم وزاد ، ومنه عَوْلُ الفريضة إذا زادت عولا ، ويجوز أن يكون من «عالنى الأمر» إذا أثقلنى وغلبنى ، فأما العالة وهو نحو الخيمة من الشجر فيجب أن يكون من الزيادة ، ويقال : عَوَّلَ الراعى ، إذا اتخذ عالة ، وقيل : إنه يعمد إلى أغصان شجرة فيشدّها إلى أغصان شجرة تقاربها ثم يظللها بما يَعْضِدُ من الحطب ، قال عبد مناف بن ربْعٍ الهذلى:

الطَّعْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ ... ضَرْبَ الْمُعَوِّلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَضَدَا

(٢) إذا جعلت «كان» لاضمير فيها ففى البيت ضرورتان : إحداهما إسكان الياء من التعزى ، وهو فى موضع نصب ، لأن التعزى خبر كان ، والأخرى أنه جعل اسم كان نكرة وهو قوله « أولى وأجمل » وخبرها معرفة ، وذلك قوله

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ   وَمَا لِامْرِئٍ عَمَّا قَضَى اللهُ مَزْحَلُ (١)
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ   بِبُؤْسَى وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ
فَمَا لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً صَلِيبَةً   وَلَا ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِى لَيْسَ تَجْمُلُ (٢)

التعزى ، والنحويون يجيزون أن يضمر فى كان الشأن والقصة ثم يقع الابتداء بعدها والخبر ، وقلما يذهب العرب إلى هذا الوجه ، وعليه أنشدوا قول العُجَيْر السلولى :

إِذَا مُتُّ كَانَ النَّاسُ نِصْفَانِ شَامِتٌ   وَآخَرُ مُثْنٍ بِالَّذِى كُنْتُ أَصْنَعُ

يقول : لو كان فى الجزع منفعة لما كان يحسن ، وكان الصبر أحسن منه ، فكيف وليس فيه منفعة وهذا البيت يوضحه

(١) يعدو : يتجاوز ، عداه يعدوه وتَعَدَّاه يتعدّاه ، ومَزْحَل : مبعد ، يقال : زحل يزحل زحلا ، إذا تباعد ، أى : لا يجاوز أحد ماقدره الله عليه وليس له عنه مبعد ، ومن ههنا أخذ ابن الرومى وأحسن :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُوداً وَعَنْهُ مَذَاهِبُ   فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ   وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجَبُ
فَشَدَّ امْرُؤٌ بِالصَّبْرِ كَفًّا فَإِنَّهُ   لَهُ عِصْمَةٌ أَسْبَابُهَا مَا تُقَضَّبُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجِى لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ   نَوَائِبُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ مَهْرَبُ

(٢) العرب تضرب المثل بالقَنَاة فيقولون : قناة بنى فلان صُلْبَة : أى هم أعزاء أشداء ، وقناتهم خَوَّارَة : أى هم ضعاف أذلة ، قال :

كَانَتْ قَنَاتِى لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ   فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ

وقالت امرأة من العرب :

إِذَا قَنَاةُ امْرِئٍ أَزْرَى بِهَا خَوَرٌ   هَزَّ ابْنُ سَعْدٍ قَنَاةً صُلْبَةَ الْعُودِ

وَلَـكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً تُحَمَّلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ (١)
وَقَيْنَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هُزَّلُ (٢)

٧٢ — وقال آخر :

وَكَمْ دَهِمَتْنِي مِنْ خُطُوبٍ مُلِمَّةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعِ (٣)

وقوله « والحوادث تفعل » يسمى اعتراضا ، والمعنى أنها تفعل الأفعال المعروفة والمنكورة ، وتأتى باللين والصعوبة ، ومثل هـذا من الاعتراض يزيد القصة تأكيدا ، وهو هنا حائل بين الجزاء وجوابه : لأن جواب «إن تـكن» قوله «فما لينت منا قناة صليبة » أى : لم يلينا الدهر بتصرفه علينا

(١) يجوز أن يـكون معنى « رَحَلْنَاها » رحلنا لها ، والضمير للحوادث ، ويكون كقولهم : كِلْتُكَ وَكِلْتُ لَكَ ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لك ، ويـكون « نفوسا » مفعولا لرحلنا ، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب فى رحلناها للنفوس ، على أن يكون مفعولا ، وأتى بالضمير قبل الذكر ثم جعل قوله « نفوسا » بدلا منها على طريق التبيين ، والمعنى رحلنا أنفسنا الـكريمة ثقل الدهر ، من قولك : رحلت البعير ، إذا وضعت عليه الرحل

(٢) كأنه أراد فصحت لنا الأعراض بحسن صبرنا وأعراض الناس هُزَّلٌ لقلة صبرهم على الشدائد التى نحن نصبر عليها

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

دهمتنى : فاجأتنى ، يقول : مرارا كثيرة فاجأتنى خطوب شديدة ، وموضع « كم » على هذا ظرف ، و « من » زائدة على طريقة الأخفش ؛ لأنه يجوز زيادة من فى الواجب ، ويستدل بقول بعضهم : قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ نخل عنى ؛ فكأنه قال : كم مرة دهمتنى خطوب كثيرة ، ويـكون قوله « صبرت عليها » صفة للخطوب ،

فَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَالَّذِي قَدْ فَعَلْتُمُ قَلائِدُ فِي أَعْنَاقِكُمْ لَمْ تَقَطَّعِ [(١)]

٧٣ — وقال عُوَيْفُ القَوَافِي الْفَزَارِي [(٢)]

ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُوَّادُ [(٣)]

ويجوز أن يكون « كم » فى موضع الابتداء ، و« من خطوب » هو بيان له ، وقد فصل بينهما بخبره وهو دهمتنى ؛ وتقديره كم من خطوب دهمتنى : أى كثير من الخطوب دهمتنى ، وفائدة العطف بثم من قوله « ثم لم أتخشع » إبانة الاستمرار فى الصبر إلى أن انكشفت تلك الخطوب ، والخطوب : الأمور العظام الواحد خَطْبٌ ، وقيل : إنه اسم الأمر المكروه دون المحبوب . وقيل : هو المحبوب والمكروه جميعا ، والملمة : من قولهم : أَلَمَّ به ، إذا أتاه ، يقول : حمات فوادح الدهر فلم أخضع ، والتخشع : الخضوع

(١) «الذى قد فعلتم » يعنى من القعود عن نصره ، وقوله « فى أعناقكم لم تقطع» نحو قوله تعالى : (سَيُطَوَّقُونَ مابخلوا به يوم القيامة) وهم يشبهون العار اللازم الذى لا يفارق أصحابه بالقلادة فى العنق ، ويقولون : تقلد الأمر ، إذا ألزمه نفسه وَالْمُقَلَّد : السيد قُلِّد أمور قومه

(٢) قال أبو رياش : وكانت أخته عند عيينة بن أسماء فطلقها ، فكان مراغما لعيينة ، وقال : الحرة تطلق لغير باس ، فلما أخذ الحجاج عيينة فحبسه قال عُوَيْفٌ ، وهو تحقير عوف ، وهو الحال ، ويقال الذكر ، ومنه : قيل نعم عوفك : أى حالك ، ويقال : ذلك أيضا للبانى بأهله ، كأنه كناية عن الذكر

(٣) الثانى من الكامل ، مطلق موصول مردف ، والقافية متواتر

الرقاد والرقود : النوم بالليل ، وعرّف الأول تعريف الجنس ، ونكّر الثانى لأنه أراد نوعا من الجنس ، كأن المراد ذهب النوم على اختلافه حتى مايرى لنوع

خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعٌ ... كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ
بَلَغَ النُّفُوسَ بَلاَؤُهُ فَكَأَنَّنَا ... مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ(١)
يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوَ أَنَّهُمْ ... لاَ يَدْفَعُونَ بِنَا الْمَكَارِهَ بَادُوا(٢)
لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ ... أَمْسَى عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الْأَقْيَادُ(٣)

منه مختص أثر مما شجاك : أي حزنك : أي اختصصت بما عرى منه عوادك

(١) الأجساد ههنا : جمع جَسَدٍ ، وهو الدم ، قال النابغة :

* وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ *

أى : وفينا الروح والدم ، ولوا كتفى بأحدهما جاز ، ولكن أراد التأكيد وبلاؤه يعنى بلاء الخبر

(٢) بادوا : هلكوا ، والبائد : الهالك ، أي يرجون هلاكنا ولولا مكاننا هلكوا ، ويقال : عثر جَدُّ فلان ، إذا ذهب أمره وهلك

(٣) «لما» ظرف لقوله «نحلت له نفسى» فى البيت الذى يليه ، لأن لما إذا وليه الفعل الماضى كان علما للظرف وفسر بحين ، وقوله « تظاهر الأقياد » أي : يكون بعضها فوق بعض ، ومنه قولهم : ظَاهَرَ بين دِرْعَيْن ، إذا لبس الواحدة منهما فوق الأخرى ، قال علقمة بن عَبَدَة :

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا ... عَقِيلاَ حُرُوبٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ

وقوله «تظاهر» يريد تتظاهر ؛ يعنى قيدا فوق قيد كأنهما تعاونا عليه ، من قولهم : ظاهرت فلانا إذا عاونته ، فانا ظَهِيره كقولك عاشرته فأنا عَشيره ، ويجوز أن يكون من قولهم : ظهر فوق البيت إذا علاه ، وقوله « تظاهر فوقه الأقياد » والأقياد لا تكون فوق الإنسان ، وإنما أراد أنها قد غلبته وقهرته ، من قولهم : أتاه من فوق ومن علو : أى قهره ، وقرب منه « إن الجبان

نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ ... عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ (١)
وَذَكَرْتُ أَيَّ فَتًى يَسُدُّ مَكَانَهُ ... بِالرِّفْدِ حِينَ تَقَاصَرُ الْأَرْفَادُ (٢)

حَتْفه من فوقه» أي : هو قاهره وغالبه وغير منجيه منه جبنه ، ويجوز أن يكون «تظاهر من فوقه الأقياد» أي فوق جسمه ، وقولهم «إن الجبان حتفه من فوقه» أي : هو مقدر يأتيه من فوقه ، والناس يقولون : إن المقادير تنزل من السماء

(١) «نخلت له» أي : خلصتها له وجاءت بصريحها كالشيء الذي ينخل بالمنخل فيؤخذ جيده وخياره ، ومنه «تنخلت الشيء» إذا اخترته ، ويجوز أن يروى «أنه عند الشدائد» و«إنه» بفتح الهمزة وكسرها ، فإذا روى بالفتح كان المعنى لأنه ، وإذا روى بالكسر كان على الاستئناف ، ومثل قوله «عند الشدائد تذهب الأحقاد» قول القَطَامى :

* وَتَرْفَضُّ عِنْدَ الْمُحْفِظَاتِ الْكَتَائِفُ *

والكتائف : العداوات ، يقول : إن العدوات تذهب عند المصائب ، هذا وجه فى شعر الكميت[(١)] ، والجيد فى معنى بيت الكميت أن يكون شبه القبائل التى تنصر الرجل من غير بنى أبيه بالضبات التى يُلأم بها الإناء ، ونصرة هؤلاء إذا احتيج إليها ضعيفة ليست كنصرة عشيرة الرجل

(٢) مصدر ذكرت هذا الذُّكر بضم الذال لأنه بالقلب ، وقوله «بالرفد» يريد ببذل الرفد ، فحذف المضاف ، يقال : رَفَدْتُ الرجل أرْفِدُه رفدا ، إذا أعطيته ، ثم سميت العطية رِفْداً بكسر الراء ، وجمعه الأرفاد ، وأرفدته محكى لكنه ليس بالمتخير ، و«تقاصر» أى : تتقاصر ، فحذف إحدى التاءين تخفيفا ، وهو فى موضع الجر لإضافة حين إليه

(١) لم يجر للكميت ذكر ، ولعله يريد القطامى ، وصدر هذا قوله :

* أَخُوكَ الَّذِى لاَ يَمْلِكُ الْحِسَّ نَفْسُه *

أَمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كَرَائِمَ مَالِهِ ... وَلَنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ [1]

٧٤ — وقال بشر بن المغيرة [2]

---

(١) أى : من يبذل لنا خيار ماله ويكون لنا عنده معاد إذا عدنا بعد هذا المذكور ، وأم هذه هى المنقطعة ، والاستفهام دخل الكلام على طريق التوجع والتلهف لما جرى على عيينة المذكور ، وكرائم : جمع كريمة ، وقد أجرى مجرى الأسماء حتى جاء فى الحديث « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » والمعاد يكون موضعاً ومصدراً ووقتاً ، وإهانة المال تكون بالبذل والنحر للضيفان

(٢) وهو ابن أخى المهلب بن أبى صفرة : البشر : الطَّلاقة ، ويروى أن اسمه كان بُسْرا ، والبُسْر : الغَضّ من كل شىء ، وهو أيضا الماء القريب العهد بالسحاب ، وقولهم فى المُغيرة المِغيرة ليس من باب شِعير وبِعير وشِهيد ، وحكى أبو زيد من هذا قول بعض العرب الجنة لمن خاف وِعيد الله ، وليس المِغيرَة من هذا ، وذلك أن الإتباع فى هذا إنما هو فى المفتوح الأول ، فأما المُغيرة فانها اسم الفاعل من أغار فأولها مضموم ، والكسر فى أولها شاذ ، وإنما هو بمنزلة قولهم : مِنْتِن ومِنْخِر ، وهذا لا يقاس ، وباب شِعير ورِغيف وضِئِيل يقاس كله ، والمُهَلَّب : مُفَعَّل من « هَلَبْتُ ذَنَبَ الفرس » أى : أخذت هُلْبَه : أى شعره ، كأنه صفة منقولة ، ورجل من العرب يقال له الهُلب [1] ، وذلك لأنه كان أقرع فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه فنبت شعره ، فسمى الهُلبَ ، وهذه صفة غلبت عليه كالصَّعِق

---

(١) فى القاموس « والهلب : لقب أبى قبيصة يزيد بن قنافة الطائى ، يضمه المحدثون وصوابه ككتف كان أقرع فمسحه النبى صلى الله عليه وسلم فنبت شعره » اهـ

جَفَانِى الْأَمِيرُ وَالْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا ... وَأَمْسَى يَزِيدُ لِى قَدِ ازْوَرَّ جَانِبُهُ (١)

وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعًا لِبَطْنِهِ ... وَشِبْعُ الْفَتَى لُؤْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ (٢)

فَيَاعَمِّ مَهْلاً وَاتَّخِذْنِى لِنَوْبَةٍ ... تَنُوبُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهُ (٣)

أَنَا السَّيْفُ إِلاَّ أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً ... وَمِثْلِى لاَ تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ (٤)

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

أراد بالأمير المهلَّبَ بن أبى صُفْرة ، والمغيرة أخوه ، ويزيد ابنه . وقائل هذا بشر بن المغيرة ، وهو أحد الفرسان المشهورين ، فيقول : جفانى عمى المهلب وأبى المغيرة وصار ابن عمى يزيد لاقتدائه بهما منحرفا عنى غير مائل إلى ، والازورار: الانحراف ، وهو من الزَّوَر نتوء أحد شقى الصدر واطمئنان الآخر

(٢) شِبْع الرجل : قدْرُ ما يشبعه من الطعام ، والشِّبَع : الانتهاء والامتلاء من الطعام ، والشِّبْع لا يكون لؤما إنما الانفراد به دون مَنْ له حاجة إلى الطعام لؤم ، فقال «وشبع الفتى لؤم» لأن المراد به يعرف منه وبما بعده ، ومنهم من لا يفرق بين الشِّبْع والشِّبَع فلذلك استعمل الشِّبْع ههنا موضع الشِّبَع واستُعْمِل الشِّبْع فى غير الطعام فقالوا : صِبْغ مُشْبَع ، وتَشَبَّع الرجل : تكبر

(٣) قال الأصمعى : مَهْلاً زجر ، أصله مَهْ زيدت عليه لا ، والنوبة : النائبة ، يقول: اتخذنى لنوبة فإن الدهر لا تؤمن بوائقه ، قد يُحْتَاج إلى المستغْنَى عنه لنائبةٍ تحْدُث ، وحذف الياء من قوله «ياعم» لوقوعه موقع ما يحذف فى هذا الباب ، وهو التنوين ، ولأن الكسرة تدل عليه

(٤) المضارب : جمع مَضْرِب ، وهو الموضع الذى يضرب به من السيف ، بكسر الراء ، والمَضْرَبُ بالفتح المكان والمصدر (١) والضريبة : الموضع الذى تقع فيه الضربة

(١) كذا فى الأصول كلها ، وقد يخطر لك أن كلمة «المكان» زائدة وأنه لا محل

من جسد المضروب ، والنُّبُوّ : أن يَرْتَدّ السيف عن الضريبة من غير تأثير فيها ،

وكان بشر بن (١) المغيرة بخراسان مع المهلب فلم يولّه شيئا ، فقال :

مَاخَيْرُ أَرْضٍ لاَتُصِيبُ بِهَا ... مَالاً وَلاَ قَرْضاً وَلاَ فَرْضَا

أَمُغِيرَ هَلْ لَكَ فِى مُصَالَحَتِى ... إِنَّ الضَّغَائِنَ تَمْنَعُ الْغُمْضَا

أَجَعَاتَ صَفْوَةَ مَاأَصَبْتَ لِغَيْرِنَا ... وَتَرَى الزَّمَانَ يَعُضُّنَا عَضًّا

فى أبيات ، ثم قال «جفانى الأمير ـ الأبيات» فوصله المغيرة وكلّم المهلب فيه فولاه كُورة

٧٥ — وقال بعض بنى عَبْد شمس من فقَعْس :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعًا ... قُولاَ لِسِنْبِسَ فَلْتَقْطُفْ قَوَافِيهَا(١)

(١) الثانى من البسيط ، مطلق مجرد موصول بخروج ،قال أبو العلاء: قول أبى رياش يدل على أن « تقطف » من قَطَف الثمرة ، وأن الياء فى قوافيها فى موضع نصب ، وهو وجه حسن و يصرف على معنيين : أحدهما أن يجعل القَطْف مثل القطع ، يقول : لتدع قول الشعر فيما بيننا و بينها ؛ فان الحرب أكبر أمرًا من الهجاء والآخر ـ وهو الذى ذكره النمرى ـ أن يكون القطف من قطف الثمرة ، ويحمل الغرض على قولهم : اجْنِ ماغَرَسْتَ وكل أيها الصائد لحم قَنَصِكَ : أى إن فعلنا بهم شرا فهو جناية قوافيهم عليهم ، وهذا قول حسن جدا ، إلا أن مابعده يدل على أنهم لم يجازوهم بعد ، لقوله :

لها ، وأن أصل العبارة هكذا «والمضرب بالفتح المصدر » اعتمادا على أن هذا هو القياس المعروف فى العربية ؛ لكن ورد فى القاموس : « والمضرب والمضربة حد السيف ، وتكسر راؤهما » فهذا نص على أن المكان تفتح فيه الراء ، لأن الحد هو مكان الضرب

(١) وقع فى الأصول كلها ههنا « بسر بن المغيرة » بالسين المهملة ، وقد نبه الشارح رحمه الله على أنه يروى أن اسمه بسر ، ولكننا رأينا أن نعجمها ليسير الكلام مطردا على منهج واحد

إنّي امْرُؤٌ مُكْرِمٌ نفسي ومُتّئِدٌ ... مِنْ أنْ أُقاذِعَها حتّى أُجازِيَها (١)

لمّا رأَوْها مِنَ الأجْزاعِ طالِعةً ... شُعْثًا فوارِسُها شُعْثًا نَواصِيها (٢)

لاذَتْ هُنالِكَ بالأشْعافِ عالِمةً ... أنْ قدْ أطاعَتْ بلَيْلٍ أمْرَ غاوِيها (٣)

---

* إنى أمرؤ مُكْرِمٌ نَفْسى وَمُتّئِدٌ * البيت

ولا يمتنع أن يكون قوله « فلتقتطف قوافيها » من قِطَاف الدابة ، وهو أن تقارب الخطو ، ويكون « قوافيها » فى موضع رفع ، والمراد يُتقلّ من المقال فإنهم قد اتّسعوا فيه ، وضَرَب القِطَاف مثلا لـكفهم عن بعض القول ، ومن أمثالهم : لأَلْحَقَنَّ قطوفَهَا بالوَسَاع ، والوَسَاع : الواسعة الخطو ، وإن رويت « فلتُقْتَطف » بضم التاء فهو وجه جيد ، ويكون قوافيها فى موضع نصب من قولهم « أَقطَفْتُ الدابة » إذا حملتها على القطاف . ومن جعل الفعل للقوافى وجعله من قطاف الدابة جاز أن يروى فلْتَقْتَطِفْ بكسر الطاء وضمها ، ومن قطف الثمرة فلْتَقْتَطِف بكسر الطاء ، والقِطْفُ : المقطوف

(١) المتئد : من التؤدة ، وهى الأناة فى الأمر والتمـكث فيه ، وقوله « من أن أقاذعها » التقدير لاأقاذعها لـكن أجازيها لأن حتى الداخلة على الفعـل مرة تـكون بمعنى إلى أن ومرة بمعنى لـكى ، ويجوز أن يكون المعنى لاأُقاذعها إلى أن أجازيها فعلا ، والقذع : الرمى بالفحش : أى لاأقول من القذع مثل مايقولون : أى لاأرضى أن أقول قصيدة بقصيدة حتى أجازيها بالفعل

(٢) يقول : لمارأوا الخيل بارزةً لهم من أَجْزَاع الوادى طالعةً عليهم وهى شُعْث وفرسانها شُعْث : أى غُبْر لطول السفر . وأضمر الخيـل وإن لم يجر لها ذكر لأن الحالة الحاضرة تدل عليه ، ويجوز أن يكون تقدم ذكرها فيما تركه من الأبيات : وجواب « لما » قوله

(٣) أشعاف : جمع شَعَفَة ، وهى أعلى الجبل ، وأعلى كل شىء ، ولذلك

٧٦ — وقال آخر فى ابن له :

لا تَعْذِلِى فى حُنْدُجٍ إنَّ حُنْدُجًا   وَلَيْثَ عِفِرِّينٍ لَدَىَّ سَوَاءُ (١)

قيل شَعَفَةَ القلب لرأسه عند مُعَلَّق النِّيَاط . و « هنالك » ظرف ، ويكون للزمان والمكان جميعا ؛ وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه ، كأنّ البعد فيما يشار إليه بهنالك أبلغ مما يكون فيما يشار إليه بهناك ، وهذا على طريقة ماتقوله فى ذلك وذاك ، وقوله « أن قد أطاعت » أن مخففة من الثقيلة : أى عالمة أنها قد أطاعت ، و يقولون لما لم يعمل بتثبت وحسن تدبر : هذا أمر قُدِّرَ بلَيْل ، وعلى هذا قوله تعالى : (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) هذا قول المرزوقى ، وقال أبو هلال : يقول : أطاعوا الأمر الذى دَبَّرَه لهم بالليل غاويهم ، و إنما يدبر بالليل ليتوفر عليه ولا يشتغل بغيره فيكون حظه من الإبرام أكثر لخلو البال بالليل واجتماع الفكر فيه ، وفى القرآن (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) وقال الرياشى : لاذت يعنى سنبس ، شبه هجاءه الذى بعث به إليهم بالخيل عليها الفرسان ، و إنما هجا بعد طول احتمال

(١) الثالث من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متواتر

قال أبو العلاء : حُنْدُج : اسم الرجل ، مأخوذ من الحندج ، وهو كثيب صغير من الرمل ربما أنبت الشجر ، وقد جاءت الحنادج فى معنى الصغار من الإبل ، و« ليث عِفِرِّين » له مواضع أشبهها بهذا البيت أن يكون من قولهم فى الحكاية عن العرب ابن عشرين طالب نسين يعنون النساء ، ابن ثلاثين أبصر ناظرين ، ابن أربعين أبطش باطشين ، ابن خمسين ليث عِفِرِّين ، فيكون المعنى إن حندجا و إن كان طفلا فكأنه فى نفسى رجل قد كمل عقله وتجربته لأنهم يصفون ابن الخمسين بذلك ، قال سُحَيْم بن وَثِيل :

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّى   وَنَجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشُّؤُنِ

حَمَيْتُ عَلَى الْعُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ   وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ غُثَاءُ(١)

وإنما قالوا لابن الخمسين « ليث عفرين » لأنهم يقولون فى المثل: أشْجَع من ليث عفرّين ، حكى ذلك الأصمعى وغيره ، وزعم أن ليث عفرين دُوَيْبة يتحدى الراكب ويضرب بذنبه يتعرض له ، وقال أبو عمرو الشيبانى: ليث عفرين مراد به الأسد ، وقال غير هذين: ليث عفرين دُوَيْبَّة تكون عند الحيطان تجمع التراب ، فاذا أحس بإنسان حَثَا الترابَ فى قبله ، وقال بعض الناس : عِفرّين موضع ، فهذا المثل فى قولهم كقول القائل : أشجع من لَيْث خَفَّانَ ، ويجوز أن يكون عِفرّين جمع عِفِرٍّ يعنى به الأسد . لأنه يُعفِّر القرن : أى يلقيه فى العَفْر ، وهو التراب ، فيكون هذا اللفظ مثل قولهم : أَسَدُ أُسْدٍ وَلَيْثُ لُيُوثٍ ، والرواية فى هذا البيت جاءت بالتنوين كأنّ « عفرين » كلمة غير مجموعة ونونها كنون مِسْكِينٍ وقد جاءت فى الشعر الفصيح غير مصروفة ، وينشد لعمرو بن قَمِئَة

الْكَأْسُ مِلْكٌ لِمَنْ أَعْمَلَهَا   وَالْمُلْكُ مِنْهُ صَغِيرٌ وَكَبِيرُ

مِنْهَا الصَّبُوحُ الَّتِى تَتْرُكُنِى   لَيْثَ عِفِرِّينَ وَالْمَالُ كَثِيرُ

فعفرّين لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون جاريا مجرى مسكين فصرف فى موضع ولم يصرف فى الآخر لأنه اسم موضع ، وإما أن يكون جمعا شبهت نونه بنون مسلمين فى هذا البيت لأنهم ربما فعلوا ذلك ، ومنه البيت الذى يروى لذى الإصبع الْعَدْوَانى:

إِنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذُو مُحَافَظَةٍ   وَابْنُ أَبِىٍّ أَبِىٍّ مِنْ أَبِيِّينِ

والمثل الذى فيه ليث عفرين يروى بفتح النون لا غير ، وقال غيره : قد قيل فى ليث عفرين : إنها التى تصيد الذباب وثبا ، شبهه فى كيده ومكره به ، وقد وصف الخبيث المنكر بالعِفْرِ والْعِفْرِيَة وَعَفَرْنَى ، وسواء: مصدر فى الأصل وصف به ، ويقال للأسد أيضا : عفر ، وعفرنى

(١) الْعُهَّار : جمع عاهر ، والْعَهْر وَالْعُهُور : الفجور ، وخص الأطهار لما فى

المحيض من الاعتزال ، ويجوز أن يريد بقوله « حميت على العهار » ماأراد أمرؤ القيس بقوله :

* وَأَمْنَــعُ عِرْسِى أَنْ يُزَنَّ بِهَا الْخَالِى *

يعنى لشدة غيرته ، وقال النمرى : الوجه عندى أن يريد بذلك أنى اخترتها قبل التزوّج من بيت كريم وشرف قديم وعفة معلومة ونجابة مشهورة ، فكأننى بذلك حميت أمه ؛ وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل « جَهِلَ النُّعْمَانُ لَغَانِينَ وَادِى سُبُلَاتٍ [(١)] » إنما وصف الشاعر ابن أمة ، يقول : لم أُسَيِّبْهَا كما تسيب الامام ، فجاءت به لرِشْدَةٍ ، وإذا وقفت على قصة البيت عرفت مصداق ما قلته ، أكتبنا أبو الندى قال : كان رجل من بنى جَنَاب من بَلْقَيْن عنده ابنة عم له منها ابن يقال له سَيَّار وكان له ابن من أَمَة يقال له دُمْلُج ، فكانت الحرة إذا رأته يلطف دُمْلُجا ببعض اللطف لامَتْه وغضبت ، فأنشأ يقول :

أَلَا أَمْتِى فِى دُمْلُجٍ إِنَّ دُمْلُجًا ‏ ‏ ‏ وشركَةَ سَيَّارٍ إِلَىَّ سَوَاءُ
شَغَلْتُ عَنِ الْعُشَّاقِ أَطْهَارَ أُمِّهِ ‏ ‏ ‏ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ زِنَاءُ

والمدّعى أصله أن رجلا أغار على أمة لبعض أهله فولدت غلاما فدعته له فاشتراه أو وهبوه له ، وقوله « وبعض الرجال » أى : وبعض دعاوى الرجال ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . والْجُفَاء [(٢)] : ما تنفيه القِدْر عند الْغَلْى ،

---

(١) وقع هذا المثل فى مجمع الأمثال (١ : ١٥٩) هكذا « جهل من لغانين سبلات » واللغانين : جمع لغنون – بزنة عصفور – وهو مدخل الوادى ، وسبلات : جمع سبل الذى هو جمع سبيل ، كما جمعوا طريقا على طرق ثم جمعوه على طرقات وكما جمعوا صعيدا على صعد ثم جمعوه على صعدات ، والمثل يضرب لمن يقدم على أمر وقد جهل مافيه من الجهد والمشقة .

(٢) لعل هذه رواية غير الرواية التى فى متن الكتاب فان الذى فيه « وبعض الرجال المدعين غثاء »

فَجَاءَتْ بِهِ سَبْطَ الْبَنَانِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُه بَيْنَ الرِّجَالِ لِوَاءُ (١)

٧٧ — وقال آخر : (٢)

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بِرِّهِ عَتْبُ (٣)

إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرِّجَالِ حَزَازَةً فَأَنْتَ الحَلَالُ الحُلْوُ وَالْبَارِدُ العَذْبُ (٤)

وفى القرآن (فأما الزَّبَدُ فيذهب جُفَاء) يقال : جفأت القدر بزبدها ، إذا رمت به : أى بعض الرجال سقط لا يعتد به ، كما أن زَبَدَ القدر غير معتد به . يقول : بعض الأبناء الذين ينسبون إلى الآباء جُفَاء باطل ليسوا لآبائهم

(١) يمدحه بالطول ، والعرب تستحبه ، وتمدح به ، وتكره القصر وتذمه قال مسلم :

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادِ

يقول : جاءت به أمه طويلا كأن عمامته على رأسه لواء لطول قامته .

(٢) قال أبو رياش : هو لأبى الشَّغْب العَبْسى ، وقال أبو عبيدة : للأقرع بن مُعَاذ القُشَيْرى

(٣) الأول من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متواتر ،

قوله «ليس فى بره عتْب» قالوا : أى ليس فيه فساد ، قال أبو هلال : الوجه أن يقال : إنه لا يَمُنّ ببره فينكر منه ذلك ، يقال : عَتَبْتُ على الرجل عَتْباً ، إذا أنكرت منه شيئا من فعله ، ويجوز أن يقال : إنه يَعُمُّ بالبر جميع أهله فليس يَعْتِبُ عليه أحد منهم ، أو يقوم بجميع ما يحتاج إليه أبوه فلا يعتب عليه فى شيء .

(٤) «إذا» يتضمن معنى الجزاء ، ولهذا احتاج إلى الجواب فجعل بالفاء ، فيقول : إذا كان الأولاد تحززا : أى تقطيعا فى القلوب لعقوقهم فى موضع البر فأنت العسل مَشُوبًا بالماء العذب ، كأنه يشير إلى سهولة جانبه وحسن طاعته ، قال الخليل :

لَناجَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ(١)

وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّ تَحْتَ البَارِحِ الغُصُنُ الرَّطْبُ(٢)

الحَزَازة : وجع فى القلب من غيظ أو أذى ، والحزّاز بالتشديد كذلك

(١) يقال : دَمِث ودَميث : أى سَهْل ، كما يقال : سَمِجٌ وسَمِيج ، وأصِل وأصيل ؛ والتدميث : التسهيل ، ومن أمثالهم :

* دَمِّثْ لجنبكَ قبلَ الليلِ مُضْطَجَعَا *

يقول : هو سهل لنا وممتنع على الأعداء

(٢) هِزَّة : أى نشاط وخفة للندى ، وهو المعروف ، كما تستخف الريح الغصن إذا مرت به ، يقول : يأخذه عند ابتناء المكارم اهتزاز كاهتزاز الغصن تحت هذه الريح ، والبارح : ريح حارة تأتى من قبل اليمن ، أخذ من البَرْح ، وهو الأمر الشديد العجب ، ويقال فى المثل : بنت برح شرك على رأسك ، يعنون الداهية تقع ، وقال أبو هلال : هو فارسى معرب ، وأصله بره ؛ وقال الشاعر :

وَسَلْمَى، لَعَمْرُ اللهِ عِلْقٌ مَضِنَّةٌ وَلٰكِنَّهَا بَرْحٌ عَلَى المُتَأَهِّلِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ الأَقْحُوَانَ مُنَوِّرًا وَلَمْ أَرَ تَنُّومًا تَذَكَّرْتُ مَنْزِلِي

هذا الشعر لرجل تزوّج امرأة فوجدها جميلة إلا أن شعرها شائب ، وكانت له امرأة شابّة ، يقول : لما رأيت شيبها كأنه نَوْرُ الأقحوان ولم أر تَنُّومًا أي شعراً أسود لأن التنوم يوصف بالسواد ، ويقال : إن التنوم شجر الشهدانج ، وقوله « تذكرت منزلى » أى : لأن فيه امرأة شابة ، وخص البارح لأنها تَهُبُّ فى الصيف ، والغُصْنُ فى الصيف ألين منه فى الشتاء

٧٨ — وقال آخر [١] :

وَفارَقْتُ حَتَّى ما أُبالِي مِنَ النَّوَى   وَإِنْ بَانَ جيرانٌ عَلَيَّ كِرامُ [٢]
فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي   وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ [٣]

٧٩ — وقال آخر [٤] :

(١) وذكر أنه لعبد الصَّمد بن الْمُعَذَّل ، وقيل : للحُسَيْن بن مُطَيْر

(٢) ثالث الطويل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

ويروى « وفارقت حتى ما أَحِنُّ من النوى » يقول : أَلِفْتُ مفارقة الوطن والإخوان شيئا بعد شيء واعتدت التباعد حتى لا أبالي من تناءى [١] منهم وإن كرموا على عند المجاورة ، فان قيل : كيف تعلق حتى بفارقت وما معناه ؟ قلت : أراد تكررت المفارقة على وقتا بعد وقت إلى أن صرت لا أبالي بالفراق ، فمعنى حتى إلى أن

(٣) جعلت : بمعنى طفقت وأقبلت ، ولذلك لا يتعدى ، يقول : أخذت نفسى تصبر على النأى وتنطوى على الفراق فلا يظهر منها جزع ، وعيني تنام على فقد الصديق فلا تسهر ، لما تعودت من فراق الأحبة ، والعرب تقول : أَسَافَ حَتَّى مايشتكي السَّوَاف ، والسَّواف : ذهاب المال . والشدائد تهون بشيئين : العادة ، والتوقع ، وذلك أن المعتاد للمكروه لا يألم منه كبيرَ أَلمٍ ، والمتوقِّع له لا يجزع جَزَعَ من يفجؤه على غفلة . وأصيب عمر بن عبد العزيز بمصيبة فلم يجزع لها ، فقيل له فيه ، فقال : أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم نحزن له

(٤) قال أبو العلاء : هذا يروى لمُؤَرِّج السَّدُوسى ، وكان مُؤَرِّجٌ يكنى أَبا فَيْدٍ ، وإنما أخذ هذا الاسم من قولهم : أَرَّجْتُ الشيء ، إذا طيبته ، وريحان أَرِجٌ وأَرِيج : أى طيب ، ويقال : أَرَّجْتُ الحربَ والنار ، إذا سَعَّرْتَهما ، ومن

(١) فى بن « من انتأى منهم »

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ لَهُ ... وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي (١)

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضَنُّ بِهِ ... إِلَّا اصْطَفَاهُ بِنَأْيٍ أَوْ بِهِجْرَانِ (٢)

٨٠ — وقال طُفَيْلٌ الْغَنَوِيّ :

وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكِرِ الْبَيْنَ إِنَّنِي ... بِذِي لَطَفِ الْجِيرَانِ قِدْمًا مُفَجَّعُ (٣)

ذلك قيل لرجل من بنى عجل مُؤَرِّج لأنه أَرَّجَ الحرب ؛ ويقال : إن الفَيْد ورق الزَّعْفَرَان

(١) ثانى البسيط ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

يقول : فُزِّعْت بالفراق مرةً بعد أخرى حتى صرت لا أرتاع له

(٢) أى : لم أذخر لنفسى علقا نافست فيه إلا زاحمنى الدهر عليه فاستأثره إما بإيقاع بُعْدٍ بيننا أو إحداث هجران توسطنا ، ومثله قول الرشيد :

أَرَانِي كُلَّمَا أَحْبَبْتُ شَيْئًا ... مِنَ الْأَشْيَاءِ حَلَّ بِهِ الْفَنَاءُ

ومن حديثه أنه لما انصرف الرشيد من جنازة ضياء جاريته دنا منه إسمعيل بن إسحق الأزرق المدينى ، وكان مضحكاله ، فقال له : ياسيدى ، لم تجزع هذا الجزع ؟ قال : ويحك !! أما ترى ما ابتليت به ؟ ما أحب أحدا إلا مات ؛ قال : ياسيدى ، فأحببنى حتى أموت ، قال : إن الحب ليس بشىء يصنع ، ولكن يقع وتهيجه الأسباب ، قال : فقل إنى أحبك ، فقال : إنى أحبك ، فانصرف وحُمَّ فمات واغتم الرشيد عليه

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

يقال : نَكِر وأنكر واستنكر بمعنى واحد ، وقوله « بذى لطف الجيران » أراد بلَطَف الجيران : أى باللطيف منهم ، و «قِدْماً» ظرف للمفجَّع

جَدِيرٌ بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَحَابَتُهُمْ إِذَا أُنَسٌ عَزُّوا عَلَيَّ تَصَدَّعُوا[١]
وَإِنِّي بِالمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فِقْدَانُهُ لَمُمَتَّعُ[٢]

٨١ — وقال الراعي[٣]:

وَقَدْ قَادَنِي الجِيرَانُ حِينًا وَقُدْتُهُمْ وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَحِنُّ جِمَالِيَا[٤]
رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكُّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بِوَهْبِينَ مَالِيَا[٥]

---

(١) «به» أى بالبين ، يشير إلى أنه يَفِدُ على الملوك فلا يخلو من صاحب له يفقده بالموت أو بالظعن ، والْأُنَسُ : مَنْ تأنس به ، وتصدَّعوا : تفرقوا ، ومنه تَصَدَّعت الأرض بفلان ، إذا تغيب هاربا

(٢) هذا كقول الآخر :

أُقَلِّبُ عَيْنِي لاأَرَى مَنْ أُحِبُّهُ وفِي الدَّارِ مِمَّنْ لاأُحِبُّ كَثِيرُ

(٣) سمى بذلك لكثرة شعره فى الإبل ، وجودة معرفته بها ، فهى صفة غلبت عليه ، واسمه عُبَيْد بن حُصَيْن بن جَنْدَل بن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله ابن الحرث بن نُمَيْر ، وكان من جِلَّة قومه

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

يقول : كنت أنقاد لهم لإلفِى إياهم ، وينقادون لى لعطفى عليهم ؛ فلا نفترق ، ثم فارقت من أحب مرة بعد أخرى وقوما بعد قوم ، فصرت لاأحزن للفراق ، ونسب الحنين إلى الجمال لأنها فى الحنين أقل صبرا ، وربما هامت على وجوهها ، وقيل : ذكر الجمال وأراد نفسه ، والجمال أيضا إذا فارقت أعطانها فراقا طويلا نسيتها فلم تحن إليها

(٥) أى : شغلنى رجاؤك عن تذكر إخوتى ، ومالك أنسانى مالى ، قال أبو هلال : وهذا كما قال :

٨٢ — وقال آخر :

وَإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اصْطَبَحْنَا بِيَوْمِ سَفُوكِ (١)

مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الأَكُفِّ وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤُسُ المُلُوكِ (٢)

---

* هَرَاقَ الْمَاءَ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا *

ووَهْبِينُ : اسم موضع . كأنه جمع وهْب ، فان شئت قلت هذه وهبينٌ ورأيت وهبين ، ومررت بوهبين ، فأجريتها مجرى الزيدين (١) وإن شئت قلت : هذه وهبينُ ، ورأيت وهبينَ ، ومررت بوَهْبينَ ، فأجريتها مجرى مالا ينصرف

(١) من المتقارب الأول ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

ويروى « تُصْبَح » بفتح الباء على مالم يسم فاعله فيكون المعنى إنا لنسقى أسيافنا الصَّبُوحَ بيوم سَفوك إذا ما اصطبحن ، ومن روى « تصبح » بكسر الباء فخبر تصبح في البيت الثاني وهو

(٢) والمعنى إنا لتصير أسيافنا إذا شربت الصبوح فى يوم سَفُوكٍ للدماء

---

(١) تفسير الشارح بقوله « فأجريتها مجرى الزيدين » غير متسق مع التمثيل ؛ فاما أن يكون قد وقع تحريف فى التمثيل ، وإما أن يكون قد وقع تحريف فى هذه العبارة ، وملخص الأمر أنك إذا نظرت إلى أن هذه الكلمة أصلها جمع مذكر سالم ثم سمى به ساغ لك فيه ثلاث لغات : الأولى أن تجعله ملحقا بالجمع فترفعه بالواو وتنصبه وتجره بالياء ، والثانية أن تلزمه الياء وتجعل الاعراب بحركات ظاهرة على النون فتكون الياء مثل ياء مسكين وغسلين ، واللغة الثالثة أن تلزمه الواو وتجعل الاعراب بحركات على النون فتكون واوه مثل واو عربون وعرجون ونحوهما ؛ وإذا نظرت إليه من جهة معناه فى حاله الحاضر وهو أنه اسم لمكان من الأرض بعينه عاملته معاملة المفردات فان جعلته مؤنثا منعته من الصرف للعلمية والتأنيث ، وإن جعلته مذكرا صرفته : أى نونته

٨٣ — وقال آخر :

لا تمنعنَّكَ خفضَ العيشِ فى دَعَةٍ ... نُزُوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها ... أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ (١)

بهذه الحالة ، ونسبة السفك إلى اليوم مجاز ، وإنما نسب إليه لما كان يقع فيه ، فهو كقولهم : نهاره صائم ، والمنابر : مواضع النَّبْر وهو الصوت ، لأنها نصبت للمواعظ والخطب ، وأراد أنها تُنْتَضى فتخطب واعظة الأعداء زاجرةً لهم

(١) الثانى من البسيط ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

ويروى « نِزَاعُ نفس » وهو أجود ؛ لأن النزوع اشتهاره فى الكف عن الشىء ، والنزاع فى الشوق ، وإن كان جائزا وقوع أحدهما موقع الآخر فى الشوق . ويقال : ناقة نازع ونَزُوع ، وقد أَنْزَعُوا إذا حنت إبلهم ، والنَّزْع : الجذب . ويقال : خرج نازعَ يدٍ ، إذا خرج عن الطاعة ، وقوله « تلق بكل بلاد » تسلية النفس عن الأهل ، وإنما ضمن أبو تمام هذه الأبيات باب الحماسة لأنها صادرة عن قسوة شديدة وقلة فكر فى التحول عن الإلف ، ولأن ترك الوطن والإخلال بالعشيرة ربما أدى إلى القتال وتلف النفس ؛ فالصبر عليه كالصبر على القتل ، ألا ترى قوله تعالى : (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم) ويروى « تلق بكل بلاد أنت ساكنها » وقال أبو سَرْج : سمعنى أبو دُلَف أنشد « لا يمنعنك خفض العيش فى دعة » البيتين ، فقال : هذا ألأم ماقالته العرب ، وإنما جعله ألأم ماقيل لأنه يدل على قلة رعاية ، وشدة قساوة ، وحنين الرجل إلى وطنه مَنْقَبة له ، لما فيه من الدلالة على كرم الطينة وتمام العقل وكذلك حنينه إلى أليفه وصديقه وقالت الحكماء : حَنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشدة ، وقال بُزُرْجَمِهْرُ : من علامات العاقل برُّهُ باخوانه ، وحنينه إلى أوطانه ، ومُداراته لأهل

٨٤ — وقال بعضُ بنى أسد (١) :

إلاَّ أكُنْ مِمَّنْ علِمْتِ فإنَّني ... إلى نَسَبٍ مِمَّنْ جَهِلْتِ كريمِ (٢)
وإلاَّ أكُنْ كُلَّ الجَوَادِ فإنَّنى ... على الزَّادِ في الظَّلْماءِ غيْرُ شَتِيمِ (٣)

زمانه ؛ وقال أعرابى : لا تشك بلدا فيه قبائلك ، ولا تجف أرضا فيها قوابلك ، وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزعا من السوط ، وأكيس الصبيان أشدهم بغضا للمكتب ، وأكرم الصفايا أشدها حنينا إلى أوطانها ، وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها ، وأكرم الناس آنفهم للناس ، وقيل : كان خالد بن عبد الله القَسْرى يُطْعِم الأعراب فى حطمة أصابتهم ، فى كل يوم يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزا وسويقا وتمرا . فقيل لأعرابى : لو أتيت خالدا فانه يطعم الأعراب ، فقال :

يَقُولُ ابْنُ حَجَّاجٍ تَجَهَّزْ ولاَ تَمُتْ ... هُزَالاً بِحَرَّانَ تَعَاوَى كِلاَبُهَا
فَقَدْ أَخْبَرَ الرُّكْبَانُ أَنَّ جَذِيذَةً ... تُبَاحُ وَرُغْفَاناً شِبَاعاً رِغَابُهَا
وَمَاءُ فُرَاتٍ مَا اشْتَهَيْتَ وَقِرْبَةً ... يَدِبُّ دَبِيبَ النَّمْلِ فِيكَ شَرَابُهَا
فَأُقْسِمُ لاَ أَبْتَاعُ رُغْفَانَ خَالِدٍ ... بِأَرْوَاحِ نَجْدٍ مَا أَقَامَ تُرَابُهَا
إِذَا نَأَجَتْ بالعرمتين وَصَارَةٍ ... رِيَاحُ الْخُزَامَى حِينَ تَنْدَى رِحَابُهَا

(١) قيل : هى لعبد العزيز بن زُرَارة

(٢) الثالث من الطويل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

يقول : إلاَّ أكن ممن عرفتهم بالشرف فانى أنتمى إلى نسب كريم ممن جهلتهم ، كأنه يريد ليس الاعتبار بما تعدّينه أو تعرفينه نسباً ، لكن الاعتبار بحصول الكرم على أى وجه كان ، وقوله « إلى نسب » يتعلق بفعل مضمر ، كأنه قال : فاننى أنتمى إلى نسب

(٣) يقول : إن لم أكن النهاية فى الجود فانى لاأشتم بسبب الزاد فى

وَإلاَّ أَكُنْ كُلَّ الشُّجَاعِ فَإِنَّنِى ... بِضَرْبِ الطُّلاَ وَالْهَامِ حَقُّ عَلِيمِ (١)

الليلة المظلمة ، ويقال : زيد الشجاع كل الشجاع أى الـكامل فى معناه . وتعلق «على» من قوله «على الزاد» بشتيم وإن كان مضافا إليه : لأنه أجرى «غير» مجرى لا ، لأنها للنفى ، فحمل الكلام على المعنى ، كأنه قال : إننى على الزاد لا أشتم ، وقيل : معناه إن لم أكن متناهياً فى السخاء فإنى طَلْق الوجه بَسَّام عند القِرَى لا أعبس فيقبح وجهى . وقال أبو العلاء : يقع فى النسخ أن الشتيم القبيح الوجه ، وهو كذلك ، إلا أن هذا الموضع ليس ممـا يذكر فيه القبح ، وإنما يريد إنى لا أشتم على الزاد لأننى أوفره على صاحبى أو ضيفى فينصرف وهو لى حامد لا يذمنى بالبخل أو كثرة الأكل ، قال الآخر :

الفَقْرُ خَـيْرٌ مِنْ مَبِيتٍ بِتُّهُ ... بِجَنُوبِ نَخْلَةَ عِنْدَ آلِ معارِكِ

جَاؤُا بِقُرْصٍ مِنْ شَعِيرٍ مُحْرَقٍ ... بَيْنِى وَبَيْنَ غُلَامِهِمْ ذِى الْحَارِكِ

برِكَ عَلَى جَنْبِ الْخِوَانِ مُعَاوِدٍ ... أَكْلَ الطَّعَامِ بِلُقْمَةِ الْمُتَدَارِكِ

وليس شتيم فى البيت إلا فى معنى مشتوم ، وإنما قالوا لقبيح الوجه شتيم لأنه يشتم فيقال : لعنه الله ما أقبح وجهه ، أوقبحه الله ، أو نحو ذلك ، ولا يمتنع أن يحمل شتيم فى البيت على قبح الوجه ، كما يقال : قد أبيضَّ وجه فلان ، وقد بَيَّضَ وَجْهَه ، إذا فعل فعلا يحمد عليه ، وقد اسودَّ وجهه ، إذا فعل فعلا يذم عليـه .

(١) الباء من قوله « بضرب الطُّلاَ » يتعلق بقوله « عليم » فان قيل : كيف ساغ ذلك والمضاف إليه لا يعمل فيما قبله ؟ قلت : لما كان قوله « حق عليم » لا زيادة فيه إلا التوكيد لم يُعْتَدَّ بالمضاف ، فحمل الـكلام على المعنى لا على اللفظ ، فكأنه قال : إننى بضرب الطُّلاَ عَلِيمٌ جداً ، ويجرى هذا المجرى إجازتهم لقول القائل

٨٥ — وقال عَمْرو بن شَأْسٍ (١) :

أَرَادَتْ عِرَاراً بالْهَوَانِ ، وَمَنْ يُرِدْ عِرَاراً لَعَمْرِى بالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ (٢)
فَإِنْ كُنْتِ مِنِّى أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِى فَكُونِى لَهُ كَالسَّمْنِ رُبَّتْ لَهُ الْأَدَمْ (٣)

أَنْتَ زَيْدًا غَيْرُ ضاربٍ ، مع امتناعهم من إجازة أنت زيدًا مثلُ ضاربٍ ، لمّا كان معنى غير معنى « لا » فحمل الكلام على المعنى لا على اللفظ ، حتى كأنه قال : أنت زيداً لا ضارب ، والطُّلا : الأعناق ، وقيل : أعراض الأعناق ، الواحدة طلية وطلاوة ، ومنه سمى الطَّلِيّ طليا للبهمة ولد الشاة لأنه يُرْبَق فى عنقه الربق ، وهو أيضا الطلاء .

(١) هذه صفة منقوله ، وذلك أن الشأس والشأز جميعا المكان النابىء الغليظ ، ومكان شئز مثله ، وهو شأس بن أبى بُلَىّ ، واسمه عبيد بن ثعلبة بن رُوَيْبة بن مالك بن الحرث بن سعد بن دُودَان بن أسد بن خزيمة ، وهو مخضرم ، أدرك الأسلام وهو شيخ كبير ، وكانت له امرأة من قومه وابنٌ من أمةٍ سوداء يقال له عِرَار ، فكانت تعيره إياه وتؤذيه و يؤذيها ، فأنكر عمرو عليها أذا هاله فقال :

(٢) الثانى من الطويل ، مقيد مجرد ، والقافية متدارك .

سمى الرجل « عِرَاراً » من قولهم : عارَّ الظَّليمُ يعار عرار ، إذا صاح ، يقول : أرادت امرأتى إهانة عِرَار ، ومن يطلب ذلك فى مثله فقد وضع الشىء فى غير موضعه .

(٣) نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب ، يقول : فإن كنت توافقيننى — من قولهم « فلان منا » أى : يوافقنا — فكونى له كالسَّمْن : أى كالسمن الذى لا يتغير لأن الأديم يُعَالَج بربِّ التمر لئلا يفسد السمن ، وسقاء مَرْبُوب : مُصْلَح ، والأَدَم : جمع أديم ، وله نظائر قليلة ، وهى إهَابٌ وأَهَبٌ وأَفِيق وأَفَق : أى أديم ،

وَإِنْ كُنْتِ تَهْوَيْنَ الْفِرَاقَ ظَعِينَتِى فَكُونِى لَهُ كَالذِّئْبِ ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمْ (١)
وَإِلَّا فَسِيرِى مِثْلَ مَاسَارَ رَاكِبٌ تَجَشَّمَ خِمْسًا لَيْسَ فِى سَيْرِهِ أَمَمْ (٢)
وَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ تُقَاسِينَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشِّيَمْ (٣)
وَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّى أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمْ (٤)

وعمود وعَمَد وقضيم وقَضَم ، يعنى الصحيفة البيضاء .

(١) يقول : وإن كنت تُؤْثرين مفارقتى فأسيئى عشرته وكونى له كالذئب ضاعت له الغنم من أجل وقوعه فيها ، ويجوز أن يريد بقوله « ضاعت له الغنم » فاتته الغنم بعد أن أمكنته ، والسبع إذا شارفت فريسته ثم فاتته كان ذلك مهيجا له وداعيا إلى الفساد فيما يمكنه ، وهذا تهدُّد منه لها ، وليس هو على حقيقة الأمر

(٢) أى : وإلا فارقينى ، وليكن سيرك سير راكب تكلف ورود الماء للخِمْس ، و « تجشم » من صفة راكب ، والأَمَم : القرب والقصد ، وأراد أنه على غير قصد فيكون أشق له ، ويروى « ليس فى سيره يتم » واليتم الغفلة ، ومنه قيل اليتيم لأنه مغفول عنه

(٣) الشكيمة ههنا : شدة النفس وشراسة الخلق ، يقال : فلان شديد الشكيمة ، إذا كان شديد النفس ؛ وقيل : إذا كان شديد اللسان ذا بيان شديد العارضة ، ومنه شكيمة اللجام : الحديدة المعترضة فى الفم ؛ والشيمة : الخليقة ، يقول : لا أقدر على تغيير خلقه ، وهذا كأنه جواب لاعتذارها من قلة الملاءمة بينهما ، فإما أن تلائميه على ماتقاسينه من شراسته وإما أن تفارقينى فإنه أحب إلىّ منك

(٤) الجَوْن : الأسود ، والعَمَمُ : التام ، وكان عرار هذا أحد فصحاء العقلاء ،

٨٦ — وقال آخر ، وهو إسحق بن خلف :

لَوْلا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ العَدَمِ وَلَمْ أُقَاسِ الدُّجَى فى حِنْدِسِ الظُّلَمِ (١)

وتوجه عن المهلب بن أبى صفرة إلى الحجاج رسولا فى بعض فتوحه ، فلما مثل بين يدى الحجاج لم يعرفه وازدراه ، فلما استنطقه أبان وأعرب ماشاء ، وبلغ الغاية والمراد فى كل ماسأل ، فأنشد الحجاج متمثلا :

أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عِرَارًا لَعَمْرِى بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ

فقال عرار : أنا أيد الله الأمير عرار ، فأعجب به وبذلك الاتفاق ، وفى هذه الطريقة قول المأمون لإبراهيم بن المهدى :

إِنْ يَكُنْ لِلسَّوَادِ فِيكَ نَصِيبٌ فَبَيَاضُ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبِى

وأنكر أبو محمد الأعرابى قول النمرى «الأمم القصد» يقول الرجل للرجل : لو ظلمتنى ظلما أمماً : أى قصداً ، فقال : هذا موضع المثل « أَوْدَى الْعَيْرُ إلا ضَرْطَهْ » والصواب « تجشم خمسا ليس فى سيره يتم » يقال : مافى سيره يتم وأتم : أى إبطاء ، وهذه الرواية حسنة ، والأولى لاتحيل معنى ، فاجتهد عمرو بن شأس أن يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه ذلك فطلقها ثم ندم فقال :

تَذَكَّرَ ذِكْرَى أُمِّ حَسَّانَ فَاقْشَعَرّ عَلَى دُبُرٍ لَمَّا تَبَيَّنَ مَا ائْتَمَرْ
حِفَاظًا وَلَمْ تَنْزِعْ هَوَاىَ أُثَيمَةً كَذَلِكَ سَاءَ الْمَرْءِ يَخاجه الْقَدَرْ
فَآلَيْتُ لاأَشْرِى زُبَيْبًا بِغَيْرِهِ لِكُلِّ أُنَاسٍ فِى بَعِيرِهِمُ خَبَرْ

الزبيب : تصغير الأزب مرخما ، والأزب : الكثير شعر الوجه والجسد من الإبل ، وفى المثل « كل أزب نَفُورٌ »

(١) الضرب الأوّل من البسيط ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متراكب ويروى « ولم أَجُبْ فى الليالى حندسَ الظلم » والمبتدأ بعد لولا يحذف خبره

وَزَادَنِى رَغْبَةً فِى الْعَيْشِ مَعْرِفَتِى ... ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُو الرَّحِمِ (١)

أُحَاذِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا ... فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ (٢)

تَهْوَى حَيَاتِى وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا ... وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ عَلَى الْحُرَمِ (٣)

أَخْشَى فَظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أَخٍ ... وَكُنْتُ أُبْقِى عَلَيْهَا مِنْ أَذَى الْكَلِمِ (٤)

٨٧ — وقال آخَرُ ، وهو حِطَّانُ بن الْمُعَلَّى : (٥)

أبدا ، ويستغنى بجواب لولا عنه ، والتقدير لولا أميمة مانعة لم أجزع ، يقول : لولا ابنتى أميمة لم أخف الفقر ولم أرحل فى طلب المال ، والحِنْدِس : شدة الظلمة . وقد اشتق منه الفعل فقيل : حَنْدَسَ اللَّيْلُ وهو مُحَنْدِسٌ ، ومعنى « لم أَجُبْ » لم أقطع وقاطع المواضع المظلمة كأنه قاطع للظلمة ، وإضافة الحندس إلى الظلم كإضافة البعض إلى الكل : أى فى الشديد من الظلم ، ويقال : تحندس الرجل ، إذا ضعف وسقط

(١) موضع « يجفوها ذوو الرحم » من الإعراب نصب على الحال لليتيمة ، والتقدير زادنى معرفتى بذل اليتيمة إذا جفاها ذووها رغبة فى العيش

(٢) موضع « أن يلم بها » نصب على البدل من الفقر ، والمعنى أحاذر إلمام الفقر بها فيكشف الستر عمن لا دفاع به ، والعرب تقول : النساء لحم على وَضَم إلا ماذُبَّ عنه ، وموضع الوضم مِيضَمة ، والجميع المواضم

(٣) هذا كما قيل : نعم الخَتَنُ القبر ، ودفن البنات من المكرمات ؛ وانتصب « شفقا » على أنه مفعول له

(٤) هذا تفسير قوله « أهوى موتها شفقا » يقول : أشفق من مغالظة عم لها أو جفوة أخ تلحقها ، والكلم : جمع كلمة ، ومعنى أذى الكلم : الأذى الذى يلحق من الكلم : أى ما كنت أسمعها كلمة تؤذيها فضلا عن الغلظة والجفاء

(٥) قال أبو العلاء : حِطَّانُ فِعْلَانَ من الحط ، ولا ينبغى أن يحمل على غير

أَنْزَلَنِي ٱلدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضِ (١)
وَغَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي (٢)

ذلك ؛ لأن الحطن لم يستعملوه ، وحططت ضد رفعت ، وكل كلمة تشتق من هذا اللفظ فهى راجعة إلى ذلك الأصل ، يقال : حط البعير إذا اعتمد فى زمامه كأنه يحط رأسه ، والناقة حطوط ؛ ويقال للذى يحط به الأديم — أى يرسم — مِحَطّ لأنه يحط عليه : أى يوضع ، ثم قالوا للمرأة : مَحْطُوطة الكشح ، ومحطوطة المتن ، فإذا قالوا محطوطة المتن فانما يراد أن متنها كأنه قد ملس بالمحط ، وإذا قيل محطوطة الكشحين احتمل هذا الوجه ، والأجود أن يتأوّل أن رَوَادفها ارتفعت وأن كشحها حط لضمره ، وقد يجوز مثل هذا فى المتن ، قال القطامى :

بَيْضَاءُ مَحْطُوطَةُ ٱلْمَتْنَيْنِ بَهْكَنَةٌ رَيَّا الرَّوَادِفِ لَمْ تُمْغِلْ بِأَوْلَادِ

(١) الضرب الثالث من السريع ، مطلق مجرد موصول ؛ والقافية متواتر الشامخ : العالى ، والخفض : ضد الرفع ، وهو مصدر وضع موضع المفعول ، يريد إلى مكان مخفوض ، يقول : إنى كنت قويا فصيرنى الدهر إلى الضعف

(٢) غالنى : أهلكنى ، وعالنى بالعين غير معجمة : غلبنى ، وموضع «سوى» نصب على أنه استثناء خارج ، وهذا الاستثناء يتأكد به انتفاء الغنى ، ومثله :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

ويجوز أن يكون المعنى ليس لى غنى سوى غنى نفسى فحذف المضاف ، يقول : غلبنى الدهر على كثرة المال ، فلم يبق لى مال سوى نفسى ، هذا إذا جعلت العرض النفس ، يقال : صُنْتُ عنك عرضى : أى نفسى ، وقوله « بوفر الغنى » أى : بسبب وفر الغنى ، فحذف المضاف ، وتتعلق الباء منه بقوله «غالنى» والوفر : كثرة المال ، وأضافه إلى الغنى لأن المراد المال الذى يحصل به الغنى ، ويجوز أن يكون

أَبْكَانِيَ الدَّهْرُ وَيَارُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي (١)
أَوْلاَ بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ الْقَطَا رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ (٢)

موضع « بوفر الغنى » نصبا على الحال للدهر ، كما تقول : فاتنى فلان بكذا ، والمعنى فاتنى مستحباله ، ومثله جاءنى فى أطمار : أى لابساً لها ، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى فعدى غالنى تعدية فجعنى لأنه فى معناه : فكأنه قال : فجعنى بوفر الغنى وأصابنى

(١) قوله « بما يرضى » يدل على أنه أضمر مع قوله « أبكانى الدهر » شيئا يكون فى مقابلته ، وحذف لأن المراد مفهوم ، والمعنى أبكانى الدهر بما يسخط . وقوله « يا ربما » المنادى فيه محذوف ، كأنه قال : يا قوم ربما ، وهذا النداء على وجه التحسر والتوجع من معاملة الدهر وسوء تنقله ، وقوله « ربما » ما هذه دخلت كافةً لرُبَّ عن العمل ، ومخرجة لها إلى أن تصير مشتركة ، حتى جاز وقوع « أضحكنى » بعده ، ومثله قوله تعالى : (رُبَمَا يود الذين كفروا) ومعنى البيت أبكانى الدهر بما أسخطنى ، ويا قوم ربما أضحكنى الدهر فيما مضى بما أرضانى ، ومثله قول الآخر :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

(٢) بُنَيَّاتٌ : فى موضع المبتدأ ، وجاز الابتداء به لكونه محدودا بما اتصل به من الصفات ، وجواب لولا « لكان لى مضطرب » فى البيت الذى يليه ، واستغنى به عن خبر المبتدأ ، والتقدير لولا بنيات صفاتهن هذه مانعةٌ لفعلت ، ومعنى البيت لولا بنيات لى صغيرات كفراخ القطا التى عليها الزغب — وهو الشعر اللين لصغرهن — اجتمعن لى فى مدة يسيرة فمن ثانية بعد أولى وواحدة إلى جنب أخرى لكان لى كذا وكذا ، ومثله

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا وَوَاحِدَةً حَتَّى اجْتَمَعْنَ ثَمَانِيَا

لَكَانَ لِى مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِى الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالعَرْضِ (١)
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِى عَلَى الْأَرْضِ (٢)
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ على بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِى مِنَ الغُمْضِ

٨٨ — وقال حيَّان بن ربيعة الطائى (٣)

أى : جئن متواليات ، ويروى « رَدَدْنَ من بعضى إلى بعضى » بفتح الراء من رَدَدْن ، وأضافه إلى بعضى ، والمعنى : قوّسْنَنى وَحَنَيْنَ من ظهرى ، ويجوز فى الرواية الأولى أن يكون المعنى أن هذه البنات زُوِّجن فرددن مع بنات لهن صغار ، يقال : ابنتك مردودة : أى مطلقة ، وإلى فى معنى مع ، يقال : هذا إلى ذاك : أى معه ، ويكون « من بعض إلى بعض » فى موضع الحال : أى رددن مع غيرهن . ويجوز أن يروى « رُدِدْنَ » على مالم يسم فاعله ، و« من بعضى إلى بعضى » مضافين ، والمعنى كُنَّ فى صلبى فلما ولدتهن صرن فى كبدى ، فهى تحترق عليهن لفرط شفقتى ، ويروى « جمعن من بعض إلى بعض » أبو هلال : قوله « رددن من بعض إلى بعض » كلام ليس تحته كبير معنى ، ولعله يريد أنهن من أمهات شتى فرددن من هذه إلى هذه فلم يعبر عن ذلك تعبيرا صحيحا

(١) المضطرب : يكون الاضطراب ، ويكون موضع الاضطراب ، يقول : لولا خوفى من ضياعهن لكان لى مجال واسع فى الأرض ، وإنما لزمت مكانى بسببهن

(٢) « تمشى على الأرض » فى موضع الحال للأولاد ، و « بيننا » ظرف لتمشى ، والتقدير أولادنا وهى ماشية على الأرض بيننا أكبادنا ، وقوله « إنما » تدخل لتحقيق الشىء على وجه مع نفى غيره عنه

(٣) حيَّان : فَعْلَان من الحياة ، ويجوز أن يكون فَعْلَان من حييت ،

لَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِى ذَوُو جِدٍّ إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ (١)
وَأَنَّا نِعْمَ أَحْلاسُ الْقَوَافِى إِذَا اسْتَعَرَ التَّنَافُرُ وَالنَّشِيدُ (٢)

وأصله على هذا حَوْيَان كَطَيَّان الذى أصله طَوْيَان ، ويجوز أن يكون فَعَّالاً من الحين ، وفَوْعَالا وفَيْعَالاً أيضا منه ، والوجه أن تكون نونه زائدة لترك صرفه ، قال أبو هلال : هكذا قال أبو تمام ، ونحن نقول : هو حيان بن عُلَيْق ابن ربيعة الطائى أخو بنى أَخْزَمَ ثم أحد بن عَدِىّ بن أَخْزَمَ بن أبى أخزم بن عمرو بن ثُعَل ، وفى نسخة أبى أحمد «جَبَّار بن ربيعة» ، وهو غلط ، وليس فيهم جَبَّار بن ربيعة ، إنما هو جبار بن جزء بن ضرار ابن أخى الشماخ بن ضرار ، وجبار بن مالك بن حمار الشَّمْخى من فزارة ، وجبار بن عمرو بن عُمَيْرة الطائى ، ويعرف بالأسد الرهيص ، وأما جَبَّار بن ربيعة فليس بمعروف ولا مذكور

(١) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

يقول : شهدت القبائل أن قومي يجدّون فى الحروب إذا لبس أهلها السلاح ، ويُبْلون فيها ، ويروى « ذووحد » والحد : السلاح ، و « إذا لبس الحديد » ظرف لقوله «ذوو جد» كأنه قال : إنهم يجتهدون فى ذلك الوقت و «أن قومى» مع مابعده سد مسد مفعولى علم ثم قال

(٢) أى : ويشهدون أيضا أنا نعم أصحاب القوافى عند التفاخر والتناشد ، والحِلْسُ : أصله البرذعة ومايلى الظهر تحت الرَّحْل ، ثم يستعمل على طريق التشبيه على وجهين : يقال فى الذم : فلان كالحلس الْمُلْقَى ، فيمن لاغناء عنده ولا كفاية إذا حَزَبَهُ أمر ، ويقال فيمن لزم ظهور الخيل : هم أَحْلاَسها ، وهذا إذا مُدحوا بالفروسية ، ثم قالوا : هذا من أحلاس فلان : أى ليس من آلاته ،

وَأَنَّا نَضْرِبُ المَلْحَاءَ حَتَّى ... تُوَلِّي وَالسُّيُوفُ لَنَا شُهُودُ (١)

٨٩ — وقال الأَعْرَجُ المَعْنِيُّ (٢) :

أَنَا أَبُو بَرْزَةَ إِذْ جَدَّ الوَهَلْ ... خُلِقْتُ غَيْرَ زُمَّلٍ وَلَا وَكَلْ (٣)

قال المرزوقى : وقد مر بى أيضا أنه يقال للكفل الذى ليس بفارس : هو كالحِلْسِ، وأحلاس البيت : مايلقى تحت حُرِّ متاعه ، وفى خبر « الفقير من لاتشبع نفسه ، وإن كان من ذَهَبٍ حِلْسُهُ » يقول : نحن شعراء تقوم بالقوافى حق القيام ، ويجوز أن يكون معناه إنا موضع للمدح لايفارقنا لحسن أفعالنا ، واستعر : التهب ، والتنافر : التفاخر ، والاستعار ههنا : الكثرة

(١) أى : وشهدوا أيضا أنا نضارب الكتيبة البيضاء لكثرة سلاحها فنغلبهم حتى تولى منهزمة وسيوفنا لها حاضرة ، والملحاء : من الملحة ، وهو البياض يخالطه سواد ، يعنى لون الحديد فى الكتيبة ، ويروى « نَضْرُبُ الملحاء » بضم الراء يقال : ضاربته فَضَرَبْتُهُ أَضْرُبُهُ : أى غلبته فى الضراب ، والسيوف لنا شهود لأنا قد فَلَلْنَاهَا بالقراع

(٢) معْنُ طيىء ، وقيل : الصحيح أنها لعمرو بن يثربى

(٣) من مشطور الرجز ، مقيد مجرد ، والقافية متدارك

ويروى « أنا أبو بردة » والْوَهَل : الفزع ، وَهِلَ الرجل يَوْهَل وَهَلاً ، وهو وَهِل ، والزُّمَّل : الضعيف ، سمى بذلك لأنه يتزمّل بثيابه وينام ، وهو زُمَّلٌ وَزُمَّيْلٌ وَزِمَّيْلَة وزُمَّال ، والوَكَل : الذى يتكل على غيره فى الأمور ، يقال : رجل وَكَلٌ ووُكَلَة وتُكَلَة ، يقول : أنا الذى لشهرته تغنى كنيته عن صفاته ، فان قيل : ما العامل فى قوله « إذ جد الوهل » ؟ قلت : مادل عليه قوله « أنا أبو برزة » من المعنى الذى بينته هو العامل ، ومثله :

ذَا قُوَّةٍ وَذَا شَبَابٍ مُقْتَبَلْ لَاجَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلْ (١)

الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلْ نَحْنُ بَنِى ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلْ (٢)

---

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِى شِعْرِى *

(١) قوله « مقتبل » يقول : خلقت مقتبل الشباب لم تبلنى السنون ولم يضعفنى مامَسَّنى من النوائب والهموم ، فان قيل : ماالزيادة فى قوله « ذا قوة » على قوله «غير زمل» ؟ قلت : يجوز أن يكون ذا قوة مصروفا إلى الرأى ، وغير زمل مصروفا إلى البنية ، ويجوز أن يكون المراد بذا قوة الجَلَادة ، لأنه ليس من كان غير ضعيف كان جَلْدا ، وقوله «لاجزع اليوم» اليوم ظرف لقرب الأجل ، و«على قرب الأجل » خبر لا ، ويجوز أن يجعل اليوم خبرا ، ويجعل «على قرب الأجل» تبيينا له أو حالا ، وإن جعلته خبرا بعد خبر كما تقول « هذا حلو حامض » جاز أيضا ، قال المرزوقى : وذكر بعض المتأخرين ــ يعنى ابن جنى ، ولم ينصفه حيث لم يُسَمِّه فى كتابه ــ أنه لا يجوز أن يكون معنى « على » هنا معناها فى قولك : جزعت على كذا : أى أشفقت عليه ؛ لأنه غير الغرض المقصود ، ألا ترى أن معناها لاجزع اليوم من الموت على أن الأجل قريب منا ، فاذا قرب منا فلم نجزع منه فما ظنك بنا إذا بعد عنا

(٢) انتصاب « بنى ضبة » بفعل مضمر ، والقصد فيه الاختصاص والمدح، وخبر الابتداء الذى هو نحن « أصحابُ » ، والتقدير نحن اذكر بنى ضبة أصحابُ الجمل ، وهذا الكلام ينبه به على أنهم مُجِدُّونَ فى طلب دم عثمان لأن الذين خرجوا مع عائشة وقاتلوا يوم الجمل كان دعواهم طلب الثأر ، ولو قال « نحن بنو ضبة » لكان يسقط فخامة الذكر وتعظيمه ، وكان يصير أصحاب صفة وبنو خبرا ، وكان يجوز أن يكونا جميعا خبرين ويجوز أن يكون أصحاب بدلا من بنو

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلْ   نَنْعَى ابْنَ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلْ(١)
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ(٢)

٩٠ — وقال آخر ، وقيل : إنه لرجل من بنى أسد

دَاوِ ابْنَ عَمِّ السُّوءِ بِالنَّأْيِ وَالغِنَى   كَفَى بِالْغِنَى وَالنَّأْيِ عَنْهُ مُدَاوِيَا(٣)

---

(١) النعى : الإخبار بموت الرجل، نعاه ينعاه نَعْيًا وَنَعِيًّا وأتانا نَعِيُّه ، والأسل : الرماح

(٢) موضع « بجل » رفع على الابتداء ، وخبره مضمر كأنه قال : ثم بجلنا ذاك : أى حسبنا . وثم : عاطفة جملة على جملة ، وقال لبيد :

* بَجَلِي الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ بَجَلْ *

وحكى الأخفش أن « بَجَلْ » ساكنة أبدا ، يقولون : بَجَلْكَ ، كما يقولون : قَدْكَ وَقَطْكَ ، إلا أنهم يقولون : بَجَلِي ، ولا يقولون : بَجَلْنِي(١) كما يقولون : قَطْنِي وقَدْنِي ، وهو القياس مع مجيئه على السكون

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، القافية متدارك

---

(١) فى الأصول كلها «إلا أنهم يقولون بجلي ولا يقولون بجلي» حتى كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة مانصه « قوله بجلي الخ ضبط بفتح الجيم فى الأول وسكونها فى الثانى » اه . وهو كلام غير مبنى على التحقيق ، وتأمل فى عبارة الأخفش جيدا وفى تنظيره بقط وقد ، تدرك أنه أراد أن يقول : إن التزامهم سكون بجل كان يقتضى لحاق نون الوقاية بها إذا أضيفت إلى ياء المتكلم لأن نون الوقاية تلحق الكلمة للمحافظة على حال آخرها ولذا لحقت قد وقط فقالوا : قدنى وقطنى ، ومن ذلك قول الشاعر الراجز فى عبد الله بن الزبير :

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي   لَيْسَ الإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ

وفى حديث النار « فتقول قطى قطى » ولكنهم لم يفعلوا ذلك مع بجلى بل

جَزَى اللهُ عَنِّى مُحْصِنًا بِبَلَائِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ الْقَرِيبَ وَخَالِيَا[1]

يَسُلُّ الْغِنَى وَالنَّأْىُ أَدْوَاءَ صَدْرِهِ ... وَيُبْدِى التَّدَانِى غِلْظَةً وَتَقَالِيَا[2]

أَعَانَ عَلَىَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَّ بَرْكَهُ ... كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِى كَافِيَا[3]

يقول : تباعد عن ابن عمك إذا كان رديئا ، و استغن عنه ، فانكما إذا تقاربتما تحاسدتما وتباغضتما ، وقيل : من لؤم الحسود أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب . وقال بعضهم : تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودة ، وقوله « كفى بالغنى » موضع بالغنى رفع بكفى ، و « مداويا » يجوز أن حالا ويجوز أن يكون تمييزا وهو أحسن ، ومثله (كفى بالله شهيدا)

(١) محصن : هو ابن عمه الذى تأذى به فدعا عليه ، يقول : جزاه الله بفعله فينا إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا وإن كان متصل السبب بطرفى أبى وأمى

(٢) السل : النزع ، ومعنى البيت كالمثل السائر : فرق بين مَعَدٍّ تَحَابَّ

(٣) ويروى « إذ حَلَّ بركه » يقول : لما انقلب الزمان علىَّ واشتد صار على مع الزمان ، والْبَرْكُ : الصدر ، وأصله فى الإبل لأنها تبرك على الصدر ، ثم استعير فى غيرها ، و إنما خص الصدر لأن البعير إذا وضع صدره على شىء فقد وضع ثقله عليه ، ثم يقال : رماهم الزمان بكلكله ، وأخنى عليهم بِجِرَانه ، يقول : لو لم يُعِنْ على كان فى إساءة الدهر إلىَّ كفاية ، وقوله « كافيا » يجوز أن يكون تمييزا ويجوز أن يكون فى موضع المصدر : أراد كفى الدهر لو وكلته بى كفاية ، واسم الفاعل يقع موقع المصدر كثيرا ، كما يقع المصدر موقع اسم الفاعل ، ومثله قول بشر :

* كَفَى بِالنَّأْى مِنْ أَسْمَاء كَافٍ[1] *

أضافوه إلى ياء المتكلم بدون نون الوقاية فقالوا بجلى ولم يقولوا بجلنى . فتأمل فى ذلك

(١) هذا صدر ، وعجزه قوله :

* وَلَيْسَ لِنَأْيِهَا إِذْ طَالَ شَافِ *

٩١ — وقال رجل من بنى كَلْب :

وحَنَّتْ نَاقتى طَرَبًا وَشَوْقًا إلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تُشَوِّقِينِى

فقوله « كاف » فى أحد الوجوه مصدر ، لكنه لم ينصبه، وجعله كقول الآخر:

* كأنَّ أيْدِيهِنَّ بالْقَاعِ الْقَرِقْ (١) *

فى ترك إعراب المعتل فى موضع النصب أيضا ، إذ كان من العرب من يستثقل الفتحة فى الياء ، والتقدير كفى النأيُ من أسماء كافيا : أى كفاية ، وقد جاء فى المثل «أعْطِ القوس بَارِيهَا» بسكون الياء فى باريها ، ولم يرو أحد «بارِيَهَا» فليس يجوز إلا ما حكى لأن الأمثال لا تغير

(١) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

انتصب «طربا» على أنه فى موضع الحال ، أو على أنه مفعول له ، وأول البيت خبر عن راحلته ، وآخره خطاب لها ، وقوله « تشوقينى » حذف نونه استثقالا لاجتماع نونين ، والأصل تشوقيننى ، ومثله

* يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إذَا فَلَيْنِى (٢) *

وإنما خاطب الناقة منكرا عليها ما ظهر منها ، فقال : تشوقيننى بحنينك إلى من ، أراد أنه مع حصول اليأس لا يجب أن تحن ، ويجوز أن يكون المعنى تعظيم المشتاق إليه ، فكأنه قال: تشوقيننى إلى من بحنينك : أى إلى إنسان وأى إنسان ، وَمَنْ من قوله « إلى من » فى هذا الوجه تكون نكرة غير موصوفة ، وإن كان

---

(١) بعد هذا قوله :

* أيْدِى جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرَقْ *

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره :

* تَرَاهُ كالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكا *

فَإِنِّى مِثْلُ ماتَجِدِينَ وَجْدِى ... وَلَـكِنْ أَصْحَبَتْ عَنْهُمْ قَرُونِى (١)
رَأَوْا عَرْشِى تَثَلَّمَ جَانِبَاهُ ... فَلَمَّا أَنْ تَثَلَّمَ أَفْرَدُونِى (٢)
هَنِيئاً لِابْنِ عَمِّ السَّوْءِ أَنِّى ... مُجَاوِرَةً بَنِى ثُعَل لَبُونِى (٣)

الـكلام خبرا ، وفى الأول تـكون استفهاما ، وتقول : مررت بما صالح ، وبمن كريم ، تريد بانسان كريم ، وقد حمل قوله عز وجل : (مثلا ما بعوضة) على أن معناه مثلا شيئاً بعوضة فهى على هذا نـكرة موصوفة

(١) قوله «مثل ما تجدين» خبر يجوز أن يكون خبرا مقدما والمبتدأ وجدى فيكون التقدير إنى وجدى مثل ما تجدين ، والجملة خبر إن ، ويجوز أن يكون مثل خبر إن ووجدى بدلا من الضمير المتصل بانى ، كأنه قال : إن وجدى مثل ما تجدين ، وما بمعنى الذى ، وتجدين من صلته ، والضمير العائد إليه محذوف ، كأنه قال : مثل ماتجدينه : أى مثل الوجد الذى تجدينه ، ويجوز أن يكون «ما» مع الفعل فى تقدير المصدر ، كأنه قال : إنى وجدى مثل وجدك ، والأصل فى إنى إننى لـكنه حذف نونه لاجتماع ثلاث نونات ، ويجوز أن يكون لم يأت بنون العماد ، كما لم يؤت به فى لعلى وليتى ، والمعنى إن وجدى مثل وجدك ، ولـكن تابعتنى نفسى باليأس منهم ، وأنت لاتعرفين اليأس ، والإصحاب : الانقياد ، والقرون وَالْقَرُونة النفس ، يقال : أخذت قرونى من هذا الأمر : أى رفضته واطرحته

(٢) العرش : سرير الملك وقوام أمر الرجل وعزه ؛ فاذا زال قيـل : ثُلَّ عرشه وتَثَلَم : أى صار فيه ثلمة

(٣) «أنى» فى موضع الفاعل لهنيئاً ، و«مجاورة» ارتفع على أن يكون خبر أن ، و«لبونى» فى موضع الرفع على أنها فاعلة لمجاورة ، وبنى ثعل : مفعول به ، والمعنى ليهن ابنَ عَمِّ السوء بعدى عنهم ومجاورةُ لبونى لغيرهم ، واللَّبون : الناقة التى بها

٩٢ — وقال رجل من بنى أسد :

وَمَاأَنَا بِالنِّكْسِ الدَّنِيِّ وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ (١)

ابن ، ويجوز أن يرتفع مجاورة على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ لبونى ، والجملة كما هى تكون خبر أن ، ويجوز أن يكون لبونى بدلا من الضمير المتصل بأنى ، والخبر مجاورة ، والمعنى والتقدير أن لبونى مجاورة بنى ثعل ، وأخبر فى هذا الكلام بأن ما حصل من بعده عن العشيرة كانوا يتمنونه ، ويجوز أن يكون وعيدا وتهكما

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

النِّكْس: أصله فى السهام ، ونقل إلى الضعيف من الرجال ، يقال: نكسته نَكْساً ، ثم سمى المنكوس نِكْساً ، كما يقال : نقضته نَقْضًا ، ثم يسمى المنقوض نِقْضًا بكسر النون ، كان السهم انكسر فوقه فنكس فسمى نكسا ، يقول : ما أنا بالمستضعف اللئيم ولا الذى إذا انحرف عنه من يواده دعا بالويل والحرب ، فقال : وَاحَرَبَاه ، ومثله :

وَلاَأَقُولُ إِذَا مَاخَلَّةٌ صَرَمَتْ يَاوَيْحَ نَفْسِيَ مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقِ

ويجوز أن يكون معنى أحرب أغتاظ ، وهذا أسلك فى طريق العربية ، قال جرير:

إِنِّي إِذَا الشَّاعِرُ الْمَغْرُورُ حَرَّبَنِي جَارٌ لِقَبْرٍ عَلَى سَرَّانَ مَرْمُوس

وكان يجب أن يقول «ولا الذى إذا صد عنه ذو المودة يحرب» حتى يكون فى الصلة ما يعود إلى الموصول ، لكنه لما كان القصد فى الإخبار إلى نفسه وكان الآخر هو الأول لم يبال برد الضمير على الأول ، وحمل الكلام على المعنى لأمنه من الالتباس ، وهو مع ذلك قبيح عند النحويين

وَلَكِنَّنِى إِنْ دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ   لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّى فَلِى عَنْهُ مَذْهَبُ(١)
أَلَا إِنَّ خَيْرَ الوُدِّ وُدٌّ تَطَوَّعَتْ   لَهُ النَّفْسُ لَا وُدٌّ أَتَى وَهْوَ مُتْعَبُ(٢)

٩٣ — قال أبو حَنْبَلٍ الطائى(٣)

لَقَدْ بَلَانِى عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ   عِنْدَ اخْتِلَافِ زِجَاجِ الْقَوْمِ سَيَّارُ(٤)

---

(١) ويروى « ولـكننى ما دام دمت » ويكون موضع « ما دام » ظرفا وخبر لـكنّ دمت ؛ وفى الأولى يكون الجزاء وجوابه خبرا

(٢) أى : أتى بكره ولم يأت بسهولة ؛ ومثله قول الآخر قالوا : هو لمسلم بن الوليد .

وَلَا خَيْرَ فِى وُدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهٍ   عَلَيْكَ وَلَا فِى صَاحِبٍ لَا تُوَافِقُهْ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ مَا   بَذَلْتُ لَهُ فَاعْلَمْ بِأَنِّى مُفَارِقُهْ
فَإِنْ شِئْتَ فَاصْحَبْهُ فَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ   وَإِنْ شِئْتَ فَاجْعَلْهُ صَدِيقًا تُمَاذِقُهْ

(٣) حَنْبَل : صفة منقولة ، يقال فرو حنبل ، إذا كان قصيرا ، والنون أصل ، والكلمة بها رباعية ، قال أبو هلال : اسمه جارية بن مُرٍّ الثُّعَلِى ، وهو الذى نزل عليه امرؤ القيس فأشارت عليه امرأته بالغدر به فأبى ، وكان أعور سناطا ، قصير الساقين ، فقالت ابنته : والله ما رأيت كاليوم ساقى واف ، فقال : هما ساقا غادرٍ شر ، فذهب مثلا ، يضرب للزَّرِى الذى له خصال محمودة

(٤) الثانى من البسيط ، مطلق موصول مردف ، والقافية متواتر

بلانى : اختبرنى ، وارتفع سيار بقوله « بلانى » واللام فى « لقد » تؤذن بيمين ؛ يقول : لقد خبرنى هذا الرجل على ما اتفق من حدث فعرف حسن بلائى عند اختلاف القنا بالطعن ؛ وذكر الزِّجَاج والمراد الرماح بكمالها ، ومثله قول الآخر :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِم *

وإنما توطأ النعل كلها ، ويقال : زَجَجْتُه بالرمح ، إذا زرقته به

حَتَّى وَفِيتُ بِهَا دُهْماً مُعَقَّلَةً   كَالقار أَرْدَفَهُ مِنْ خَلْفِهِ قَارُ (١)
قَدْ كَانَ سَيْرٌ فَحُلُّوا عَنْ حَمُولَتِكُمْ   إِنِّي لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ جَارِهِ جَارُ (٢)

---

(١) كان لسيار إبل سيقت فتضمنها له بأعيانها أوشَرْوَاها ، يقول : أخذ سيار ينتظر ماذا يكون منى فيما تضمنت ، حتى وفيت بإبله سودا مشدودة بعُقُلِهَا ، كأنها في سوادها قارٌ عُولى بقارٍ ، يراد به تأكيد السواد ، ويقال : ردفته وأردفته ، إذا جئت بعده ، ورَدِفكم ورَدِفَ لكم : أى تبعكم وجاء بعدكم ، وانتصب « دهما » على أنه حال للإبل وفائدة قوله « كقار » تصوير للإبل بألوانها ، وفائدة قوله « معقلة » أنه سَلَّمَهَا فى مباركها آمنة ، ويجوز أن يكون أراد بالقار جمع قارة ، وهى الجبال ، فشبهها فى عظمها بها

(٢) يقول : قد كان سير للخوف والحذر قبل هذا الوقت ، فأما الساعة وقد بلغتم المأمن فى جوارى فحلوا عن أحمالكم ، إنى لكل رجل منكم جار بدلا من جاره الأول ، ويحتمل أن يكون معناه إنى لكل رجل مجير ممن يجاوره أو ممن يدانيه بسوء ، والجار : المجير والمستجير ، والأول أجود ، والحمولة : جمع حمل ، ودخلت الهاء فيه توكيداً لتأنيث الجمع ، والحَمُولة : الإبل التى يحمل عليها ، وهى فَعُولة كالقتوبة والركوبة ، ولا يجرى على الموصوف ، لا يقال : دابة حمولة ، ويقال : إن هذه الأبيات لعامر بن جُوَيْن حين أجار سَيَّار بن مَوْألة بن عامر ابن مالك بن تَيْم الله بن ثعلبة ، وكان سيار جارا لرجل من بنى ثُعَل يقال له عَدِى بن أفلت ، ثم عامر بن جوين بعدى بن أفلت ، وقد قامره سَيَّار ابن مَوْألة بالقداح فقمَرَه عَدِىٌّ حتى غَلِقَ مال سيار ، فظعن الحى ، فقال سيار لقَيْنَتَيْن له : تخلفا بأهلكما بعد الحى حتى ينزلوا ، فاذا نزلوا فانطلقا برحلكما حتى تفدا إلى رحل عامر بن جُوَيْن ففعلتا ، فجاء عدى بن أفلت ، فأراد أن

٩٤ — وقال يزيد بن حمار السَّكُونىّ يومَ ذى قارٍ (١)

إنِّى حَمِدْتُ (١) بَنِى شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ نِيرَانُ قَوْمِى وفِيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ (٢)

ينقلهما ورحالهما ، فأبى ذلك عامر بن جُوَيْن ، وقال : قد جاورنى الرجل ، فلما خرج امرؤ القيس بن حجر عند عامر بن جُوَين فنزل على أبى حَنْبل جاريةَ ابن مُرٍّ تهادى أبو حنبل وعامر الشعر ، فقال عامر :

* لَقَدْ بَلاَنِى عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ ... الأبيات *

وهى أبيات يقول فى بعضها بيتا فى آخره « ويشتمنى فى الناس أوضار » أى : الأوساخ . يعرض بأبى حنبل ، فقال أبو حنبل حين سمع هـذا البيت » « أما وذُو بَيْتُهُ بسماء لقد عرض لى هذه القافية فأكرمت عامرا عنها » ، أراد والذى بيته فى السماء

(١) السَّكُون : مرتجل ارتجال الصفة ، يدل على أنه كذلك وجود اللام فيه معرفة ، فجرت مجراها فى العبـاس والحرث والصَّعِق ، هـكذا قال أبو تمام ، والصحيـح أنه عَدِىّ بن يزيد بن حمار ، بعد الألف راء ، ابن عَبَّاد بن سلمة ابن عوف بن تراغم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن سَـكون ، واسم تراغم مالك ، وعدى جاهلى ، ويعرف بالْجَوْن ، وكان نازلا فى بنى شيبان

(٢) الثانى من البسيط ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

قوله « خمدت نيران قومى » يجوز أن يـكون المراد به أن الحرب سكنت فيما بين قومى وشبت نيران الحرب فى بنى شيبان ، ويجوز أن يكون المراد به النار نفسها وهو الوجه لذكره المحل فى قوله :

---

(١) فى جميع أصول الشرح « إنى حدمت » وهو مصحف عما أثبتناه ، وسيأتى فى الشرح ذكر معنى الأبيات فيقول « إنى حمدت هؤلاء الخ »

وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فِي الْمَحْلِ أَنَّهُمُ ... لاَ يَعْلَمُ الجارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ (١)
حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا مِنْ نُفُوسِهِمِ ... أَوْ أَنْ يَبِينَ جَمِيعاً وَهْوَ مُخْتَارُ (٢)
كَأَنَّهُ صَدَعٌ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ ... مِنْ دُونِهِ لِعِتَاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارُ (٣)

(١) أي: يُجْرُونَهُ مُجْرَى أنفسهم ، حتى يقدّر أنه منهم ، ويروى «لا يُعْلَم الجار» أي لا يعرف أنه غريب فان كل من رآه قدر أنه منهم لإكرامهم له

(٢) أي : مادام مقيما فيهم كأنه واحد منهم ، أو أن يبين جميعا : أي يفارق مجتمعة أسبابه ، وهو مختار ، لا يخرج كرها ، ونصب « جميعا » على الحال : أي يبين جميعةً أسبابه ، ويجوز أن يكون على الحال من الذين يفارقهم ، يعنى أن يفارقهم وهم مجتمعون لتوديعه ، وقوله « حتى يكون عزيزا » بمنزلة قولهم : أكرمني زيد حتى آثرني على نفسه ، معناه إلى أن آثرني على نفسه ، ويكون منصوبا بحتى ، وإذا جعل غاية نصب ، كقولك : سرت حتى أدخلَهَا : أي إلى أن أدخلها ، وقد يجوز الرفع بعد حتى إذا كان معناه معنى الحال ، تقول : حتى أدخُلُها ؛ إذا كنت في حال الدخول ، قال حسان :

* يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلاَبُهُمْ *

بالرفع ، التقدير يغشون وهذه حالهم ، ومجموع معنى الأبيات أنه يقول : إني حمدت هؤلاء القوم حين أطفئت نيران قومي وتغيرت وأوقدت نيران بني شيبان فنزلت فيهم ، ومن كرمهم عند الشدّة أنهم يعزون الجار حتى يقدر أنه منهم ، ثم إذا أراد الترحل عنهم ترحل وهو موفور لم يتهضم له مال ولا أهل ، ثم وصف عز الجار بهم وشبهه بوَعِل بين الوعاين لا يكون ضخما فيعجز عن النفوذ في قُلَل الجبال ولا شَخْتا فيضعف عن التَّوَقُّل في الشواهق ، فقال

(٣) أي : كأنه وَسَطٌ من الأوعال في رأس شاهقة : أي قُلَّةٍ مرتفعة لا تصل عِتَاق الطير إليه : أي جوارحها . ويجوز أن يكون قوله «حتى يكون عزيزا من نفوسهم»

٩٥ — وقال آخر :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِياً غَرِيباً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنٍ مَحْلِ (١)

فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي (٢)

٩٦ — وقال جابر بن الثعلب الطائى (٣)

معناه أنهم يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزا فيما بين ظهرانيهم أو يختار مفارقتهم ، والمعنى ذلك له فيهم ما اعتز بجوارهم أو مل إلى فراقهم ، ويجوز أن يكون قوله « من نفوسهم » فى موضع الحال ، و« عزيزا » خبر كان ، وإن جعلت « عزيزا » فى موضع الحال و « من نفوسهم » خبراً جاز ، والمعنى حتى يكون كأنه من أصلهم ، كما قال الله عز وجل : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من جنسكم ومن بطانتكم

(١) الأول من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متواتر

شاتيا : أى داخلا فى الشتاء ، والشتاء عندهم الجدب ، ويقال : زَمَنٌ مَحْلٌ وصف بالمصدر ، وما حِلٌ ومُمْحِلٌ ، والأصل فى المحل انقطاع المطر ويبس الكلأ ، ويقال : أرض محل ، وأرض مُحُول ، وصف بالجمع ، كأنه أجرى على أقطاع الأرض كما يقال ثوبٌ مِزَقٌ

(٢) الاقتفاء من القفى وهو ما يؤثر به الضيف وأصل الاقتفاء اتباع الأثر كأنهم يتتبعون أموره فيصلحونها ويروى « افتقادهم » أى تفقدهم

(٣) قال أبو الفتح : الثعلب أشياء : أحدها واحد الثعالب ، والأنثى ثعلبة . وتسمى الاست أيضا ثعلبة ، وطرف الرمح الداخل فى السنان يقال له ثعلب أيضا ، قال :

* وَثَعْلَبُ الْعَامِلِ فِيهِ مُنْكَسِرْ *

وقال الآخر :

* وَفِي ضِبْنِهِ ثَعْلَبٌ مُنْكَسِرْ *

وَقَامَ إِلَىَّ الْعَاذِلَاتُ يَلُمْنَنِي يَقُلْنَ أَلَا تَنْفَكُّ تَرْحَلُ مَرْحَلاَ[(١)]
فَإِنَّ الْفَتَى ذَا الْحَزْمِ رَامٍ بِنَفْسِهِ جَوَاشِنَ هٰذَا اللَّيْلِ كَيْ يَتَموَّلَا[(٢)]
وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ يَحْمَدِ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعَمِّ مُخْوِلاَ[(٣)]

والثعلب : مجرى الماء من جرين التمر والمربد . غير أن هذا الاسم الذى نحن بصدده هو منقول من الثعلب الحيوان ، وذلك أن فيه مع علميته لام التعريف ، وهذا يلحقه بالصفة نحو الحرث و المظفر وليس فى هذه الأشياء المقدم ذكرها ما يشابه الوصف إلا الثعلب لما فيه من الخبث والخب : ألا تراه قال :

كُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَهْ

فكأنه قال جابر ابن الخبيث أو الخب أو المنكر

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

ويروى « أَلَا يَا أُرْحَلْ لِأَهْلِكَ مَرْحَلاَ » أى : ألا تزال ترتحل ارتحالا ، و« مَرْحَلاً » انتصب على المصدر ، كما تقول : أما تنفك تخرج مُخْرَجًا ، وموضع « يلمننى » موضع الحال ، و « يقلن » فى موضع البدل من « يلمننى » أى : يقلن لى أرحل وإن الفتى الحازم يركب الليل ليتمول : أى ليصيب مالا

(٢) جواشن الليل : صدوره وأوائله ، والليل بازاء النهار فى الاستعمال ، والليلة بازاء اليوم

(٣) «يحمد الغنى» إذا عدمه عرف فضله فحمده : وإنما تعرف الأمور بأضدادها ومن هنا أخذ أبو تمام قوله :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلاَّ لِمَوْقُوفٍ عَلَى ترح الْوَدَاعِ

وقوله «واسط العم» سِطَة الحسب : كرمه ، والفعل منه وَسَطَ يَسِط ، قال :

* وَقَدْ وَسَطْتَ مَالِكاً وَحَنْظَلاَ *

وَيُزْرِى بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مالِهِ   وَإِنْ كَانَ أَسْرَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلاَ (١)
كَأَنَّ الفتى لَمْ يَعْرَ يَوْماً إِذَا اكْتَسَى   وَلَمْ يَكُ صُعْلُوكاً إِذَا مَا تَمَوَّلاَ (٢)
وَلَمْ يَكُ فِي بُؤْسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً   يُنَاغِى غَزالاً فَاتِرَ الطَّرْفِ أَكْحَلا (٣)
إِذَا جَانِبٌ أَعْيَاكَ فَاعْمِدْ لِجَانِبٍ   فَإِنَّكَ لاَقٍ فِى بِلاَدٍ مُعَوَّلاَ (٤)

وقول رسول الله صلى عليه وسلم « أنا أوسط قريش حسبا » أى : أكرمهم ، ولم يرد أن حسبه بين الرفيع والدون ، وهو من واسطة القلادة ، والمخول : الكريم الخال ، والمعم : الكريم العم ؛ يقول : يحمد الغنى ولا يحمد قومه عند الفقر لأنهم يحقرونه ؛ ودل على هذ المعنى بقوله :

* وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعَمِّ مُخْوِلاَ *

(١) أحول : أى أكثر حيلة ، وأصل الياء فى الحيلة واو ، وإنما صارت ياء لانكسار ماقبلها

(٢) الصعلوك : الفقير ، وتصعلك الرجل : إذا افتقر ، يقول : إذا اكتسى فكأنه لم يعرقط ، وإذا تمول فكأنه لم يفتقر البتة ، وقال الشاعر :

غَنِينَا زَمَاناً بِالتَّصَعْلُكِ وَالْغِنَى   وَكُلٌّ كَأَنْ لَمْ نَلْقَهُ حِينَ أَدْبَرَا

(٣) المناغاة : المغازلة ، وأصله من النغية ، وهو الصوت اللطيف والنغمة الحسنة الخفيفة ، ويقال : مارجع إلى نغية : أى كلمة ، ويروى « ساجى الطرف » والساجى : الساكن

(٤) المعول : المتكل ، ومثله قول المحدث :

إِذَا مَاضِقْتَ فِى أَرْضٍ فَدَعْهَا   وَحُثَّ الْيَعْمَلاَتِ عَلَى وَجَاهَا
وَلاَ يَغْرُرْكَ حَظُّ أَخِيكَ مِنْهَا   إِذَا صَفِرَتْ يَمِينُكَ مِنْ جَدَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ   وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ نَفْساً سِوَاهَا

٩٧ — وقال بعض طيء :

إنْ أَدَعِ الشِّعْرَ فَلَمْ أُكْدِهِ　　إذْ أَزِمَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ (١)
قَدْ كُنْتُ أُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ　　وَأُكْثِرُ الصَّدَّ عَنِ الْجَاهِلِ (٢)

٩٨ — وقال آخر :

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدُبٍ　　بِجَنُوبِ خَبْتٍ عُرِّيَتْ وَأُجِمَّتِ (٣)

---

(١) الثانى من السريع . مطلق مؤسس موصول . والقافية متدارك

قوله « إذ أزم » ظرف لقوله « أدع » وتقدير الكلام إن أدع الشعر إذ أزم الحق على الباطل فلم أكده . ويريد بالحق كبرته وشيخوخته وما أخذ به النفس عنده من مراعاة الحق والرجوع عن الهزل ، وأراد بالباطل الصبا واللهو ؛ ومعناه إنى لم أترك الشعر عن عجز ، يقال : أكدى الرجل : أى انقطع ماعنده

(٢) أى : قد كنت أجرى الشعر على حقه وكنهه ، ومع ذلك كنت أكثر الإعراض عن الجهال . قال أبو هلال : ليس قوله « قد كنت أجريه على وجهه » لفقا لقوله « وأكثر الصد عن الجاهل » وهذا أحد عيوب الشعر ، ومثله قول الأعشى :

وَإِنَّ امْرَأً أَسْرَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ　　فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ
لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِهِ　　وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ الْمُوَفَّقُ

ليس قوله « أن تستجيبي لصوته » لفقا لقوله « أن المعان الموفق »

(٣) أول الكامل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

جندب : اسم هذا الرجل ، وَخَبْت : ماء لكلب ، وعُرِّيت : من الرحل وأجمت : أى أريحت من الركوب ، يقول : زعموا أن جندبا قد ألقى رحله وأراح راحلته وقعد عن السفر ، ثم قال

كَذَبَ الْعَوَاذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا ... بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وَجُنَّتِ (١)

٩٩ — وقال الراعى :

كَفَانِى عِرِفَّانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ ... كُلُوءَ النُّجُومِ وَالنُّعَاسُ مُعَانِقُهُ (٢)

فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتِهِ ... وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ أَيْنَ مَخَافِقُهُ (٣)

---

(١) ويروى « لج وذلت » أى : لج جندب فى التباعد وذلت الناقة من طول السفر ، وجنت : أى جنت ناقته . وهذا رجل بلغه أنه ذكر بالتقصير فى السير إلى العدو فانتفى من ذلك وكذب العواذل فيما حكين عنه ، والقادسية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل : إنما سميت القادسية لأن كسرى ولاها القادس الهروى ، وقيل : سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام غسل رأسه فيها فأخذت من الْقُدْس وهو الطهر

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

عِرِفَّان : اسم صاحبه ، قال أبو العلاء : ويروى « عُرُفَّان الكرى » مسمى بالعُرُفان ، وهو دويبة ، وقيل : ضرب من الجراد ، فيقول : نام هذا الرجل وكفانى الاشتغال بالنوم ، وكلأت النجوم فكفيته السهر ، وقد لازم النعاس وعانقه ، قال أبو هلال : وهذا معنى فاسد ؛ لأن صاحبه إذا نام لم يكتف هو من النوم ، وإنما يقال : كفانى فلان الأمر ، إذا قام به دونك فأغناك عن القيام به ، وليس كذلك النوم ، ويروى « كفانىَ عِرْفَانَ الكرى » أى معرفته ، والرواية الأولى أجود

(٣) هذا تظنن من القول ؛ لأن الساهر لايعلم من حال النائم أنه يحلم أو لا يحلم ، وإنما نبه بهذا الكلام على استحكام نومه وتلذذه به ، إذ كانت الأحلام لاتحصل للنائم إلا عند ذلك ، ولما قال بات النوم يريه امرأته وبناته قال فى مقابلته

١٠٠ — وقال آخر :

فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إلاَّ أَلَمَّتْ ... بِرَحْلِي أَوْ خَيَالَتُهَا الْكَذُوبُ(١)

وَقَدْ جَعَلَتْ قَلُوصُ ابْنَيْ سُهَيْلٍ ... مِنَ الأَكْوَارِ مَرْتَعُهَا قَرِيبُ(٢)

على الطريقة التي فى البيت الأول «وبت أريه النجم» وهذا الجنس يكثر فى كلام البلغاء ، ومثاله قوله عز وجل (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) و (إنما نحن مستهزؤن الله يستهزىء بهم) والمخافق : المغارب ، وأصل الخفق الاضطراب ، فقوله «اين مخافقه» أى : أين مغيبه

(١) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

هذا رجل خرج مسافرا وقد نأى عن حبيبته ، فيقول : لا أنزل منزلا إلا ألمت التى أهواها برحلى أو ألمت خيالتها الكذوب ، وجعلها كذوبا لأنه لا حقيقة لها ، ويقال : خَيَال وخَيَالَة ، كما يقال : مكان ومكانة

(٢) أى : لم تتباعد فى الرعى لماحط رحلها لما بها من الإعياء ، فبركت مكانها أورعت رَعْياً قريبا ثم بركت ، وقال أبو العلاء : ويروى « فقد جعلت قَلُوصَ ابنى سهيل » وكثير من الناس يرفع القلوص ، وهو وجه ردىء ؛ لأن القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن بد من إتيانه بالفعل كما قال :

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلاَ قِلًى ... أَزُورُكُمُ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرَا

وعلى ذلك جميع ما يرد ، فاذا قال القائل «جعل زيد فعله جميل» ولم يأت بلفظ الفعل فانما يحمله على المعنى ، كأنه قال : جعل زيد يجمل ، وأحسن من هذا الوجه أن تنصب قلوصَ ويكون فى جعلت ضمير يعود على المرأة المذكورة ، وليست جعلت فى هذا الوجه فى معنى المقاربة ، وإنما هى بمعنى صيرت فلا تفتقر إلى فعل ، ويكون قوله « مرتعها قريب » جملة فى موضع المفعول الثانى ، كما يقال : جعلت

كَأَنَّ لَهَا بِرَحْلِ الْقَوْمِ بَوًّا وَمَا إِنْ طِبُّهَا إِلاَّ اللُّغُوبُ (١)

١٠١ — وقال آخر ، وضرب بنو عم له مولى له اسمه حَوْشب : (٢)

إِنْ كُنْتُ لاَ أُرْمَى وَتُرْمَى كِنَانَتِي * تُصِبْ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشْحِي وَمَنْكِبِي (٣)

أَخَاكَ مَانُهُ كـثير · وفى الوجه الأول جملت بمنى طَفِقَتْ . ولذلك لاتتعدى و «مرتعها قريب» فى موضع الحال : أى أقبلت قلوص هذين الرجلين قريبة المرتع من رحالهم

(١) اللغوب: الإعياء. يقول: وماداؤها إلا الكلال فقد لزمت لما بها من الإعياء رَحْلَ القوم كأن لها فى الرحْلِ بَوًّا فهى لاتبرح · والبو: جلد الحُوَار يُحْشَي ثُمَاما أو غيره ويقرب إلى أمه لِترْأَمَهُ وتدرعليه ؛ وذلك إذا فقدت ولدها بذبح أوغيره

(٢) وَالْحَوْشَب : العظيم البطن ، ويقال : إن هذا الجندل بن عمرو ، والجندل : الصخر

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

ويروى « جائحات النبل » أى مجتاحات : أى مهلـكات ، و«جانحات» بالنون ، قالوا : هى كاسرات الجناح من قولهم « جَنَحَه » إذا أصاب جناحه ، وهذا أجود : لأنه لايقال : رماه فاجتاحه ، ويجوز أن يكون جانحات ماجنح إليه من السهام : أى مال ، وقال « تُرْمَى كنانتى » فذَكَرَ الـكنانة وأراد الخاصرة لأنها موضع الـكنانة ، وقال أبو سعيد الضرير النيسابورى صاحب الأصمعى : جعل الـكنانة مثلا لمولاه لأنه كان يستودعه سره كما يستودع الرجل الـكنانة سهمه ، يقول : إن رمى مولاى ولم أرم فكأن النبل أصابتنى فأغضب وأنتصر ، وقيل : هـذا مثل مضروب ، وذلك أن رجلا من بنى فَزَارة وآخر من بنى أسـد التقيا ، وكانا راميين ، ومع الفزارى كنانة جديدة ، ومع الأسدى

فَقُلْ لِبَنِى عَمِّى فَقَدْ وَأَبِيهِمُ * مُنُوا بِهَرِيتِ الشِّدْقِ أَشْوَسَ أَغْلَبِ (١)
أَفِيقُوا بَنِى حَزْنٍ وَأَهْوَاؤُنَا مَعًا وَأَرْحَامُنَا مَوْصُولَةٌ لَمْ تَقَضَّبِ (٢)
وَلَا تَبْعَثُوهَا بَعْدَ شَدِّ عِقَالِهَا ذَمِيمَةَ ذِكْرِ الْغِبِّ فِى الْمُتَعَقَّبِ (٣)

كنانة رثة ، فقال الأسدى : أينا أرمى ؟ فقال الفزارى : أنا : فقال الأسدى : فانصب كنانتك أرمى فيها ، فانى أنصب كنانتى حتى ترمى فيها ، فنصب الأسدى كنانته ، وجعل الفزارى يرميها حتى أنفد سهامه كلها ، فلما رأى الأسدى سهام الفزارى قد نفدت قال : انصب لى كنانتك حتى أرميها ، فنصبها و سَدَّد السهم نحوه حتى قتله ، فضرب مثلا لمن يعمل عملا وهو يُرى غيره ؛ يقول : إذا تُعُرِّض لمن يلينى فقد تُعُرِّض لى ؛ وأكون بمنزلة من ترمى كنانته وهى عليه لا يؤمن أن يصيبه ما يطيش من الشدة ، والنَّبل : اسم صيغ للجمع ، والكنانة : ما يغطى به الشىء فى الأصل ، واختص به الجعبة ، وهو من الكن كالستارة من الستر ، وقد فصل بين كَنَنْت وأكْنَنْت فجعل أكننت لما يضمر فى القلب من الحديث والسر وكننْت لما يستر بشىء ، وقال ابن دريد : الكنانة لا تكون إلا للنبل ، وتكون من أدَمٍ ، فاذا كانت من خشب فهى جَفِير ، وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهى قرن ، والجعبة تكون للنبل والنشاب جميعا

(١) الهرت : سعة الشدق ، ويقال : مُنِى له كذا : أى قُدِّر له كذا ، وقوله « مُنُوا » أى : بلوا بمن هذه صفته ، وهى من صفات الأسد

(٢) يستعطفهم ويقول : انتبهوا من غفلتكم قبل وقوع الحرب مجتمعة أهواؤنا ؛ موصولة أرحامنا ؛ لم تقضب : لم تقطع : أى اتركوا التجاهل علينا قبل أن تتفرق أهواؤنا فتبغضونا ونبغضكم فيجرى بيننا المكروه

(٣) هذا مثل : أى لا تبعثوا الحرب بعد السِّلم

فَإِنْ تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً قَبِيحَةَ ذِكْرِ الْغِبِّ لِلْمُتَغَبِّبِ (١)
سَآخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزْنِ بْنِ حَوْشَبٍ وَإِنْ كَانَ لِي مَوْلًى وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي (٢)

١٠٢ — وقال آخر :

أَبُوكَ أَبُوكَ أَرْبَدُ غَيْرَ شَكٍّ أَحَلَّكَ فِي الْمَخَازِي حَيْثُ حَلَّا (٣)
فَمَا أَنْفِيكَ كَيْ تَزْدَادَ لُؤْمًا لِأَلْأَمَ مِنْ أَبِيكَ وَلَا أَذَلَّا (٤)

---

(١) أى : إن تبعثوا الحرب تذموها لما يلحقهم فيها من القتل قبيحة ذكر الغب للمتغبب ، الْمَغَبّ والْمَغَبَّة والْعُقْبَى والعاقبة واحد

(٢) ويروى «وإن كان مولاى وكنتم بنى أبى» على الزحاف الذى هو الكف وليس فى الحماسة بيت مكفوف غيره ويروى « مَوْلًى لى » فعلى هذا يسلم من الزحاف والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان مولاى و بنى أبى

(٣) الوافر الأول ، والقافية متواتر ، وهو مطلق مجرد موصول

ارتفع «أبوك» بالابتداء . وكرره تأكيدا ، وأربد : بدل منه . وخبر المبتدأ «أحلك» وانتصب غير على المصدر وهو مما يؤكد به ما قبله ، ومثله حقا وما أشبهه والمعنى إن لؤم أبيه موروث و إنه قد اقتدى بسلفه

(٤) أى : لا أبرئك من أبيك طلبا لأن أنسبك إلى من هو ألأم منه لتزداد لؤما وذلا لأن أباك النهاية فى هذين ، وانتصب لؤما على التمييز ، واللام من «لألأم» تعلق بفعل مضمر ، كأنه قال: ما أنفيك من أبيك وأدعوك لألأم منه ، لأنه إذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره ، و يجوز أن يحمل الكلام فيه على المعنى فيتصور أنفيك بأدعوك و يعدى تعديته ، ومثله قول الله عز وجل : (هل لك إلى أن تزكى) وعلى هذا يحمل قول الفرزدق :

* قَدْ قَتَلَ اللهُ زِيَادًا عَنِّي *

١٠٣ — قال جميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ العذرى (١)

أَبُوكَ حُبابٌ سارقُ الضَّيْفِ بُرْدَهُ ... وَجَدِّي يَاحَجَّاجُ فَارِسُ شَمَّرا (٢)

بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ ... لِآبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيَّرَا (٣)

لما كان معناه صرفه الله عنى

(١) قال أبو العلاء : جميل أخذ من الجميل الشحم المذاب ، لأن الإنسان إذا سمن وحسنت حاله ظهر جماله بذلك ، ولهذه العلة قالوا فى المثل : قال أَرِنى حَسَناً قال أُرِيكَ سَميناً

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

أصله « سارقٌ بُرْدَ الضيف » لكنه أضافه إلى الضيف بناء على قولهم : سَرَقْتُ الضيفَ برده ، والمراد سرقت من الضيف ، لكنه حذف الجار تخفيفا ووصل الفعل فعمل فيه ، وعلى هذا يقال : اخْتَرْتُ الرجالَ زيداً ، وهو مختار الرجال زيداً ، وشَمَّر : اسم فرس ، ينشد بفتح الشين وكسرها ، فاذا فتحت الشين فهو مسمى بالفعل الماضى ، كما سمى الرجل خَضَّمَ لكثرة أكله ويكون على هذا مأخوذا من قولهم : شَمَّرَ ثوبَهُ إذا رفعه ، وَشَمَّرَ فى الأمر إذا جد فيه ، وَشَمَّرَ السَّهْمَ وغيره إذا أرسله ؛ وإذا كسرت الشين فهو اسم على فِعَّلٍ مثل الإِمَّر والْهِلَّع ، ويجب أن يكون على هذا الوجه اسم فرس أنثى ، وهو علم لمؤنث كامرأة تسميها بِقَنَّب ودِنَّب ، هذا ماذكره أبو العلاء فى هذه الكلمة ، وحُبَاب يجوز أن يكون بدلا . وسارق الضيف خبرا ، ويجوز أن يكون حباب خبرا ، وسارق الضيف صفة ، وهذا أجود حتى يكون فى مقابلة فارس شمرا

(٣) كما فَضَّل جده على أبيه فى البيت الأوّل فضل نفسه عليه فى البيت الثانى ، والمعنى إن الولد يَتَقَيَّلُ أباه ، فاذا كان صالحا فهو صالح ، وإن كان غير ذلك فهو مثله ، وقوله « ومن يكن لآباء صدق » أى : من كان ولد آباء كرام

فَإِنْ تَغْضَبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهُ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرا (١)

١٠٤ — وقال أبو النَّشْنَاش : (٢)

عرف بهم ولقيهم أى سار ، ويجوز أن يكون بمعنى سَيَّرَ رواحله . ويقال : هـذا رجل صدق ، إذا كان مَرْضِيًّا من الرجال ، وليس الصدق ههنا خلاف الـكذب

(١) أى : إن سخطتم ماقسم الله تعالى لـكم وجعله نصيبكم فَللهُ كان أعلم بكم وبقدر استحقاقـكم لما لم يركم أهلا لأكثر منه ، والمعنى إن ماحصلتم عليه من البخس فى القسمة حكمة من الله عز وجل ونصفة

(٢) قال أبو العلاء : كان الأصمعي يقول : أبو النَّشَّاش على وزن فَعَّال وهو من النشيش ، يقال : نَشَّتِ الجرة ، إذا بعد عهدها بالمـاء ، فاذا قرعت به سمع لها صوت كالْغَلَيَان ، وكذلك نش الحوض إذا كان الحر شديدا فنش إذا استقى المـاء وأصيب به ، قال لبيد :

فَهَرَقْنَا لَهُمَا فِى دَائِرٍ لِضَوَاحِيهِ نَشِيشٌ بِالْبَلَلْ

ومنه قيل : سبخة نشاشة ، وسئل بعض العرب عن السبخة النشاشة فقال : هى التى لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها ، وقيل : نشَّ المسك يَنُشُّه نَشًّا ، وهو مثل السَّهْك والدَّق ، وإذا قيل أبو النشناش فهو مثل الزَّلْزَال والْقَلْقَال ، ووزن النشناش على رأى سيبويه فَعْلال ، وعلى رأى الفراء فَعْفَال ، وعلى مذهب قوم من أهل اللغة وزنه فَعْفَاع ، والنَّشْنَشَة تستعمل فى معنى القطع ، وقيل : النشنشة تقليب الشيء وممارسته حتى يسمع له صوت ليس بعال ، قال الراجز :

عَنَشْنَشٌ تَعْدُو بِهِ عَنَشْنَشَهْ لِلدِّرْعِ فَوْقَ مَنْكِبَيْهِ نَشْنَشَهْ

ويروى خَشْخَشَهْ ، ويقال : نشنش الطائر ريشه ، إذا نتفه وألقاه ، قال :

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةٍ يُنَشْنِشُ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُه

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَوَاماً وَلَمْ يُرِحْ ... سَوَاماً وَلَمْ تَعْطِفْ عليهِ أَقَارِبُهْ (١)

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتى مِنْ قُعُودِهِ ... عَدِيماً وَمِنْ مَوْلًى تَدِبُّ عَقَارِبُهْ (٢)

وَنَائِيَةِ الْأَرْجَاءِ طَامِسَةِ الصُّوَى ... خَدَتْ بِأَبِي النَّشْنَاشِ فِيهَا رَكَائِبُهْ (٣)

---

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

يقال : سرحت الماشية ، إذا أخرجتها بالغداة إلى المرعى ، وأرحتها : إذا رددتها بالعشى ، فان قيل : ولم قال « وَلَمْ يُرِحْ سواما » والنكرة إذا أعيد ذكرها يجب تعريفها ، بدلالة أنك تقول : رأيت رجلا بمكان كذا فقال لى الرجل كذا ؟ قلت : يجوز أن يكون نكرهما لأنه تصور المُرَاح بما دخله من التناقص والتزايد بالأخذ منه والرد إليه غير المسروح ، وإذا كان كذلك فالثانى غير الأول ، ويجوز أن يكون السَّوَام الثانى غير الأول لأن المكثرين منهم يأمرون رِعَاءهم بحبس قطع من المال على الحقوق العارضة ، وإذا كان كذلك سقط السؤال ، والمعنى إذا كان الرجل لم يكن ذا مال يسرح بعضه ويراح عليه بعضه على حسب ما يتفق ولم يكن له أقارب يتعطفون عليه فالموت خير له

(٢) قوله «فللموت» جواب « إذا » فى البيت الأول لتضمنه معنى الجزاء ، يقول : إذا الرجل لم يكن على ماوصفت فورود الموت خير له من قعوده راضياً بفقره وبإفضال مولى يؤذيه بالمنّ ، ودبيبُ العقارب كناية عن الأذى ، وانتصب « عديما » على الحال ، ويجوز أن يكون معنى قوله « ومن مولى تدب عقاربه » أن يحصل الفساد بين العشيرة بأن كلا يقصد صاحبه بالمساءة

(٣) « نائية » انجرت بإضمار رُبَّ ، والواو داخلة للعطف ، ولم يصر بدلا من رب ، بدلالة وقوع الفاء العاطفة موقعه ، وبل ، فى مثل قوله « فَمِثْلِكِ (١)

---

(١) هذه قطعة من بيت لامرىء القيس وهو بتمامه :

لِيَكْسِبَ مَجْداً أَوْ لِيُدْرِكَ مَغْنَماً جَزِيلاً وَهٰذَا الدَّهْرُ جَمٌّ عَجَائِبُهْ (١)
وَسَائِلَةٍ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلٍ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهْ (٢)
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجَعَهُ الْفَتَى وَلاَ كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهْ (٣)

حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ » و « بَلْ بَلَدٍ (١) » والأرجاء : النواحى ، واحدها رَجًا ، والطامس : الدارس ، يقال : طمس وطسم ، والصُّوَى : الأعلام ، الواحدة صوة ، وخَدَت : أسرعت ، ومصدره الخديان ، والركائب : جمع رَكوبة ، وهى المركوبة ، ولا تتبع الموصوف ، بل تستعمل على انفرادها ، ومثلها الحُلُوبة ، يقول : رُبَّ مفازة بعيدة الأطراف دارسة الأعلام سارت بأبى النشناش فيها رواحله

(١) أى : أطلب المجد وكسب المال ، وهذا الكلام تبجح منه بأنه لم يجعل الفقر ضجيعاً

(٢) أى : ورب رجل وامرأة سألا بظهر الغيب لما تداخل القلوب من هيبتى والإشفاق من وقعتى ، ثم قال مستفهما على طريق الإنكار : ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه ؟ أى يجب أن لا يسئل الصعاليك عن مذاهبهم وطرقهم لأنها لا تعلم ، وكان وجه الكلام أن يقول : ومن يسأل عن الصعلوك ، فيكون وفق قوله : وسائلة بالغيب عنى ، لكنه عدل عنه إلى ماقاله تأكيدا المراد ، وذلك أنه إذا كان سؤال نفسه عن مذهبه منكرا لاستبهامه عليه فسؤال غيره عنه أبعد من الصواب

(٣) يقول : لم أر كالفقر يتخذه الفتى ضجيعا : أى يرضى به وبلزومه له ،

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِى تَمَائِمَ مُحْوِلِ

(١) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

بَلْ بَلَدٍ مِلْءُ الْفِجَاجِ قَتَمُهْ لاَ يُشْتَرَى كَتَّانُهُ وَجَهْرَمُهْ

فَعِشْ مُعْدِماً أَوْ مُتْ كَرِيماً فَإِنَّنِي أَرَى المَوْتَ لَا يَنْجُو مِنَ المَوْتِ هَارِبُهْ

وَلَوْ كَانَ حَيٌّ نَاجِياً مِنْ مَنِيَّةٍ لَكَانَ أَثِيراً حِينَ جَدَّتْ رَكَائِبُهْ (١)

١٠٥ — وقال آخر :

أَلَا قَالَتِ الْعَصْمَاءُ يَوْمَ لَقِيتُهَا أَرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعَا (٢)

ولم أر كسواد الليل أكدى راكبه والطالب فيه ، والمعنى يجب أن لا يحصل واحد منهما لا الرضا بالفقر ولا الإخفاق مع ركوب الليل . والإخفاق : أن يغزو فلا يغنم أو يرجو فيخيب ، وقوله « أخفق طالبه » أى : الطالب فيه ، وهذا من إضافة الشىء إلى الشىء لكونه فيه ، ويقع فى بعض النسخ بعد قوله ليكسب مجداً

(١) أى : لو نجا حَىٌّ من الحمام لكان هذا الصعلوك الذى يطلب المجد وتَسْرى به فى الليل الركائب أثيرا بذلك : أى خليقا به

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

انتصب « حديثا » على الظرف و « ناعم البال » مفعول ثان لأراك ، والأفرع : التام شعر الرأس ، ويروى :

* كَبِرْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعاً *

أى : لم تجزع حين ينفعها الجزع فانى شبت فى وقت المشيب ، وهذا كقولك للرجل إذا رأى رأيا خطأ : لم تر شيئا ، ويجوز أن يكون المراد قالت : كبرت ولم تجزع أنت أيها المرء من الشيب مجزعا ، فيكون كبرت إلى آخر البيت فى موضع النصب لأنها قالت ذلك ، ومن روى « حديثا ناعم البال أفرعا » فمعناه أراك حديث السن تام الشعر ليس لك غير ذلك : أى لا مال لك ولا حال

فَقُلْتُ لها لاَ تُنْكِرِينِى فَقَلَّمَا ... يَسُودُ الفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا[١]

وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عُلاَلَةً ... مِنَ الْجَذَعِ الْمُزْجَى وَأَبْعَدُ مَنْزَعَا[٢]

---

(١) «قلما» يفيد النفى ههنا، و«ما» تكون كافة لها عن طلب الفاعل، وناقلة له عن الاسم إلى الفعل: فإذا قلت: قلما يقوم زيد، فكأنك قلت: ما يقوم زيد. يدل على ذلك أنهم قالوا: قَلَّ رَجُلٍ يقول ذلك إلا زيد، وأُجرى مجرى ما يقول ذلك إلا زيد، وقالوا أيضا: قلما يقول زيد، فأجروا خلافه مجراه. فقالوا كثر ما يقول زيد، وعلى ذلك بيت الكتاب

صَدَدْتِ فَأَطْوَلْتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا ... وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

ويجوز أن يكون «ما» من «قلما يسود الفتى» مع الفعل فى تقدير المصدر كأنه قال قل سيادة الفتى أن يحرز استكمالها إلا مع هذه الحالة، ومثله قول لبيد:

قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُهُ ... بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأُوَلْ

لأنه ليس يريد نفى التعريس رأسا: إذ كان يعتاده قُطَّاع الفلاة: بل يريد عَرَّسَ تعريسا قليلا فهجته

(٢) اليعبوب: الفرس الكثير الجرى، وَالْعُلاَلَة: البقية من الجرى وغيره، وهنا يريد الجرى، قال الشاعر:

إِلاَّ عُلاَلَةَ أَوْ بُدَا ... هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَهْ

فالبداهة: أول الجرى، والعلالة: آخره: والقروح: انتهاء السن، والجذع: أن يلبث ثلاثين شهرا وليس سن تسقط ولا تنبت، والمزجى: الذى يزجى فى سيره قليلا قليلا، ويروى المرخى، والمرخى: بفتح الخاء وكسرها، والإرخاء:

١٠٦ — وقال آخر :

أَلَا قَالَتِ الْخَنْسَاءُ يَوْمَ لَقِيتُهَا
عَهِدْتُكَ دَهْراً طَاوِىَ الْكَشْحِ أَهْضَمَا[(١)]

فَإِمَّا تَرَيْنِي الْيَوْمَ أَصْبَحْتُ بَادِنًا لَدَيْكِ فَقَدْ أُلْفَى عَلَى الْبُزْلِ مِرْجَمَا[(٢)]

١٠٧ — وقال شَبِيبُ بن عَوَانَةَ الطَّائى :[(٣)]

ين فى العدو ، وإذا روى بفتح الخاء فهو الرسَل الْمُهْمَلُ ، وَالْمَنْزَع : النزوع إلى الغاية ، وانتصاب علالة ومنزعا على التمييز ، يقول : الفرس المتناهى فى القوة والسن أبعد غاية من ابن سنتين وهو مهمل لم يركب ولم يُرَضْ

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

الأهضم : الخميص البطن ، يقال : امرأة هضيم ، أى : قالت هذه المرأة رأيتك زمانا لطيف البطن دقيق الخصر مشمرا

(٢) البادن : الثقيل البدن ، وأصله فى السمن . يقال : بَدُنَ الرجل فهو بدين ، إذا سمن ، وَبَدَن فهو بادن ، وبدّن ، إذا ثقل من السن ، يقول : فإما ترينى اليوم ثقيلا لا أكثر الحركة فقد ألفى : أى أوجد ، مِرْجَمًا على الْبزْل ، يعنى كثرة الأسفار : أى أرمى بها المفاوز ، ويروى « فقد ألفى على البرك »وهى جماعة الإبل فى مراحها ، وَالْمِرْجَم : الذى يَرْجُمُ الآفاق بنفسه ، ويقال : فرس مرجم : شديد الجرى

(٣) شَبِيب : مصدر شبّ الفرس شبيبا ، وأما عَوَانة فاسم مرتجل غير منقول . وهو من لفظ الْعَوْن ، لكنا لا نعرفه جنسا ، إنما الجنس عَوَان ، وهى النَّصَفُ ، قال أبو هلال : ورواه بعض علماء البصرة للكَرَوَّس الطائى ، وهو الكَرَوَّس بن زيد بن الأخْزَم بن مَصَاد بن مَعْقِل بن مالك بن عَمْرو بن ثُمَامة ابن مالك بن جَدْعاء بن ذُهْل بن رُومان بن جُنْدُب بن خارجة بن سَعْد

قَضَى بَيْنَنا مَرْوَانُ أَمْسِ قَضِيَّةً　　　فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إلاَّ تَنَائِيا[1]

فَلَوْ كُنْتُ بِالْأَرْضِ الْفَضَاءِ لَعِفْتُهَا　　　وَلَكِنْ أَتَتْنَا أَبُو أُبُهُ مِنْ وَرَائِيا[2]

١٠٨ — وقال جميل بن عبد الله بن مَعْمَر الْعُذْرِىّ : [3]

ابن فُطْرَة ، وفُطْرَة هو جَدِيلة ، وخاصَمَ ابن عم له إلى مروان بن الحكم فحبسه مروان ، فقال :

(١) من الطويل الثانى ، مطلق موصول مؤسس

يقول : حكم مروان بن الحكم علينا حكما ، فما زادنا إلا تباعدا . وأراد اختلافا و بعدا عن الرضا بتلك القضية

(٢) لعفتها : أى كرهتها ، وو راء : بمعنى قدام ههنا ، يقول : كنت محبوسا فى داره فلم أجسر على إظهار الكراهة لحكمه . وردّد اسم مروان فى البيت تفخيما لاوجوبا

(٣) قال أبو العلاء : العذرى منسوب إلى عُذْرَةَ بن سعد هُذَيْم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، و إنما سمى بالْعُذْرة من الشَّعر ، وهى الخصلة منه ، وجمعها عُذَر ، قال الْقُرَيْعِىّ :

قَصِيرَ يَدِ السِّرْبَالِ أَغْيَدَ لِلصِّبَا　　　أُدَرِّى عَلَى الْمَتْنَيْنِ ذَا عُذَرٍ جَعْدْ

وهُذَيْمُ : اسم عبد حضن سعداً فنسب إليه ، وَالْهَذْم : القطع ، و بعض النسابين يقول فى أسلم « أسْلُم » بضم اللام ، فان صح ذلك فانما سمى بجمع سَلْم وهو الدلو له عُرْوَة واحدة ، والحاف : مُخْتَلَف فيه ، ويختلق النسابون أبياتا مصنوعة يستشهدون بها على اسمه ، ويدعى بعضهم أن اسمه إلحاف سمى بمصدر ألحف السائل يُلْحِفُ إلحافا ، و بعضهم يجعل ألفه التى تلحق لام التعريف ، فاذا أخذ بهذا القول جاز أن يكون مرادا به الحافِى فحذفت الياء ، كما قالوا الْعَاص وهم

يريدون العاصى ، ويجوز أن يكون الحاف جمع حافة حافة الشىء وهى جانبه ، وقُضَاعة قيل : إنه سمى بذلك لأنه انقضع من قومه : أى انقطع ، وقيل : القضع : وَجَع فى الجوف ، وقيل : القهر والظلم . وقال قوم : يقال لكابة الماء قضاعة ، وقال أبو هلال : فى الشعراء ثلاثة يُدْعَوْن جميلا ، منهم جميل بن عبدالله بن مَعْمر ، ويكنى أبا عمرو ، وقال بعضهم : هو جميل بن عبد الله بن قَمِئَة العُذْرىّ ، ولم يكن أبوه يعرف إلا بابن قمئة . وقال الزُّبَيْر بن بَكَّار : هو جميل بن عبد الله بن حُنّ بن ربيعة بن حَرَام بن ضَبَّة بن عبد بن كثير بن عُذْرَة بن سعد بن هُذَيْم بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وهو قائل الشعر الذى أنشده أبو تمام ، وجميل بن المُعَلَّى أحد بنى عَمِيرَة بن خُوَيَّة بن لَوْذَان بن ثعلبة ابن عَدِىّ بن فَزَارة ، وهو القائل :

وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا ... فَأَتْرُكُهَا وَفِى بَطْنِى انْطِوَاءُ
فَلَا وَاللهِ مَا فِى الْعَيْشِ خَيْرٌ ... وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

وجميل بن سيدان الأسدى القائل :

أَيَا جُمْلُ هَلْ دَيْنٌ مُؤَدًّى لِحِينِهِ ... فَقَدْ حَلَّ ذَاكَ الدَّيْنُ وَاحْتَاجَ طَالِبُهْ
وَطَالَتْ بِهِ أَخْلَامُهُ إِنْ قَضَيْتِهِ ... وَظَلَّ بِمَا مَنَّيْتِ يَلْمَعُ حَاجِبُهْ
أَجِدِّى وِصَالًا أَوْ أَبِينِى صَرِيمَةً ... فَأَكْرَمُ أَنْ لَا يَكْذِبَ الْمَرْءَ صَاحِبُهْ

وكان جميل بن عبد الله عشق بُثْنَةَ وهو غلام ، فلما كبر خطبها ، فرُدَّ عنها ، فكان يأتيها سرا ، وكان منزلها وادى القرى ، فاجتمع أهلها ليأخذوه فاستخفى وقال :

وَلَوْ أَنَّ أَلْفًا دُونَ بَثْنَةَ كُلُّهُمْ ... غَيَارَى وَكُلٌّ حَارِبٌ مُزْمِعٌ قَتْلِى
لَحَاوَلْتُهَا إِمَّا نَهَارًا مُجَاوِرًا ... وَإِمَّا سُرَى لَيْلٍ وَلَوْ قُطِعَتْ رِجْلِى

فَلَيْتَ رِجَالاً فِيكِ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي يَا بُثَيْنَ لَقُونِي (١)
إِذَا مَا رَأَوْنِي طَالِعًا مِنْ ثَنِيَّةٍ يَقُولُونَ مَنْ هَذَا وَقَدْ عَرَفُونِي (٢)
يَقُولُونَ لِي أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا وَلَوْ ظَفِرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي
وَكَيْفَ وَلاَ تُوفِي دِمَاؤُهُمُ دَمِي وَلاَ مَالُهُمْ ذُو نَدْهَةٍ فَيَدُونِي (٣)

وهجاهم ، فاسْتَعْدَوا عليه مروان — وهو عامل المدينة — فنذر يقطعن لسانه ، فلحق بجذام ، وقال :

أَتَانِيَ عَنْ مَرْوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ مُقِيدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا
فَفِي الْعِيسِ مَنْجَاةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ إِذَا نَحْنُ رفعنا لَهُنَّ الْمَثَانِيَا

وأقام هناك حتى عزل مروان فرجع إلى أهله ، وكان يختلف إليها سرا فنذر قومها دمه فقال

(١) الثالث من الطويل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

فيك : أي فى معناك وسببك . و«قد نذروا» من صفة «رجالا» . و «لقونى» خبر ليت ، وفى هذا الكلام إيهام أنهم لايجسرون على التعرض له ، وقد فسر نكوصهم عن الإقدام عليه بقوله

(٢) يقول : إذا ما رأونى طالعا فى ثنية مقبلا إليهم يتجاهلونى جبنا وإحجاما .

(٣) النُّدْهة والنَّدْهَة : كثرة المال ، وقال قوم : الندهة العشرون من الإبل والمائة من الضأن والألف من الصامت ، ويقال : وَدَاه يَدِيه وَدْياً وَدِيَةً ، وقوله « ولا توفى دماؤهم دمى » أى دماؤهم كلهم لا تفى بدمى ، ويقال : أوفى به ووفى وأوفاه يُوفيه إيفاء ، إذا قضى دينه على الوفاء ،

ومن هذه القطعة فيما قرأته على أبى العلاء : —

١٠٩ — وقال يَحْيَى بن منصور الحَنَفِي (١)

وَجَدْنَا أَبَانَا كانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ
سِوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ وَالْفِزْرِ (٢)
فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا   أَنَخْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ (٣)

لَحَا اللهُ مَنْ لا يَنفعُ الوُدُّ عِنْدَهُ   وَمَنْ حَبْلُهُ إنْ مُدَّ غيرُ مَتِينِ
وَمَنْ هُوَ إنْ تُحْدِثْ لهُ العَيْنُ نَظْرَةً   يُقَضِّبْ لَهَا أَسْبَابَ كُلِّ قَرِينِ

يقضب : يقطع ، قَضَبْتُه واقْتَضَبْتُه

وَمَنْ هُوَ ذو لَوْنَيْنِ لَيْسَ بِدَائِمٍ   عَلَى خُلُقٍ خَوَّانُ كُلِّ أَمِينِ

(١) قال أبو رياش : هذا غلط من أبي تمام ، يحيى بن منصور هو ذُهْلى وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفى ، وحنيفة يقال : إنما سمى بذلك لأنه التقى هو وجذيمة من عبد القيس فضربه جذيمة فَحَنَفَ رجله ؛ وضرب هو جذيمة فجذم يده

(٢) الأول من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متواتر

الفزر : لقب سعد بن زيد تميم ، وكان سعد أنهب معزاه بعكاظ وضرب به المثل فقيل : لايجتمع كذا وكذا حتى يجتمع معزى الْفِزْرِ ، وقد يقال لجماعة المعزى الْفِزْر ، سمى به ، وقوله «سِوًى» فى موضع جر على أنه صفة لبلدة ، والمعنى وجدنا أبانا حل ببلدة متوسطة ، لديار قيس عيلان وسعد بن زيد مناة : أى حل بين مضر ونأى عن ربيعة ، لأن قيسا والفزر من مضر ، وقال الأخفش : سِوًى وسَوَاء فى معنى العدْل ، وفى القرآن (لا نُخْلِفُهُ نحن ولا أنت مكانا سِوًى) أى عدلا .

(٣) أى : لما خذلتنا عشيرتنا ، وهم ربيعة ، اكتفينا بأنفسنا وأقمنا بدار الحِفَاظ واتَّخذنا السيوف حلفاء على الدهر

فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... وَلاَ نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وِتْرِ (١)

١١٠ — وقال أبو صخر الهذلى

رَأَيْتُ فُضَيْلَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا ... رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشْجَرُ بِالرِّمَاحِ (٢)

وَرَنَّقَتِ الْمَنِيَّةُ فَهْيَ ظِلٌّ ... عَلَى الْأَبْطَالِ دَانِيَةَ الْجَنَاحِ (٣)

فَكَانَ أَشَدَّهُمْ قَلْبًا وَبَاسًا ... وَأَصْبَرَ فِى الْحُرُوبِ عَلَى الْجِرَاحِ

---

(١) أى فما خذلتنا فى يوم حرب ، ولا نحن أغضينا جفوننا على وتر وحقد . يعنى أنهم أدركوا كل ثأر

(٢) من أول الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

«رأيت فضيلة» أى ضربت رِئَتَه ، ويجوز أن يكون من رؤية العين : أى رأيته فى مُشْتَجَر الرماح وكان شهد هذا الشاعر وفُضَيْلة الحَرْبَ ، فعاد ولم يعد فُضَيلة ، فسئل عنه فجمجم فى الجواب ، ومن روى «فضيلةَ القرشىِّ» جعل القرشى جنسا لاعينا ، والمعنى رأيت فضيلة القرشيين عند اشتجار الخيل بالرماح ، وجواب « لمَّا » مقدم وهو رأيت فى صدر البيت ، يريد عند هذا الأمر بَانَ فَضْلُهُم على الناس ، وكل شىء دخل بعضه فى بعض فقد تَشَاجَر ، ومنه سمى المشجر مشجرا وتشاجر القوم بالرماح : تطاعنوا

(٣) انعطفت رنقت على الفعل الذى تناوله لما ، والمعنى لما رأيت الخيل تشجر بالرماح وأشرفت المنية عليهم إشراف الطائر على ما يريد انكداره عليه بانت فضيلتهم ، ويقال « رَنَّق الطائر » وهو أن يبسط جناحيه ولا يقبضهما ، وارتفع «دانية» على أنها صفة للظل ، وأنثها على المعنى ، ويجوز أن يروى دانيةً بالنصب على أن يكون حالا

١١١ — وقال بعض بني عبس (١)

أَرِقُّ لِأَرْحَامٍ أَرَاهَا قَرِيبَةً ... لِحَارِ بْنِ كَعْبٍ لَا لِجَرْمٍ وَرَاسِبِ (٢)

وَأَنَّا نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ ... وَآنُفَنَا بَيْنَ اللِّحَى وَالْحَوَاجِبِ (٣)

وَأَخْلَاقَنَا إِعْطَاءَنَا وَإِبَاءَنَا ... إِذَا مَا أَبَيْنَا لَا نَدُرُّ لِعَاصِبِ (٤)

---

(١) وعَبْسٌ والحرث بن كعب بن ضَبَّة إخوة لأم، وعَبْس منقول من المصدر، ويقال: عَبَس يَعْبِس عَبْساً وعُبُوسا، والعبس: ضرب من النبت، قال أبو حاتم: هو الذى يسمى الشابابك

(٢) الثانى من الطويل، مطلق موصول مؤسس. والقافية متدارك

رخم الحرث فى غير النداء وذلك جائز فى الشعر، يقول: يرق قلبى لأرحام مشتبكة بيننا من جهة الحرث بن كعب لا من جهة جَرْم وراسب، يقول: إن نسب الحرث بن كعب فى نزار وإن كان عدادهم فى اليمن، وراسب من جرم، وجرم من قضاعة

(٣) يخبر أن نسب الحرث بن كعب فى نزار وإن كان عدادهم وأنسابهم فى اليمن، وأنهم يرون أقدامهم وآنفهم تشبه أقدامهم وآنفهم لهذه القرابة، وأنه يرق لهم لذلك إذ كانوا قومه، وقال «بين اللحى» ولم يقل بين لحاهم لأنه اكتفى باضافة الأقدام والنعال، وذكر الأطراف لأنها تظهر للعيون والمشابه تعلق بها أكثر.

(٤) جعل الشبه فى البيت الذى قبله فى الخَلْق وههنا فى الخُلُق تأكيداً للأمر، وكان يجب أن يقول وأخلاقنا أخلاقهم فاعتمد على أن العطف فى قوله «أقدامنا» يدل ويغنى لما يفيده من الاشتراك، كما يغنى قولهم «قام زيد وعمرو» فكأنه قال: وأنا نرى أخلاقنا كأخلاقهم إذا أعطينا أو أبينا، وقوله «لا ندر

١١٢ — وقال رجل من حِمْيَر فى وقعة كانت لبني عبد مَناة وكلب على حمير (١) :

لعاصب» أى : لا نعطى على القَسْر ، وهو من قولهم : عصبت الناقة ، إذا شدّدت فخذيها عند الحلب لتدر ، وناقة عصوب : لا تدر إلا على العصب ، ويقال : إن أشحَّ بَطْنَين فى العرب الحرثُ بن كعب و بنو عبس . وكانت بنو عبس خُوالَ الوليد وسليمان ابنى عبد الملك ، أمهما ولاّدة بنت العباس بن جزء بن أسيد بن جذيمة ابن رواحة بن ربيعة بن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس : فزارَ مُساوِرُ بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة الوليدَ بْنَ عبد الملك يجتديه ، فقصر به ، فدخل المساور على عبد الملك فقال :

ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِى دَارِ نَزْرٍ نُرَجِّى نَائِلاً عِنْدَ الْوَلِيدِ
فَلاَ يُرْجَى الْوَلِيدُ بِدَارِ نَزْرٍ وَلٰكِنْ إِنْ نَجَوْتِ فَلاَ تَعُودِى
فَإِنْ زَهِدَ الْوَلِيدُ كَمَا عَلِمْتُمْ فَمَا إِرْثُ الزَّهَادَةِ مِنْ بَعِيدِ

فقال عبد الملك : ويلك !!! أمن قبلنا أم قبلكم ؟ فقال : بل من قبلنا يا أمير المؤمنين .

(١) فقتل فيها عَلْقَمَةُ بن ذى يَزَن الحميرى ، قال أبو الفتح : حِمْير علم مرتجل وليس جنسا ، وهو قبيلة ، فلذلك لم يصرفه . وزعم ابن الكلبى أنه كان يلبس حُلَلاً حَمْراء فسمى به ؛ والْعَلْقَمَة : المرارة ، وأما ذو يَزَنَ فإنَّ يَزَن منه غير مصروف للتعريف و وزن الفعل ، وذلك أن أصله يَزَان فالزم فى العلم التخفيف فيزان كَيَسَال ، فكما لا ينصرف يَسَال معرفة فكذلك لا ينصرف يَزَن ، ويدل على أن أصله يزان ماحكاه الأصمعى من قولهم : رمح يَزَانى وأزانى ، وقالوا أيضا أَيْزَنى فهذا عَيْفَلِىّ مقلوب ، وقالوا : آزنى ، فهذا فاعلىٌّ قدمت فيه العين على همزة

مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِى التَّـيْمِ إِذِ الْتَفَّ صِيقُهُ بِدَمِهْ (١)
لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشِبٌ شَدُّوا حَيَازِيمَهُمْ عَلَى أَلَمِهْ (٢)

أفعل ، كما قدمت الهمزة على ياء يَفْعل فصار تقديره أأْزنى فأبدلت الهمزة ألفا لوقوعها ساكنة حَشْوًا بعد الهمزة المفتوحة ، وهذا واضح . ويجوز أن يكون آزنى عافلى ، والأوّل أوجه

(١) الأول من المنسرح ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متراكب

قوله « من رأى » لفظه استفهام . ومعناه التفظيع ، وأراد باليوم الوقعة ، ولولا ذلك لما صلح أن يكون إذ ظرفا له ، ومثله قوله تعالى : (فاذا نُقِرَ فى الناقور فذلك يومئذ يَوْمٌ عَسِير) ألا ترى أن فى قوله (يوم عسير) معنى فعل ، فصار يومئذ ظرفا له ، كأنه قال فذلك النقر يومئذ نقر يوم عسير ، فيقول : من شاهد يومنا مع بنى التيم حين التف غبار الجو بالدم ، وأضافه إلى اليوم لكونه فيه ، والتفافه كان برشاش الدم القاطر من الجراح ، والصِّيق : الغبار ، ويقال صِيقَةٌ أيضا ، قال رؤبة :

* يَتْرُكْنَ تُرْبَ الْأَرْضِ مَجْنُونَ الصِّيَق *

فصِيَقٌ جمع صِيقة

(٢) أشِب : أى كثير الجَلَبَة ، ومكان أَشِبٌ : فيه شجر ملتفٌّ ، وجواب « لما » شدوا ، والحَيْزُوم : الصدر ؛ لأنه موضع الحزم والعزم لاشتماله على القلب الذى هو موضعهما ؛ ويسمى حزيما أيضا ، كأنه الموضع الذى يشد بالحزام ، والحزام من الحزم أيضا ، وشد الحَيَازيم مثل للصبر على مالحقهم ، وقوله « على ألمه » يعنى عَلَى الألم الكائن فى يومهم ، وقيل : أراد ألم الحيازيم فرد على الواحد ، وقوله « من رأى » على معنى يامن رأى ، وهو تمام الوزن ، والبيت من المنسرح ، وإنما

كَأَنَّمَا الْأُسْدُ فِي عَرِينِهِمِ   وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتَمِهْ (١)

جاز حذف حرف النداء لأنه استفهام ، والمستفهم كالمنادى . فحذف حرف النداء من اللفظ وإن كان ثابتا فى الحكم

(١) شبه بنى التَّيْمِ بالأسد فى الأجمة ، وشبه نفسه وقومه بالليل المقبل ، لأن الليل لا يمتنع منه شيء ، بل يدخل على كل شيء غالبا ، ويروى « فى غشمه » أى : سواده ، والْقَتَام وَالْقَتَم والْقَتَمة يجىء فى الظلمة والغبار والريح ، وجاء الفعل منه فقيل قَتِمَ يَقْتَمُ قَتَماً وقتاما ، وقال المرزوقى : ذكر بعضهم أنه أراد بالْقَتَمِ الْقَتَام فحذف الألف ، كما قال غيره ورواه قطرب :

أَلَا لَا بَارَكَ اللّهْ فِي سُهَيْلٍ   إِذَا مَا اللّهُ بَارَكَ فِي الرِّجَالِ (٢)

ومصدر ما كان على فَعِلَ الْفَعَل فى الأكثر . فلا أدرى لم أنكره حتى اعتذر بما ذكره . هذا قول المرزوقى ، وعنى بالبعض ابن جنى ، والذى ذكره ابن جنى من أن الْقَتَم المراد به الْقَتَام هو الوجه : لأن ذكر الاسم الذى هو الْقَتَام فى هذا الموضع أحسنُ من ذكر المصدر الذى هو الْقَتَم ، والْعَرِين : الأجمة أجمة الأسد ، ثم يسمى مُقْتَتَلُ القوم عرينا ، ويقال للرجل : هو عرنة لا يطاق ، إذا كان خبيثاً . وقوله فى « عرينهم » موضعه موضع الحال ، والأسد : خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : كأنما هم الأسد فى مقتتلهم ، ونحن كالليل فى هولنا وإدرا كنا ويكون قوله « جاش فى قتمه » فى موضع الحال أيضا ، والأجود أن يكون قد معه مضمرا : أى كالليل وقد جاش

---

(١) لفظ الجلالة فى هذا البيت قد حذف منه المد الذى بعد اللام وسكنت الهاء لضرورة الشعر ، وغرض المؤلف تنظير حذف الألف من القتام بحذف الألف من لفظ الجلالة

لا يُسْلِمُونَ الغَداةَ جارَهُمُ ... حَتّى يَزِلَّ الشِّراكُ عَنْ قَدَمِهْ (١)

وَلا يَخِيمُ اللِّقاءَ فارِسُهُمْ ... حَتّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهْ (٢)

ما بَرِحَ التَّيْمُ يَعْتَزُونَ وَزُرْ ... قُ الخَطِّ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنْ سَقَمِهْ (٣)

(١) أى : لا يسلمون الجار إلى أن يموت فيهم ، مدحهم بحسن المحاماة عن الجار ، وقوله « الغداة » أشار به إلى غداة اللقاء ، وقوله « حتى يزل الشراك عن قدمه » فيه قلب ، والأصل زلت القدم عن الشراك ، وهذا مثل لموته ، لأنه لا يلبسها بعده ، واحتمل الكلام القلب ؛ لأن المعنى لا يحيل كما لا يحيل فى قولهم : أدخلت الخف فى رجلى . والقلنسوة فى رأسى ، ويجوز أن تكون الهاء راجعة إلى الشراك ، ويكون الكلام مثلا لتفظيع الأمر ، وهذا كما يقال : زال السرج عن المَعَدَّيْنِ ، وبلغ الحزام الطُّبْيَيْنِ

(٢) أى : لا يجبن عن اللقاء فارسهم ، بل يُقْدِم إقداما يخرق الصفوف عزةَ نفسٍ وكرماً ، كأنه لا يرضى دون المنزلتين فى اللقاء لنفسه ، بل يأبى إلا النهاية والعلو ، وقالوا « حتى يشق الصفوف » إلى أن يشق الصفوف من كرمه ، لأنه لا يرضى العار ، و « اللقاء » ينتصب على المفعول ، والأصل عن اللقاء ؛ فلما حذف حرف الجر تخفيفا وَصَل الفعل فعمل ، ويجوز أن يكون ظرفا كمَطْلَع الشَّمْس ، أراد وقت اللقاء

(٣) ما برح وما زال بمعنى ، وليس هذا من البَرَاح من المكان ، ألا ترى أن الله تعالى قال : (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) ومحال أن يبلغ هذا الموضع وهو لم يبرح من مكانه ، وكأن الكلمة فى اللغة تدل على معنى المجاوزة ، ولذلك قيل : أَبْرَحتَ رَبًّا وأَبْرَحْتَ جارا(١) أى : جاوزت ما يكون عليه أمثالك :

(١) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه

حَتّي تَوَلَّتْ جُمُوعُ حِمْيَرَ وَالْـــفَلُّ سَرِيعًا يَهْوِي إلَى أُمَمِهْ (١)
وَكَمْ تَرَكْنَا هُنَاكَ مِنْ بَطَلٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيَاحُ فِي لِمَمِهْ (٢)

أى ما زالوا ينتسبون وَيَدْعُون بيافلان ، وزرقُ الخطِّ تَشْفِى المتكبرَ من كبره ، ويجوز أن يكون قوله السقيم كناية عن المنافق المداجى ، ويجوز أن يكون المعنى والرماح فى اختلافها تشفى الموتورين من أوتارهم وذحولهم (١) وجعل الفعل للرماح على المجاز والسعة ، وزرق الخط الواو واو الحال ، وَيَعْتَزُون خبر ما برح

(١) أى : مازالوا بهذه الحالة إلى أن انهزمت جيوش حمير ، وَالْفَلّ : مصدر فى الأصل وصف به . وهو موضوع موضع المفعول ، ولذلك جاز أن يقال : رجُلٌ فَلٌّ . ومثله رجل فَرٌّ ، إلا أنه موضوع موضع فار ، ويقع للواحد والجميع

(٢) موضع « كم » نصب على المفعول من تركنا ، يقول : وكثيرا تركنا فى تلك المعركة من الأبطال وهم مُصَرَّعون ، وأشار بقوله « هناك » إلى معترك القوم

خبر هذه الأبيات :

قال أبو رياش : كان من حديث هذه الأبيات أن بلاد بنى سعد أَجْدَبَت ، فانتجع بنو تَيْم بن مر وبنو عبد مَنَاة بن أُدّ ، وهم تَيْم وعَدِيّ وعُكل وهم الرباب وهذا الحى من كَلْب ونسب قضاعة يومئذ إلى سعد واسكنهم تيمنوا بعد وانتموا إلى مالك بن حمير وسعد هُذَيْم وهم عُذْرة وَضَبَّة والحرث وسَلاَمَانُ ووائل وعَوَانة وجُلْهُمَة وهم حى من بنى سعد ومُعَاوية وأبوهم وهم صُحَار وهو سعد هُذَيم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وأمهم عاتكة بنت مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس ، فانتجعت هذه القبائل صحراء

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيـ ـلُ أَبْرَحْتَ ربا وأبرحت جارا

(١) فى نسخة بن « وذحولهم » وفى نسخة ب « دحولهم » وكلاهما تحريف

١١٣ – وقال حَسَّان بن نُشْبَةَ الْعَدَوِى فى ذلك (١)

صَنْعَاء فَرَعَوْا فيها ، ثم وقعت الحرب بين حمير وصُحَار ، فظهرت عليهم صُحَار ، وقتلوا ملكا من ملوكهم يدعى ذاثات ، فقال بعض الحميريين :

إِنَّ صُحَارًا قَتَلَتْ ذَاثَاتِ وَأَلْصَقُوا الْمِبْضَعَ بِاللَّبَّاتِ

فجمعت حمير لصُحَار فارتحلت صُحَار من البيداء ، فلحقت ببلاد مَعَدّ فثارت حمير إلى كلب تطالبهم بدم ذى ثات ، وكلب إخوة صحار ، فاستنجدت كلبٌ تَيْمَ الرباب فأنجدتهم على حمير ، وظعن بنو تيم من البيداء فلحقوا ببلادهم ، فقال بعض شعراء التيم حين ظعنوا عنهم وخلوا بيوتهم بينهم و بين حمير :

يَا تَيْمُ كُونِى جَذِلَهْ أَغْنَى امْرُؤٌ مَا قِبَلَهْ (١)
إِذْ هُزِمَتْ عَمْرٌو وَفَرَّتْ حَنْظَلَهْ فَاسْتَوْغَلَتْ سَعْدٌ وَكَانَتْ وَغِلَهْ

فصارت حمير إلى التَّيْم وَعَدِىٍّ وعُكْلٍ بنى عبد مَنَاة و إلى كلب بن وبْرة فظهرت بنو عبد مناة وكلب على حمير وقتلت التيم علقمة بن ذى يزن ؛ فقال بعض شعراء حمير الأبيات التى مضت

(١) أخو بنى عدى بن عبد مناة بن أد . قال أبو محمد الأعرابى : هذا الاسم مصحف ، والصواب جِسَاس ابن نُشْبة ، مثل عِسَاس قال جرير يهجو جُنْدُبَ بن خَرْعَب التَّيْمى :

أَجُنْدُبُ أَشْبَهْتَ الَّتِى كَانَ بَظْرُهَا كَطُرْثُوثِ أَرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ أُنَاسِ
لَقَدْ شَهِدَتْ تَيْمٌ عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ وَكَانَ سَرَاةُ التَّيْمِ رَهْطَ جِسَاسِ

يعنى جِسَاسَ بن نُشْبَة التيمى هذا ، وقال أبو الفتح : حَسَّان فَعْلَانَ من الحِسّ ، وليس بفَعَّل من الحسن ، يدل على ذلك منعهم إياه الصرفَ ،

---

(١) هذان البيتان مختلفان فالأول من مجزوء الرجز ، والثانى من الرجز التام

نَحْنُ أَجَرْنَا الْحَيَّ كَلْبًا وَقَدْ أَتَتْ لَهَا حِمْيَرٌ تُزْجِي الْوَشِيجَ الْمُقَوَّمَا(٢)

تَرَكْنَا لَهُمْ شِقَّ الشِّمَالِ فَأَصْبَحُوا جَمِيعًا يُزَجُّونَ الْمَطِيَّ الْمُخَزَّمَا(٣)

ولو كان فعَّالا لانصرف ، كعَبَّاد وَحَمَّاد ، ونُشْبَة : اسم من أسماء الذئب معرفة وينبغي أن يكون سمى بذلك لإنشابه أظافيره فى الفريسة ، وقد سموا أيضا نُشَيْبَة فينبغى أن يكون تحقير نُشْبة هذا ، وعدى : جمع عادٍ كغاز وغزى ومَنَاة علم مرتجل اسم صنم ، وهو فَعَلَه من مَنَاهُ يَمْنِيه إذا قدّره ، وذلك لما كانوا يعتقدون فيها ، ولإجرائهم إياه مُجْرَى ماينطق ويدبر ، ولهذا سَمَّوْها يَغُوث وَيَعُوق : أى يغيث تارة ويَعُوق أخرى ، يقال : غُثْتُ الرجل أغوثه مثل أغثته ، قال :

* مَتَى يَأْتِي غُوَاثُكَ مَنْ تَغُوثْ *

أى : تُغيثُ ، وهمزة أُدّ عندنا بدل من واو وُدّ ، كذا تلقاه أصحابنا ، ويشبه أن يكون ذلك لإيثارهم معنى الود والمودة كما سموه محبوبا ومحببا وحبان وحبيبا ، والإد : الشيء المنكر ، ولأنهم قالوا : عبد وَدّ ، وقالوا : وددت الرجل أَوَدّه وَدًّا ووُدًّا ووِدًّا وَوَدَادًا ووِدادا ووَدَادَةً وَمَوَدَّة . وكذلك الودادة فى التمنى ، قال :

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنَّنِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمُ

(١) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

قوله « أجرنا الحى » أى : أدخلنا فى جوارنا هذه القبيلة ، وضمنَّا لها الذَّبّ عنها ، وتزجى : أى تسوق ، وَالوشيج : أصله عروق القنا ، ثم جعل الرماح أنفسها وشيجا ، وسميت وشيجا لتداخل بعضها فى بعض عند اجتماعها ، يقال : وشجت عروق الشجر ، إذا التفّ بعضها على بعض

(٢) أى : تركنا لحمير ، والعرب تجعل الشمال كناية عن الشؤم ، ومن أمثالهم

فَلَمَّا دَنَوْا صُلْنَا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... سَحَابَتُنَا تَنْدَى أَسِرَّتُهَا دَمَا [1]
نُغَادِرْنَ قَيْلاً مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ ... كَأَنَّ بِخَدَّيْهِ مِنَ الدَّمِ عَنْدَمَا [2]
أَمَرَّ عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهَا ... مَطَاعِمُنَا يَمْجُجْنَ صَابًا وَعَلْقَمَا [3]

صَبَحْنَاهم فغدوا شَامَةً ، ويقولون : خَلَّيْنَا هم والجانبَ الأشأم ، وخليناهم وناحية الشؤم ، وكأنهم يقولون ذلك للمنهزم ، ومعنى البيت خليناهم فى الانهزام شق الشؤم وجانبه . فأصبحوا يُزْجُونَ مطاياهم مخزمة حسرى ، والخزم : الشد والقطع ؛ يقال شراك مخزوم : أى مقطوع

(١) أى : لما قربوا منا فى الالتقاء صُلْنَا عليهم وبطشنا بهم فبدَّدشملَهم جيشُنَا الذى كأنه سحابة تندى طرائقها دما ، جعل السحابة ترشح بالدم لما كثر سفكهم له . وتندى فى موضع الحال ، وانتصب دما على التمييز ، ويقال : صال على قرنه ، إذا أوقع به واستطال عليه حتى يذل له ، والأسرة الأوساط والطرائق واحدها سرر ، ويستعمل فى بطون الأودية أيضا

(٢) القَيْلُ : هو الذى ينفذ قوله ويعتمد أمره ونهيه ، ووصف به الملك كما وصف بالهمام ، لما كان إذاهَمَّ بالشىء فعل ولا يرد ، وقيل للسان «مِقْوَل» لما كان آلة فى القول ، والمَقَاوِل والمقاولة : جمع قَيْلٍ ، والعندم : دم الأخوين ، وقيل : البَقَّم

(٣) يقول : صارت مطاعمنا مُرَّة على أفواه من ذاقها حتى إنها تمج بعد ذوقها صابا وعلقما والصاب شجر لها لبن إذا أصاب العين حلبها ، والعلقم : شجر مر ، وقيل هو الحنظل ؛ وحكى أن العلقمة المرارة ، ويقال : عَلْقَمَ الحنظل ، إذا أدركت مرارته ، وقوله «يمججن» حال الأفواه ، والتقدير أمَرَّ مطاعمنا على أفواه الذائقين طعمها ماجة صابا وعلقما ، والمعنى إذا خبرنا حصل منا على ما هو كذلك ؛ وجاز فى طعمها إبراز الضمير قبل الذكر لأن الكلام يحتمل نية التقديم والتأخير لما كان رتبة

١١٤ — وقال فى ذلك أيضًا :

إنِّى وَإنْ لَمْ أفْدِ حيًّا سِوَاهُمُ　　فِدَاءٌ لِتَيْمٍ يومَ كَلْبٍ وَحِمْيَرا (١)
أبَوْا أنْ يُبِيحُوا جارَهُمْ لِعَدُوِّهِمْ　　وَقَدْ ثارَ نَقْعُ المَوْتِ حَتّى تَكَوْثَرا (٢)
سَمَوْا نَحْوَ قَيْلِ القَوْمِ يَبْتَدِرُونَهُ　　بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرا (٣)

الفاعل — وهو مطاعمنا — التقديم ، ورتبة المفعول وما يجرى مجراه التأخير — وهو «على أفواه من ذاق طعمها» — ؛ والطعم : الذوق ، والمَطَاعِم : جمع مَطْعَم ، ويقال : هو حسن المطعم : أى طيب الطعام

(١) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

جواب الشرط فى قوله «إن لم أفد» قد اشتمل عليه الكلام : لأن المعنى إن لم أفد غيرهم ترفعا فإنى أفديهم لما كان منهم من حسن البلاء يوم اجتماع كلب وحمير للقتال

(٢) الفعل لتيم ، يقول : امتنعوا من أن يُخلوا بين جيرانهم قبيلة كلب وبين أعدائهم حمير ، وقد ارتفع غبار الموت حتى التف بالجو ، وأراد بالجار والعدو الكثرة : إذ كان المراد بهما القبيلتين ، وإنما أضاف النقع إلى الموت تهويلا ، ويجوز أن يريد بالموت الحرب ، وتَكَوْثر : تفَوْعل من الكثرة ، والمراد به التراكم ؛ ويروى «تَكَوَّرَا» من كَوَّر العمامة ، والمعنى واحد

(٣) أى : عَلَوْا نحو الملك حتى هوى — أى سقط — على أحد قُطْرَيه : أى جانبيه ، وفى الكلام اختصار ، كأنه قال : ابتدروه بالأسياف وضربوه حتى سقط ، فحذف « ضربوه » ، وموضع « يبتدرونه » نصب على الحال ، وتعلق « حتى » بالمحذوف الذى بينته .

وكانوا كأنف الليث لا شَمّ مَرْغَمًا ولا نال قطُّ الصَّيْد حتّى تعفّرا (١)

١١٥ — وقال فى ذلك هلال بن رزين أحد بنى ثور بن عبد مناة بن أدّ (٢)

وبالبيْدَاءِ لمّا أنْ تلاقَتْ بهَا كَلْبٌ وحَلَّ بهَا النُّذُورُ (٣)

---

(١) الأسد أحمى الحيوان أنفا ، و يبلغ من عجبه بنفسه أنه لا يتواضع لأكل صيد غيره ؛ ونسبت الأنفة إلى الأنف ، كما تنسب الحمية إليه ، ولا ينال الصيد حتى يكون هو المعفر له ، والعفر : التراب ، هذا إذا رويت « قطُّ الصَّيْد » و يروى « ولا نال قَظَّ الصَّيْدِ » والقظ : ماء الكرش ، يقال : افتظظت الكرش ، إذا استخرجت ذلك الماء منه ، والمعنى ولا نال القظ من بطن الصيد حتى يتعفر : أى يسقط فى العفر ، و يتمكن فيه ، والأسد يبدأ من المصيد بحشو بطنه ؛ فلذلك خص القظ . و بخط عبد السلام البصرى «قصَّ الصيدِ » وقطُّ فى الماضى كأبداً فى المستقبل وهو معرفة مبنى كأمْسِ ؛ وأبداً نكرة كغداً ، ولا نال ولا شم فى معنى لم ينل ولم يشم ، ومثله قوله تعالى : (فَلَا صَدَّق ولا صَلَّى)

(٢) قال أبو الفتح : الهلال أول الشهر ، والهلال قطعة حجر مدور ، والهلال الحية الذكر ، والرَّزين : الثقيل ، والمرأة رَزَان ، ومثله شىء حَصِينٌ وامرأة حَصَان ، ومثله العدل والعديل ، فرقوا بين هذه المعانى باختلاف الصور والأصل واحد

(٣) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

البيداء : موضع معروف ههنا ، يقول : لما تلاقت كلب وحمير بهذا المكان وأدركوا الأوتار وحل بها النذور : أى سقطت الأقسام عن الحالفين بها لإدراكهم الأوتار ، وجواب « لمّا » يجوز أن يكون ما دل عليه قوله « فخانت حمير » فيما يجىء بعد . و يجوز أن يكون قوله «أجادَتْ وَبْلَ مُدْجِنةٍ » وعند من يجوز زيادة الحروف فى مثل هذا المكان يكون « وحل بها النذور » أو « فخانت» الجوابَ ،

فَحَانَتْ حِمْيَرٌ لَمَّا الْتَقَيْنَا ... وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرُ (١)

وَأَيْقَنَتِ الْقَبَائِلُ مِنْ جَنَابٍ ... وَعَامِرٍ أَنْ سَيَمْنَعُهَا نَصِيرُ (٢)

أَجَادَتْ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ فَدَرَّتْ ... عَلَيْهِمْ صَوْبَ سَارِيَةٍ دَرُورُ (٣)

فتكون الفاء والواو مقحمة ، وهكذا يقولون فى قول الله تعالى : (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها) عندهم الواو زائدة فالمراد فتحت

(١) أى : هلكت حمير لأن الدبرة كانت عليهم . ويقال : يوم وأمر عَسِر وعَسِير، والفعل عَسُرَ بالضم وعَسِر بالكسر. ويقال هو العُسْر والعسر والعُسْرَى واليُسْرَى

(٢) جَنَاب وعامر : بطون بنى كلب . وقال أبو رياش : يعنى عامر الأَجْدار ، وهم بطن عظيم من كلب ؛ وإنما لقب بالأجدار لأنه ولد فى أصل جدار . وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه . وجَنَاب بن هُبَل بن عبد الله من كلب ، ونصير : ظهير ومُعين ، ويعنى بالنصير بنى التَّيْم ، وجعل اللفظ نكرة ليكون أبلغ فى تعظيم النصرة ، كأنه أراد نصير من النصار : أى كامل فى معناه ، وقوله « أن سيمنعها » السين فى الفعل عوض لئلا تلتبس المخففة بالناصبة للفعل ، والهاء التى أضمرته ضمير الأمر والشأن

(٣) الدَّجْن : إلباس الغيم ، والدُّجُنَّة : الظلمة ، وليلة مِدْجَان ، فيقول : أتت سحابة الجيش بمَطَر جود فو بلت وَبْلَ مُدْجِنة . أى سحابة لها إظلام لكثافتها وقربها من الأرض فصبت عليهم المنايا درّ سارية ، والدَّرُور : هى الكثيرة الدر ، ويرتفع على أنه فاعل دَرَّت ؛ وَصَوْبَ مصدر من غير لفظه ، كأنه قال : صابت دَرُورٌ صَوْبَ سارية ، وقيل : جادت ودرت فعلان جميعاً للدَّرُور ، فهو كما يقال : قام وقعد زيد ، والدَّرُور : حرب تدر بالدماء . ويقال : جادت وأجادت بمعنى ، والمراد جادت دَرُور فَدَرَّت عليهم كوبل مُدْجنة وكصوب سارية ، والأوّل أقرب ، ويروى « صَوْبُ سَارِيَةٍ » قال أبو رياش : أنث الصوب لأنه أراد الدفعة

فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرَاعًا تَكُبُّهُمُ الْمُهَنَّدَةُ الذُّكُورُ (١)

(١) يعنى انهزمت حمير ، والقِطْقِط : صغار البرد الذى يتوهم مطرا ، شبه النَّبْل النافذة إليهم بالقطقط من السحاب ، يقول : انهزموا أوّل الأمر ولم يثبتوا، وقوله « تكبهم » أى تصرعهم ، والمهندة : السيوف طبعت على عمل الهند ، وقيل : هى الهندية ، والذكور : جمع ذكر ، وهو الفولاذ ، ويقال : هَنَّدْت السيف ، إذا حددته ، وموضع « تَكُبُّهُم » نصب على الحال

ثم جمعت حمير لتَيْم فظهرت على تيم ، فقتلوهم وأسروهم ، وخصوا منهم قوما ، واستعبدوا قوماً حتى غزا الأضبط بن قُرَيْع صنعاء ، فاستنقذ أسراهم وأصاب فى حمير ونكى نكاية شديدة ، وقال جرير يذكر تَيْماً وأَسْرَ حمير لهم :

يَدْعُوكَ تَيْمٌ وَتَيْمٌ فِى قُرَى سَبَأٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ

وقال بعض شعراء تيم وهو فى يد تبع يحضض تميا وضبة ويعيرهم خذلانهم :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ مُحَامًّا ذَا الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الْقَدِيمِ

وَالْأَضْبَطَ السَّعْدِىَّ بَلِّغْ وَالْأَكَارِمَ مِنْ تَمِيمِ

فَتَسَارَعُوا فِى فَكِّنَا وَرِعُوا عَنِ الْفِعْلِ الذَّمِيمِ

والأضبط هو أوّل من سار بجنَاحين وقَلْب ومَيْمَنة ومَيْسَرة ، ومحلّم بن سُوَيط الضَّبّى هو الذى عناه الفرزدق فى قوله « والرئيس الأول (١) » وهو الذى

(١) هذه قطعة من بيت للفرزدق وهو بتمامه

زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمُ وَأَبُو قَبِيصَةَ وَالرَّئِيسُ الْأَوَّلُ

وهى من قصيدته التى أولها

إِنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وهى من قصائد المناقضات

١١٦ — وقال جَزْء بن ضِرار أخو الشّمّاخ (١)

أَتَانِى فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِى   حَدِيثٌ بِأَعْلَى القُنَّتَيْنِ عَجِيبُ (٢)

عناه ذو الرمة فى قوله :

وَهُمْ عَلَّمُوا النَّاسَ الرِّيَاسَةَ لَمْ يَسِرْ   بِهَا غَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَعْشَرُ

وهو الذى سار بالناس وله مُجَنِّبتان ومُقَدِّمة وساقة فى هذه الغزاة ، فظفر بحمير

فلما بلغ النَّمِرَ بن مُرّة بن حمّان والأضبط بن قُرَيع هذا الشعر جمعا بنى تميم ، ثم ساروا إلى صنعاء ، وبلغ الخبر أهل اليمن ، فقال بعضهم أبياتا منها :

فَيَارَا كِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغًا   فَوَارِسَ سَوْءٍ مِنْ صُدَاءٍ وَمِنْ نَهْدِ
إِذَا الأَضْبَطُ السَّعْدِىُّ جَاءَ بِجَيْشِهِ   فَيَارُبَّ خَوْدٍ مُجْتَلَاةٍ عَلَى لِبْدِ
فَإِمَّا أَعَدُّوا لِلْخَمِيسِ كِفَاءَهُ   وَإِمَّا اتَّقَوْا قُرْدُودَةَ الْخَيْلِ بِالْبُعْدِ

الكفاء : الكُفْء ، والقُرْدُود : وسط ظهر الإنسان من عند عجزه إلى بين كتفيه المستدق ، وهو السيساء من الحمير ، فضربه مثلا فى الخيل لتبع بعضها بعضا

فقدم نمر والأضبط فى خيلهما اليمن ، فأغارا حتى انتهيا إلى صنعاء . فقاتلاهما حمير ، فظهرا عليهم ، وأصابا فيهم ، واستنقذا من كان فى أيديهم من أسارى التيم ، وأقاما بأرض اليمن حولا . فذكروا أن الأضبط بن قريع بنى بها أُطمًا فهو معروف بأطم الأضبط

(١) ضرار : مصدر ضَارَرْته فاعلته من الضرر ، والشَّمَّاخ : صفة منقولة أو غالبة .

(٢) الثالث من الطويل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر تقديره أتانى حديث عجيب بأعلى القنتين فلم أسرر به حين جاءنى ، وإنما

تَصَامَمْتُهُ لَمَّا أَتَانِى يَقِينُهُ وَأَفْرَعَ مِنْهُ مُخْطِئٌ وَمُصِيبُ(١)
وَحُدِّثْتُ قَوْمِى أَحْدَثَ الدَّهْرُ فِيهِمُ وَعَهْدُهُمُ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبُ(٢)

استعجب من الحديث لتضمنه ما كرهه . وكان يرده بما يقوى فى أمله من ضده . وقد اجتمع فعلان أتانى وجاءنى فأعمل الأول ، ومثله قول الآخر :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِعْرِى لَئِيماً أَنْ يُقَالَ أَصَابَ مَالاَ

الْقَنْقَنَان : جبل أسود مشرف بعض الإشراف ، وليس فيه شواهق ولا صخور ؛ ينبت الكلأ

(١) أى تصاممت منه : أى أظهرت صمما وتغافلت حين(١) أتانى يقينه فتيقنت ، وأفرع منه مخطىء ومصيب ؛ فالمخطىء الأول الذى كذبه . والمصيب الثانى الذى صدّقه ، وأفرع معناه صادف الفرع ، وإذا كان هكذا فلا يقتضى مفعولا ، ويجوز أن يكون معناه أفرع الغير فيكون مفعوله محذوفا ، ويروى «أفزع» من الفزع الخوف : أى أفزع المخطىء فى حكايته والمصيب فيها فظاعة

(٢) حُدِّثت : يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ؛ فالأول قام مقام الفاعل ، وضميره التاء ، والثانى قومى ، والثالث أحدث الدهر فيهم ، ومفعول أحدث محذوف ، كأنه قال : أحدث الدهر فيهم أحداثا ، كما قال الآخر « فإنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلِتِ »(٢)

---

(١) وقع فى سائر نسخ الحماسة وشرحه فى البيت « تصاممته لما أتانى يقينه » وعبارة الشارح على ما نى عليه تؤيدها ؛ ألا تراه فسر « لما » بقوله « حين أتانى يقينه » والذى يترجح عندنا أن أصل العبارة محرف فى الأصل ، وفى الشرح ، وأن أصلها « تصاممته حتى أتانى يقينه » وأصل العبارة فى الشرح « حتى أتانى يقينه فتيقنت »

(٢) هذه قطعة من بيت للشنفرى ، وهو بتمامه هكذا

كَأَنَّ لَهَا فِى الْأَرْضِ نِسْيًا تَقُصُّهُ عَلَى أَمِّهَا ، وَإِنْ تحدّثك تَبْلِتِ

وتبلت : أراد تقطع كلامها ، والبلت : القطع ، وبابه ضرب وكأنه مقلوب من البتل

فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِى فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنُوبُ[1]

فَقِيرُهُمُ مُبْدِى الْغِنَى وَغَنِيُّهُمْ لَهُ وَرَقٌ لِلسَّائِلِينَ رَطِيبُ[2]

ذَلُولُهُمُ صَعْبُ الْقِيَادِ وَصَعْبُهُمْ ذَلُولٌ بِحَقِّ الرَّاغِبِينَ رَكُوبُ[3]

أى تبلت كلامها ، ويجوز أن يكون أجرى قوله « أحدث الدهر فيهم » مجرى قولهم : نكى الدهر فيهم[1] . فاستغنى عن المفعول ، وقوله « وعهدهم بالحادثات قريب » يجوز أن يكون من جملة مابلغ ، ويجوز أن يكون الواو للحال . كأنه نكى الدهر فيهم[1] وحالهم قرب الدهر بحوادثه ، ويجوز أن يكون جاريا مجرى الاعتراض بين ماقبله وما بعده ، وحقيقة معناه تصديقه لما خبر به ، وأن قومه من الكرام الذين لايسلمون على الدهر ، بل يولع بالتأثير فيهم

(١) جواب « فان يك حقا » مادل عليه قولهم « فإنهم كرام » لأن معناه فإنهم يصبرون صبر الكرام ، ومثله قوله تعالى : (إن تعذبهم فإنهم عبادك) ؛ لأن المعنى فانك تملكهم وتقدر عليهم

(٢) هذا مثل ضربه للندى ، وأصله ههنا ورق الشجر . وبه عيش المال الإبلِ والغنم ، فاذا لم يمنعوا من الورق عاش الناس فى فنائهم ، هذا الأصل ، ثم يتمثل به بعدُ لغيره من ضروب المنافع ، ويقال : وَرَّقَت الشجرة وأَوْرَقت ، وشجرة وَرِيقة ، إذا كثر ورقها ، والوِرَاق : زمن خروج الْوَرَق كالصِّرَام والْجِدَاد

(٣) يقول : من كان منهم سهل الجانب تراه متعسرا إذا سيمَ الضيم ، والأبىّ منهم معترف بحق الراغبين يركب به فلا يمتنع

---

(١) فى الأصول كلها « بكى الدهر فيهم » بالباء

إذَا رَنَّقَتْ أَخلاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ　　تَصَفَّى لَهَا أَخْلاقُهُمْ وَتَطِيبُ (١)

وَمَنْ يَغْمُرُوا مِنْهُمْ بِفَضْلٍ فَإِنَّهُ　　إِذَا مَاانْتَمَى فِى آخَرِينَ نَجِيبُ (٢)

١١٧ — وقال الْقُطَامِىُّ (٣) :

---

(١) أى : إذا كَدَّرَت المصائب أخلاق الناس فتغيرت فإن أخلاق هؤلاء تصفى لها : أى كلما ازدادوا امتحانا بالدهر ازدادوا طلاقة و بشاشة

(٢) حذف مفعول « يغمروا » لأنه لايلتبس . أراد و من يغمروه : أى المفضول فيهم إذا انتمى فى غيرهم كان فاضلا ، وأصل الْغَمْرِ التغطية ، ومنه قولهم : دخل فى غمار الناس ؛ والنجيب : الكريم من الناس والخيل والابل . ولذلك قيل للمختار من كل شىء : الْمُنْتَجب ، وقد نَجُبَ الرجل نَجَابة ، وأَنْجَبَ ، أتى بأولاد نجباء

(٣) قال أبو الفتح : الْقُطَامِىّ : الصقر ، سمى الشاعر به من قوله :

يَحُطُّهُنَّ جَانباً فَجَانبَا　　صَكَّ الْقَطَامِىّ قَطًا قَوَارِبَا

و يقال الْقَطَامِىُّ بفتح القاف ، والْقُطَامِىُّ بضمها ، والْقَطَام بالفتح و بغير ياء ، قال أبو هلال : اسمه عُمَيْر بن شُيَيْم بن عمرو بن عَبَّاد بن بكر بن عامر ابن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، وكان فحلا رقيق الحواشى كثير الأمثال ، فمنها قوله :

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ　　مَايَشْتَهِى وَلِأُمِّ الْمُخْطِىءِ الْهَبَلُ

قَدْيُدْرِكُ الْمُتَأَنِّى بَعْضَ حَاجَتِهِ　　وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

والْعَيْشُ لا عَيْشَ إلاَّ مَاتَقَرُّ بِهِ　　عَيْنٌ وَلاَ حَالَ إلاَّ سَوْفَ تَنْتَقِلُ

مَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَىَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا (١)

وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا ... قَنًا سُلُبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانَا (٢)

وَكُنَّ إِذَا أَغَرْنَ عَلَى جَنَابٍ ... وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا (٣)

أَغَرْنَ مِنَ الضِّبَابِ عَلَى حُلُولٍ ... وَضَبَّةَ إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا (٤)

---

(١) الأول من الوافر ، مطلق موصول مردف ، والقافية متواتر

المراد بالحضارة أهل الحضر ، فحذف المضاف ، يدل على ذلك قوله « فأى رجال بادية » لأن التفضيل إنما يصح بين البدويين والحضريين ، وأى هذه تضاف إلى النكرة ولا تضاف إلى أكثر من الذى جعلته خبرا لأنك تريد صفته ، ألا ترى أنك تقول : مررت برجل أىّ رجل ، وأىُّ رجل أخوك ، إذا جعلته خبرا يكون مخرج الكلام المدح والتعجب ، كأنك قلت : نهايةٌ فى الرجولية أخوك ، فعلى هذا قوله « فأى رجال بادية » يقول : من أعجبته رجال الحضر فأى رجال بدْوٍ نحن إذا حصلت الرجال ، والمعنى أى أناس نحن وإن كنا من أهل البدو ، والمراد التمدح

(٢) يقول : من ربط الحمر واقتناها وكان عيشه منها فإنا أرباب الغزو ، ويروى « قناسَلِباً » و « سُلُباً » فالسَّلِب الطويل صفة الواحد وقد يوصف الجمع بصفة الواحد إذا كان على بنائه ، وسُلُب : جمع سلوب ، أى هى تسلب الأنفس

(٣) « وكُنَّ » يعنى الخيل ، أنزلها منزلة أربابها وهم المغيرون ، والنَّهْب : ماينتهب ويقال : عَوِزَ الرجل كذا عَوَزًا ، وأعوزه الدهر : أفقره ، وأعوز الرجل : ساءت حاله ، وهذا لايتعدى ، وقوله « إذا أغرن » ظرف لقوله « أَغَرْنَ »

(٤) هو جواب له ، والجملة خبر « كن » والضِّباب : يشتمل على ضَبَّة وَضُبَيْب وحِسْلْ وحُسَيْل ، فلذلك سموا الضباب ، والحى الحلول : الذين

وَأَحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا إِذَا مَالَمْ نَجِدْ إِلاَّ أَخَانَا (١)

١١٨ — وقال الأعرج الْمَعْنِيّ (٢) :

أَرَى أُمَّ سَهْلٍ مَا تَزَالُ تَفَجَّعُ تَلُومُ وَمَا أَدْرِى عَلَامَ تَوَجَّعُ (٣)
تَلُومُ عَلَى أَنْ أَمْنَحَ الْوَرْدَ لِقْحَةً وَمَا تَسْتَوِى وَالْوَرْدَ سَاعَةَ تَفْزَعُ (٤)

يكونون فى مكان واحد ، يقول : إنهم لاعتيادهم الغارة لايصبرون عنها ، حتى إذا أعوزهم الأباعد عطفوا على الأقارب ، ألا ترى أنه تمم ذلك بقوله «وأحيانا»

(١) « على بكر » تعلق بفعل مضمر دل عليه ما تقدم فيما قبله ، كأنه قال : وأحيانا على بكر أغَرْنَ ، وقوله «إنه من حان حانا» يسمى الالتفات ، كأنه التفت إلى إنسان فقال : إنه من هلك بغزونا فقد هلك

(٢) وهو رجل من الخوارج

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرّد ، والقافية متدارك

قوله « ماتزال » يريد به اتصال تلك الحالة منها ؛ لأن مازال لدوام الماضى وما يزال هو مستقبل مازال ، فيصير لامتداد الحال ، فان قيل : أليس زال ضد دام فكيف يفيد معنى الدوام وهو للنفى ؟ قلت : لما دخل ما النافية عليه تغير معناه إلى الايجاب ؛ لأن نفى النفى إيجاب ، فعاد إلى معنى الدوام « وَتَلُوم » فى موضع الحال : أى تفجع لائمة ، وقوله « وما أدرى علام توجع » يريد وما أدرى مامقتضى هذا السؤال

(٤) أى : تعيب على فى إيثارى فرسى الورد بلبن لقحة ، وهى الناقة التى بها لبن ، وما تستوى هى مع الورد ساعة الفزع ، والْوَرْدَ منصوب على أنه مفعول معه ، يريد لا تستوى هى مع الورد ، ولو أراد ماتستوى هى وما يستوى الورد لم يكن يجوز إلا الرفع ، والعامل فى هذا المفعول لايعمل إلا بتوسط الواو بينهما ،

إذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعِلَّةً نَخِيبَ الْفُؤَادِ رَأْسُهَا مَا يُقَنَّعُ (١)
وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللِّجَامِ مُيَسَّرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي بِمَا كُنْتُ أَصْنَعُ (٢)

١١٩ — وقال حُجْر بن خالد بن محمود بن عَمْرو بن مَرْثَد بن مالك ابن ضُبَيْعَةَ بن قَيْس بن ثَعْلَبة (٣) :

وإذا أردت تجريد الفعل له على مايدل عليه قوله تستوى يكون تقديره إذا أظهرته عاملا فيه وما تساوى الورد ، وعلى هذا قولهم : استوى الماء والخشبةَ : لأن المعنى ساوى الماء الخشبة ، فان قيل : كيف قال « ولا أدرى علام توجع » ثم أتبعه بقوله « تلوم على أن أعطى » وهل كذب نفسه ؟ فالجواب أن قوله « وما أدرى » إنكار وتفظيع للشأن . والمتضجر بالشيء يقول ذلك وإن كان عالما . وروى بعضهم « والوَرْدُ » بالرفع . وكان الأجود أن يقول : وما تستوى هى والورد : لأن عطف الظاهر على المضمر المرفوع ضعيف حتى يؤكد ، ويكون المعنى وما تستوى أم سهل وفرسى فى ذلك الوقت

(١) « إذا هى قامت » بيان للحال ساعة الفزع ، وموضع « إذا » نصب على أنه بدل من « ساعة تفزع » ويكون على ذلك قوله « هنالك يجزينى » من البيت الذى يليه منقطعا وإن كان علة إيثاره باللبن إياه وانتفاء المساواة بينه وبين المرأة ، وقوله « مُشْمَعِلَّة » أى : جادة فى العدو ، منخوبة القلب : أى طائرة اللب لاقناع عليها لدهشها ، ويروى « رَأْسَهَا ماتُقَنَّع » فينتصب لأنه مفعول مقدم ، ويجوز أن يكون « إذا هى قامت » استئناف كلام ، وحينئذ يكون جواب « إذا » قوله « هنالك يجزينى »

(٢) ميسرا : مهيئا ، وفى القرآن (فَسَنُيَسِّرُه لليسرى) و« هنالك » إشارة إلى الوقت ، ويستعمل فى المكان والعامل فيه « يجزينى »

(٣) قال أبو العلاء : الْحُجْرُ الحرام ، وكذلك الحِجْر أيضا ، ومَرْثَد : من

كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الْفُؤَادُ بِذِكْرِهَا   مَا إِنْ تَزَالُ تَرَى لَهَا أَهْوَالاَ (١)
فَاقْنِي حَيَاءَكِ لاَ أَبَالَكِ إِنَّنِي   فِي أَرْضِ فَارِسَ مُوثَقٌ أَحْوَالاَ (٢)
وَإِذَا هَلَكْتُ فَلاَ تُرِيدِي عَاجِزًا   غُسًّا وَلاَ بَرَمًا وَلاَ مِعْزَالاَ (٣)

رَثَدْتَ المتاعَ بعضه فوق بعض ، ومتاع رَثِيد ومرثود

(١) الثانى من الكامل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

يقول : علق الفؤاد بذكر امرأة كلبية ، وهذا كما يقال : علق بقلبه علاقته ، ويجوز أن يكون جعل الفؤاد تابعا للذكر ، فكأنه تعلق به ، وكل شيء وقع موقعه قيل : عَلِقَ مَعَالِقه ، وجعل صدر البيت على الإخبار عنها ، ثم نقل الكلام إلى مخاطبة نفسه . ويجوز أن يكون استمر فى الإخبار عنها ، ويكون المعنى علقها الفؤاد ولا تزال هى تقاسى أنت بسببها أهوالا

(٢) يقال : قَنِيَ يَقْنَى وَقَنَا يَقْنُو ، قال المتلمس :

كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ

وقوله «لا أبالك» بَعْثٌ وتحضيض ، وليس بنفى لأبيها ، وخبر لا محذوف ، لأن المعنى لا أباك ، ودخلت اللام مؤكدة للإضافة ؛ لأن هذه إضافة تخصص (١) فساغ تأكيدها باللام ، ولو كانت الإضافة متخصصة لكان لا يعمل فى « لا أبالك » وتقدير الخبر لا أبوك موجود ، وإنما قال « موثق » ولم يكن قد أسر لعلمه بما يؤل أمره إليه فى مقصده ، كأنه لما وطن نفسه على ترك التحامى والإبقاء علم أن أحسن العاقبتين فيه الأسر فذكره ، وهذا كقول الآخر :

* قَدْ يَتِمَتْ بِنْتِي وَآمَتْ كَنَّتِي *

فهذا وجه ، ويجوز أن يكون قال هذه الأبيات بعد الأسر

(٣) ليس قصده فى هذه الوصاة إلى أن يبعثها إلى تخير الرجال ، وإنما المراد

---

(١) لعل الأصل « لأن هذه إضافة لا تخصص »

وَاسْتَبْدِ لِى خَتَنًا لِأَهْلِكِ ، مِثْلُهُ يُعْطِى الْجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الأَبْطَالاَ (١)
غَيْرُ الْجَدِيرِ بِأَنْ تَكُونَ لَقُوحَهُ رَبًّا عَلَيْهِ وَلاَ الْفَصِيلُ عِيَالاَ (٢)

١٢٠ — وقال رُشَيْد بن رُمَيْض الْعَنْبَرِى * (٣)

اطلبى مثلى ، وهو يعلم أنها لاتظفر بمن يماثله أو يقاربه . والغَسُّ : الضعيف ، والبَرَم : الذى لايدخل مع القوم فى الميسر ، والمِعْزَال : الذى لاينزل مع القوم فى السفر ، ولــكن ينزل ناحية . ومثله لابن الأحمر :

فَإِمَّا زَالَ سَرْحٌ عَنْ مَعَدٍّ فَأَجْدِرْ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَــكُونَا
فلاَ تَصِلِى بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِى الْقَوْمِ [مَيْلاً] مُسْتَــكِينَا
إِذَا شَرِبَ الْمُرِضَةَ قَالَ أَوْكِى عَلَى مَا فِى سِقَائِكِ قَدْ رَوِينَا

(١) « مثله » يرتفع بالابتداء ، وما بعده فى موضع الخبر له . والجملة فى موضع الصفة لِلْخَتَن ، ولا يجوز نصب مثله

(٢) « غير الجدير » من صفة الْخَتَن : أى لايــكون خليقا بأن يــكون مملوكا لمالــكه لامالــكا ، ويحل الفصيل منه محل العيال ، لا محل المال ، واللَّقوح صفة ، يقال : ناقة لَقُوح ، إذا كان بها لبن ، فاذا أرادوا استعمالها على حد الأسماء قالوا لِقْحَة ، يقال : هذه لِقْحَة فلان للناقة الحلوب ، ولا يقال : نَاقَةٌ لِقْحَة

(٣) قال أبوالفتح : رُمَيْض : تحقير رَمِض ، يقال : رَمِضَ الرَّجُلُ يَرْمَض رَمَضا ، إذا أصابه حر الشمس ، قال ، قرأته على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى :

ظَلَّتْ وَظَلَّ يَوْمُهَا حَوْبَ حَلِ وَظَلَّ يَوْمٌ لِأَبِى الْهَجَنْجَلِ
ضَاحِى الْمَقِيلِ دَائِمِ التَّبَذُّلِ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ عَلَىَّ مِبْذَلِ

* أَرْمَضُ مِنْ تَحْتُ وَأَضْحَى مِنْ عَلِ *

---

* فى نسخة « رشيد بن رميض العنزى »

بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلامٌ كَالزُّلَمْ (١)
خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ الْقَدَمْ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ (٢)
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ وَلاَ بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ
مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كَمَا أَوْدَتْ إِرَمْ (٣)

١٢١ — وقال جعفر بن عُلْبة الحارثى حين لقى بنى عُقَيْل ، وقد تقدم خبره

أَلاَ لاَ أُبَالِى بَعْدَ يَوْمٍ بِسَحْبَلٍ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا (٤)

---

(١) من مشطور الرجز ، مقيد مجرد ، يجتمع فى قوافيها المتراكب والمتدارك • والمتراكب داخل على المتدارك

أى : بات يعانى الغارة كيف يوقعها غلام مُدمج الْخَلْق خفيف كأنه قدح

(٢) خَدَلَّجُ الساقين : ممتلئهما ، وخَفَّاق القدم : سريع الخطو ضراب بها الأرض يسمع لها خفقان لشدة وطئه «قد لفها الليل» جعل الفعل لليل على المجاز وأصل الْحَطْم الكسر ، والمعنى جمعها برجل متناهى القوة عنيف السَّوْق لا يرفق بوسائقه رفق الرعاة ولا رفق الجزار ، وذلك أن الراعى مكترى لاستصلاح مرعيه ، والجزار لا يستهلك ماله : يفسره قوله : « ليس براعى»

(٣) قال أبو رياش : هذه قالها فى غارة الْحُطم وهو شُرَيْح بن شُرَحْبيل ابن عمرو بن مَرْثد ، أغار على اليمن فقتل وليعة بن معديكرب أخاقيس وسَبَى بنت قيس بن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس فبعث الأشعث يعرض فى فدائها بكل قرن من قرونها مائة من الإبل فلم يفعل الْحُطَمُ وماتت عنده عطشا

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

يقال : لا أبالى كذا ، ولا أبالى بكذا ، و « إذا لم أعذب » ظرف للا أبالى

تَرَكْتُ بِجَنْبَيْ سَحْبَلٍ وَتِلاعِهِ   مُرَاقَ دَمٍ لاَ يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا (١)
إِذَا مَا أَتَيْتَ الحَارِثِيَّاتِ فَانْعَنِي   لَهُنَّ وَخَبِّرْهُنَّ أَنْ لا تَلاَقِيَا (٢)
وَقَوِّدْ قَلُوصِي بَيْنَهُنَّ فَإِنَّهَا   سَتَضْحَكُ مَسْرُوراً وَتَبْكِي بَوَاكِيَا (٣)

١٢٢ — وقال آخر :

لَعَمْرِي لَرَهْطُ المَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةٍ   عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبِ (٤)

أى لا أبالى بالموت إذا سلمت من عذاب الله تعالى

(١) أى تركت بجانبى هذا الوادى ومسايل مائه « مُرَاقَ دم » يجوز أن يريد به موضعا أريق به دم ، كما يجوز أن يريد به دما مراقا . لكنه إذا أريد به الموضع يكون لايبرح من صفة الدم ، ويجوز أن يريد به رجلا قد أريق دمه ويكون كقولك : هو حسن وجه . وذكر بعضهم أن المراد مُرَاق دم لا يزال ذكره باقيا على الدهر ؛ فحذف المضاف ، والتِّلاَع : جمع تَلْعَة : وهى أرض مرتفعة يتردّد فيها السيل إلى بطن الوادى ، ومن الاستعارة الحسنة قولهم : فلان لا يُوثَقُ بَسَيْل تَلْعَتِه ، إذا كان لا يَصْدُق فى أخباره

(٢) « أن » مخففة من الثقيلة ، واسمها مضمر ، و« تلاقيا» نصب بلا ، وخبره محذوف ، والمراد لا تلاقى لنا ، والهاء فى أنه ضمير الأمر والشأن ، والجملة خبر « أنْ » وهذا البيت مع ما بعده يروى فى شعر مالك بن الرَّيْب

(٣) قوله « ستضحك مسرورا وتبكى بواكيا »من باب وصف الشيء بما يؤل إليه ، وقيل : المسرور الشامت ، والبواكى : الصديق ، والْقَلوص قال الخليل : هى الناقة الباقية على السير لا تزال قلوصا حتى تبزل ، وإنما سميت قلوصا لطول قوائمها ولم تجسم بعد

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا غِنًى   جَزِيلٍ وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ (١)

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمُ   فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ (٢)

١٢٣ — وقال البُرْجُ بن مُسْهِرٍ الطائى (٣) :

خبر « لَعَمْرِى » مضمر ، و « لَرَهْطُ » جوابه ، والرَّهْط يقع على مادون العشرة ، ولهذا دخل عليه من العدد أسماء الآحاد ، فقيل : ثَلَاثَةُ رَهْطٍ ، ومثله نَفَر . ولو كان يقع على الكثير لما جاز ذلك فيه ، ألا ترى أنك لاتقول : ثَلَاثَةُ إبلٍ ، وانتصاب « بقية » على التمييز ، وموضع « وإن عَالَوْا به » نصب على الحال للرهط ، وجواب الشرط فيما دل عليه قوله « خير بقية » ؛ وقوله « كلّ مركب » يريد به كل مركب مذموم ، وعااليت بفلان بمعنى أعاليته ، يقول : لَعِتْرَةُ الرجل أحسن إبقاء عليه وإن أركبوه مراكب صعبة

(١) « من الجانب الأقصى » أى : الأبعد ، ومن تتعلق بقوله خير بقية ، لأن معناه أفعل الذى يتم بمن ، وقوله « وإن كان ذا غنى » فى موضع الحال ، والجانب يريد الجنس لا واحدا بعينه ، وقوله « ولم يخبرك مثل مجرب » يجرى مجرى الالتفات ، وهو توكيد للخبر الذى أورده

(٢) هذا الكلام تحذير من الاغترار بالأجانب ؛ وبعث على طلب موافقتهم وترك الخلاف عليهم بعد الحصول فيهم ، ويروى :

* إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ *

أى : وأنت لاتهوى هواهم ، وقوله « كل ما عُلِفْتَ » مثل

(٣) قال أبو هلال : هو البُرْج بن مُسْهِرِ بن جُلَاس أحد بنى جَدِيلة ثم أحد بنى طريف بن عمرو بن ثُمَامة بن مالك بن جَدْعاء (١) بن ذُهْل بن رومَان

---

(١) هكذا فى بن ، وفى ب « جدعان » بالنون

فَنِعْمَ الْحَىُّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَّا رَأَيْنَا فِى جِوَارِهِمِ هَنَاتِ (١)

ابن جُنْدَب بن خرجة بن سعد بن قُطْرَة وهو جذيلة . من طيء ، وجاور كلبا فلم يحمدهم . وهو من معمَّرى الجاهلية ، وقال أبو الفتح : دخول اللام فى البُرْج وهو علم يدلك على مراعاتهم فيه مذهب الصفة واعتقادهم لذلك . فجرى ذلك مجرى قولهم القَوِىّ المَنِيع لو تقاته فسميت به وفيه الألف واللام كقولهم المظفر والمطهر

(١) أول الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

قوله «فنعم الحى كلب» تهكم وسخرية ، وجاز أن يأتى به بلفظ المدح لأنه بما بعده يبين الغرض فيكون أبلغ فى الهزء ، والهَنَات : الأمور المنكرة ، ولا يستعمل إلا فى الشر ، وهى جمع هَنَة ، وإنما يكنى به عن المحقرات . كأنه يرى الإبقاء والمجاملة ويجرى الأمر على المداجاة وترك المجاهرة ، وقد تجمع هَنَة على هَنَوَات ، فمن رد اللام فى الجمع رده فى النسبة أيضا ، ومن لم يرده فهو فى النسبة بالخيار إن شاء قال : هَنِىّ ، وإن شاء قال : هَنَوِىّ ، والاستثناء فى هذا المكان يكون منقطعا ، وكان فارق قومه مُرَاغِما لهم ، وجاور كلبا فلم يحمد جوارهم ففارقهم ذامّا لهم ، وقد جاء عن بعض المحدثين هَنَات فى الخير ، كتب الحسن بن وهب إلى أخ له :

ظَبْيُكَ هٰذَا حَسَنٌ وَجْهُهُ وَمَا سِوَى ذَاكَ جَمِيعاً يُعَابْ
فَافْهَمْ كَلَامِى يَا أَبَا عَامِرٍ لَا يُشْبِهُ الْعُنْوَانُ مَا فِى الْكِتَابْ

فكتب إليه :

وَرَاءَ مَا رَاقَكَ مِنْ حُسْنِهِ مَنَافِعٌ مَخْبَرُهَا يُسْتَطَابْ
مِنْ طِيبِ مَسْمُوعٍ إِذَا مَا شَدَا يَحْلُو بِهِ الْعَيْشُ وَيَصْفُو الشَّرَابْ

وَنِعْمَ الحَيُّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَّا رُزِئْنَامِنْ بَنِينَ وَمِنْ بَنَاتِ (١)
فَإِنَّ الْغَدْرَ قَدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِيماً بَيْنَ خَبْتَ إِلَى المُسَاتِ (٢)
تَرَكْنا قَوْمَنا مِنْ حَرْبِ عَامٍ أَلاَ يَاقَوْمِ لِلأَمْرِ الشَّتَاتِ (٣)

وَعِشْرَةٌ مَحْمُودَةٌ تَحْتَهَا مُسَاعَدَاتٌ وَهَنَاتُ عِذَابٌ

(١) يقال : فلان مُرَزَّأ فى ماله ، فيكون مدحا ، وفلان مرزأ فى أهله ، فيكون ترحما وتوجعا ، ومثال هذا التهكم قول الآخر :

فِدًى لِسَلْمَى ثَوْبَاى إذْ دَنِسَ الْ قَوْمُ وَإِذْ يَدْسُونَ مَا دَسَمُوا

وقوله « من بنين » دخل من للتفصيل ، كأنه قال : رزئنا أناسا من بنين ومن بنات ، ومفعول «رزئنا» محذوف ، ويجوز أن يكون زاد من فى الواجب على مذهب الأخفش ، وما حكاه عنهم من قولهم : « قد كان من مطر » فيكون المراد رزئنا بنين وبنات

(٢) الفاء ربطت الجملة التى بعدها بما تقدم ورتبتها عليه ، وخَبْت وَالْمُسَات : ما آن لكلب ، يقول : الغدر مقيم فى كلب بين هذين : أى فى أول ديارهم وآخرها ، وفائدة قوله « أمسى وأضحى » بيان اتصال الوقت

(٣) « ألا ياقوم » تعجب ، والشَّتَات : مصدر وصف به ، واللام فى للأمر لام الإضافة ، لكن فائدته ماذكرناه من التعجب . وأتى به مع المدعو ، وقد يقال : يالزيد . فيكون المنادى محذوفا . وهذه اللام تدخل مفتوحة فى المنادى يراد به الاعتزاء ، كقولك : يالبكر ، وياللتيم ، يقول : انتقلنا عن قومنا وفارقناهم منذ زمن الحرب التى انقضت بيننا عاما أول ، ثم أخذ يستعطفهم وَيَتَذَمَّم من مُرَاغمتهم ويظهر الحاجة إليهم ، فقال ياقوم أقبلوا لما اخْتَلَّ من حالنا ، وقوله « من حرب عام » جعل من بدل منذ لأنه فى المكان مثله فى الزمان ، كما قال زهير:

وأَخْرَجْنَا الْأَيَامَى مِنْ حُصُونٍ   بِهَا دَارُ الْإِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ [١]
فَإِنْ نَرْجِعْ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا   نُصَالِحْ قَوْمَنَا حَتَّى الْمَمَاتِ [٢]

---

* مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ * [١]

(١) وصف النساء بما آل أمرهن إليه من الأيمة . وإن كن وقت الإخراج ذوات بعول ، والفعل من الأيمة آم . ويقع على الرجل والمرأة . والأيم من الفعل فَيْعِل ، وجمعه أيايم على فياعل . والأيامى مقلوب . كأنه قدم اللام على العين فصار أيامى على فيالع . ثم فروا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفا

(٢) أى : إن اتفق لنا عودة إلى بلادنا تركنا الخلاف على ذوينا وأقمنا بها . وقوله « حتى الممات » أراد به إلى حين الممات . فحذف المضاف ، والممات : يكون مصدرا ، وإن جعلته اسما للحين فلا حذف

خبر هذه الأبيات : قال أبو رياش كان : البُرْج بن مُسْهِر الطائى جاور كلبا أيام الفساد ، وهو يوم له خبر طويل ، فكان من حديث ما كان بين طيىء زمن الفساد وبين جَدِيلة والْغَوْث . أن جديلة كانت بالسهل والغوث كانت بالجبل فى سلمى وأجأ ، وأجأ لبنى ثُعَل ، وسلمى لبنى نَبْهَان ، أن رجلا من جَدِيلة كانت له ناقة عند رجل من بنى ثُعَل ، فجاء يطلبها فتغيب عنه أو منعه إياها ، فجاء رهط من جَدِيلة مع صاحبهم ، فأغاروا على صِرْمَةِ رجل من الْغَوْث يدعى بالْحَسْحَاس ، فقال أحد الْجَدَلِيِّينَ وكان يقال له مُصَاب :

نَحْنُ أَخَذْنَا إِبِلَ الْحَسْحَاسِ   إِنَّا وَجَدْنَاهُ أَذَلَّ النَّاسِ
* عَبْدًا لَئِيمًا مِنْ بَنِى خناسِ *

---

(١) هذه قطعة من بيت ينسب لزهير بن أبى سلمى المزنى ، وهو بتمامه :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجْرِ   أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ

فطلبهم بنو ثعل ، فالحتوهم فى منازلهم ، فرمى رجل من جديلة وهو مُصَاب بسهم . فقال الثعلى :

نَحْنُ رَدَدْنَا إِبلَ الْحَسْحَاسِ   إِنَّا وَجَدْنَاهُ أعزَّ النَّاسِ
يَارُبَّ أَدْمَاءَ بِهَا قِنْعَاسِ   تَبْتَلِـعُ الْعُودَ الطَّوِيلَ الْعَاسِى

فمضت جديلة حتى أقبل قوم من الْغَوْث ، من عند ملك من ملوك غَسَّان ، فلقيهم جديلة على ماء يدعى صبَاحَ . فقتلوهم وطرحوهم فى ذلك الماء ، وكانوا ثمانية . فقال ابن جُوَيْن :

قَتَلُوا ثَمَانِيَةً بِطِنَةٍ وَاحِدٍ   تِلْكَ الْمَقْطَرُ مِنْ أَسِرَّتِهَا الدَّمْ

وهو يروى لبنى سابم . ويروى لذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل ، ثم التقوا وجَمَّعُوا جمعا كثيفا بالناصفة ، فهزمت الْغَوْث يومئذ ، وقتلت فيهم قتلى كثيرة ، ثم جَمَّعُوا . فالتقوا على حَوْق فظهرت الغوث على جديلة ، فأدركوا وزادوا ، وهو زمن الفساد ، فقال رجل من الغوث :

نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ فِي   نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ

وقال ابن عَنَمَةَ الْبَوْلَانى يحضّض قومه :

أَصْبَحَ الْعَجزُ وَأَمْسَى مُقِيماً   بِمَوَالِى ثُعَلٍ أَجْمَعِينَا
ثُمَّ حَاشَى لِهَنِيِّ بْنِ عَمْرٍو   لَيْسَ مَوْلَاهُم مِنَ الْمُسْلِمِينَا

وقال الأعرج بن رباب وخرجت بنو جديلة حتى لحقت بكلب ، وزعمت الغوث يومئذ أنهم شربوا فى جَمَاجِم جديلة :

بَكَيْنَا بِالرِّمَاحِ غَدَاةَ حَوْقٍ   عَلَى قَتْلَى بِنَاصِفَةٍ كِرَامِ
جَمَاجِمَ طُرِّحَتْ بِجَنُوبِ حَوْقٍ   كَأَنَّ شُؤُونَهَا بَيْضُ النَّعَامِ
لَقَدْ عَلِمَتْ جَدِيلَةُ مَافَشِلْنَا   وَلَا سِرْنَا إِلى الأُفُقِ الشَّآمِى

وهى طويلة ، قال أبو العلاء : حَوْق يجوز أن يكون مأخوذا من قولهم : حقتُ

١٢٤ — وقال مُوسَى بن جَابِرٍ الحنفى (١) :

البيت، إذا كنسته ، وَحُقْتُ السنان إذا أحددته ، ويقال : لما حول حَشفة الذكر حَوْق وحُوق ، وقوله « كأن شؤنها » أراد الذى تتصل به شؤنها ، وكان رجل من جديلة قتلته بنو ثُعَل يوم قارات فاحتزّ أحد سِنْبِس أذنيه واختصف بهما أعقاب نعليه ، وقال البُرْج بن مُسْهِرٍ « نعم الحى كلب » الأبيات التى مضت » فأجابه فضالة بن أبى مُعرِض البُحْتُرى :

عَلاَمَ هَجَوْتَ كَلْباً يَاحِمَارا   أَقَامَ بِذِلَّةٍ حَتَّى الْمَمَاتِ
فَإِنَّكَ قَدْ سَلَحْتَ بِبَابِ بُصْرَى   وَإِنَّكَ قَدْ سَلَحْتَ بِأَذْرِعَاتِ
وَقَدْ شَرِبَ الْتُّعَيْسَ وَأَجْشَمَتْهُ   وَبَيْتُ اللّٰهِ إِحْدَى الْمُنْكَرَاتِ

الْتُّعَيْسُ : شراب لهم ، وأقامت هذه الحرب فيهم خمسا وعشرين سنة . وفى هذه الحرب يقول حاتم طيء :

إِنْ كُنْتِ كَارِهَةً لِمِيشَتِنَا   هَاتَا فَحُلِّى فِى بَنِى بَدرِ

(١) قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرانية ، ولم أعلم أن فى العرب من سمى موسى زمانَ الجاهلية ؛ وإنما حدث هذا فى الإسلام لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك ، فوجب إذا كان الأمر كذلك أن يُصْرَف موسى فى النكرة لأنه جارٍ مجرى الأعجمية ، فأما موسى الحديد فقد حكى تذكيرها وتأنيثها فان كانت مذكرة وسمى بها إنسان صرف لأنها حينئذ تكون على مُفْعَل مثل مُعْطًى ومُسْقًى ، وقد حكوا أَوْسَيْتُ رأسَه ، إذا حلقته ، وإن حملت على التأنيث وسمى بها الرجل لم تصرف فى المعرفة وصرفت فى النكرة ، وقد ذهب قوم إلى أن ألفها للتأنيث ؛ فإن أخذ بهذا القول لم تصرف فى المعرفة ولا فى النكرة ، وادّعوا أنها من مَاسَ يَميسُ ، إذا قطع ، وأن الياء

لاَ أَشْتَهِى يَاقَوْمِ إِلاَّ كَارِهاً ... بَابَ الْأَمِيرِ وَلاَ دِفَاعَ الْحَاجِبِ (١)
وَمِنَ الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ ... وَمُزَنَّدُونَ حُضُورُهُمْ كَالْغَائِبِ (٢)

قلبت واواً للضمة ، وليس الْمَيْسُ فى معنى القطع معروفا فى كلام الفصحاء ، ولكن يجوز إن كانت ألفها للتأنيث أن تكون من ماس فى مشيته مَيْساً إذا تمايل ، فيراد أنها تميل على الرأس إذا حلق ههنا وههنا وأن نِصَابهاَ يضطرب فكأنها تميس ، وقال أبو الفتح : إذا سمت العرب بموسى فإنما يعنون به الاسم الأعجمى ، لا موسى الحديد ، فهو عندهم كعيسى وإسمعيل ويونس ويوسف ، فان قلت : ما أنكرت أن يكون ترك صرفه معرفة إنما هو لاجتماع التعريف والتأنيث لا العجمة ؟ فهو قول ، والأول أجود ؛ ليكون كسائر أخواته نحو عيسى وإبراهيم من أسماء الأنبياء ولأنهم يتباركون بالتسمية بها

(١) الأول من الكامل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

إذا كَرِههُ لم يشتهه ، ومعناه لا آتيهم إلا كارها ، وجعل الإتيان شهوة لأن أكثر الإتيان مع الشهوة

(٢) ويروى «شهودهم كالغائب» والْمَذْروبة : المحددة ، والمزندون : مشتق من الزَّنْد ، والزند يضرب به المثل فى القلة ، والمزند : البخيل المقال ، وقوله « شهودهم كالغائب » أى : لا غَناء عندهم ؛ فحضورهم كغيبتهم ، وأراد بالغائب الكثرة لا التوحيد ، وكان من حق التقسيم أن يقول : منهم مزندون ، لكنه اكتفى بمن الأوّل ، ومثله قوله تعالى : (منها قائم وحصيد) قال أبو على الفارسى : كل صفتين يتنافيان ويتدافعان فلا يصح اجتماعهما لموصوف لا بد من إضمار « منْ » معهما إذا فصل جملة بهما متى لم يجىء ظاهرا ، ثم أنشد :

وَمَازَوَّدُونِى غَيْرَ سَحْقِ عِمَامَةٍ ... وَخَمْسِ مِىءٍ مِنْهَا قَسِىٌّ وَزَائِفُ

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لاَ تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ ... مِمَّا قَمَشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ (١)

١٢٥ — وقال آخر من بنى أسد ، قالها فى يوم اليمامة :

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأْلُهَا ... مَكَانَكِ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ (٢)

وقال : يريد ومنها زائف ، وهـذا كما تقول : زيد منطلق وعمرو ، والمعنى وعمرو منطلق ، فحذف اكتفاء بالخبر عن الأول وعلما بأن العطف ذاك حاله ، فان أمكن اجتماع صفتين لموصوف واحـد استغنى عن إضمار من ، وذلك قولك : صاحباك منهما ظريف وكريم

(١) قوله « وبعضهم مما قمشت » ينوب فيه ذكر البعض عن قوله « ومنهم » لأن مِنْ للتبعيض ، فاستغنى به ، وقوله « وضم حبل الحاطب » كقول الآخر :

* وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمْ *

قال الأصمعى : لأن بيت الأدم يجمع الجيـد والردىء ففيه من كل جلد رقعة ، وكذلك الحاطب يجمع فى حَبْله الجيدَ والردىء والرطب واليابس وربما وقعت فى حبله أفعى

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

يقال للمذعور المرتاع « خَوَّدَ رَأْلُهُ » والرأل : فرخ النعام ، وهـذا مثل ، ويقال : خَفَّتْ نَعَامته ، إذا نفر ، وإنما خص النعامة لأنك لاتراها أبدا إلا نافرة، قالوا : وأصناف الوحش إذا نشأت فى فَلَاة لم يمر بها إنسان يهيجها فانها لاتفزع منه إذا رأته ، ولذلك قال ذو الرمة :

وَكُلَّ أَحَمِّ الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ ... أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طُولِ الْخَلَاءِ الْمُغَفَّلِ

والنعام تنفر منه على كل حال ، وقوله « مكانك » أمر ، وهو موضوع موضع الفعل الذى عمل فيه ومكتفى به عنه ، وقوله « لما تشفقى حين مشفق » تأنيس :

مَكَانَكِ حَتَّى تَنْظُرِى عَمَّ تَنْجَلِى ... عَمَايَةُ هٰذَا الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ (١)

١٢٦ — وقال موسى بن جابر :

قُلْتُ لِزَيْدٍ لاَ تُتَرْتِرْ فَإِنَّهُمْ ... يَرَوْنَ الْمَنَايَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِى (٢)

أى لم تخافى وقت مخافة ، والإشفاق : الذعر ، وقد يختلط بالنصح ويتجرد عنه وأصل الشفقة الضعف ، ومنه ثوب شَفَق ، يقول : ليس هـذا وقت الإشفاق فاصبرى فانه وقت الصبر

(١) العارض : السحاب ، وههنا أراد به الجيش ، وجعل التألق مثلا للمعان الأسلحة . ويروى « غيابة هذا العارض » والغيابة والعماية من طريق واحد لأنهما من الغى والعمى ، وإنما طاب من النفس الصبر إلى ذلك الوقت لأن من ثبت فى الحرب إلى انكشاف الحال فقد أعطاها حقها وهـذا كان يوم اليمامة ، وبعد البيتين (١) :

وَكُونِى مَعَ التَّالِى سَبِيلَ مُحَمَّدٍ ... وَإِنْ كَذَبَتْ نَفْسُ الْمُقَصِّرِ فَاصْدُقِى

إِذَا قَالَ سَيْفُ اللهِ كُرُّوا عَلَيْهِمِ ... كَرَرْنَا وَلَمْ نَحْفِلْ بِقَوْلِ الْمُعَوِّقِ

ويروى أن رجلا من الأزد دخل على يزيد بن المهلب حين خلع ، فسار إليه مَسْلَمَة ابن عبد الملك والعباس بن الوليد لقتاله ، فقال له الأزدى : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال:

رُوَيْدَكِ حَتَّى تَنْظُرِى عَمَّ تَنْجَلِى ... عَمَايَةُ هٰذَا الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ

(٢) الأول من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متواتر

---

(١) هذه العبارة واضحة فى أن الشارح زاد البيتين الآتيين على مارواه أبو تمام، ولكن الذين نشروا أشعار الحماسة أضافوهما إلى الديوان ، اغترارا بأن الذين نشروا الشرح فى بن وفى مصر جعلوهما من حرف الديوان .

فَإِنْ وَضَعُوا حَرْباً فَضَعْهَا وَإِنْ أَبَوْا فَعُرْضَةُ عَضِّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي (١)

وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى
فَشُبَّ وَقُودَ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ (٢)

١٢٧ — وقال موسى بن جابر أيضا :

إِذَا ذُكِرَ ابْنَا الْعَنْبَرِيَّةِ لَمْ تَضِقْ ذِرَاعِي وَأَلْقَى بِاسْتِهِ مَنْ أُفَاخِرُ (٣)

الترترة : العجلة وكثرة الحركة ، وهى كالتتلتلة ، ويروى « لاتبربر » والبربرة : كثرة الكلام والحركة ، ويروى « لاتزبزب » ومعانيها متقاربة ، ويقال : رجل بَزْبَاز ، وبُزَابِز ، إذا كان تكثر حركاته وتخف ، يقول : لاتقلق ولا تجبن فإنهم يرون المنايا : أى يعلمون أنهم لايصلون إلينا إلا بعد أن نصيب منهم ، و « يرون » يجوز أن يكون من الرأى المذهب ، ويجوز أن يكون المراد يرون المنايا أى يقاسون المنايا ، ويكون معنى « دون قتلك » كقولهم : دون هذا الأمر خَرْطُ القَتَاد

(١) يقول : إن سالموا فسالم ، وإن أبوا فعدة الحرب مثلى أو مثلك ، يقال : فلان عُرْضَة كذا : أى مطيق له قادر عليه

(٢) جعل الرفع فى مقابلة الوضع من البيت الذى قبله ، والْعَوَان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، قال أبو رياش : روى أن عبدالرحمن بن الأشعث بن قيس لما خلع كتب الحجاج بخبره إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك : يكفيك ما أوصى به البكرى أخاه زيدا ، فلما ورد الكتاب لم يدر ما أوصى به ، فصاح صائحه : من يعرف ما أوصى به البكرى أخاه زيدا قضيت حاجته . فقام أعرابى قد طالت إقامته وقال : أنا أعرفها ، فأدخل إلى الحجاج فأنشده هذه الأبيات ، فقال : وأبيك إنها لهى ، فقضى حاجته

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

هِلَالَانِ حَمَّالَانِ فِى كُلِّ شَتْوَةٍ مِنَ الثِّقْلِ مَالَا تَسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ (١)

١٢٨ — وقال أيضاً :

قوله «لم تضق ذراعى» مثل ، ويقال : ذَرْعى ، قال الخليل : الذِّراع : اسم جامع لكل مايسمى يداً : أى إذا ذكر هذان الرجلان من آبائى لم يعينى عليه من أساجله ، وذكر الأست تقبيح لفعله وتشنيع عليه فى التولى والإدبار

(١) أى : هما فى الاشتهار والانتفاع بمكانهما بمنزلة هلالين ، ويتكلفان فى كل جدب ومَحْل من الأثقال والأعباء ما لو صارت أجراما لعجز عن النهوض بها وتحملها البُعران ، هذا قول المرزوقى ، وقال النمرى : أى هذان الرجلان يحملان من أعباء المغارم وأثقال الصنائع مالو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهى أثقل الحيوان حملا وأكثره صبرا ، وقال أبو العلاء : قد تأول النمرى له معنى قد يجوز مثله ، ولكنه بعيد ، وإنما ينبغى أن يحمل الشىء على ما كثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قرى الأضياف ومن نحر الإبل مالا تستطيعه الأباعر : أى أنها لاتقوى عليه لأنه يهلكها ، وهذا مجانس قولهم : بنوفلان ظَلَّامُون للجُزُر ، قال ابن مقبل :

عَادَ الْأَذِلَّةُ فِى دَارٍ وَكَانَ بِهَا خُرْسُ الشَّقَاشِقِ ظَلَّامُونَ لِلْجُزُرِ

أى : أنهم يعقرونها كثيرا ؛ فكأنّ ذلك ظلم لها ، ونحو منه قول الآخر :

قَتِيلَانِ لَاتَبْكِى الْمَخَاضُ عَلَيْهِمَا إِذَا شَبِعَتْ مِنْ قَرْمَلٍ وَأُفَانِ

أى : كانا يعقرانها فلما قتلا لم تبك عليهما ، فلا تعدلن عما ذكره أبو العلاء إلى غيره ، وقال أبو محمد الأعرابى : سألت أبا الندى عن قوله «هلالان» مَنْ هما ؟ فقال : هما مِرْدَاس وعامر ابنا شماس بن لأى من بنى أنف الناقة ، أمهما من بنى العنبر ، وهما خالا موسى بن جابر الحنفى ، وهذا خلاف ماذكره المرزوقى

أَلَمْ تَرَيَا أَنِّى حَمَيْتُ حَقِيقَتِى * وَبَاشَرْتُ حَدَّ المَوْتِ وَالمَوْتُ دُونُهَا[(١)]

---

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مردف بوصل وخروج ، والقافية متدارك الحقيقة : الخصلة التى يجب على الإنسان حمايتها ، والضمير من قوله «دونها» يرجع إلى ما دل عليه حميت من الحماية . والواو من قوله «والموت» واو الحال ، ويجوز أن يكون قوله «والموت دونها» أى قريب من الحقيقة التى دفعت عنها . قال أبو العلاء : الأحسن رفع دونها ، ويكون فى معنى صغير ، كأنه قال : والموت صغير هـذه الخطة ، لأنهم اتسعوا فى هذه الكلمة حتى قالوا «رجُل دونٌ» أى أنه من أخساء الناس ، قال الشاعر :

إِذَا مَاعَلاَ الْمَرْءُ رَامَ العَلاَءَ ... وَيَقْنَعُ بِالدُّونِ مَنْ كَانَ دُونَا

وكان سيبويه يكره رفع دون إذ كانت للظرف ويضعفه ، وقد أجازه على ذلك وفى كتابه هذا البيت . والنسخ تختلف ، وهو غير موجود فى بعضها ، والبيت

وَبَيْدَاءَ يَحْمِى دُونُهَا مَا وَرَاءَهَا ... وَلاَ يَخْتَطِيهَا الدَّهْرَ إِلاَّ الْمُخَاطِرُ

ولو أنشـد منشد ففتح النون فى بيت الحنفى لـكان فى الشعر عيب نحو الإقواء ؛ ومثله قليل ، لأنهم يَقْوُون فى المرفوع والمخفوض الذى لا هاء بعد رويه وإذا جاءت الهاء بعد الروى فإن تغير الإعراب قليل ، ورووا أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد قول الأعشى :

هٰذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ هَمِّهِ ... مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا

فيرفع الزوال ، والقوافى منصوبة فى كل القصيدة ، وقد استشهدوا بشعر عِمْرانَ بن حِطَّان الخارجى ، وفى ديوانه قصيدة بعد رويها هاء وقوافيها مشتركة فى الرفع والفتح . وأولها :

الحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى يَعْفُو وَيَشْتَدُّ انْتِقَامُهْ

وَجُدْتُ بِنَفْسٍ لاَ يُجَادُ بِمِثْلِهَا   وَقُلْتُ اطْمَئِنِّى حِينَ سَاءَتْ ظُنُونُهَا
وَمَا خَيْرُ مَالٍ لاَ يَقِى الذَّمَّ رَبَّهُ   بِنَفْسِ امْرِىءٍ فِى حَقِّهَا لاَ يُهِينُهَا(١)

١٢٩ — وقال أيضا :

ذَهَبْتُمْ وَلُذْتُمْ بِالأَمِيرِ وَقُلْتُمُ   تَرَكْنَا أَحَادِيثاً وَلَحْماً مُوَضَّعَا(٢)

وفيها :

فَهُنَاكَ مَجْزَأَةُ بْنُ ثَوْ   رٍ كَانَ أَشْجَعَ مِنْ أُسَامَهْ

والحقيقة : مايحق على الرجل أن يحميه ، فيدخل فى هـذا اللفظ المرأة والجارة والمال وغير ذلك ، وتسمى الراية حقيقة ، وهى داخلة فى المعنى الأول ، قال الراجز :

وَنَحْنُ فِى الأَزْمِنَةِ العَوَارِقِ   خَيْرٌ إِلَى جَارِ الشِّتَاءِ الطَّارِقِ
* وَنَحْنُ أَحْمَى بَعْدُ لِلْحَقَائِقِ *

وقيل : معنى قولهم «حامى الحقيقة» أى : حام عند ما يحق من الأمور ؛ لأن الصارخ إذا قال « الْخَيْلَ الخيل » أو نحو ذلك ؛ جاز أن يكون صادقا وكاذبا ، فحامى الحقيقة هو الذى يحمى فى الحرب التى يصح خبرها عند المخبر

(١) « وما خير مال » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار الذى يجرى مجرى النفى ، يقول : أى خير فى مال لايصون صاحبه من ذم ، ومثله قول الآخر :

وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ نَفْسُهُ   إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتِذَالَهَا

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

يلوم قومه على ما كان منهم من القعود عن نصرته ، واعتلالهم بالمعاذير المشوبة بالكذب ، يقول : التجأتم إلى الأمير وقلتم تركنا قوما يقولون ولا يفعلون

فَمَا زَادَنِى إِلاَّ سَنَاءً وَرِفْعَةً وَمَا زَادَكُمْ فِى النَّاسِ إِلاَّ تَخَشُّعَا (١)

فَمَا نَفَرَتْ جِنِّى وَلاَ فُلَّ مِبْرَدِى
وَلاَ أَصْبَحَتْ طَيْرِى مِنَ الْخَوْفِ وُقَّعَا (٢)

فهم كاللحم الموضّع تتعلق الأطماع بتناوله وأخذه ، هذا إذا رويته بفتح التاء من « تَرَكنا » ويكون كقول الآخر :

رَضُوا بِصِفَاتِ مَاعَدمُوهُ جَهْلاً وَحُسْنُ الْقَوْلِ مِن حُسْنِ الْفِعَالِ

وإن رويت بضم التاء من « تُرِكْنَا » كان المعنى ادّعيتم علينا لما أردتم مفارقتنا وخذلاننا ، وقلتم تركنا أحدوثة الناس

(١) أى : فلم يزدنى قولكم إلا ارتفاع محل ، ولم يزدكم فى الناس إلا تذللا ، لأن من لا يصالح لعشيرته لايسكن إليه الناس البعداء

(٢) يجوز أن يريد لم ينخزن لما أتيتم وأخبرتم أصحابى الذين هم كالجن ، ولا فل لسانى الذى هو كالمبرد ، ولا ذعر جأشى فصارت طيرى واقعة ، وقد قيل فى قوله «فما نفرت جنى» إنه مثل لفلتاته وبدراته ، وإن ذكره المبرد مثل لسلاحه ، وإن ذكر الطير مثل لصيته وذكره الذاهب فى الناس ، ويجوز فى هذا الوجه أن يريد ذكاءه ونشاطه ، وقيل فى ضده : هو ساكن الطائر ، وكأنّ على رؤسهم الطير ، ويجوز أن يشير بالجن إلى مايدعيه الشعراء من أن لكل منهم تابعا من الجن يستعين به فيما يحزبه ، ويجعل المراد بالمبرد فى هذا الوجه اللسان لا غير ، ويجوز أن يريد بالطير سراياه وطوائف خيله التى كانت تذهب فى الغارات والارتباء وتجسس الأخبار وغيرها ، وقال أبو العلاء : كانت العرب تذكر الجن كثيرا وتشبه الرجل النافذ فى الأمور بالجنى والشيطان ، فلذلك قالوا : نَفَرَت جِنُّه ، إذا ضعف وذل ، وقوله «ولافل مبردى » مثل ضربه ولا مبرد هناك ، لأن الصانع إذا انْفَلَّ مبرده فقد تعذر عليه مايبغيه ، وقوله «ولا أصبحت طيرى من الخوف

١٣٠ — وقال حُرَيْث بن جابر بن سُرَىّ بن سَلَمَة **بن** عبد بن ثعلبة ابن يَرْبُوع بن ثعلبة بن الدُّئِل بن حنيفة **بن** لُجَيْم بن صَعْب بن على ابن بكر بن وائل (١) :

لَعَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي حِينَ سُمْتَنِي ... هَوَاكَ مَعَ الْمَوْلَى وَأَنْ لاَ هَوَالِيَا (٢)

وُقَّعَا » مثل أيضا ، وأصل هذا المثل يحتمل أمورا : منها أن الطير إذا سمعت الصاعقة وقعت إلى الأرض ، وعلى ذلك حملوا قول علقمة :

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

ومنها أن البعير إذا أنضى وقع بالفلاة فسقطت عليه الطير ، وإنما تطمع فيه لضعفه . قال :

وإِذَا أُحِلُّ قُتُودَهَا بِتَنُوفَةٍ ... جَعَلَتْ تُلِيحُ إِلَى الْغُرَابِ الْأَعْوَرِ

ويجوز أن يحمل وقوع الطير على أن الرجل إذا قتل أو جرح فلم تبق [له] (١) نهضة وقعت عليه الطير لتأكله

(١) قال أبو العلاء : لجيم يجوز أن يكون تصغير ترخيم لِمُلْجَم أو لجام ، أو تصغير لجَم ، واللجم : دويبة يتشاءم بها وتوصف بالعطاس . قال الراجز :

أَغْدُو فَلاَ أُحَاذِرُ الشَّكِيسَا ... وَلاَ أَخَافُ اللُّجَمَ الْعَاطُوسَا

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

يقول : ماأعطيتنى النَّصَفة حين عرضت علىّ الرضا بأن يكون لك هوى مع مولاك حتى تنتقم له وتذب عنه وأن لايكون لى هوى مع مولاى فأخلى بينه وبين أعدائه ، وقوله «وأن لاهواليا» يريد وأنه لاهواليا ، ثم بين فى البيت الثانى كيف يتعصب لمواليه ، فقال : « إذا ظلم »

---

(١) سقطت هذه الكلمة من نسخة بن

إِذَا ظُلِمَ الْمَوْلَى فَزِعْتُ لِظُلْمِهِ ... فَحَرَّكَ أَحْشَائِي وَهَرَّتْ كِلَابِيَا[1]

١٦١ — وقال الْبَعِيث بن حُرَيْث :[2]

خَيَالٌ لِأُمِّ السَّلْسَبِيلِ وَدُونَهَا ... مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْبَرِيدِ الْمُذَبْذَبِ[3]

---

(١) ويروى «وحرك أحشائى» وهذا كما يقال : هذا أمر قد[1] حركنى ، إذا اضطربت له ، وقوله «حرك أحشائى» يجوز أن يكون تحركت أحشاؤه لوجيب قلبه وخفقانه ، وَنَبَحَتْ كلابه لتهيئه للانتقام وتدججه فى السلاح له وتجمع أصحابه ، والكلب ينكر أصحابه إذا رآهم بهذه الحال ، أنشد الأصمعى فى مثله :

أُنَاسٌ إِذَا مَا أَنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلَهُ ... حَمَوْا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءَ مُظْلِمِ

ووجه آخر ، وهو أن يكون تحركت أحشاؤه لإعداد ما بعده ، والمتسرع يلحقه ذلك ، ومثله :

أَشَارَتْ لَهَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ تَجَاءَهَا ... يُقَعْقِعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى

وقعقعة الأقراب لتحرك الأحشاء

(٢) قال أبو رياش : هو ابن حريث بن جابر الذى مضى ذكره ، وليس بصاحب القبة بصفين ، قال أبو الفتح : هو اسم مرتجل للعلمية ، وقد يمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فعيلا فى معنى مفعول كأنه فى المعنى مبعوث ، قال الشنفرى :

أَوِ الْخَشْرَمُ الْمَبْثُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ ... مَحَابِيضُ أَرْسَاهُنَّ شَارٍ مُعَسِّلُ

قال أبو العلاء : البعيث بن حُرَيث لا يعرف له اسم غيره ، وأما البعيث المجاشعى فاسمه خداش بن بشر ، وإنما سمى البعيث بقوله :

تَبَعَّثَ مِنِّى مَا تَبَعَّثَ بَعْدَمَا ... أُمِرَّتْ قُوَايَ وَاسْتَجَدَّ عَزِيمِي

(٣) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

---

(١) فى نسختى ب و ب « فقد » ولا معنى لهذه الفاء.

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا   فَرَدَّتْ بِتَأْهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبِ (١)

خبر الابتداء محذوف . كأنه قال : خيال هذه المرأة زارني أو أتاني وبيني وبينها مسيرة شهر لبريد المسرع . قال أبو العلاء : أم السلسبيل امرأة ، والسلسبيل : الماء السهل المساغ . ولو أن هذا الشعر لبعض الشعراء الذين عرفوا الصناعة المولدة وتنطّسوا في الأغراض لجاز أن يعني بالسلسبيل الريق على وجه التشبيه . وتكون الأم ههنا على غير معنى الكنية . ولكن يراد أن ريقها لا يزال سلسبيلا . كما يقال : فلانة أم الضيفان . وفلان أبو الأيتام : أي يحفظهم ويكثرون عنده ، والبريد ههنا مخصوص به الدابة المركوبة . والمذبذب : الذي لا يستقر . وقولهم «أبرد إليّ فلان» أي : بعث بريدا . وإنما يعني رسولا لأن البريد كثر في كلامهم حتى أخرجوه عن أصله ، وحقيقته أنه شيء ينصب في موضع فيبرد فيه : أي يثبت من قولهم : برد عليه حق . أي ثبت ، قال الراجز :

الْيَوْمُ يَوْمٌ بَارِدٌ سَمُومُهُ   مَنْ عَجَزَ الْيَوْمَ فَلَا تَلُومُهُ

ثم قيل للدابة التي تسير من ذلك الموضع إلى مثله « بريد » . وهي كلمة قد استعملت في القديم ، قال امرؤ القيس :

عَلَى كُلِّ مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدٍ   بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا

ويجوز أن يعني بالبريد المقدار الذي إذا ساره السائر برد حرارة سيره بالراحة، فإن قيل : لم نكر فقال «خيالٌ لأم السلسبيل» ؟ قلت : يجوز أن يكون كان يرى خيالها على هيآت مختلفة فاعتقد لاختلاف هيآته أنه عدة خيالات ، فلذلك نكره ، كأنه قصد إلى واحدمنها ، ومثله قول الآخر :

خَيَالٌ لِزَيْنَبَ قَدْ هَاجَ لِي   نُكَاسًا مِنَ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالْ

(١) الخيال يذكر ويؤنث ، وانتصب «أهلا» بفعل مضمر كأنه قال : أتيت

مَعَاذَ الْإِلٰهِ أَنْ تَكُونَ كَظَبْيَةٍ وَلَا دُمْيَةٍ وَلَا عَقِيلَةِ رَبْرَبِ (١)
وَلَكِنَّهَا زَادَتْ عَلَى الْحُسْنِ كُلِّهِ كَمَالاً وَمِنْ طِيبٍ عَلَى كُلِّ طِيبِ (٢)
وَإِنَّ مَسِيرِى فِى الْبِلَادِ وَمَنْزِلِى لَبِالْمَنْزِلِ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أُقَرَّبِ (٣)

أهلالاغرباء ، والتأهيل : مصدر «أَهَّلْتُهُ» إذاقلت لهأهلا ، وكان يجب أن يقول : فردت بتأهيل وتسهيل وترحيب ، لو أتى بالـكلام على حد واحد ، لـكنه أتى فى بعضه بحكاية اللفظ وفى بعضه ببناء الإخبار ، وقال سيبويه : إذا قال الراد «وَبِكَ أَهْلاً » فانما يقول : أنت عندى بمنزلة من يقال [له] هذا لو جئتنى

(١) «معاذ» انتصب على المصدر ، والمعنى أستعيذ بالله وأعوذ بالله معاذا ، كأنه أنف وصار يربأ بصديقته أن تكون فى الحسن بحيث تُشَبَّه بالظبيـة أو الصورة المنقوشة أو بكريمة من بقر الوحش ؛ إذ كانت هذه الأشياء عنده دونها ، وقاصرة عن حسنها ، والعقيلة : الـكريمة من النساء والدر وكل شىء ، والربرب : القطيع من البقر

(٢) «كمالا» ينتصب على التميز ، والمعنى أنه يزيد حسنها على كل حسن كمالا ، لأنه لاحسن إلا وتدخله نقيصة سوى حسنها ، وكذلك كل طيب تتخلله حطيطة إلا طيبها ، وقوله «من طيب» أى : وزادت من طيبها على كل طيب طيبـا ، والغرض أن يبين لمَ أنـكر تشبيهها بغيرها فقال : هى تـترفع عن ذلك إذ كانت جامعة للمحاسن

(٣) يقول : مكانى الذى أسير فيه من البلاد وموضعى الذى أنزل فيه لأبعد المنازل إذا لم يلحقنى فيهما تقريب وتعظيم ، وقوله «أقرّب» بمعنى أكرم وأُدْنى على طريق الإعظام ، وليس يريد به تقليل المسافة ، ويجوز أن يكون المعنى إذا لم أقرب كنت بمنزله المطرود المنفى وإن كنت مقيما دانيا ، وكان الواجب أن يقول بالمنزل

وَلَسْتُ وَإِنْ قُرِّبْتُ يَوْماً بِبَائِعٍ ... خَلَاقِي وَلَا دِينِي ٱبْتِغَاءَ ٱلتَّحَبُّبِ (١)

وَيَعْتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً ... وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَاكَ دِينِي وَمَنْصِبِي (٢)

دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَاسَاءَ ظَنُّهُ ... وَعَبْسٌ وَقَدْ كَانَا عَلَى حَدِّ مَنْكَبِ (٣)

وَقَدْ عَلِمَا أَنَّ الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا ... سِوَى مَحْضَرِي مِنْ خَاذِلِينَ وَغُيَّبِ (٤)

والمسير ، فاكتفى بأحدهما ، وآثر المنزل بالذكر لأن النزول لايكون إلا بعد السير ، ودل بهذا الكلام على أنه لايرضى فى متصرفاته إلا بما يقضى بتبجيله ويفضى إلى اصطفائه والرفع منه ، وأنه لا يصبر على الهوان

(١) يقول : لست وإن قربت وبجلت ببائع نصيبى من شرفى أو موضعى من عشيرتى طلبا للتحبب إلى من أجاوره ، والْخَلَاقَ : الحظ والنصيب من الصلاح ، وانتصب «ابتغاء التحبب» على أنه مفعول له

(٢) يقول : ويعتد ماتبرأت منه وأنفت من فعله كثيرٌ من الناس تجارةً رابحة ، وأنا يزهدنى فيه شرفى ، وهذا القول يجوز أن يكون تنزيها لنفسه وتزكية لفعاله ويجوز أن يكون قاصدا فيه التعريض بغيره

(٣) أى : كانا أشرفا على الهلاك ، هذا إذا رويت بفتح الكاف ، ويقال : أصابه نَكَبٌ من الدهر وَمَنْكَبٌ وَنَكْبَة ونُكُوب كثيرة ، ومنه حافر نكيب ومنكوب ، إذا أثر فيه حجر أو غيره ، ويروى « على حد مَنْكِبٍ » بكسر الكاف يعنى أنهما كانا مهاجرين له ، يقال : فلان معى على حد مَنْكِبٍ : أى كلما رآنى التوى ولم يتلقّنى بوجهه ، وتنكب عنى ، أى : اجتنبنى ، وَالْمَنْكِب من كل شىء : جانبه وناحيته ، ومثله قولهم : فلان يلقانى على حَرْفٍ ، وفى القرآن : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ويجوز أن يريد بقوله « بعد ماساء ظنه بعد تسلط اليأس والقنوط من الحياة

(٤) دل بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستغاثة به ، يقول :

استغاثا بى متيقّنين أن كل عشيرتهما إذا لم أحضر من بين شاهد لاينصر وغائب لايحضر ، قال أبو العلاء فى قوله « ولا دمية » : الدُّمْيَةُ : الصورة ، وإنما قيل لها ذلك لأنها كانت تصوّر فى أوّل الأمر بالحمرة فكأنها أخذت من الدم ، وهو من ذوات الياء ، قال :

فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِين

وليس قولهم « دَمِيتُ » بدليل على أن الدم أصله الياء لأن الواو إذا سكنت وقبلها كسرة قلبت إلى الياء ، كقولهم : شَقِيتُ وَغَبِيتُ وهو من الشَّقْوَة والْغَبَاوَة ، وقال فى قوله « ولـكنها زادت على الحسن كله كمالا ومن طيب » : لما كان كمال ينتصب على التمييز ، وهومقدر على معنى « من » حسن أن يقول « ومن طيب » ؛ لأن المعنى من كمال ، وقال فى قوله « إن مسيرى فى البـلاد ومنزلى لبالمنزل الأقصى » الباء فى قوله « لبالمنزل » تؤدّى معنى فى ، كما يقال : فلان بالدار : أى فيها ، وهذا أحسن من أن تجعل الباء فى قوله « لبا لمنزل » زائدة ؛ لأن خبر إن ليس مما تزاد فيه الباء وإن كانت قد جاءت زائدة فى مواضع لم تجر عادتها بأن تزاد فيها ، قال الشاعر :

بِحَسْبِكَ فى الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِىٌّ مُضِرّْ

وقال الراجز :

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْفَلَجْ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ

فأما قول امرىء القيس :

فَإِنْ تَنْأَ عَنْهَا حِقْبَةً لاَ تُلاَقِهَا فَإِنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ بِالْمُجَرَّبِ

فالباء فى «بالمجرب» مؤدّية معنى فى : أى إنك فى الأمر الذى قد جرب فإن كسرت الراء من المجرّب فلا وجه له ، إلا أن تجعل الباء زائدة ، وإنما تزاد كثيرا على معنى التأكيـد إذا كان فى أوّل الـكلام نفى ، كقولك : ماأنت بقائم ،

فَكُنْتُ أَنا الحامِى حَقِيقَةَ وائِلٍ   كَمَا كَانَ يَحْمِى عَنْ حَقائِقِهَا أَبِى

١٣٢ — وقال المُثَلَّم بن رياح بن ظالم المُرِّيّ (١) :

مَنْ مُبْلِـغٌ عَنِّى سِنَانًا رِسَالَةً   وَشِجْنَةَ أَنْ قُومَا خُذَا الْحَقَّ أَوْ دَعَا (٢)

ولست ببارح ، ويحسن أن يقال : مارجعتُ بخَائِبٍ : أى خائبا ، لما تقدمت «ما» فى أوّل الـكلام حسن دخول الباء ، قال الشاعر :

* فما رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ * (١)

(١) قال أبو هلال : لاأعرف المثلم هذا ، ولم يذكر فيمن اسمه المثلم من الشعراء وإنما المثلم المعروف هو المثلم الْبَلَوِىُّ ، واسمه عبد الرحمن بن قُطْبَةَ بن حَوْط أحد بنى حَرَام بن شَعْل ، وفيهم أبو المثَلَّم الْهذلى الْخُنَاعِى من بنى خُنَاعة بن سَعْد بن هُذَيْل ، والْمُثَلَّم بن عَطَاء بن قُطْبَة من بنى ثَعْلبة بن عَدِى بن فَزَارة ، والمثلَّم ابن الْمُشَخَّرَة الضَّبِّىُّ ثم الْعَائذى ، والمثلَّم بن عَمْرو التَّنُوخىّ المذكور فى الحماسة ، والمثلم الْغَسَّانى واسمه الْحرِث بن كَعْب

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

قوله « أَنْ قُومَا » أنْ : مخففة من الثقيلة ، والمراد أنه قوما ، ومثله قوله فى الدعاء : أما أن جزاك الله خيرا ، ويجوز أن تكون أن المفسرة ، كأنه فسر الرسالة بقُومَا خذا الحق ، ومثله قولهم : أتفخر علىّ أن أصحابك أكثر من أصحابى ؟ وأن هذه تجرى مجرى أى فى أنه يفسّر ، ولو قال « قوما وخذا الحق » فأتى بحرف العطف كما قال الله تعالى : (قم فأنذر وربك فـكبر) كان أفصح ، وقد جاء مثله بغير العاطف كثيرا ، وقوله « قوما » ليس المراد به فعل القيام ، ولـكنه وصـلة فى الـكلام ، وقد بين فيما مضى أمثاله ، ويجوز أن يكون قوله « خُذَا الحق » على

---

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه :

* حَكِيمُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مُنْتَهَاهَا *

سأَكْفيكَ جَنْبِي وَضْعَهُ وَوِسَادَهُ   وَأَغْضَبُ إنْ لَمْ تُعْطِ بالحَقِّ أَشْجَعا [١]

طريق التهكم : أى إن قدرتما على أخذ الحق المدّعى نخذا ، ويجوز أن يكون المعنى تَرْكُكما ماسميتماه حقا وطَلَبُكماله عندى سواء ، على طريق التهدد

(١) أى : سأكفيك أمرى كله ، يقول : إن تكلمت أشجع غضبت ونصرتها عليك ، وأما أنا فلا أحتاج إلى نصرك ، وهو أشجع بن ريْث بن سِنَان بن غَطَفَان ابن سَعْد بن قيس عَيْلان بن أبى حارثة الْمُرِّىّ أبوهَرِم [١] ، وشِجْنَةُ : اسم رجل ، وقوله : « إن لم تعط بالحق » قيل فيه : إن مفعول تُعْطِ الثانى محذوف ، ومعنى بالحق بالعدل والإنصاف ، كأنه قال : تُعْطِ أَشْجَعَ مايجب له بالحق ، وقيل : أراد بتُعْطِ تُعَامِل فعدّاه تعديته ، وقيل : بالحق هو المفعول الثانى ، لكنه زاد الباء فيه تأكيدا ، كما قال الآخر : «لا يَقْرَأْن بالسور [٢] » قال المرزوقى : ويغلب فى نفسى أن الشاعر قال :

* وَأَغْضَبُ إنْ لَمْ تُعْطِيَا الْحَقَّ أَشْجَعَا *

لأنه ثنى الرسالة من قوله على أن تكون متوجهة نحو اثنين سنانٍ وشِجْنَةَ ومخاطبه من بعد أحدهما فى قوله « سأكفيك » على عادتهم فى الافتنان والتصرف ، ولا يمتنع من رجوعه على مانبأ من كلامه عليه من ذكر الاثنين ، وهذا ظاهر ؛ وقال أبو العلاء : قولهم فى اسم الرجل سنان أشبه الأشياء أن يكون مأخوذًا من سنان الرُّمح وإن ادُّعى أنه مسمى بالسِّنَان الذى يراد به المِسَنّ فلايمتنع ذلك ؛ لأنهم قد سموا حَجَرًا وفَهْدًا وجَنْدَلا ، والسِّنان أيضا مصدر سَانَّ البعيرُ الناقةَ إذا عارضها فى العَدْوِ ، فيكون كأنه يريد أن يتنوخها ، وشِجْنَة : مأخوذ من شَجَنَ الشىء إذا تداخل بعضه فى بعض ، ومنه قولهم فى المثل « الحديث

---

(١) كذا   (٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

هُنَّ الْحَرَائِرُ لا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ   سُودُ الْمَحَاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمِ ... صِيَاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوَّعَا(١)

لَفَفْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا ... بَنِي عَمِّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعَا(٢)

ذو شجون » أى : يتصل بعضه ببعض ، وقولهم « ذوشجون » الأحسن فيه أن يكون الشُّجُون جمع شِجْن أو شَجَن لأن فِعْلاً وفَعَلا قد يشتركان كما قالوا رِبْح ورَبَح وسِلْم وسَلَم ، ويجوز أن يكون الشجون مصدر شَجُنَ ، ومنه الأشجان إذا أريد به الهموم والأحزان ، وقد سموا الحاجة شَجَناً ، قال الراجز :

إِنِّى سَأُبْدِى لَكَ فِيمَا أُبْدِى ... لِي شَجَنَانِ شَجَنٌ بِنَجْدِ

* وَشَجَنٌ لِي بِبِلَادِ الْهِنْدِ *

قال أبو هلال فى قوله « إن لم تعط بالحق » : هكذا روى ، وهو تصحيف قبيح ، والصحيح « وأغْضَبُ إِنْ لَمْ يُغْضِبِ الحَقُّ أَشْجَعَا » يقول : سأكفيك أمرى كله ولا أحملك شيئا وأغضب لك ولحقك إن لم يغضب له أشجع

(١) أصل الصِّيَاح للحيوان ، وقد يخصون به شيئا دون شيء ، وكثر استعمالهم « صاح الغراب » ، وقلما يقولون : صاح الطير ، قال :

أَلَا يَا غُرَابًا صَاحَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا ... أَفِقْ لَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ مِنْ صَيَحَانِ

وحسن أن يستعمل الصياح للرماح لأنه شبه أصواتها بأصوات بنات الماء ، وهى من الحيوان ، فقيل : أراد جمع طائر يقال له ابن ماء ، أراد الضفادع ، وأراد صوت وقعها فيهم عند المطاعنة

(٢) أى : بيوت أشجع بيوتنا ، ومثله :

فَأَمْسَى كَعْبُهَا كَعْبًا وَكَانَتْ ... مِنَ الشَّنْآنِ قَدْ دُعِيَتْ كِعَابَا

أى : مثل بنى عمنا . منصوب على أحد شيئين : إما أن يكون قريناهم فصاروا بنى عمنا أى مثل بنى عمنا نذب عنهم ونحميهم ، وإما أن يكون بنى منصوبا على

١٣٣ — وقال حُصَيْن بن حُمَام الْمُرِّى (١) :

فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَالَكُمْ   تَفَاقَدْتُمُ لاَ تُقْدِمُونَ مُقَدَّمَا (٢)

مَوَالِيكُمُ مَوْلَى الْوِلاَدَةِ مِنْهُمُ   وَمَوْلَى الْيَمِينِ حَابِسٌ قَدْ تُقُسِّمَا (٣)

النداء : أى يابنى عمنا ، وإن كان القوم بنى أعمامهم على الحقيقة فليس إلا هذا الوجه

(١) أبو هلال : الحمام هو ابن ربيعة بن مَساب بن حَرَام بن وائلة بن سَهْم ابن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق موصول مجرد ، والقافية متدارك

قوله « تفاقدتم » أى : فقد بعضكم بعضا ، وضع « مقدما » موضع الإقدام ، وساغ ذلك لأن مصادر الكلمات الصادرة عن أصل واحد يوضع بعضها موضع بعض لداع يدعو ، إذا لم يكن ثم مانع ، وإنما قلت هذا لأن قَدَّمَ قد يكون مرة متعديا ، ومرة يكون بمعنى تَقَدَّمَ فلا يتعدى ، ومُقَدَّما ههنا يكون مصدرا لا يتعدى فهو مثل تَقَدُّم لو قاله ، ومنه مُقَدِّمة الجيش يراد به متقدمته ، وقوله « تفاقدتم » اعتراض بين « مالكم » و بين « لاتقدمون » وهو دعاء عليهم ، ومثله فى الأمرين جميعا قول الآخر :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا   قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِى إِلَى تَرْجُمَانْ

وإن كان هذا دعاء خير

(٣) ويروى « حابسا متقسما » قال المرزوقى : إنما قسم الموالى هذه القسمة لأن المولى له مواضع فى استعمالهم : منها المولى فى الدين ، وهو الولى ، على ذلك قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم) وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعلىّ مولاه » وقوله : « مزينة

وَقُلْتُ تَبَيَّنْ هَلْ تَرَى بَيْنَ ضَارِجٍ ... وَنِهْيِ الْأَكُفِّ صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمَا[1]

مِنَ الصُّبْحِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ لَا تَرَى ... مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوَّمَا[2]

وجهينة وأسلم وغفار موالى الله ورسوله » ومنها العَصَبة و بنو العم ؛ وهم الذين سماهم الشاعر « مولى الولادة » ومنها الحليف ، وهو من انضم إليك فَعَزَّ بعزك وامتنع بمنعك ، وهو الذى سماه « مولى اليمين » لأنه يُقْسم له عند الانضمام ، ومنها المعتِق والمعتَق ، يقول : فتداركوا الذين ينتسبون بولاء النسب وولاء الحلف والنصرة ؛ فكل منهم ذوحبس على الشر متقسم الحال مغار عليه ، وقوله « حابسا » فى معنى محبوس ، لكنه أخرج مخرج النسب : أى ذو حَبْس ، وانتصابه على الحال ، وقوله « مواليكم » على هذا انتصب بفعل مضمر ، كأنه قال : أعينوامواليكم وتداركوا مواليكم ، و يروى «حابس متقسما » و « قد تقسما» وقيل : هو اسم علم ، وارتفاعه على أنه بدل من مولى اليمين ، و « قد تقسم » فى موضع الخبر ، واكتفى بالإخبار عن المولَيَيْن لأن الموالى انقسموا إليهما ·

(١) و يروى :

[وقلت] تبين أَنَّ مَا بَيْنَ ضَارِجٍ ... ونهى الأَكُف صَارِخٌ غَيْرُ أَخْزَمَا

وضارج : ماء لبنى عبس ، كأنه أقبل على واحد منهم فقال : تأمل هل ترى بين هذين الموضعين صارخا غير منقطع ، وقال أبو العلاء : المعنى أنهم يتواترون أرسالا فى الصُّراخ غير مجتمعين له ، بل يتبع بعضهم بعضا فى أرضكم ودياركم يستنصرون فلا يُنْصَرون فمالكم لاتأنفون ، ومن روى « غير أعجما » فالأعجم الذى لايفصح ، و «صارخ» قيل : مغيث ، وأخزم : جبل ، ومعنى البيت على هذا أنه ليس بين هذين الماءين مَفْزَع إلا هذا الجبل·

(٢) قوله « من الصبح » استعمل من مكان مذ لأن من للمكان ومذللزمان

عَلَيْهِنَّ فِتْيانٌ كَساهُمْ مُحَرِّقٌ ... وَكانَ إذا يَكْسُو أَجادَ وَأَكْرَما[1]
صَفائِحَ بُصْرَى أَخْلَصَتْها قُيُونُها ... وَمُطَّرِداً مِنْ نَسْجِ داوُدَ مُبْهَما[2]

إلا أنه لتمكن من فى الجر جاز دخولها على[1] مذ ، وقال أبو العلاء فى قوله «إلا خارجيا مسوّما» : كانوا فى القديم قبل الإسلام يُسَمُّون من خرج شجاعا أو كريما وهو ابن جبان أو بخيل ونحو ذلك «خارجيا» وكذلك يقولون للفرس الجواد إذا بَرَّزَ وأبواه ليسا كذلك «خارجى» قال الشاعر :

أَكرِصَرِيحَ الْخَيْلِ فِى كُلِّ مَوْطِنٍ ... إِذَا مَارَضِيتُ الْخَارِجِيَّ الْمُوَضَّعَا

ثم صاروا فى الاسلام يجعلون الخارجى من خالف السلطان والجماعة قال الشاعر :

وَمِيعَادُ قَوْمٍ إِنْ أَرَادُوا لِقَاءَنَا ... بِجَمْعٍ مِنِّي إِنْ كَانَ لِلنَّاسِ مَجْمَعُ
يَرَوْا خَارِجِيًّا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... تُشِيرُ لَهُمْ كَفٌّ إِلَيْهِ وَإِصْبَعُ

والخارجى فى شعر حصين : رجل خلع طاعة الملك ، ومُسَوَّم : له علامة يعرف بها

(١) مُحَرِّق : أحد ملوك لَخْم ، حَرَّق قوما فسمى مُحَرِّقا ، وقال قوم : إنما تعنى العرب بمحرق الملك الحميرى الذى حرق أصحاب الأخدود ، وقيل : إنه ذو نواس الذى غرق نفسه فى البحر لما هزمته الحبشة ، وقد سموا عمرو بن هند مُحَرِّقا لأنه حرق بنى دارم يوم أُوارَة ، وقيل : إنه حَرَّق تحت ملكهم ، و يقولون للدروع وآلة الحرب : تُراث مُحَرِّق : أى كان ملكا يجمع السلاح ، وقال : كساهم محرق ، ثم قال « صفائح » الخ

(٢) يعنى السيوف ولم تجر العادة بأن يقولوا : كسوته سيفا ، و إنما جاز ذلك

---

(١) هذه عبارة متعارفة فى عبارات المتقدمين ممن سبق المؤلّف ومن عاصره ، والمراد بها « جاز استعمالها فى المكان الذى تستعمل فيه من »

وَلَمَّا رَأَيْنَا الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ مُظْلِمَا(١)

لأنه جاء فى آخر الكلام قوله «ومطردا من نسج داود» إذ كانت الدروع تلبس كما تلبس الكسوة من الثياب ، قال قيس بن الخطيم :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ لَبِسْتُ مَعَ الْبُرْدَيْنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ

فلما أخبر عن شىء يحتمل أن يقال فيه كسوت حسن أن يجعل معه غيره ، كما قال الحطيئة :

سَقَوْا جَارَكَ الْعَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتَه وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهْ

سَنَامًا وَمَحْضًا أَنْبَتَ اللَّحْمَ فَاكْتَسَتْ عِظَامُ امْرِئٍ مَا كَانَ يَشْبَعُ طَائِرُهْ

(١) أضمر فى « كان » قبل الذكر لما كان المعنى مفهوما ، كأنه قال : و إن كان اليوم أو الوقت ، أو نحو ذلك ، ومنه قول الآخر :

فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا

وقوله «ذا كواكب» هو مأخوذ من قولهم : أراه الكواكب نهارا ، وهو شىء نطقوا به فى الدهر الأول ، يريدون شدة الأمر وعظم الخطب ، قال طرفة :

إِنْ تُنَوِّلْهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِى بِالظُّهُرْ

وقال الفرزدق :

لَعَمْرِى لَقَدْ سَارَ ابْنُ يُوسُفَ سِيرَةً أَرَتْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ مُظْهِرَةً تَجْرِى

وادعى بعض الناس أن ذلك أول ماقيل فى يوم حليمة لأن الغبار ثار حتى حجب الشمس فظهرت الكواكب ، وهذا كذب ظاهر ؛ لأن الغبار إذا ستر الشمس فهو للنجم أستر ، ويجوز أن يكون ضربهم هذا المثل مأخوذا من كسوف الشمس ؛ لأن الناس فى كل زمان يعظمون ذلك ، و إذا كسفت وذهب ضوءها

صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً ... بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَما(١)
نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَما
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي ... عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمَا(٢)

رؤيت النجوم ، ويحتمل أن يكون أصل ذلك فى الحرب ، وهو أشبه ما يقال : لأن الأسنة تشبه بالنجوم ، قال الأفوهُ :

جَحْفَلٌ أَوْرَقُ فِيهِ هَبْوَةٌ ... وَنُجُومٌ تَتَلَظَّى وَشَرَارُ

وقد شبهوا الفرسان إذا لبسوا الحديد بالنجوم ، قال الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... فِى الْبِيضِ وَالْحَلَقِ الدِّلَاصِ نُجُومُ

ولا يبعد أن يكون قولهم «أراه الكواكب نهارا» جاريا مجرى قولهم : وقع القوم فى سَلَى جمل : أى فى أمر لا يكون مثله ؛ لأن السلى للناقة لا للجمل ، فيريدون أنه أراه حالا لم تجر العادة بمثلها

(١) يجوز أن تتعلق الباء من «بأسيافنا» بصَبَرْنا ، واعترض بينهما قوله «وكان الصبر منا سجية» و «يقطعن» فى موضع الحال للأسياف ، وفى طريقته قول نَهْشَل بن حَرِّىّ :

وَيَوْمٍ كَأَنَّ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قُعُودٌ عَلَى الْجَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَجَلَّى وَإِنَّمَا ... تُفَرَّجُ أَيَّامُ الْكَرِيهَةِ بِالصَّبْرِ

(٢) جعل الحزم للأمر كما جعل له العزم فى قوله تعالى : (فاذا عزم الأمر) وكل ذلك مجاز واتساع ، وصلح أن يريد بقوله «أحزم» أحزم من غيره لوقوعه خبرا ؛ لأنه كما يجوز حذف الخبر بأسره إذا دل عليه دليل كذلك يجوز حذف ما يتم به منه إذا لم يلتبس بغيره ولم يختل الكلام بسببه ، وقوله : « ولما رأيت الود » حذف المضاف فيه وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : لما رأيت مراعاة الود ومحافظته

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةِ بِذِلَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا(١)

أو إظهار الود و إبقاءه ، ومعنى البيت لما رأيتهم لا يرتدعون عن ركوب الرأس قصدت إلى ما كان أجمع للحزم معهم من مكاشفتهم وترك الإبقاء عليهم

(١) ويروى :

* ولست بمبتاع الحياة بسُبَّةٍ *

يقال « ابتاع الشيء » بمعنى اشترى ، وإن كان بعته بمعنى اشتريته و بعته جميعا والسُّبَّة الخصلة يسب بها كالهُجْنة والعرة ، يقول : فعلت ذاك لأنى لست ممن يطلب العيش مع الصبر على الذل ولا ممن يرتقى فى الأسباب خوفا من الموت ، بل الميتة الحسنة على ما يعبقها من الأحدوثة الجميلة آثر عندنا من العيشة الذميمة على ما يخالطها من الدنية .

خبر حصين بن الحمام المرى :

قال أبو رياش : كان من شأن خُصَيْلة وذكر حصين إياهم أن مرة بن عَوف تزوج مُلَيكة بنت مالك بن خُصَيلة المرية ؛ فولدت له سَهْمَ بن مرة ، وهم رهط حُصَين ، ثم خرج خاطبا حتى خطب حَرْقَفَةَ البَلَوِيَّة ، فقالت : ما أنا متزوجتك حتى توثق لى أن لا تتزوج على ، فحلف لها بِالعُزَّيَيْنِ وَمَشْجَرَةَ تتصبب بأيدى مَجْزَرة إنى لا أتزوج عليك ، فتزوجته ، فخرج بها يسير ومعها خُصَيْلة ابنها من البَلَوِى ، فأقبلا يسيران هو وهى حتى نظرا نيرانَ أهله ، فقالت حَرْقَفَةُ : ما هذه النيران ؟ فقال : أماهاتيكِ فنار بنىّ وامرأتى ، فقالت : أغَدْرًا سائر الليلة ؟ فقال : ما غدرت بك ، ولكنى غدرت بسواك ، فقالت : أم والله لأفرِّقَنَّ هذه النارَ أنوارا . فكانت معه ثم حملت بصِرْمَةَ ، وحملت مليكة بغَيْظ بن مرة ، فأتت حَرْقَفَة مرة فقالت : يا مُرَّ طَلِّقْ مليكة قبل أنْ تفضحك فان فى بطنها جارية شياء مشؤمة ، فَفَرِق عند ذلك مرة ، وأخذ مليكةَ المخاضُ ، فلم يزل مرة يتحسّى

١٣٤ — وقال ابن دارة :

يَازِمْلُ إِنِّى إِنْ تَكُنْ لِى حَادِيًا ... أُعْكِرْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُغْ لَاتَسْبِقِ (١)

إِنِّى امْرُؤٌ تَجِدُ الرِّجَالُ عَدَاوَتِى ... وَجْدَ الرِّكَابِ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ (٢)

الخبر حتى سمع صوت صبى ، فقال : يامليكَ . ماعندك ؟ قالت : ماأخبرتك الخبيثة ؟ فقال : أخبرتنى أنك والدة جارية شيماء مشؤمة ، فقالت : كذبت ، ولكنى ولدت غَيْظَهَا ، فسمى غيظا ، ثم حملت حَرْقَفَةُ فولدت الصَّارِدَ بن مرة . وخرج خُصَيْلة إلى بَلِيٍّ فأصاب أنف ابنها البلوى أحد بنى هرم ، فلما أصابه أقبل فارًّا حتى نزل بمرة ، فقال : إنى أصبت رجلا من قومى وجدعت أنفه ، فجاؤا فى أثره يطلبونه ، حتى انتهوا إلى مرة ، فقالوا : يا مُرَّ ، قد أصابنا هذا الرجل وهو أخونا فرده إلينا ، قال مرة : ليس منكم ، فقالوا : احلف عليه ، فحلف إنه لمنهم وما هو من بلى ، فهو حيث يقول حصين :

* حَلَفْنَا عَلَيْكُمْ إِذْ تَفَرَّقَ أَمْرُكُم *

فأما قوله :

مَوَالِينَا مَوْلَى الْوِلَادَةِ مِنْكُمْ ... وَمَوْلَى الْيَمِينِ حَابِساً مُتَقَسَّمَا

فان أَلْب فزارة وَمَيْلَهم كان مع بنى صرمة فأعانهم زَبَّان بن عمرو بن جابر ، وقوله « ومولى اليمين » يعنى الذين يحالفونهم

(١) الأول من الكامل ، مطاق مجرد موصول ، والقافية متدارك

يقول : إن تخلفت عنى حتى يكون مكانك منى مكان الحادى من البعير أعطف عليك ، وإن تقدمتنى هاربا منى لم تفتنى ، وتَرُغْ : من رَوَغان الثعلب وهو الخِدَاع

(٢) « عداوتى » تنتصب على المفعول ، كأنه قال : تجد الرجال من عداوتى

فحذف حرف الجر ووصل الفعل فعمل ، يدل على ذلك قوله « وَجْدَ الركاب من الذباب » ومثله :

* أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ [1] *

وقوله « عداوتى » يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل : أى عداوتى لهم ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أى عداوتهم لى ؛ ومعنى تَجِدُ تحزن ، ولذلك كان الوجد مصدره ، ويجوز أن يكون تجد بمعنى تعلم ، ويكون « عداوتى » المفعول الأول ، و « وَجْدَ الركاب » المفعول الثانى ، والمعنى أن عداوتهم لى تُقْلِقهم وتنزيهم : أى ينالهم من عداوتى ماينال تلك من الذباب الأزرق

خبر ابن دارة :

قال أبو رياش : ابن دارة هو سالم بن مُسَافع بن يَرْبوع ، ويَرْبُوع هو دَارَة وقيل : مسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب بن عدى بن جُشَم بن عَوْف بن بُهْثَة بن عبد الله بن غَطَفَان ، وإنما سمى يربوع دارة أن رجلا من بنى الصَّارد ابن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيَان يقال له كَعْبٌ قتل ابن عم ليربوع بن كعب يقال له دِرْصٌ ، فقتل يربوع كَعْباً بابن عمه ، وأخذ ابنة كَعْب ، ثم أرسلها ، فأتت قومها فنعَتْ أباها كعباً ، فقالوا : من قتله ؟ فقالت : غلام كأن وجهه دارة القمر من بنى جُشَم بن عوف بن بُهْثَة ، فسمى بذلك ، ونسب إليه سالم

وكان الذى هاجَ قتله أنه كان مُرَّةُ بن وَاقع وجْهاً من وجوه بنى فزارة ، وكانت عنده امرأة من أشراف بنى فزارة ففا كهته امرأته ذات ليلة فطلقها البتة ، واحتملت إلى أهلها ، ومرة يظن أنه على رَدِّها قادر إذا شاء ، حتى أتى لذلك عام وهما كذلك ، ثم خطبها حمل بن القُلَيْب الفزارى ورجل آخر من بنى فزارة يقال له

---

(١) هذا صدر ، وعجزه :

* رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ والْعَمَلُ *

على ، وخطبها ابن دارة ؛ فبلغ ذلك مرة ، فأراد أن يراجعها فأبت عليه واختارت عليا ، وارتجز سالم بن دارة فقال :

إِنَّ الَّذِى طَلَّقَ عَامًا أَوَّلَا   وَسَالِمًا وابْنَ الْقَلَيْبِ حَملَا
كُلُّهُمْ صَارَ خَطِيبًا محولا   يَحْلِفُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهَا الْكَلْكَلَا

فركب مرة بن واقع إلى معاوية ، وقيل : إلى عثمان ، فقال : إن الأعراب أهل جفاء ، وإنى قلت كلمة بينى وبين امرأتى لم أرد ماتبلغ فتزوجت رجلا ، وإنما أتيتك مبادرا قبل أن يبنى بها ، فامْنَعْ لى امرأتى ، فقال معاوية : لقد ذكرت أمرا صغيرا فى أمر عظيم ، أمر الله عظيم ، وامرأتك أمرها صغير ، ولاسبيل لك عليها ، ففرق بينهما معاوية وهو يومئذ على الشام عاملا لعثمان ، فقال سالم فى ذلك قبل أن يقدم مُرَّة من عند معاوية والقوم ينتظرونه :

يالَيْتَ مُرَّةَ يأْتِيها فَيَجْعَلَهَا   خَيْرَ الْبِنَاءِ وَيُجْزَى منهما الْجَازى

فجاء مرة وقد ابتنى بها على ، فغضب على سالم ، وجعل يشتمه حتى قال : أيها العبد من مُحَوَّلة ، ماأنت وذكر نسائنا ؛ ومحولة بنو عبد الله بن غطفان ، وكانوا يقال لهم بنو عبد العزى ، فوفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : نحن بنو عبد العزى ، فقال : بل أنتم بنو عبد الله ، فسمتهم العرب بنى محولة ، فقال سالم بن دارة : مهلا يامرة ، فانى لم أفعل تأبيدا ، كأنه يريد لم آت بآبدة ؛ وما بى بأس ولا ذنب لى ، وإنما مزحت ، فأبى مرة إلا شتمه ، فقال سالم وقد غضب :

* يامُرَّ يَاابْنَ وَاقِعٍ ياأَنْتَا *

أوقع «يا» على المنادى المحذوف ، كأنه قال : يامرة أنت ، وقد ادعى قوم أن «أنت» يجوز نداؤها ، ولا ينبغى أن تعدل عن الوجه الأول :

أَنتَ الَّذِى طَلَّقْتَ لَمَّا جُعْتَا   فَضَمَّهَا الْبَدْرِىُّ إِذْ طَلَّقْتَا

حَتَّى إذَا اصْطَبَحْتَ وَاغْتَبَقْتَا ‏ ‏ أَقْبَلْتَ مُعْتَادًا لِمَا تَرَكْتَنَا
أَرَدْتَ أَنْ تَرُدَّهَا كَذَبْتَا ‏ ‏ أَوْدَى بَنُو بَدْرٍ بِهَا وَأَنْتَا

أخذه من الأون وهو البطء

تُقْسِمُ وَسْطَ الْقَوْمِ مَا فَارَقْتَا ‏ ‏ قَدْ أَحْسَنَ اللهُ وَقَدْ أَسَأْتَا

ثم تواعدا أن يلتقيا، وعظم فى صدور بنى فزارة قول سالم، فأغمضوا على ذلك، ثم تواقف ابن واقع وسالم على رهان، وفيهم يومئذ ابن بيشة أحد بنى عبد مناف بن عقيل، فقال سالم لجميع بنى فزارة: إنى أحمد الله كعهدكم وبعدكم وأستعهدكم من مرة، فقال مرة: والله لا أزال أهجوه ما بلّ ريقى لسانى، وجاءت بنو فزارة بامرأة من بنى غراب ترجز يقال لها غاضرة، فلما رآها سالم نهق كما ينهق الحمار، ثم قال:

* قَدْ سَبَّنِى بَنُو الْغُرَابِ الْأَحْمَرِ *

يقول: الغربان تكون بُقْعاً وسُودا وأنتم بنو غراب أحمر، ينسبهم إلى الأعاجم؛ لأن الحمرة فيهم أكثر

جُبْنًا وَجَهْلاً وَتَمَنَّوْا مُنْكَرِى ‏ ‏ كُلُّ عَجُوزٍ مِنْهُمُ وَمُعْصِرِ
غَاضِرَ، أَدِّى رِشْوَتِى لا تَغْدِرِى ‏ ‏ وَأَبْشِرِى بِعَزَبٍ مُصَدَّرِ
شَرَّابِ أَلْبَانِ الْخَلَايَا مُقْفِرِ ‏ ‏ يَحْمِلُ عَرْدًا كَالْوَظِيفِ الْأَعْجَرِ
وَفَيْشَةً مَتَى تَرَيْهَا تُسْفِرِى ‏ ‏ حَمْرَاءَ كَالنَّوْرَجِ فَوْقَ الْأَنْدَرِ
تَقْلِبُ أَحْيَانًا حَمَالِيقَ الْحِرِ ‏ ‏ مُعَقَّدٍ مُشْعَّرٍ مُسَيَّرِ
كَأَنَّمَا أَحَسَّ جَيْشَ الْمُنْذِرِ ‏ ‏ إنْ تَمْنَعِى قَعْوَكِ أَمْنَعْ مِحْوَرِى

* بِقَعْوِ أُخْرَى كَعْثَبٍ مُدَوَّرِ *

النورج: شيء يدق به أهل الشام حَبَّهُمْ، وفيه يقول الشاعر:

عَيْرَانَةٌ حَرْفٌ تَصِرُّ نُيُوبُهَا ‏ ‏ فِى النَّاجِيَاتِ كَمَا يَصِرُّ النَّوْرَجُ

والْقَعو : الذى تكون فيه البكرة من خشب ، فإذا كان حديدا فهو خطاف ، وقيل : القعو هى البكرة ، وقال عمار بن البولانية فى النوارج :

أَلاَ لَيْتَ لِى نَجْدًا وَطِيبَ تُرَابِهَا ... بِهٰذَا الَّذِى تَجْرِى عَلَيْهِ النَّوَارِجُ

فلما قالها سالم ألهاها الاستماع أن ترد عليه ، ثم لوى درعها فكشف عنها ، فحجز الناس بينهما ، وافترق الناس ولابن دارة الظفر ، وعمّ بنى فزارة بالهجاء لما أعانت عليه بنو غراب ، وقال يهجو مرة بن واقع المازنى :

حَدَبْدَبَا بَدَبْدَبَا مِنْكَ الْآنْ ... اسْتَمِعُوا أُنْشِدْكُمْ يَاوِلْدَانْ

إِنَّ بَنِى فَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانْ ... قَدْطَرَّقَتْ نَاقَتُهُمْ بِإِنْسَانْ

* مُشَيَّإٍ أَعْجِبْ بِخَلْقِ الرَّحْمٰنِ *

الْمُشَيَّأ : المقبح الوجه

غَلَبْتُمُ النَّاسَ بِأَكْلِ الْجُرْدَانْ ... كُلُّ مِقَلٍّ كَالْعَمُودِ جَوْفَانْ

* وَسَرَقِ الْجَارِ وَنَيْكِ الْبُعْرَانْ *

حَدَبْدَبَا : كلمة جاء بها فى معنى التعجب مما هو فيه ، وأصلها لعبة يلعبها الصبيان ، ويختلف فى لفظها فبعضهم يقول « حدبدبا » بباءين ، وبعضهم يقول « حدندبا » ومنهم من يقول « حديدبا » يقول : اجتمعوا ياصبية اتلعبوا هذه اللعبة ، وإنما غرضه أن يعجب الناس مما هو فيه ويعلمهم أنه فى أمر كلعب الصبيان

وقال سالم يهجو بنى فزارة :

إِنَّ فَزَارَةَ قَوْمٌ فِيهِمُ خَوَرُ ... وَفِي الرِّقَابِ إِذَا أَبْصَرْتَهَا عُجَرُ

لَهُمْ قُلُوبٌ إذا أشْبَعْتَهُمْ كَمَرًا ... وَلاَ قُلُوبَ إِذَا مَالَمْ تَكُنْ كَمَرُ

تَغْلِى الْقُدُورُ بِجَوْفَانٍ مُقَطَّعَةٍ ... مِثْلِ الْفَرَاسِنِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا شَعَرُ

وفى ذلك يقول الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزارى :

جَهِّزْ فَإِنَّكَ مُمْتَارٌ وَمُنْتَجِعٌ   إِلَى فَزَارَةَ عِيرًا تَحْمِلُ الْكَمَرَا
إِنَّ الْفَزَارِيَّ لَوْ يَعْمَى فَأَطْعَمَهُ   أَيْرَ الْحِمَارِ طَبِيبٌ أَبْرَأَ الْبَصَرَا

وقال فى المعنى الآخر الفرزدق :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ عَفٌّ   كَرِيمٌ لَسْتَ بِالْوَالِى الْحَرِيصِ
أَأَطْعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدَيْهِ   فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ الْقَمِيصِ
وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِى مَخَاضٍ   لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكَىْ قَلُوصِ
تَبَنَّكَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى   وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ

وقال سالم يهجو بنى فزارة :

يَا صَاحِبَيَّ أَلِمَّا بِى عَلَى الدَّارِ   بَيْنَ الْهُشُومِ وَشَطَّىْ ذَاتِ أَمَّارِ
تَعْتَادُهَا مِنْ رِيَاحِ الصَّيْفِ مُعْصِفَةٌ   تَعْتَادُهَا بَيْنَ أَرْجَابٍ وَأَصْفَارِ

وهى طويلة وفيها :

بَلِّغْ فَزَارَةَ أَنِّى لَنْ أُسَالِمَهَا   حَتَّى يَنِيكَ زُمَيْلٌ أُمَّ دِينَارِ

هى أم زميل ، كانت تكنى أم دينار

فِى اسْكَتَيْنِ يَغِيبُ الْحَوْقُ بَيْنَهُمَا   وَكَعْثَبٍ كَسَنَامِ الْبَكْرِ مِرْمَارِ
أَبَعْدَ أُمِّ إِيَاسٍ طَالَ مَدْرَعُهَا   يُلْوَى وَيُنْزَعُ مِنْ خِزْيٍ وَمِنْ عَارِ
لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ   مِنْ بَعْدِ مَا امْتَلَّ أَيْرَ الْعَيْرِ فِى النَّارِ
يَعُلُّهَا تَارَةً فِيهَا وَيَنْهَسُهُ   دَامِى اللِّثَاتِ مُعِيدًا أَكْلُهُ ضَارِ
وَإِنْ خَلَوْتَ بِهِ فِى الْأَرْضِ وَحْدَكُمَا   فَاحْفَظْ قَلُوصَكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ
إِنِّى أَخَافُ عَلَيْهَا أَنْ يَأْتِيَهَا   عَارِى الْجَوَاعِرِ يَغْشَاهَا بِقُسْبَارِ
إِنَّ الْفَزَارِيَّ لَا يَنْفَكُّ مُغْتَلِمًا   مِنَ النَّوَاكَةِ تَهْدَارًا بِتَهْدَارِ
أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوفًا لَهُ نَسَبِى   وَهَلْ بِدَارَةَ يَا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ
جُرْثُومَةٌ نَبَتَتْ فِى الْعِزِّ وَاعْتَدَلَتْ   تَنْفِى الْجَرَاثِيمَ عَنْ عُرْفٍ وَإِنْكَارِ

مِنْ صُلْبِ قَيْسٍ وَأَخْوَالِي بَنُو أَسَدٍ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ، زَنْدِي فِيهِمُ وَارِي

ويقال : إن عدىّ بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه فى أن يتزوج امرأة يزيد بن المهلب . فكتب إليه عمر «أما بعد إن الفزارى لا ينفك» وكتب « إن كان فيك فضل فعد به على عيالك »

فلم يزل يهجوهم

وحلف زُمَيْل بن أُبَيْر أحدُ بنى عبد الله بن مناف أن لا يأكل لحما ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتله . فالتقى زميل بابن[1] دارة ، وابن دارة منحدر إلى الكوفة . وزُمَيْل يريد البادية ، فقال له سالم : لا أبالك ، ألم يأن لك أن تحل يمينى ؟ فقال له زميل : إنى أعتذر إليك : إنه والله ما فى القوم حديدة إلا أن يكون مخيطا . فافترقا ، وسار سالم حتى قدم على أخيه بالكوفة ، فمكث غير بعيد ثم لحق بقومه بالبادية ، فجعل ينشد ، ثم ورد المدينة فى جَلَب ، ثم خرج منها ، فلقى زُمَيْلا عشاء وزميل داخل المدينة ، فكلمه وناداه ، وقال : ألا تحل يمينى ؟ ثم انطلق ، واتبعه زميل فى الظلمة فلم يسمع إلا خَوَاتَهُ — أى حسه — وقد غشيه بالسيف ، فدفع الراحلة ، وأدركه زميل فضربه فأصاب مؤخرة الرحل وحذا عضده ذباب السيف حذية أوضحت ، ورجع إلى المدينة يتداوى بها ، فزعموا أن بُسْرَةَ بنت عُيَيْنَةَ بن أسماء ، ويقال : إنها بنت مَنْظُور بن زَبَّان بن سَيَّار ، وكانت تحت عثمان بن عفان ، دَسَّتْ إلى الطبيب سُمًّا فى دوائه فمات ، وقال قبل موته :

أَبْلِغْ أَبَا سَالِمٍ عَنِّى مُغَلْغَلَةً فَلَا تَكُونَنَّ أَدْنَى الْقَوْمِ لِلْعَارِ
لَا تَأْخُذَنْ مِائَةً مِنْهُمْ مُجَلَّلَةً وَاضْرِبْ بِسَيْفِكَ مَنْظُورَ بْنَ سَيَّارِ

وقال الناس لما قتل : قد محَوْا عن أنفسهم . وفى ذلك يقول الكميت بن معروف :

(١) فى نسخة بن « فالتقى زميل ابن دارة » وهو تحريف

١٣٥ — وقال بَشامة بن حَزْن [١] :

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا ... لَمَّا وَنَى عن نَصْرِهَا خُذَّالُهَا [٢]

فلا تُكْثِرُوا فِيهَا الضِّجَاجَ فإنَّهُ ... مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا

وقال زُمَيْل :

أنَا زُمَيْلٌ قَاتِلُ ابْنِ دَارَهْ ... وَغَاسِلُ الْمَخْزَاةِ عَنْ فَزَارَهْ

* ثُمَّ جَعَلْتُ عَقْلَهُ الْبِكَارَهْ *

(١) قال أبو هلال : فى الشعراء رجلان يقال لهما بَشامة : أحدهما بشامة بن الغَدِير ، وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان القائل :

هَجَرَتْ أُمَامَةُ هَجْرًا طَوِيلاَ ... وَحَمَّلَكَ النَّأْيُ عِبْأً ثَقِيلاَ

والآخر بشامة بن حَزْن النهشلى ، وهذا الشعر له ، وقال الآمدى : هو لبشامة بن الغدير

(٢) الأول من الكامل ، مطلق مردف بوصل وخروج ، والقافية متدارك خِنْدِف : لقب لليلى امرأة الياس بن مضر بن نزار ، وإنما لقبت بذلك لقولها لزوجها يوما : ما زِلْتُ أُخَنْدِف فى أثركم ، وَالْخَنْدَفَة : مِشْيَة كالهرولة فقال لها : وأنت خِنْدِف ، فلزمها ، فصارت مضر نسلين : أحدهما ولد قيس عيلان ، والآخر خندف ، ويروى أن رجلا على عهد الزبير ظُلم ، فنادى : يا لَخِنْدِف ، فخرج إليه الزبير وفى يده السيف ، وهو يقول : خَنْدَفَ إليك أيها المخندف ، والله لئن كنت مظلوما لأنصرنك ، يقول : غضبت لنسلى مضر خندف وقيس لما فتر عن معاونتها نُصَّارها ، وإنما قال خُذَّالها ولم يقل نُصَّارها لأنه وصفهم بما آل إليه أمرهم ، وجواب لما ونى ما هو صدر البيت

دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا ... وَلَدَىَّ فِى أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا (١)
إِنِّى امْرُؤٌ أَسِمُ القَصَائِدَ لِلْعِدَا ... إِنَّ القَصَائِدَ شَرُّها أَغْفَالُهَا (٢)
قَوْمِى بَنُوا الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ ... وَالْمَشْرَفِيَّةُ وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا (٣)

(١) أى ولدىَّ فى أمثال هذه القبائل أمثال هذه النصرة ، هذا وجه ، ويجوز أن يريد ولدى فى أمثال هذه النصرة أمثال هذه القصيدة ، أو فى أمثال هذه الحروب أمثال هذه النصرة

(٢) قال أبو العلاء : أى أجعل فيها شيئا تشهر به وتعرف كما تعرف الناقة بسِمَتِهَا ، وأما الشعراء اليوم فيجعلون الموسوم من الشعر ما ذكر فى قافيته اسم الممدوح ، كقول الأعشى :

فَآلَيْتُ أَنْ أَرْثِى لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ... وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّى تُلَاقِى مُحَمَّدَا (١)

فأما القدماء فلم يخصصوا ذلك ، وربما ذكروا اسم الممدوح وربما لم يذكروه ، كقول النابغة

* عَفَا ذُو حُسًى مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوَارِعُ *

لم يذكر اسم النعمان ، وجعلها موسومة على مذهب المحدثين بالقوم الذين وشوا به فقال :

لَعَمْرِى وَمَا عَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ ... لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلًا عَلَىَّ الْأَقَارِعُ
أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أُحَاوِلُ غَيْرَهَا ... وُجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِى مَنْ تُجَادِعُ

(٣) المشارف : أرض تُشرف على أرض العرب ، وإليها تنسب السيوف ، وقوله «إشعالها» على حذف المضاف ، كأنه قال : والمشرفية والقناذوات إشعالها ، ويجوز أن يكون الحذف من الأول ، كأنه قال : وسَلُّ المشرفية وحمل القنا وما يجرى هذا المجرى ، وإنما افتقر إلى ذلك لأن الاسم الذى

(١) يروى « فآليت لا أرثى » و « ولا من وجى » و « حتى تزورى »

مَازَالَ مَعْرُوفًا لِمُرَّةَ فِي الْوَغَى ... عَلُّ الْقَنَا وَعَلَيْهِمِ إِنْهَالُهَا (١)

مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا ... أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا (٢)

١٣٦ — وقال أرطاة بن سُهَيَّة (٣) :

بدىء به لا يكون مصدراً على الحقيقة ، كما أنك إذا قلت « أخوك شُرْبٌ » فالمعنى ذو شرب ، ويروى « والمشرفيةِ » بالجر ، وعلى هذا يتم الكلام بقوله العوان والباء من « بجمعهم » تتعلق باشعالها و إذا رفعت المشرفية يكون تمام الكلام عند قوله بجمعهم : لأن الباء منه حينئذ تتعلق بقوله العوان ، والمعنى قومى بنو الحرب التى عونت باجتماعهم ، واستأنف الكلام بعده ، ويقال : أشعلت النار فى الحطب ، وأشعلت الخيل فى الغارة ، وأشعلته غضبا .

(١) « ما زال » لدوام الماضى ، وارتفع « عَلُّ القنا » على أنه اسمه ، وخبره « معروفا » و إنما قال « وعليهم إنهالها » كأنه يجعل ذلك واجبا عليهم .

(٢) « من » فى موضع منذ لقوتها و كثرة تصرفها وتمكنها فى باب الجر .

(٣) قال أبو الفتح : أرطاة : واحدة الأَرْطَى ، وهى فَعْلاَة ، لقولهم : أديم مأرُوط . وحكى أبو الحسن أديم مُرْطًى ، فأرطى على هذا أفعَل ، وينبغى أن يكون لامه ياء حملا على الأكثر ، ويقال أيضاً : أديم مُؤَرْطًى ، فهذا مُفَعْلًى كَمُسَلْقًى ومُجَعْبًى ، ومن قال مُرْطًى فمؤرطى عنده مؤفعل كقولها :

تَدَلَّتْ على حُصٍّ ظِماءٍ كَأَنَّهَا ... كُرَاةُ غُلاَمٍ فِي كِسَاءٍ مُؤَرْنَبِ (١)

فمُؤَرْنَب : مُؤَفْعَل لأنه فيما فسر المتخذ من جلود الأرانب . وسُهَيَّة : تحقير سَهْوَة ، يقال : فرس سَهْوَة ، إذا كانت سهلة الجرى ، ويجوز أن يكون تصغير السهوة وهى

---

(١) البيت لليلى الأخيلية ، وهو من شواهد النحاة (انظر كتاب سيبويه : ٢ - ٣٣٠) وقد وقع فى نسخ الأصول هنا « كرار غلام » وهو تحريف

وَنَحْنُ بَنُو عَمٍّ عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا   زَرَابِيُّ فِيهَا بِغْضَةٌ وَتَنَافُسُ (١)

أوتاد تُعَارَض من داخل الخباء أو البيت يجعل عليها المتاع ونحوه ، ويجوز أن يكون تصغير سَهْوَة وهى المرة الواحدة من سَهَوْتُ ، ويجوز أن يكون تحقير الساهية على تحقير الترخيم كقولهم فى فاطمة فطيمة .

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

قال أبو العلاء : إذا صح أن الزرابى يراد بها العداوات والقوارص فهى من قولهم : زربت البهم فى الزريبة ، إذا أدخلته فيها ، ومعروف من كلامهم أن يقال بينى وبينه دَسِيسُ عداوة ، قال الشاعر :

لاَ تَسْأَ مَا لِى مِنْ دَسِيسِ عَدَاوَةٍ   أبداً فَلَيْسَ بِمُشْتِمِى أَنْ تَسْأَمَا

وقيل إنها فى ديوان أرطاة « زرائب » على مثال غرائب ، فكأنه جمع زريبة ، فجعل العداوة زريبة لأنها تَزْرَبُ فى القلب : أى تدخل ، وهذا نحو قولهم للحقد ضَبٌّ لأنه يكون فى القلب كما يكون الضب فى بيته ، وقد يحتمل زرابى إذا كانت بتشديد الياء وجهاً آخر ، وما أجدر الشاعر أن يكون أراده دون غيره ، وذلك أن يجعل الزرابى يراد بها الطنافس والبسط ، ويكون ذات بينهم الساحة التى بين بيوتهم : أى إنا تُبْسَطُ لنا الزرابى ونقعد عليها متقاربين فى الأماكن متباعدين بالقلوب فلا يسلم بعضنا على بعض وإن سلم عليه لم يردد الجواب وإذا عطس لم يُسَمِّتْهُ ، يقال : سَمَّتَ العاطس — بالسين والشين — إذا دعا له فقال : رحمك الله ، أو نحوه ، ويجوز أن تكون الزرائب جمع زريبة أى الموضع الذى يجعل فيه البهم والغنم ، ويستعار فيجعل مكانا للعداوة الكامنة فى الصدر ، وواحد الزرابى البسط زربية وزربى ، وقال الخليل فى الزرابى : إنها القطوع الحيريّة الرقيقة ، وفى بعض كلام الفصحاء « فُرِشَتْ بيننا قطوع النمائم » وقوله « ذات بيننا »

وَنَحْنُ كَصَدْعِ الْعُسِّ إِنْ يُعْطَ شَاعِبًا   يَدَعْهُ وَفِيهِ عَيْبُهُ مُتَشَاخِسُ (١)
كَفَى بَيْنَنَا أَنْ لَا تُرَدَّ تَحِيَّةٌ   عَلَى جَانِبٍ وَلَا يُشَمَّتَ عَاطِسُ (٢)

كأنه أراد بذات البين خاصة النسب والقرابة ، ثم جعل فوقها ما قد غمرها من زرابى الفساد ، ويروى « على ذاك بيننا » أى : على ما يجمعنا من الرحم تنآءى بعضنا عن بعض

(١) العُسُّ : القدح الضخم ، والشاعب ههنا : مصلح الأقداح ، والمتشاخس : المتفاوت المتباين ، ومنه قولهم : تشاخست أسنانه من الكبر ، إذا اختلفت وهو أن يسقط بعضها ويميل بعضها ، وقيل : الشخس فى الأصل فتح الفم للتثاؤب : أى استحكم الفساد بيننا حتى لا نقبل صلاحا

(٢) قال المرزوقى : قوله « كفى بيننا » هو بين الذى كان ظرفا ، فنقله إلى باب الأسماء ، ومثله قوله عز وجل (لقد تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ) وقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرٍ   بَعِيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورُ

وقال أبو على الفارسى فى اشتقاق التسميت بالسين غير معجمة : كأنه رده إلى سمته وهديه ، وفى التشميت بالشين كأنه التثبيت ، من الشوامت وهى القوائم ، ويجوز أن يروى « أن لا ترد » بالرفع وكذلك « ولا يشمت » على أن تجعل أنْ مخففة من الثقيلة ، ومثله (أفلا يرون أن لا يرجعُ) بالرفع والنصب ، وقال النمرى : أكثر أهل العلم لا يدرى ما الزرابى ههنا ، وهى البسط ذوات الألوان ، وذات البين : العداوة ، يقول : على عداوتنا غطاء حسن ، والعداوة تحتها كامنة ، قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل :

تَرَدَّدُ فِى اسْتِ مَارِيَةَ الْهُمُومُ   فَمَا تَدْرِى أَتَظْعَنُ أَمْ تُقِيمُ

تاه أبو عبد الله فى تفسير هـــذا البيت لما لم يعرف صحة متنه ، والصواب

١٣٧ — وقال عَقيل بن عُلَّفَةَ المُرّىّ[1] :

تَنَاهَوْا وَاسْأَلُوا ابْنَ أَبِى لَبِيدٍ أَأَعْتَبَهُ الضُّبَارِمَةُ النَّجِيدُ[2]

ما أنشده أبو الندى ثم وجدته بعد ذلك :

وَنَحْنُ بَنُو عَمٍّ عَلَى ذَاكَ، بَيْنَنَا زَآنِبُ فِيهَا بِغْضَةٌ وَتَنَافُسُ

قال : قوله « على ذاك » أى على أنا بنو عم ، والزآنب : القوارص ، قال : ولا أعرف لها واحدا ، وكذلك ذكر أبو هلال .

(١) قال أبو الفتح : عقيل اسم مرتجل ، ويمكن أن يكون فعيلا فى معنى مفعول : أى معقول ، قال المبرد : قال لى عمارة بن عقيل : أنشدنى من شعر شاعركم هذا الذى قد فتنتم به ، فأنشدته لأبى تمام :

أُنَاسٌ إِذَا مَا اسْتَلْحَمَ الرَّوْعُ صَدَّعُوا صُدُورَ الْعَوَالِى فِى صُدُورِ الْكَتَائِبِ

فقال : قاتله الله ! ! ما أحسن ردّاته ! ! كان جرير يعجبه هذا فى الشعر ، ألم تسمع إلى قوله :

وَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ الْمَجْدِ حَابِسُ[1]

والعُلَّف : ثمر الأراك ، الواحدة عُلَّفَة ، قال العجاج :

* بِجِيدِ أَدْمَاءَ تَنُوشُ الْعُلَّفَا *

وقال أبو العلاء : يجوز أن يكون عقيل فى الاشتقاق مثل العَقيلة ، فيجوز أن يراد به كريم القوم وفاضلهم ، كما أن عقيلة النساء أفضلهن ، ويحتمل أن يكون من عقلت البعير أو القتيل .

(٢) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر .

قال الخليل : الضُّبَارمة : الجرىء على الأعداء ، ويسمى الأسد ضبارمة ،

---

(١) وقع فى أصول الكتاب « وما نال معقولا عقال » وهو تحريف ، وتصويبه عن الديوان

وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ إِخَالُ حَتَّى يَنَالَ أَقَاصِيَ الحَطَبِ الوَقُودُ (١)
وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ إِلَيَّ فِيهِ لِسَانِي مَعْشَرٌ عَنْهُمْ أَذُودُ (٢)
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي أَغُيَّابٌ رِجَالُكِ أَمْ شُهُودُ (٣)

ويقال : هو الأسد الوثيق الخلق المكتنز اللحم ، ويجوز أن يكون من معنى المضبَّر لا من لفظه ، فيكون من باب دَمِث ودِمَثْر ، والنجيد : ذو النجدة ، وهو البأس والشدة ، يقول : سلوه هل أعتبته ، وليس يريد به الرضا ، ولكن يريد هل جازيته بما فعل بى : لأنه لما جنى عليه فكأنه استدعى شره كما يستدعى الرجل العُتْبَى من صاحبه .

(١) حذف مفعول « فاعلين » وهو ما دل عليه قوله فى البيت قبله ، وهو قوله «تناهوا» كأنه قال : ولستم فاعلين التناهى حتى ينال أقاصى الحطب الوقود ، مثل تمثل به فى انتهاء الشر ، يقول : لستم متناهين عما أكرهه منكم حتى يعمكم الشر ويبلغ الأمر منتهاه .

(٢) يقول : أبغض الأشياء إلى أن أهجو معشرى الذين يلزمنى الذبُّ عنهم ، وفى هذا البيت تقديم وتأخير . وتقديره وأبغض من وضعت لسانى فيه إلىَّ معشر عنهم أذود ، فقدم «إلى» قبل أن يتم الكلام الذى هو لها مُقْتَضٍ، وقد رويت أشياء نحو هذا وأشد ، منه ما أنشد أبو عبيدة :

أَتَجْزَعُ إِنْ نَفْساً أَتَاهَا حِمَامُهَا فَهَلاَّ الَّتِي عَنْ بَيْنِ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ

وأراد فهلا تدفع عن التى بين جنبيك .

(٣) هذا كناية عن العفة . يقول : لا أكلم جارتى لأنى أصونها عن الكلام ، ويجوز أن يكون عرض بقذف الذى يهجوه ، كما يقول من لم تجر عادته بلزوم الأسواق لمن هو متعوِّد للمبايعة والمشاراة : لست أعاشر المنادين ولا أبخس إذا وزنت : أى إنك ياسامع تفعل ذلك ، وقد افتخروا بصون الجارة وترك النظر

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِى　　صُدُورَ الْعَيْرِ غَمَّرَهُ الْوُرُودُ (١)

وَلاَ مُلْقٍ لِذِى الْوَدَعَاتِ سَوْطِى　　أُلاَعِبُهُ وَرِيبَتَهُ أُرِيدُ (٢)

إليها ، قال الراجز :

يَا جَارَتَيْنَا بِالْجَنَابِ حَرْسَا　　لَمْ أَدْرِ إِلاَّ أَنْ أَظُنَّ حَدْسَا

* أَبَعْضَ جِنٍّ كُنْتُمَا أَمْ إِنْسَا *

وقوله « رجالك » الأصل رجالكن ، وهذا جائز فى الشعر فقط .

(١) التغمير مثل التصريد ، وهو أن يشرب و به إلى الماء حاجة ونفسه تدعوه إليه ، يقول : لا أصدر و بى حاجة إليه ونفسى تدعونى إلى ريبته ، و يروى « أعجزه الورود » و إذا رويت أعجزه فالمعنى أنه لا يتعرض لبيت جاره بالريبة فيكون مثل العير الوحشى يروم وِردَ الماء فيعجز عنه لخوف الرماة . وضرب ذلك مثلا لطالب الريبة لا يصل إليها من المحاماة ، ومن روى « غمره الورود » قال أبو العلاء : فأصله أن يعطى غُمَرًا فيه ماء ، وهو القدح الصغير ، فلا يكون ريه فيه ، والعير إذا ورد فشرب أول الشرب ثم أحس بالصائد الكامن له على الماء رجع نافرا غير متلبث ، فيقول : لست أدخل بيت جارى فاذا علمت بمكانه رجعت مسرعا كما يفعل العير إذا أحس بالقانص .

(٢) يعنى بذى الوَدَعَات الطفلَ لأنهم يعلقون عليه الودع ، قال الكلابى :

وَالسِّنُّ مِنْ جَلْفَزِيزٍ عَوْزَمٍ خَلَقٍ　　وَالْحِلْمُ حِلْمُ صَبِىٍّ يَمْرُثُ الْوَدَعَهْ (١)

حركت الدال للضرورة ، وقوله « وريبته أريد » أى : وريبة أمه ، ومن روى « رَبَّتَه » جاز أن يعنى أمه أيضا لأنها تَرُبُّه وتملك أمره ، وإن عنى بذى الودعات ابنَ أمةٍ فيجوز أن يريد ربته مولاته ، وهذا نحو مما قاله الآخر :

لاَ آخُذُ الصِّبْيَانَ أَلْثِمُهُمْ　　وَالْأَمْرُ قَدْ يُغْزَى بِهِ الْأَمْرُ

(١) الجلفزيز : العجوز المتشنجة ، أو هى التى أسنت وفيها بقية ، والعوزم : مثلها

١٣٨ — وقال محمد بن عبد الله الأزدى [1] :

لاَ أَدْفعُ ابْنَ الْعمِّ يَمْشِي عَلَى شَفًا   وَإنْ بَلَغَتْنِي مِنْ أَذاهُ الجَنَادِعُ [2]

قال أبو رياش : البيتان الأخيران لابن أبى نُمَيْر القَتَّالى من بنى مرة ، جاء بهما أبو تمام ضلة فى هذه الأبيات ، وليسا منها

(١) قال أبو الفتح : قد قالوا الأسْد ، والأزْد ، وكأن الزاى بدل من السين ، وكلاهما علم مرتجل

(٢) الشَّفَا : حَرْفُ الشيء ، و « يمشى » فى موضع الحال ، والبيت يحتمل وجهين : يجوز أن يكون المعنى إذا أشفى ابن عمى على بلاء وشر يُخَاف عليه منه فإنى لاأدفع فى صدره محاملا عليه ليقتحمه ، ويجوز أن يريد إذا انحرف عنى مهاجراً لى ومشى على جانب من المؤانسة معى لاأنفره ولاأتمم استيحاشه ، وإن بلغتنى الدواهى عنه ، ويجوز فى قوله « يمشى على شفا » وجه آخر ، وهو أن يكون يمشى بمعنى ينم ، وفى المثل : هو أضربُ من مَشَى بشَفَةٍ ، وكأنه مأخوذ من قول الله عز وجل : (مَشَّاءٍ بنميم) ويكون على هذا قوله « على شفا » متعلقا بمضمر ، كأنه قال : يفعل ذلك كائنا على شَفًا أو حاصلا ، والمعنى منحرفا : أى لاأدفعه عن التحريش والنميمة قهرا وعنفا ، ولكن أعطفه بالحسنى ، والمراد بالجنادع الدواهى ، وقال الأصمعى : فى الأمثال يقال « بدت جَنَادِعُهُ » أى أوائله من خير وشر ، وقد استعمل الجندع فى حباب الخمر ، قال الأعشى : ـ

وَعُقَارٍ تَحْسَبُ الْعَيْنُ إذَا   صُفِّقَتْ جُنْدُعَهَا نَوْرَ الذُّبَحْ [1]

وقال قوم : يقال للضب : قدبدت جنادعه ، وهى دواب تكون معه فى بيته كالخنافس

(١) البيت فى اللسان (ذ ب ح) وفيه « وشمول . . . . صفقت فى دنها نور الذبح » والذبح ـ كصرد ـ الجزر البرى ، ولونه أحمر ،

وَلَكِنْ أُوَاسِيهِ وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ ... لِتَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِعُ[1]

وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ وَسُوءِ صَنِيعَةٍ ... مُنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعُ[2]

١٣٩ — وقال آخر :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ

قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا[3]

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَابِي وَمَا بِهِمِ ... وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ[4]

---

(١) أواسيه : أي أجعله أسوة نفسي فأقاسمه مالي وملكي

(٢) أي : كافيك من سوء الفعل واكتساب الذل أن تناوى أقاربك ، وإن كانوا قاطعين ، ويروى « وأن قيل قاطع » بفتح الهمزة ، وكسرها أجود ، والمناواة أصلها الهمز ، واشتقاقه من النوء النهوض ، كأن المتعاديين يناهض كل صاحبه إما بنفسه وإما بعتيدته ونيته ، وجعل الصنيعة اسما فهي كالكريهة :

(٣) الأول من البسيط ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متراكب .

الضمير في « يحسدوني » لطائفة من الناس خصَّهم بالإخبار عنهم وقصدهم بالكلام ، يقول : إن نافسوني وحسدوني فإني لا ألومهم ولا أعتب عليهم إذ كان التنافس والحسد يتبعان الفضل وإذ كان مَنْ قبلنا اعتاد بعضُهُمْ من بعضٍ مثل ذلك ، وقد أحسن كل الاحسان من قال :

وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ ... لَمْ تَلْقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودَا

وَ « قَبْلِي » جعله لغوا ، و « من الناس » تبيين ، و « قد حسدوا » خبر الابتداء .

(٤) الأكثرهم الحسدة لأنه وإن أدخل نفسه فيمن أضاف الأكثر إليه واحد ، وقوله « بما يجد » حذف المفعول ، والمعنى بما يجده في نفسه من

أَنا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمِ ... لا أَرْتَقِي صَدَرًا مِنْهَا وَلاَ أَرِدُ[١]

١٤٠ — وقال آخر :

الشَّرُّ يَبْدَؤُهُ فِي الأَصْلِ أَصْغَرُهُ ... وَلَيْسَ يَصْلَى بِنَارِ الحَرْبِ جَانِيهَا[٢]

الحسد ، أو بما يجده من النعمة والفضل عند المحسود ، وحكى عن بعضهم أنه قال : تتبعت ماعرفته من دواوين الشعراء قديمهم ومحدثهم فوجدت أباتمام منفردا بمعنى قوله :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لَوْلاَ التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ ... لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

وهو غير مسبوق إليه ، فيقال : إنه أخذه من هذين البيتين وإن كان زاد عليه .

(١) كان يجب أن يقول « يجدوننى » لأن الفعل فى موضع رفع ، لكنه حذف النون تخفيفا ، وكان يجب أن يقول لو جرى على حكم الصلة والموصول « يجدونه » حتى يكون فى الصلة ضمير يعود إلى الذى ، وإنما جاز أن يجىء وليس فيه مايعود إلى الذى وإن كان صلة له لأن الذى خبر أنا ، وهو والمبتدأ شىء واحد ، فلما كان الأول والثانى شيئا واحدا لم يُبَال أن يرد الضمير الذى يجب رجوعه إلى الثانى إلى الأول ، ومثل هذا مانسب إلى على عليه السلام :

* أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهْ *

فقال : « سمتن » ولم يقل « سَمَّتْه » ومعنى البيت أنا الذى صرت غُصَّةً فى صدورهم قد نَشِبَتْ فلا تصدر ولا ترد ، وقوله « صَدَرًا » مصدر فى موضع الحال و « لا أرتقى » إن جعلت « فى صدورهم » لَغْوًا يكون فى موضع المفعول الثانى ، وإن جعلت « فى صدورهم » مفعولا ثانيا كان « لاأرتقى » حالا

(٢) الثانى من البسيط ، مطلق مجرد بوصل وخروج ، والقافية متواتر

الْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمَا
تَدْنُو الصِّحَاحُ إِلَى الْجَرْبَى فَتُعْدِيهَا (١)
إِنِّى رَأَيْتُكَ تَقْضِى الدَّيْنَ طَالِبَهُ وَقَطْرَةُ الدَّمِ مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا (٢)

قوله « يبدؤه » أى : يبدأ منه ، فحذف حرف الجر ووصل الفعل فنصب ؛ يقول : أوائل الأمور ضعيفة ثم تستحكم على مر الأيام ؛ ويروى :

* وليس يَصْلَى بجل الحرب جانيها *

أى يجنيها الضعيف والعاجز ، ويصلى بها القوى الحازم : لأنه لا يجد من نصرة قريبه بُدًّا ، وجل الشىء : أكثره ومعظمه ، وهذا من الأبيات التى صدورها أمثال وأعجازها أمثال مثل قول النابغة :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَىُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

يقول : إن سبب الحرب يسير يجره أدنى شىء ثم يتفاقم حتى يفوت التلافى ، مثل حرب بكر وتغلب : كان سببها ناقةٌ رُمِيَتْ فى ضرعها ، وكانت مدة الحرب أربعين سنة ، وكان سبب حرب داحس والغبراء منع خَطَر ، وكانت مدتها مثل ذلك ، وكانت حرب ابنى قَيْلة أكثر من ثلاثين سنة ، وكان سببها كَسْعَةَ رِجْل

(١) أى : شر الحرب يعدى إعداء الجرب ، وتنال مضرتها غير الجانى إذا دخل مع الجناة ، كما يدنو الصحيح إلى الأجرب فيعديه

(٢) هذا البيت يصلح أن يكون مدحا فيكون المعنى إنى رأيتك تخرج إلى المدينين سريعا من دينهم عليك غير مدافع لهم بما فى ذمتك ، وإذا طولبت بدمٍ شَقَّ تقاضيك به وصعب نيله من جهتك ، فعلى هذا قوله « مكروه تقاضيها » معناه مكروه تقاضيك بها ، ويجوز أن يكون ذما فيكون المعنى إنى رأيتك بأهون سعى تخرج من الأوتار والدماء إلى طلابها فلا كلفة فى نيلها وإدراكها من جهتك ،

تَرَى الرِّجَالَ قُعُودًا يَأْنِحُونَ لَهَا ... دَأْبَ الْمُعَضِّلِ إِذْ ضَاقَتْ مَلاقِيهَا (١)

١٤١ — وقال شُرَيْح بن قِرْوَاشٍ العَبْسِيّ (٢) :

والتقاضى بالدم عسِرٌ إلا إذا كان عندك ، وذلك لضعف كيدك . فالدين فى هذا الوجه يراد به الوتر والدم ، وقوله « مكروه تقاضيها » يعنى تقاضى غيرك بها ، ومثل قوله « مكروه تقاضيها » فيما أضيف إليه قولُ لبيد :

* باكَرْتُ حَاجَتَها الدجاجَ بسحرةٍ

لأن المعنى باكرت حاجتى إليها

(١) يقال : أنَحَ يَأْنِحُ ، إذا زحَر ، والدَّأْب : العادة ، ويقال : عَضَّلَت المرأة ، إذا نشب ولدها فى رحمها ، والملاقى : يراد بها ملاقى الرحم : أى ترى الرجال يَلْقَون من الشدة فيها ماتلقى هذه إذا عسر عليها خروج ولدها .

(٢) قال أبو الفتح : شُرَيح يشبه أن يكون مما ألزم من الأسماء التحقير كالثُّرَيَّا وَاللُّجَيْن وَالْجُمَيْل وَالْكُعَيْت وَالسُّكَيْت ، وذلك أنا لانعرف فى اللغة مايصلح أن يكون مكبره ، إنما هو الشرح مصدر شَرَحْت الشىء أى وسعته ، والمصدر ليس مما يصلح تحقيره إلا بعد التسمية به كفُضَيْل تحقير فَضْل علما ، وعلى أن بطنا من العرب يقال لهم بنو شَرْح ، وربما كنى عن فرج المرأة فقيل له شُرَيح ، فالزم التحقير امتهانا له ؛ وأما قِرْوَاش فمرتجل علما وليس بمنقول ، وهو من لفظ القرش ومثله فى الوزن جِلْوَاخ وقِرْوَاح ودِرْوَاس ، أنشدنا أبو على قال أنشد أبو زيد :

بِتْنَا وَبَاتَ سَقِيطُ الطَّلِّ يَضْرِبُنَا ... عِنْدَ النَّدُول قِرَانَا نَبْحُ دِرْوَاسِ
إِذَا مَلاَ بَطْنَهُ أَلْبَانُهَا حَلَبًا ... بَاتَتْ تُغَنِّيهِ وَضْرَى ذَاتُ أَجْرَاس

النَّدُول : اسم رجل ، ودرواس : كلب كان له ، وعنى بالوَضْرى استه ، وأجراسها : أصواتها

لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاشَتْ عَكَرْتُهَا ... عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيُّ سَاعَةِ مَعْكَرِ (١)

عَشِيَّةَ نَازَلْتُ الفَوَارِسَ عِنْدَهُ ... وَزَلَّ سِنَانِي عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مُسْهِرِ (٢)

وَأُقْسِمُ لَوْلَا دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ ... عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ ضِبَاعٍ وَأَنْسُرِ (٣)

---

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول . والقافية متدارك .

مسحل : اسم رجل مسمى بالحمار الوحشى ، لأن السحيل صوته ، والعكر : العطف ، يقال : فلان عكار فى الحروب ، وقوله « وأى ساعة معكر » إذا رويته بالرفع يكون مبتدأ وخبره محذوف ، كأنه قال : وأى ساعة معكر تلك الساعة ، وإذا رويته بالنصب يكون ظرفا ويكون العامل فيه مضمرا ، كأنه قال : وعكرت أى وقت معكر .

(٢) «عشية» انتصب على أن يكون بدلا من قوله « وأى ساعة معكر » إذا نصبت أيا ، وإن رفعته فانتصاب عشية على أن يكون ظرفا ، والعامل فيه فعل مضمر دل عليه ما قبله ، كأنه قال عكرت عشية ، ولا يكون العامل « نازلت » لأنه مضاف إليه وبيان للوقت ، والمضاف إليه لا يعمل فى المضاف : أى عشية نازلت الفرسان بحضرته وحين زل سنانى ، وإنما زل سنان رمحه عنه وسلم من طعنته لأنه كان لبس درعا تحت ثيابه وهو لايشعر بها ، فكأنه يعتذر ويتلهف

(٣) «أقسم» يمين ، والمحلوف به محذوف ، وهو لفظة الله عز وجل ، ولكثرة مجيئها مع «أقسم» صار وهو محذوف كالمنطوق به ، وجواب القسم استغنى عنه بقوله لولا ، يقول : لولا درعه لتركته قتيلا تأكله السباع والطيور ، والعافى والمعتفى واحد ، ومنه قول الشاعر :

لَعَزَّ عَلَيْنَا وَنِعْمَ الْفَتَى ... مَصِيرُكَ يَا عَمْرُو لِلْعَافِيَهْ

أى : عز علينا أن تقتل وتترك للطير والسباع .

وَمَا غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إلاَّ نِزَالُكَ الْـــكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الْكَمِيِّ الْمُقَطَّرِ (١)

١٤٢ — قال طَرَفَةُ الْجَذِيمِيُّ (٢)

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغًا
بَنِي قَقْعَسٍ قَوْلَ امْرِئٍ نَاخِلِ الصَّدْرِ (٣)

---

(١) يقول : ما شدائد الموت إلا منازلتك الكمى فوق لحم الكمى : أى فوق جيف القتلى ، وسئل بعضهم : ما أشد ما رأيت فيما زاولته من الحروب ؟ فقال الزَّلَق على العَلَق ، وفى هذا البيت إدماج ، والإدماج : أن تكون علامة التعريف فى النصف الأول من البيت والمعرّف فى النصف الثانى ، وهو يقل فى الأوزان الطوال و يكثر فى القصار ، كقول الأعشى :

اسْتَأْثَرَ اللهُ بِالْمَكَارِمِ وَالْـ عَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا
وَالشِّعْرُ قَلَّدْتُهُ سَلَامَةَ ذَا الْـ إِفْضَالِ وَالشَّىْءُ حَيْثُ مَا جُعِلَا

قال أبو رياش : لقى شريح بن مسهر أخو بلحرث بن كعب مِسْحَل بن شيطان ابن جَذِيم بن جذيمة بن رواحة ، فطعن مسحلاً فصرعه ، فحمل شُرَيْح بن قِرْوَاش على شريح بن مسهر ، فطعنه فصرعه ، واستنقذ مسحلا ، وقال هذه الأبيات .

(٢) قال أبو الفتح : طَرَفة واحدة الطَّرْفاء ، ومثله قَصَبة وَقَصْبَاء وَحَلَفَة وَحَلْفاء ، وقال الأصمعى : هى حَلِفة بكسر اللام ، وغيره يفتحها ، وحكى أبوزيد وأبو الحسن فيما أظن قَصْبَاءَةً وَحَلْفَاءَةً وطَرْفَاءَةً ، وهذا من شاذ التصريف ، وجَذِيمة علم مرتجل ، وليس منقولا ، و يجوز أن يكون من جَذَمْت يده : أى قطعتها ، فيكون اسما كالنَّطِيحة وَالذَّبِيحَةِ

(٣) الأوّل من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متواتر

فَوَاللهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ كَشَاحَةٍ
وَلاَ طِيبِ نَفْسٍ عَنْكُمُ آخِرَ الدَّهْرِ (١)

وَلَكِنَّنِي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قَبِيلَةٍ بَغَتْ وَأَتَتْنِي بِالْمَظَالِمِ وَالْفَخْرِ (٢)

فَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ أُبِتْهُمُ عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ نَابِيَةِ الظَّهْرِ (٣)

يخاطب واحدا من الركبان غير معين ، وإنما نكر المدعوّ لأمرين : أحدهما شدة اهتمامه بالرسالة وتحميلها كائنا من كان . والثانى أنه أراد أن يضع رسالة ظاهرها أنها أودعت متحملا ، علما بأن الرسالة بنفسها إذا ضمنت الشعر وعقدت به ستبلغ على أفواه الرواة ، وقوله « ناخل الصدر » يريد مصفى مافى الصدر فحذف المضاف ، أو يريد ناخل الصدر لما يعيه ، فجعل الفعل للصدر توسعا ، والمعنى إنه موافق الباطن للظاهر ، ويقال : نَخَلْتُ الودَّ والنصح لفلان ، إذا أخلصتهما .

(١) أى لم أوثر فراقكم لعداوة لازمة الكشحى ، ولا لسلو نفس عنكم آخر الدهر ، وإنما قرن السلو بقوله « آخر الدهر » ليرى أن ذلك فى التقدير ليس بحاصل ولا واقع أبدا ، وهذا كما يقال : لاأفعل كذا مادامت السموات والأرض

(٢) هذا كشف للعذر وذكر للسبب الموجب للمجانبة والمفرقة

(٣) انتقل عن الخطاب إلى الإخبار حين توعّدهم وإن كان الكل من جملة الرسالة ، ويروى « لِشَرِّ النَّاسِ » بالكسر ، والمعنى أنا ابن شر الناس ، والآلة : الحالة ، واستعار الحدب للآلة لأنه تخالف فى الخلق وفقد اتساق ، وكذلك استعار الظهر لمَّا استعار الحدب لأنه يكون فى الظهر ، وجواب الجزاء الفاء فى قوله « فانى لشر الناس »

وَحَتَّى يفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ بَيْنِنَا
وَنقعُدَ لاَ نَدْرِى أَننْزِعُ أَمْ نُجْرِى (١)

(١) تعلق « حتى » بفعل مضمر ، كأنه قال : وأُديم ذلك لهم حتى يفر الناس أى إلى أن يفر الناس فلا ندرى أنقصر ونكف أم نجرى وننفذ ، وقوله « لاندرى » فى موضع الحال ، وهذا إلمام بما سار به المثل من قصة السائلة للسمن فى قوله :

وَكُنْتُ كَذاتِ القِدْرِ لَمْ تَدْرِ إذْ غَلَتْ ... أَتُنْزِلُهَا مَذْمُومَةً أَمْ تُدِيمُهَا

وبالمثل السائر : اختلط الخاثر بالزباد

قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحرث بن مازن بن قُطَيْعة بن عبس ، هو ابن فقعس بن طريف ابن عمرو بن قُعَين بن الحرث بن ثَعْلَبة بن دُودَان ابن أسد بن خزيمة ، وذلك أن حَيَّة بنتَ مالك بن مرة كانت تحت فَقْعَسٍ ، فمات عنها ، فخلف عليها رَوَاحة ، فولدت جذيمة على فراشه ، فزعموا أنها تزوجته وهى حبلى بجذيمة فولدته لثلاثة أشهر ، فجاء جذيمة يطلب بميراثه من أبيه ، فقال له أعيا بن طريف : ماأعرفك ولا لك عندى ميراث ، فقال له : ويحك أعطنى ولو بكرا أستحق به النسب ، فمنعه ، فأنشأ جذيمة يقول :

أَعْيَيْتَنِى كُلَّ الْعِيَا ... ءِ فَلاَ أَغَرَّ وَلاَ بَهِيمْ

فسمى « أعيا » بهذا البيت ، وثبت نسب جذيمة فى بنى عبس ، ولذلك يقول قيس بن زهير :

وَجَدْنَا أَبَانَا فِى جَذِيمَةَ ثَابِتاً ... وَلَسْتُ بِعَبْسِىٍّ وَلاَ مُتَعَبِّسِ

* وَلٰكِنَّنِى مِنْ فَقْعَسٍ وَابْنُ فَقْعَسِ *

١٤٣ — وقال أُبَيُّ بن حُمَام العَبْسِيُّ : (١)

تَمَنَّى لِىَ الْمَوْتَ الْمُعَجَّلَ خَالِدٌ وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يُعْرَفُ حَاسِدُهُ (٢)

فَخَلِّ مَقَامًا لَمْ تَكُنْ لِتَسُدَّهُ عَزِيزًا عَلَى عَبْسٍ وَذُبْيَانَ ذَائِدُهْ (٣)

١٤٤ — وقال أيْضًا :

لَسْتُ بِمَوْلَى سَوْأَةٍ أُدَّعَى لَهَا فَإِنَّ لِسَوْآتِ الْأُمُورِ مَوَالِيَا (٤)

وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقُ وَلاَ الْعِدَا أَدِيمِى إِذَا عَدُّوا أَدِيمِى وَاهِيَا (٥)

---

(١) وحمام : هو ابن جابر بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة ابن عبس .

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

أى : حسدنى خالد فتمنى لى الموت ، وإذا لم يكن للرجل حاسد فانما هو مغمور لاخير عنده ولا فيه ، وإنما يكون الحساد حيث يكون الفضل

(٣) أى : من سد ذلك المقام وذاد مابدا من الشر عزَّ على قومه وَعَظُم فى أعينهم يقول لخالد : دع السيادة فلست بأهل لها ، وإنما يستحق السيادة من يدفع عن قومه ولستَ بقادر على ذلك ، واللام فى « لتسده » لام الجحود ، وهى لام الاضافة ، والفعل بعده ينتصب بأن مضمرة ، ولا تظهر البتة

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

قوله « أُدّعى لها » أى أنسب إليها فان لسوآت الأمور ، يقول : للخير أهل وللشر أهل

(٥) جعل الأديم هٰهُنَا مثلا ، وإن لم يكن ثَمَّ أديم ، ومثل ذلك كثير ، كما قال القطاميّ : —

وَلٰكِنَّ الْأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى بِلًى وَتَعَيُّنًا أَعْيَا الصَّنَاعَا

وَإِنَّ نِجَارِى يَاابْنَ غَنْمٍ مُخَالِفٌ نِجَارَ اللِّئَامِ فَابْغِنِى مِنْ وَرَائِيَا (١)

أى : إن فساد الأمر إذا استحكم لم يمكن فيه الصلاح ، والأديم : اسم يجب أن يكون من أدمت الطعام إذا خلطته بالأدم . وذلك أن يجعل فى الدباغ ؛ فكأنه يؤدم بذلك : أى يصلح ، وإذا قيل بهذا القول وجب أن يكون فعيلا فى معنى مفعول ، ولكنه كثر وأرادوا أن يفرقوا بينه وبين غيره فألزموه حالا لا تشبه حال ما قاربه ، وكذلك الرغيف ألزموه حال فعيل الذى ليس بمنقول ، فقالوا أَرْغِفَة ورُغْفَان ، وقوله « وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقُ وَلاَ الْعِدَى » زاد « لا » مؤكدة للنفى ؛ لأنه لو قال الصديق والعدى لم يكن فيه دليل على أن كل واحد منهم لن يجد ، ولتوهم الجمع بينهما دون الإفراد ، فاذا جاءت « لا » نفت البتة ، وأراد بالأديم عِرْضَه ونفسه : أى لن يجد الناس عرضى ضعيفاً .

(١) النِّجار : الأصل . وهذا تعريض بالمخاطب ، يقول : أصلى مخالف لأصول الأدنياء ، وقوله « فابغنى من ورائيا » أى : من خلفى ، يقول : اطلبنى إذا غبت عنك وفتّك ، فأما إذا حضرت فانك لا تقاومنى ، هذا إذا جعلت وراء بمعنى خلف ، فان جعلته بمعنى قدّام فالمعنى إذا تقدمتنى . وفيه تهكم ، ويجوز أن يكون المعنى إنى كريم الأصل رفيع المحل ومن كان كذلك لا يظفر به إلا بالخضوع والتذلل له فابغنى وأنت تابع حتى تنالنى ، وإلا لم تبلغ مرادك منى ، ويقال : فلان من وراء فلان ، إذا كان ناصراً له أو تابعاً ، وأنشد ابن السكيت :

لَعَمْرُكَ مَا كَانَ الْقَرَنْبَى وَرَهْطُهُ بِعَمِّى وَلاَ خَالِى وَلاَ مِنْ وَرَائِيَا

أى : ولا ناصرى ، فأما قولهم « الله من ورائك » فالمعنى طالبك ومترصّد لك ، وعلى القول الآخر يكون « من ورائى » فى موضع الحال لضمير الفاعل فى ابغ .

وَسِيَّانِ عِنْدِى أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أُرَى
كَبَعْضِ الرِّجَالِ يُوطِنُونَ الْمَخَازِيَا (١)
وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لا يَهَابُنِى وَلَسْتُ أُرَى لِلْمَرْءِ مَالا يَرَى لِيَا (٢)
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحْبِبْكَ إِلَّا تَكَرُّهًا عِرَاضَ الْعَلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا (٣)

١٤٥ — وقال عنترة (٤) :

---

(١) ارتفع « سيان » على أنه خبر متقدم لقوله « أن أموت وأن أرى » والمعنى مِثْلاَن عندى موتى وأن أرى كمن يألف المخازى ويرضاها وطنا ، وهـذا تعريض بالمخاطب أيضاً .

(٢) حذف مفعول « يرى » تخفيفا ، وهذا الحذف سائغ : جعلت « ما » معرفة وكان ما بعده صلة أو جعلته نـكرة وكان صفة .

(٣) انتصب « تَـكَرُّهًا » على أنه مصدر فى موضع الحال ، والتقدير إلا متكرها ، وانتصب « عِرَاضَ الْعَلُوق » على أنه مصدر مما دل عليه قوله « لم يحببك إلا تـكرها » لأن المعنى إذا الرجل عارضك فى الحب عراضَ العلوق لم يكن ذلك الحب باقياً ولا ثابتاً ، والْعَلوق : هى الناقة التى تَرْأم ولدها وتلمسه حتى يأنس بها فإذا أراد ارتضاع اللبن منها ضربته وطردته .

(٤) قال أبو هلال : يعنى عنترة بن مُعاوية بن شدّاد بن قُرَاد بن مخزوم بن مالك بن قُطَيْعة بن عبس ، وكنيته أبو المغلِّس ، وفى الشعراء جماعة يقال لهم عنترة : منهم هذا ، ومنهم عَنْتَرَة بن عُـكْبَرَة الطائى ، وهو عنترة بن الأخرس ، وقد مر ذكره ، ومنهم عَنْتَرَة بن عَرُوس مولى ثقيف ، وكان مُوَلَّدا فى بلاد أزدشنوءة شاعر راجز .

يُذَبِّبُ وَرْدٌ عَلَى إِثْرِهِ وَأَمْكَنَهُ وَقْعُ مِرْدَى خَشِبْ (١)
تَتَابَعَ لاَ يَبْتَغِي غَيْرَهُ بِأَبْيَضَ كَالْقَبَسِ الْمُلْتَهِبْ (٢)

---

(١) الضرب الثالث من المتقارب ، مقيد مجرد ، والقافية متدارك .

هذا وَرْدُ بن حابس ، طاب نَضْلة الأسدى بوِتْرٍ كان له عنده ، والتذبيب مثل الطِّراد ، وأصله الإسراع ، وقوله « وأمكنه وقع مردى خشب » أى : ساعده على ذلك وقع فرس صلب كالحجر لأن المِرْدَى يكسر به الصخور ، و يقال مردى من الرَّدَيَانِ (١) : أى فرس سريع الْعَدْو ، وكأن قوله « وقع مردى » من قولهم : وقعت الحديدة ، إذا ضربتها بالميقعة ، كأن الفرس تضرب الأرض بحوافرها ضربَ الحديد بالميقعة ، وقيل : مِرْدَى من الرَّدَى ، وهو الهلاك ، وقيل : وَرْدٌ اسم فرسه ، وقيل : المردى فى البيت السيف من الردى ، وَخشب : خشن بدِىء طبعه ، ومن جعل مِرْدَى فرسَه قال : خشب غليظ العظام ، ويروى «جَشِب» وهو الغليظ العظام ، والجشاب : الغليظ مع قصر فيه ، وقال أبو العلاء : يقال : سيف خشيب ، إذا لم تكمل صنعته ، وكذلك خشبت الشعر ، قال المزرِّد :

فَإِنْ تَخْشَبَا أَخْشَبْ وَإِنْ تَتَنَخَّلاَ وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَي مِنْكُمَا أَتَنَخَّلِ

أى : و إن كنت أصغر منكما ، أخذه من الفتى ، وحذف الياء من خشيب لتهاونهم بالزوائد إذا كانت من حروف المد واللين ، ومثل ذلك قولهم أصِل فى معنى أصيل ، وكأنهم اعتقدوا فى خشيب مثل ما اعتقدوا فى أديم من أنه غير منقول عن مفعول فلذلك حذفوا الياء ، وحذفها من فعيل الذى فى معنى فاعل أوجه من حذفها فى مثل قولك رجل قتيل وقتل .

(٢) أى : تمادى هذا الرجل لا يبتغى غير نَضْلة ، والتتابع فى الشر دون الخير ،

---

(١) يقال : ردى الفرس مثل رمى رديا كالرمى وردَيانا كالغليان ، إذا سار بين المشى والعدو

فَمَنْ يكُ فِى قَتْلِهِ يَمْتَرِى ... فَإِنَّ أَبَانَوْفَلٍ قَدْ شَجِبْ[(١)]

وَغَادَرْنَ نَضْلَةَ فِى معْرَكٍ ... يَجُرُّ الأَسِنَّةَ كَالمُحْتَطِبْ[(٢)]

١٤٦ — وقال عُرْوَةَ بن الْوَرْد[(٣)] :

لَحَا اللهُ صُعْلُوكاً إذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... مُصَافِى المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ[(٤)]

ويروى « يتابع » ومفعول يتابع محذوف ، ويجوز أن يكون الفعل للرجل ، ويجوز أن يكون للفرس ، كأن المراد يتابع الركضَ والعدْوَ ، وموضع « لا يبتغى » نصب على الحال ، والباء من قوله « بأبيض » يجوز أن تتعلق بيتابع ، ويجوز أن تتعلق « بلا يبتغى » وقوله « بأبيض » يجوز أن يريد به سيفا ، والقبس : النار شبهه بها ، ويجوز أن يريد به رجلا كريماً ، ويكون على هذا يتابع للفرس

(١) أضاف المصدر فى « قتله » إلى المفعول ، وأبو نوفل : كنية نضلة ، ويقال : شَجِب وشَجَب ، إذا هلك ؛ فهو شَجِبٌ .

(٢) النون فى « غادرن » ضمير الخيل ، ويحكى أن المحتطب دويبة تمر على الأرض فتعلق بها العيدان ، ويكون المعنى يجر الأسنة كما تجر هذه الدويبة العيدانَ ، والوجه أن يحمل على المعهود فى تركهم الرماح فى المطعون ، من قولهم : أجررته الرمح ، إذا طعنته وتركته فيه ليكون أعْنَتَ له

(٣) سمى بالعُرْوَة من الشجر ، وهو ما لا ييبَسُ فى الشتاء فتستغيث به الإبل فى الجدب

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول : والقافية متدارك

« لحا الله » كلمة تستعمل فى السب ، وأصله اللوم والقشر أيضا ، والصعلوك : الفقير ، والمشاش : كل عظم هَشٍّ دسم ، والواحدة مُشَاشة ، وقوله « مصافى المشاش » نكرة ، وانتصب على أنه صفة لقوله « صعلوكا » وإضافته ضعيفة ، لأن المُشَاشَ أشير به إلى الجنس فلا يحصل التخصيص بالإضافة إليه ، وعلى

يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسِّرِ (١)

يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا يَحُتُّ الْحَصَا عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ (٢)

يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِنَّهُ وَيُمْسِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ (٣)

وَلَكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ

كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ (٤)

هذا قوله « قَيْدُ الأوابد (١) » و « دَرَكُ الطريدة (٢) » وما أشبهه ، والمجزر : الموضع الذى تُنْحَر فيه الإبل

(١) الميسّر : ضد المجنب ، يقال : يَسَّرَ الرجلُ ، ويَسَّرت غنمه ، وجنَّب الرجل ، إذا قلت حَلوبته فى الإبل وغيره ، قال :

* وكُلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامُ تَجْنِيبِ * (٣)

(٢) أى : ينام لدناءة همته ثم يأتى الصباح عليه وهو ناعس يحتُّ مالصق به من الحصا ، ويحت ويحط يتقاربان ، والعفر : التراب ، يقال : عَفَّرْتُه فتعفَّر .

(٣) المحسَّر : الْمُعْيِى ، وكذلك الطليح

(٤) يجىء خبر « لكن » فيما بعد ، وصفيحة الوجه : عرضه ، وكذلك

---

(١) وقعت هذه الكلمة فى شعر امرىء القيس ، وهو أول من ابتدعها ، وذلك فى قوله :

وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ فِى وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

(٢) قال الزمخشرى فى أساس البلاغة «وفرس قيد الأوابد ودرك الطرائد »

(٣) هذا عجز بيت للجميح بن منقذ يذكر فيه امرأته ، وصدره قوله :

* لَمَّا رَأَتْ إِبِلِي قَلَّتْ حَلُوبَتُهَا *

مُطِلاًّ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ (١)

إِذَا بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ (٢)

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَهَا

حَمِيدًا ، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ (٣)

صَفْحُه ، وموضع « صفيحة وجهه » مع خبره نصب على أن يكون صفة لصعلوكا وحذف المضاف من قوله « صفيحة وجهه » لأن المراد ضوء صفيحة وجهه كضوء شهاب .

(١) يقال : أطَلَّ على أعدائه ، إذا أوفى عليهم ، والْمَنِيح والسفيح والْوَغْد : قِدَاح لاأنصباء لها ، وإنما يكثر بها القِدَاح فهى تُجَال أبدا ، وتزجر حالا بعد حال ، فشبه الصعلوك به ، وقال أبو العلاء : المنيح يستعمل فى موضعين : أحدهما أن يكون لاحظّ له ، والآخر أن يستعملوه فى معنى المستعار ؛ لأن العارية يقال لها الْمِنْحَة ، وكان الرجل منهم إذا لم يكن له قدح استعار قدحا من غيره ، والمعنى فى هذا البيت يحتمل الوجهين ؛ فإن حمل على المستعار فالمراد به قدح فائز ، والذى يستعيره يزجره كما يزجر الفرس ، لأن الأَيْسَار كانوا يقفون عند المفيض فيتكلم كل واحد منهم كأنه يخاطب قدحه فيأمره بالفوز ويَحُثُّه عليه ويحذره من أن يخيب فذلك زجره إياه

(٢) انتصب « تَشَوُّفَ » على المصدر مما دل عليه « لايأمنون اقترابه » ومفعول تَشَوُّفَ محذوف ، كأنه قال : تشوف أهل الغائب رُجُوعَه

(٣) قوله « إنْ يَلْقَ المنية » خبر قوله : « ولكن صعلوكا » لو انفرد عن قوله « فذلك » لكنه لما تراخى الخبر عن المخبر عنه وتباعد المقتضى عن المقتضِى له أتى بقوله « فذلك » مشيرا به إلى الصعلوك ، فصار « إن يلق » خبرا

١٤٧ — وقال عَنْتَرَةُ :

تَرَكْتُ بَنِى الْهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمْضِى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ (١)

تَرَكْتُ جُرَيَّةَ الْعَمْرِيَّ فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ مُعْتَدِلٌ شَدِيدُ (٢)

عنه ، وساغ ذلك لأن المراد بالأول والثانى واحد ، ومما أجرى هذا المجرى لحصول مثل هذا التراخى فيه قول الله عز وجل : (ألم يعلموا أنه من يُحَادد الله ورسوله فان له نار جهنم) فأعاد قوله (فان) كما ترى

(١) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

دَوَار : صنم ، بفتح الدال وضمها ، وكانوا يدورون حوله : أى قتلت من بنى الهجيم قتيلا فهم يطوفون حوله كما يطاف على الصنم أو النسك ، فاذا انقضت جماعة منهم عادت جماعة أخرى للنظارة ، وقوله « جماعتهم » يريد جماعة منهم فأضاف البعض إلى الكل ، وليس يريد جماعتهم ، وهو فى حكم النكرات ، وموضع « لهم دوار » نصب على الحال ، وقوله « تعود » فاعله مضمر ، وهو جماعة أخرى ، فاكتفى بذكر الأول عنها ، وقيل : يريد كأنهم لفرسى دوار أكر عليهم وأطوف بهم كما يطاف بذلك الصنم ، و «جماعتهم» ينتصب على هذا الوجه لأن « تمضى » هذا يتعدى . ومعناه يجاوزهم

(٢) إنما قال « العمرى » لأن الْهُجَيْمَ بن عمرو ، وقوله « فيه شديد العير » نصب على الحال ، والعير: الناتىء فى وسط النصل ، وقد أقيم الصفة مقام الموصوف لأن المراد به سهم شديد العير ، ولولا ماحصل من الاختصاص باضافة الشديد إلى العير لما جاز ذلك فيه ؛ لأن الصفة لاتقوم مقام الموصوف حتى تدل عليه دلالةً قوية ، فأما إذا كانت عامة فى أجناس فلا يجوز ذلك فيه ، لو قلت « مررت بطويل » وأنت تريد رجلا لم يحسن ، لأن الطويل يكون فى غير الرجال كما

فَإِنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ ... وَإِنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ لَهُ الْفُقُودُ (١)

وَمَا يَدْرِي جُرَيَّةُ أَنَّ نَبْلِي ... يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ النَّجِيدُ (٢)

١٤٨ — وقال قيس بنُ زُهَيْرٍ يرثي حُذَيفَةَ وحَمَلاً ابني بَدْرٍ الْفَزَارِيَّيْنِ :

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ ... عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لاَ يَرِيمُ (٣)

يكون في الرجال ، ولو قلت « مررت بكاتب » لَحَسُن ؛ إذ كانت الكتابة مختصة

(١) كان الواحد منهم إذا رمى بسهم وأراد سلامة الرمية منه رقى سهمه ، وإذا أراد إهلاكه لم يفعل ذلك ، وقوله « فحق له الفقود » لأن الفاء تجاب في الجزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر ، ولو قصد إلى أن يكون الفعل جوابا لاستغنى عن الفاء

(٢) ويروى « وهل يدرى جرية » والجَفير : الجعبة ؛ ويجوز أن يريد بالبطل النجيد جرية بعينه ، ثم يجوز أن يكون متهكما فيما وصف به ، ويجوز أن يكون مادحا له ؛ لأن مَدْحَ خصمه وقد غلبه راجعٌ إليه

(٣) الأول من الوافر ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

ويروى « تعلم أن خير الناس حَيًّا » والمعنى وهو حي ؛ وقوله « على جفر الهباءة » خبر « أن » ويروى « ميتا » وإعرابه كالإعراب في « حيا » ويروى « مَيْتٌ » وارتفاعه على أنه خبر « أن » و « على جفر الهباءة » في موضع الصفة له ، ومعنى تعلم اعلم ، ولا يقال في جوابه تَعَلَّمْتُ استغناء عنه بعلمت ، وجفر الهباءة : بئر قريبة القعر ماؤها معين كثير ، وكان حَمَل انهزم في وقعة بين عبس وذبيان ، فلما انتهى إلى الهَبَاءَة أمِن لبعدها عن الطلب ، فرمى بنفسه إلى الماء ليبترد فاتفق لحاق قيس به وهو في البئر مع عدة من ذويه فقتلوا عن آخرهم

وَلَوْلاَ ظُلْمُهُ مَازِلْتُ أَبْكِي ... عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَاطَلَعُ النُّجُومُ(١)

وَلَـكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ ... بَغَى وَالْبَغْىُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ(٢)

أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي ... وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ(٣)

وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي ... فَمُعْوَجٌّ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمُ

(١) أشار بالظلم إلى ماجرى فيهم من أمر داحس والغبراء وإنكاره السبقَ وركوبه البغى ، وقوله « ماطلع النجوم » ينتصب على أنه بدل من « الدهرَ » و « ما طلع » بمنزلة المصدر ، وقد حذف اسم الزمان معه ، والمراد بذكر الدهر التكثير والمبالغة ، فمعنى «عليه الدهر» طول الدهر ، ويقال : (١) بَغَى الرجل على فلان : أى جار ، وبغى الفرس فى عَدْوِه ، وهو فرس باغ ، وذلك إذا اختال ومرح ، وإذا استعمل فى الفخار والاستطالة فهو من هذا ، وكان ظلمه أنه قتل مالك بن زهير بأخيه عوف بن بدر بعد أخذ الدية

(٢) الوَخَامة : الثقل يعرض من الطعام ، يقال : وَخُمَ وَخَامَةً فهو وَخِيم ووَخِم ، لايستمرأ

(٣) أى : إذا أحرج الحليم وأحوج تكلف مالا يكون معهودا فى طبعه ، وإنما نبه بهذا الكلام على أنه يتحلم على الأدْنَيْنَ (٢) ويصبر على أذاهم ، وأن من حُمّل فوق وسعه خرج عن المعتاد منه إلى غيره

(١) هكذا وقع فى كافة الأصول ، وليس يخفى على من تأمل أدنى تأمل أن محل هذا الكلام اللائق به إنما هو بعد ذكر البيت التالى الذى هو « ولكن الفتى الخ » لأن كلمة « بغى » واردة فيه لافى هذا البيت

(٢) وقع فى كافة أصول الكتاب « يتحلم على الأذيين » بذال معجمة وياءين وهو تحريف ، وأصله وقع فى نسخة بن ثم تبع بعضه بعضا ، والأدنين : جمع أدنى وهو أقرب الناس إليه ، وفى شعر حاتم طى :

تَحَلَّمْ عَنِ الْأَدْنَيْنَ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

قد تم — بعوْن الله تعالى وحسن توفيقه — طبع الجزء الأول من شرح ديوان الحماسة لأبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى ، ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى منه ، ومطلعه قول مُسَاوِر بن هند :

سَائِلْ تَمِيماً هَلْ وَفَيْتُ فَإِنَّنِى أَعْدَدْتُ مَكْرُمَتِى لِيَوْمِ سِبَابِ

وشرحه وخبره ؛ نسأل الله أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله ، إنه المعين ؛ لا إله إلا هو ، ولا مَرْجُوَّ سواه ، آمين .

الفهارس الهجائية

للجزء الأول من كتاب

شرح ديوان الحماسة

للخطيب التبريزى

صنعها

محمد محيى الدين عبد الحميد

بيان

(١) تردّدنا طويلا فى صُنْع هذه الفهارس لهذا الكتاب ، ثم تردّدنا — بعد أن استتام عندنا أمر عملها — فيما عسى أن نفعل : أنجعل فهارس الكتاب كله ملحقةً بآخره دفعة واحدة أم نجعل ما يتعلق منها بكل جزء فى آخره ؟ و بعد تردّد طال أمده ترجح عندنا أن نذيل كل جزء بالأنواع الآتية :

ا — النوع الأول : فهرسٌ بأعلام الشعراء الذين نُسب إليهم شعرٌ فى هذا الجزء من ديوان الحماسة [١] ، فان اتفق أبو تمام والخطيب التبريزى على اسم الشاعر ذكرناه على ما اتفقا عليه ، و إن اختلفا ذكرنا الاسمين جميعاً كلٌّ واحد منهما فى مكانه من الفهرس .

ب — النوع الثانى : فهرس بشعر الحماسة [٢] مرتباً على حروف المعجم بحسب حرف القافية . وذكرنا البحر الذى منه هذا الشعر .

حـ — النوع الثالث : فهرس بأعلام الشعراء الذين نُسب إليهم شعرٌ مذكورٌ فى شرح الحماسة للخطيب التبريزى أو فى تعليقاتنا عليه [١] ، أو ذكروا فى الشرح بوصف كونهم شعراء و إن لم يذكر لهم شعر ؛ و رتبنا هذا النوع ترتيب النوع الأول

ى — النوع الرابع : فهرسٌ بالشعر الذى ذكر فى شرح الحماسة [٢] للخطيب

---

(١) لم نبال فى ترتيب هذا الفهرس بحرف التعريف ، ولا بكلمة « ابن » أو « بنت » أو « أخ » أو « أخت » أو « أبو » أو « أم » أو « ذو » أو « ذات » ، بل رتبناه على ماوراء ذلك ترتيبا دقيقاً

(٢) رتبنا هذا الفهرس على أواخر القوافى ، ثم رتبنا كل حرف منها على ترتيب بحور الشعر ، ثم رتبنا كل بحر على حركات الأواخر فبدأنا بالمضموم ثم ثنينا بالمفتوح ثم أتبعنا ذلك بالمكسور ثم الساكن فكان من ذلك ترتيب دقيق .

وفى تعليقاتنا عليه ، ورتبنا هذا النوع ترتيب النوع الثانى .

ولم نشأ أن نضم هذا النوع والذى قبله إلى النوعين الأول والثانى مبالغةً منا فى العناية بالكتاب .

هـ — النوع الخامس : فهرسٌ بالأعلام التى ذكرت فى الكتاب غير منسوبٍ إليها شعر ولا ذكروا بوصف أنهم شعراء ، سواء أكانوا فى الواقع من الشعراء أم لم يكونوا ؛ وسواء أكان ذكرهم فى كتاب الحماسة أم فى شرحه أم فى تعليقاتنا عليه ؛ وهذا النوع يشتمل على أسماء الرجال والنساء والقبائل والبطون

(٢) ثم إن طال بنا الأجل ألحقنا بآخر الكتاب فهارسَ أخرى عامّةً

(٣) والله سبحانه المسئول أن ينفع بهذا العمل ، وأن يتقبله قبولا حسناً ، وأن يثيبنا عليه .

الفهرس الأول

بأعلام شعراء الحماسة

الفهرس الثانى

لقوافي ديوان الحماسة

الفهرس الثالث

بأعلام الشعراء الواردة فى شرح ديوان الحماسة

وتعليقاتنا عليه

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

الفهرس الرابع

للقوافى الواردة فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى

وفى تعليقاتنا عليه

وهى قسمان : القسم الأول فى الأبيات الكاملة

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

صدر البيت	قافيته	بحره	ص
لَعَزَّ عَلَيْنَا	للعافِيَهْ	المتقارب	٣٨٥

حرف الألف اللينة

إذَا القومُ قالوا مَنْ فَتًى	ولكنه الْفَتَى	الطويل	١٠٥
أشارت له الحربُ الْعوَانُ	أوَّل من أتى	الطويل	٣٥١
راحوا بَصَائِرُهُمْ على	عَتَدٌ وأى	الكامل	١٢٨

القسم الثانى من الفهرس الرابع

وهو خاص بأنصاف الأبيات

مرتبة على ترتيب بحور الشعر

الفهرس الخامس

بأعلام غير الشعراء[1] الذين ورد لهم ذكر في شرح ديوان الحماسة للتبريزى .

وتشتمل على أسماء الرجال والنساء والقبائل والعشائر والبطون

حرف الهمزة

حرف الباء

---

(١) نريد الذين ذكروا ولم ينسب لهم شعر ولا وصفوا بكونهم شعراء ، وإن كانوا شعراء فى الواقع ، وإن نسب لهم شعر فى غير هذه المواضع .

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمه

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف الظاء المعجمة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

تمت الفهارس الهجائية للمجلد الأول من ديوان الحماسة وشرحه للخطيب التبريزى . والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين